إتحاف ذوي العقول الرشيدة بشرح البداية في العقيدة

جمع وترتيب

أيمن بن علي موسى

قدم له فضيلة الشيخ

وحيد بن عبد السلام بالي

وفضيلة الشيخ

أبو بكر الحنبلي

دار ابن رجب

دار الفوائد

إتحاف ذوي العقول الرشيدة

بشرح

البداية في العقيدة

١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م

اسم الكتاب: إتحاف ذوي العقول الرشيدة
اسم المؤلف: موسى، أيمن بن علي
القطع: ١٧×٢٤سم
عدد الصفحات: ٥٥٢ صفحة
سنة الطبع: ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م

رقم الإيداع: ٤١٩٦/ ٢٠١٤م

الترقيم الدولي: ٢-١٧٦- ٣٩٠- ٩٧٧- ٩٧٨

دار ابن رجب طبع. نشر. توزيع دار الفوائد

المركز الرئيسي: فارسكور- تليفاكس: ٠٠٢٠٥٧٣٤٤١٥٥٠ - جوال: ٠١٢٢٢٣٦٨٠٠٢
فرع القاهرة: ١٣ شارع البيطار- خلف الجامع الأزهر- هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥١٤١٠١٥
فرع المنصورة: ٣٣ عزبة عقل - هاتف: ٠١٠٢٥٣٦٠٣٣٥
Web site: www.daribnragb.com
Email: ibnragb@gmail.com

إتحاف ذوي العقول الرشيدة

بشرح

البداية في العقيدة

جمع وترتيب

أيمن بن علي موسى

قدم له فضيلة الشيخ

وحيد بن عبد السلام بالي

وفضيلة الشيخ

أبو بكر الحنبلي

دار ابن رجب

دار الفوائد

بسم اللہ الرحمن الرحیم
١٤٢٠ م

مُقدِّمَةُ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ وَحِيدِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ بَالِي

الْحَمْدُ للهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ، الْفَرْدِ الصَّمَدِ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ.

وَبَعْدُ: فَإِنَّ الْعَقِيدَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ هِيَ الْمُحَرِّكُ الَّذِي يَدْفَعُ الْمُسْلِمَ لِفِعْلِ الطَّاعَاتِ وَاجْتِنَابِ الْحُرُمَاتِ وَمُرَاقَبَةِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ.

وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَىٰ كِتَابِ:

«إِتْحَافِ ذَوِي الْعُقُولِ الرَّشِيدَةِ بِشَرْحِ الْبِدَايَةِ فِي الْعَقِيدَةِ»

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ أَيْمَنِ بْنِ مُوسَىٰ - حَفِظَهُ اللهُ -، فَوَجَدْتُهُ شَرْحًا جَيِّدًا رَائِعًا، حَاوَلَ فِيهِ أَنْ يَرْبِطَ الْقَارِئَ بِالنَّبْعَيْنِ الصَّافِيَيْنِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، بِفَهْمِ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ وَالْأَئِمَّةِ الْأَعْلَامِ، مَعَ تَرْتِيبٍ لِلْمَوْضُوعَاتِ فِي نَسَقٍ بَدِيعٍ.

فَأَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْزِيَهُ خَيْرَ الْجَزَاءِ، وَأَنْ يَجْمَعَ الْمُسْلِمِينَ قَاطِبَةً عَلَىٰ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ عَلَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَأَنْ يُؤَلِّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَيَجْمَعَ شَمْلَهُمْ وَيُوَحِّدَ كَلِمَتَهُمْ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَىٰ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

وَكَتَبَهُ الْفَقِيرُ إِلَىٰ عَفْوِ رَبِّهِ
وَحِيدُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ بَالِي
مِصْرُ - كَفْرُ الشَّيْخِ - مُنْشَأَةُ عَبَّاسٍ
١/ ٦/ ١٤٣٥ هـ

مُقَدِّمَةُ

فَضِيلَةِ الشَّيْخِ/ أَبِي بَكْرٍ الْحَنْبَلِيِّ

الْحَمْدُ للهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، سُبْحَانَهُ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الْقَائِلُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الْقَائِلُ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ**»(١). صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ أَبِي بَكْرٍ رَفِيقِهِ فِي الْغَارِ، وَعَلَىٰ عُمَرَ قَامِعِ الْكُفَّارِ، وَعَلَىٰ عُثْمَانَ شَهِيدِ الدَّارِ، وَعَلَىٰ عَلِيٍّ الْقَائِمِ بِالْأَسْحَارِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ خُصُوصًا الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ: فَالتَّوْحِيدُ(٢): هُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهُوَ دِينُ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ أَحَدٍ دِينًا سِوَاهُ، وَلَا تَصِحُّ الْأَعْمَالُ إِلَّا بِهِ، إِذ هُوَ أَصْلُهَا الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ أَحَدٍ دِينًا سِوَاهُ، وَلَا تَصِحُّ الْأَعْمَالُ إِلَّا بِهِ، إِذْ هُوَ أَصْلُهَا الَّذِي تُبْنَىٰ عَلَيْهِ، وَمَتَىٰ لَمْ يُوجَدْ لَمْ يَنْفَعِ الْعَمَلُ، بَلْ هُوَ حَابِطٌ إِذْ لَا تَصِحُّ الْعِبَادَةُ إِلَّا بِهِ حَيْثُ إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ مَا أَرْسَلَ الرُّسُلَ، وَلَا أَنْزَلَ الْكُتُبَ، وَلَا خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَلَا قَسَّمَ النَّاسَ إِلَىٰ شَقِيٍّ وَسَعِيدٍ إِلَّا مِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي يَدْخُلُ بِهَا الْمَرْءُ الْإِسْلَامَ أَلَا وَهِيَ

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

(٢) «التوحيد معناه وأقسامه وفضائله».

كَلِمَةُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» بِصِدْقٍ، «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ» بِاتِّبَاعٍ قُلْبًا وَقَالِبًا، ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَأَيْضًا مَنْ كَانَتْ آخِرَ كَلَامِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ.

فَالسَّعَادَةُ فِي الدُّنْيَا مُتَوَقِّفَةٌ عَلَىٰ الْعِلْمِ بِهِ، فَحَاجَةُ الْعَبْدِ إِلَيْهِ فَوْقَ كُلِّ حَاجَةٍ، وَضَرُورَتُهُ إِلَيْهِ فَوْقَ كُلِّ ضَرُورَةٍ؛ فَلَا رَاحَةَ وَلَا طُمَأْنِينَةَ وَلَا أُنْسَ وَلَا سَعَادَةَ إِلَّا بِأَنْ يَعْرِفَ الْعَبْدُ رَبَّهُ بِأُلُوهِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ وَصِفَاتِهِ، فَكَمَا يَحْتَاجُ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ يَحْتَاجُ إِلَىٰ هَذَا الْأَمْرِ بَلْ حَاجَتُهُ لِمَعْرِفَةِ رَبِّهِ أَعْظَمُ؛ وَلِذَلِكَ فَإِنَّ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: حَاجَةُ الْعَبْدِ إِلَىٰ الرِّسَالَةِ أَعْظَمُ بِكَثِيرٍ مِنْ حَاجَةِ الْمَرِيضِ إِلَىٰ الطِّبِّ. فَإِنَّ آخِرَ مَا يُقَدَّرُ بِعَدَمِ الطَّبِيبِ مَوْتُ الْأَبْدَانِ، وَأَمَّا إِذَا لَمْ يَحْصُلْ لِلْعَبْدِ نُورُ الرِّسَالَةِ وَحَيَاتُهَا مَاتَ قَلْبُهُ مَوْتًا لَا تُرْجَ الْحَيَاةُ مَعَهُ أَبَدًا أَوْ شَقِيَ شَقَاوَةً لَا سَعَادَةَ مَعَهَا أَبَدًا. وَأَسْمَاءُ هَذَا الْعِلْمِ لِشَرَفِهِ كَثِيرَةٌ، وَأَلْقَابُهُ لِجَلَالَتِهِ شَهِيرَةٌ: (الْإِيمَانُ) وَ(السُّنَّةُ) و(التَّوْحِيدُ) وَ(الْعَقِيدَةُ) و(أُصُولُ الدِّينِ) وَ(الشَّرِيعَةُ)، وَأَوَّلُهُ إِطْلَاقًا وَتَصْنِيفًا (الْفِقْهُ الْأَكْبَرُ) وَكُلُّ أَسْمَائِهِ شَرْعِيَّةٌ حَمِيدَةٌ. لِذَا كَانَ حُكْمُ تَعَلُّمِهِ مِنْهُ مَا هُوَ فَرْضُ عَيْنٍ، وَمِنْهُ مَا هُوَ فَرْضُ كِفَايَةٍ؛ فَأَمَّا فَرْضُ الْعَيْنِ: فَمَعْرِفَةُ مَا تَصِحُّ بِهِ الْعَقِيدَةُ بِالْأَدِلَّةِ الْإِجْمَالِيَّةِ، وَهُوَ مَا تُسْأَلُ عَنْهُ جَمِيعُ الْبَرِيَّةِ. والنَّاسُ لَيْسُو سَوَاءً فِي الْوُجُوبِ الْعَيْنِيِّ فَهُوَ يَتَنَوَّعُ وَيَخْتَلِفُ بِحَسَبِ الْقُدُرَاتِ وَالْحَاجَاتِ وَالْمَعَارِفِ وَالْوَظَائِفِ. وَأَمَّا فَرْضُ الْكِفَايَةِ فَمَا زَادَ عَلَىٰ ذَلِكَ مِنَ التَّفْصِيلِ وَالتَّدْلِيلِ وَالتَّعْلِيلِ وَالْقُدْرَةِ عَلَىٰ إِلْزَامِ الْمُعَانِدِينَ وَإِفْحَامِ الْمُخَالِفِينَ. وَأَمَّا فَضْلُهَا فَيَظْهَرُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]. وَكَذَلِكَ فِيمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ»(١). وَمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ حَيْثُ قَالَ ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ يَقِينًا مِنْ قَلْبِهِ لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ أَوْ دَخَلَ الْجَنَّةَ»(٢). وَلِمُسْلِمٍ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ

---

(١) متفق عليه: البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣).

(٢) صحيح: أحمد (٢١٥٥٥).

مَاتَ لا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ»(١).

وَبَعْدَ مَا ذَكَّرْتُ نَفْسِي وَإِيَّاكَ بِأَهَمِّيَّةِ التَّوْحِيدِ، وَكَثْرَةِ أَسْمَائِهِ لِشَرَفِهِ، وَحُكْمِ تَعَلُّمِهِ وَفَضْلِهِ أُذَكِّرُ بِقَوْلِ الْإِمَامِ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «السُّنَّةُ عَشَرَةٌ؛ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ السُّنَّةَ، وَمَنْ تَرَكَ مِنْهَا شَيْئًا فَقَدْ تَرَكَ السُّنَّةَ: إِثْبَاتُ الْقَدَرِ، وَتَقْدِيمُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَالْحَوْضُ، وَالشَّفَاعَةُ، وَالْمِيزَانُ، وَالصِّرَاطُ، وَالْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَالْقُرْءَانُ كَلَامُ اللهِ، وَعَذَابُ الْقَبْرِ، وَالْبَعْثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا تَقْطَعُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ مُسْلِمٍ». وَجَدِيرٌ بِالذِّكْرِ أَنْ أَذْكُرَ أَنَّ مَصَادِرَ تَلَقِّي الْعَقِيدَةِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ - الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ، أَهْلِ الْأَثَرِ، الطَّائِفَةِ الْمَنْصُورَةِ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ - هِيَ: الْكِتَابُ، وَالسُّنَّةُ، وَالْإِجْمَاعُ.

هَذَا وَقَدْ دَفَعَ إِلَيَّ أَخِي الْحَبِيبُ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ/ أَيْمَنُ بْنُ عَلِيٍّ مُوسَىٰ زَادَهُ اللهُ تَوْفِيقًا كِتَابَهُ لِشَرْحِ الْبِدَايَةِ فِي الْعَقِيدَةِ لِفَضِيلَةِ شَيْخِنَا وَحِيدِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ آلِ بَالِي الَّذِي سَمَّاهُ «إِتْحَافُ ذَوِي الْعُقُولِ الرَّشِيدَةِ بِشَرْحِ الْبِدَايَةِ فِي الْعَقِيدَةِ» فَوَجَدْتُهُ مُسَدَّدًا بِتَوْفِيقِ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ، فَأَسْأَلُ اللهَ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ وَصِفَاتِهِ الْعُلَىٰ أَنْ يَنْفَعَ بِهِ وَبِشُرُوحَاتِهِ الْمُسْتَمَدَّةِ مِنْ كُتُبِ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ الرَّبَّانِيِّينَ الَّذِينَ نَحْسَبُهُمْ كَذَلِكَ وَلَا نُزَكِّيهِمْ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، فَأَسْأَلُ اللهَ السِّتِّيرَ أَنْ يَسْتُرَنِي وَإِيَّاكُمْ بِسِتْرِهِ، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ.

وَكَتَبَهُ
الرَّاجِي عَفْوَ مَوْلَاهُ
أَبُو بَكْرِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْبَلِيِّ
٢٤/ ١/ ١٤٣٥هـ

(١) صحيح: رواه مسلم (٩٣).

مُقَدِّمَةُ الْمُؤَلِّفِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةَ مُعْتَرِفٍ بِتَقْصِيرِهِ وَتَفْرِيطِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَإِمَامَنَا وَقُدْوَتَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُجْتَبَىٰ، وَنَبِيُّهُ الْمُصْطَفَىٰ، فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

فَالْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا الدِّينِ، وَجَعَلَنَا مِنْ أُمَّةِ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ، فَمَا أَعْظَمَهَا مِنْ مِنَّةٍ، وَمَا أَفْضَلَهَا مِنْ عَطِيَّةٍ، أَنِ اخْتَارَنَا مُسْلِمِينَ، وَمَنَّ عَلَيْنَا فَجَعَلَنَا مِنْ حَمَلَةِ دَعْوَتِهِ، وَالدَّاعِينَ إِلَىٰ شَرْعِهِ وَمِلَّتِهِ، فَاللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَىٰ مَا أَعْطَيْتَ وَأَوْلَيْتَ، وَلَكَ الْحَمْدُ عَلَىٰ مَا بِهِ تَفَضَّلْتُ وَأَنْعَمْتُ.

أَمَّا بَعْدُ: اعْلَمْ رَحِمَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ أَنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ عَلَىٰ الْعَبِيدِ هُوَ مَعْرِفَةُ الرَّحْمَنِ بِالتَّوْحِيدِ، فَهُوَ أَوَّلُ الْأَوَامِرِ الَّتِي بُعِثَ بِهَا النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَقَدْ عَاشَ عَلَيْهِ وَمَاتَ عَلَيْهِ؛ فَلَا نَجَاةَ لِأَحَدٍ إِلَّا بِالتَّوْحِيدِ. لِذَا ظَلَّ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو إِلَيْهِ قُرَابَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً هِيَ مَرْحَلَةُ الدَّعْوَةِ الْمَكِّيَّةِ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ بِهِ وَبِالشَّرَائِعِ وَظَلَّ يَدْعُو إِلَيْهِ حَتَّىٰ قُبِضَ ﷺ.

فَمَا بَيْنَ دَعْوَةِ النَّاسِ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا»**؛ فَقَدْ رَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عَبَّادٍ الدِّيلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وَكَانَ جَاهِلِيًّا أَسْلَمَ - فَقَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَصَرَ عَيْنِي بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ يَقُولُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**» وَيَدْخُلُ فِي فِجَاجِهَا وَالنَّاسُ مُتَقَصِّفُونَ عَلَيْهِ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَقُولُ شَيْئًا وَهُوَ لَا يَسْكُتُ يَقُولُ: «**أَيُّهَا النَّاسُ**

قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا» إِلَّا أَنَّ وَرَاءَهُ رَجُلًا أَحْوَلَ وَضِيءَ الْوَجْهِ ذَا غَدِيرَتَيْنِ يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَهُوَ يَذْكُرُ النُّبُوَّةَ. قُلْتُ: مَنْ هَذَا الَّذِي يُكَذِّبُهُ؟ قَالُوا: عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ[١].

وَمُرُورًا بِتَعْلِيمِ النَّاسِ التَّوْحِيدَ كَمَا فِي حَدِيثِ مُعَاذٍ[٢] وَابْنِ عَبَّاسٍ[٣] رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَغَيْرِهِمْ كَثِير، وَكَذَا هَدْمِ الْأَصْنَامِ حَوْلَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، كَذَلِكَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ كَانَ ﷺ يُعَلِّمُ التَّوْحِيدَ؛ فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ قَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: «**لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا**» قَالَتْ: وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأَبْرَزُوا قَبْرَهُ غَيْرَ أَنِّي أَخْشَىٰ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا[٤].

فَعُلِمَ بِذَلِكَ فَضْلُ التَّوْحِيدِ لِأَنَّ فِيهِ الْخُصُومَةَ، وَبِهِ يَدْخُلُ النَّاسُ الْجَنَّةَ، وَبِضِدِّهِ - وَهُوَ الشِّرْكُ - يَدْخُلُ النَّاسُ النَّارَ.

وَلَمَّا فَتَحَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَنَا الْبِلَادَ وَقَامَ عُلَمَاؤُنَا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ الدِّينَ كَانَ مِنْ بَيْنِ الدَّوَرَاتِ الْعِلْمِيَّةِ الَّتِي دَرَّسُوهَا لِطَلَبَةِ الْعِلْمِ دَوَرَاتُ الْعَقِيدَةِ كَكُتُبِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَكَذَلِكَ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ - رَحِمَهُمَا اللهُ - وَغَيْرِهَا مِنْ كُتُبِ أَهْلِ الْعِلْمِ. جَمَعَ شَيْخُنَا - حَفِظَهُ اللهُ - رِسَالَةً فِي الْعَقِيدَةِ سَمَّاهَا «الْبِدَايَةُ فِي الْعَقِيدَةِ» لَخَّصَ فِيهَا أَرْكَانَ الْإِيمَانِ مَعَ مُكَمِّلَاتِهَا وَعَلَىٰ غِرَارِ الْبِدَايَاتِ السَّابِقَةِ فِي بَيَانِ الْعِلْمِ فِي كَلِمَاتٍ سَهْلَةٍ بَسِيطَةٍ يَنْتَفِعُ بِهَا كُلُّ طَالِبِ عِلْمٍ، فَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَهَا فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِهِ.

---

(١) صحيح: رواه أحمد (١٥٥٩٣)، وصححه الألباني في «الإرواء» (٨٣٤).

(٢) حديث معاذ المتفق عليه وفيه: «**أتدري ما حق الله علىٰ العباد......** » ويأتي.

(٣) حديث ابن عباس في السنن «**يا غلام إني أعلمك كلمات...** » ويأتي.

(٤) متفق عليه: البخاري (١٣٣٠)، ومسلم (٥٣١).

وَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ تُطْبَعَ وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي شَرْحِهَا فَأَذِنَ لِي - حَفِظَهُ اللهُ - لِتَكُونَ هَذِهِ هِيَ الْبِدَايَةَ الرَّابِعَةَ لِشَيْخِنَا الَّتِي يَنَالَنِي شَرَفُ شَرْحِهَا بِفَضْلِ اللهِ ﷻ، فَبَعْدَ الْبِدَايَةِ فِي عِلْمِ الْمَوَارِيثِ، وَبِدَايَةِ الْمُتَفَقِّهِ، وَالْبِدَايَةِ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ، فَهَذِهِ الْبِدَايَةُ فِي الْعَقِيدَةِ قَدْ أَسْمَيْتُهَا «إِتْحَافُ ذَوِي الْعُقُولِ الرَّشِيدَةِ بِشَرْحِ الْبِدَايَةِ فِي الْعَقِيدَةِ» سَائِلًا الْمُولَىٰ ﷻ أَنْ يَرْزُقَنِي الإِخْلَاصَ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَأَنْ يَنْفَعَنِي بِذَلِكَ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ.

وَكَتَبَهُ

أَيْمَنُ بْنُ عَلِيّ مُوسَىٰ الْخَوَالِدِيُّ
الْخَوَالِدُ الْبَلَدُ ١٠/ ١/ ١٤٣٥هـ
مَحْمُولٌ: ٠١٠٠٥٣١٣٨٩١

مُقدِّمةٌ

الْحَمْدُ لِله الْوَاحِدِ الْأَحَدِ، الْمُنَزَّهِ عَنِ الشَّرِيكِ وَالشَّبِيهِ وَالْوَلَدِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْبَشَرِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اقْتَفَى الْأَثَرَ.

وَبِاللهِ أَسْتَعِينُ، وَإِلَيْهِ أَلْجَأُ، وَبِهِ أَعْتَصِمُ.

وَبَعْدُ:

فَهَذَا مُخْتَصَرٌ فِي الْعَقِيدَةِ يَجْمَعُ أَطْرَافَهَا، وَيُوَضِّحُ أُصُولَهَا، وَأَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُحْيِينَا عَلَى الْإِيمَانِ وَيُمِيتَنَا عَلَيْهِ، وَأَنْ يَحْشُرَنَا تَحْتَ لِوَاءِ حَبِيبِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

مُقَدِّمَةٌ

الْحَمْدُ للهِ الْوَاحِدِ الأَحَدِ، الْمُنَزَّهِ عَنِ الشَّرِيكِ وَالشَّبِيهِ وَالْوَلَدِ.
وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى سَيِّدِ الْبَشَرِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اقْتَفَى الأَثَرَ، وَبِاللهِ أَسْتَعِينُ، وَإِلَيهِ أَلْجَأُ، وَبِهِ أَعْتَصِمُ.

* قَوْلُهُ: «مُقَدِّمَةٌ». أَي: المدْخَلُ إِلَىٰ الشَّيْءِ ومُقَدِّمَةُ الشَّيْءِ بِدَايَتُهُ وَدَلِيلُهُ.

* قَوْلُهُ: «الْحَمْدُ للهِ». اقْتِدَاءً بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ فَكَمَا بَدَأَ بـ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ بَدَأَ شَيْخُنَا - حَفِظَهُ اللهُ - هَذَا الْمُخْتَصَرَ بِالْحَمْدِ، وَكَمَا هِيَ عَادَةُ الْمُصَنِّفِينَ فِي بِدَايَةِ كُتُبِهِمْ. وَمَعْنَاهُ: وَصْفُ اللهِ تَعَالَىٰ بِأَوْصَافِ الْكَمَالِ وَالْعَظَمَةِ.

* قَوْلُهُ: «الْوَاحِدِ الأَحَدِ». أَوَّلًا: الْوَاحِدُ:

قَالَ شَيْخُنَا - حَفِظَهُ اللهُ -: الْوَاحِدُ سُبْحَانَهُ هُوَ الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ الْمُنْفَرِدُ بِوَصْفِهِ الَّذِي لَا يَفْتَقِرُ إِلَىٰ غَيْرِهِ أَزَلًا وَأَبَدًا، وَهُوَ الْكَامِلُ فِي ذَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ فَهُوَ سُبْحَانَهُ كَانَ وَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ، وَمَا زَالَ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَاحِدًا أَوَّلًا قَبْلَ خَلْقِهِ(١).

قَالَ ابْنُ الأَثِيرِ رَحِمَهُ اللهُ: الْوَاحِدُ فِي أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ هُوَ الْفَرْدُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ وَحْدَهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ آخَرُ(٢). قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون: ٩١]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ

(١) «المادة الحاضرة» (٤/ ٣٦٠).
(٢) «القاموس المحيط» (ص٤١٤).

فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء: ٢٢]. فَأَسَاسُ بَقَاءِ الْخَلْقِ وَقِيَامِهِ وَبَقَاءِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي وَحْدَانِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: دَخَلْتُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَعَقَلْتُ نَاقَتِي بِالْبَابِ، فَأَتَاهُ نَاسٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ: «**اقْبَلُوا الْبُشْرَىٰ يَا بَنِي تَمِيمٍ**» قَالُوا: قَدْ بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا مَرَّتَيْنِ ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ: «**اقْبَلُوا الْبُشْرَىٰ يَا أَهْلَ الْيَمَنِ إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ**». قَالُوا: قَدْ قَبِلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ. قَالُوا: جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، قَالَ: «**كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ**»(١).

ثَانِيًا: الْأَحَدِ: قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: هُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا وَزِيرَ، وَلَا نَدِيدَ وَلَا شَبِيهَ وَلَا عَدِيلَ، وَلَا يُطْلَقُ هَذَا اللَّفْظُ عَلَىٰ أَحَدٍ فِي الْإِثْبَاتِ إِلَّا عَلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِأَنَّهُ الْكَامِلُ فِي جَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ(٢).

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيِ الْوَاحِدُ الْوِتْرُ، الَّذِي لَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ، وَلَا صَاحِبَةَ، وَلَا وَلَدَ، وَلَا شَرِيكَ(٣). اهـ.

وَقَالَ النِّيسَابُورِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْفَرْقُ بَيْنَ الْوَاحِدِ وَالْأَحَدِ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ الْوَاحِدَ يَدْخُلُ فِي الْأَحَدِ وَالْأَحَدَ لَا يَدْخُلُ فِيهِ.

الثَّانِي: أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ: فُلَانٌ لَا يُقَاوِمُهُ وَاحِدٌ جَازَ أَن يُقَالَ: لَكِنَّهُ يُقَاوِمُهُ اثْنَانِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ الْأَحَدُ.

وَالثَّالِثُ: أَنَّ الْوَاحِدَ يُسْتَعْمَلُ فِي الْإِثْبَاتِ وَالْأَحَدَ يُسْتَعْمَلُ فِي النَّفْيِ فَيُفِيدُ

---

(١) صحيح: البخاري (٣١٩٢).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٥٢٨).

(٣) «تفسير القرطبي» (٢٠/ ٢٤٤).

الْعُمُومَ(١). وَلَعَلَّ وَجْهَ تَخْصِيصِ اللهِ بِالْأَحَدِ هُوَ هَذَا الْمَعْنَىٰ(٢).

وَقَدْ وَرَدَ الِاسْمَانِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

أَمَّا اسْمُهُ الْوَاحِدُ فَقَدْ وَرَدَ فِي ثِنْتَيْنِ وَعِشْرِينَ آيَةً؛ مِنْهَا: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ [النساء: ١٧١]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ [يوسف: ٣٩]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد: ١٦]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾﴾ [الصافات: ٤، ٥]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر: ٤].

وَوَرَدَ اسْمُ الْأَحَدِ مَرَّةً وَاحِدَةً: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص: ١]. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**قَالَ اللهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ؛ فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ:**

---

(١) وقد يستعمل الأحد في الإثبات أيضًا كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ ...﴾ [التوبة: ٦].

(٢) «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» (بهامش الطبري) (مجلد ١٢، جزء ٣، ص ٢٠٤).

اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا، وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفْئًا أَحَدٌ»(١).

وَعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ فَقَالَ: «دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ»(٢).

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا تَضَوَّرَ مِنَ اللَّيْلِ؛ قَالَ:

«لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا؛ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ»(٣).

وَقَدْ فَصَّلَ شَيْخُنَا - حَفِظَهُ اللهُ - هَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ فِي كِتَابِ «الْمَادَّةِ الْحَاضِرَةِ فِي الْخُطَبِ وَالْمُحَاضَرَةِ» (٤/ ٣٥٥-٣٨٠) فَلْيُرَاجَعْ.

* قَوْلُهُ: «الْمُنَزَّهِ عَنِ الشَّرِيكِ وَالشَّبِيهِ وَالْوَلَدِ».

وَجُمْلَةِ ذَلِكَ: أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مُنَزَّهٌ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ أَوْ شَبِيهٌ أَوْ وَلَدٌ لِأَنَّهُ وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ وَاحِدٌ أَحَدٌ فَرْدٌ صَمَدٌ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون: ٩١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر: ٤].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ

---

(١) صحيح: البخاري (٤٩٧٤)

(٢) صحيح: الترمذي (٣٤٧٥)، ابن ماجه (٣٨٥٧)، وصححه الألباني.

(٣) صحيح: ابن نصر، حب، ابن السني، ابن منده، السهمي. «الصحيحة» (٢٠٦٦).

لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ؛ فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا، وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ، وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُئًا أَحَدٌ»(١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١].

وَمُقْتَضَىٰ الْآيَةِ: نَفْيُ الْمُمَاثَلَةِ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ مَعَ إِثْبَاتِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ للهِ ﷻ، وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنَّ مَا يَثْبُتُ للهِ مِنَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ لَيْسَ كَمَا يَثْبُتُ لِلْمَخْلُوقِينَ مِنْ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ مَعَ كَثْرَةِ مَنْ يَتَّصِفُ بِهِمَا مِنَ الْمَخْلُوقِينَ. وَمَا يُقَالُ فِي السَّمْعِ وَالْبَصَرِ يُقَالُ فِي غَيْرِهِمَا مِنَ الصِّفَاتِ. وَالنُّصُوصُ وَاضِحَةٌ وَبَيِّنَةٌ وَمُتَنَوِّعَةٌ فِي نَفْيِ الْمِثْلِ، قَالَ ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾، فَنَفَىٰ عَنْ نَفْسِهِ الْمِثْلَ. وَقَالَ ﷻ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ٤]. وَقَالَ ﷻ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]. وَقَالَ ﷻ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [مريم: ٦٥]. وَقَالَ ﷻ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة: ٢٢].

كُلُّ هَذَا لِنَفْيِ الْمِثْلِ، فَإِذَا كَانَ لَا مِثْلَ لَهُ وَلَا سَمِيَّ وَلَا نَظِيرَ، فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُمَاثِلَ شَيْئًا مِمَّا يَسْتَحِقُّهُ اللهُ ﷻ أَوْ يَتَّصِفَ بِهِ شَيْءٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَاللهُ ﷻ لَا مَثِيلَ لَهُ لَا فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي أَسْمَائِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ، وَلَا فِيمَا يَجِبُ لَهُ، بَلْ وَلَا فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِهِ ﷻ، وَإِذَا وَقَرَ هَذَا فِي قَلْبِ الْعَبْدِ أَوْرَثَهُ تَعْظِيمًا لِلرَّبِّ، وَعَرَفَ أَنَّ الرَّبَّ الَّذِي يَعْبُدُهُ وَيَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِالطَّاعَاتِ لَا يَسْتَحِقُّ أَحَدٌ غَيْرُهُ مَا يَتَعَبَّدُ بِهِ، وَمَا يَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِهِ، فَيَكُونُ هَذَا التَّوْحِيدُ مُوَصِّلًا إِلَىٰ تَوْحِيدِ الْإِلَهِيَّةِ، وَمُثْمِرًا إِفْرَادَ اللهِ ﷻ بِالْعِبَادَةِ(٢).

---

(١) صحيح: البخاري (٤٩٧٤).

(٢) «شرح العقيدة الواسطية» (٢/ ٩) لخالد المصلح.

فَخُلَاصَةُ الْقَوْلِ: أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ لَا يُشَبِّهُونَ وَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِ اللهِ ﷻ بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِ، وَسَوْفَ نُفَصِّلُ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي شَرْحِ الْكِتَابِ.

* قَوْلُهُ: «وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ سَيِّدِ الْبَشَرِ».

فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

عَنْ عَمْرِو بْنِ سُلَيْمٍ الزُّرَقِيِّ: أَخْبَرَنِي أَبُو حُمَيْدٍ السَّاعِدِيُّ رضي الله عنه أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»**(١).

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَىٰ قَالَ: لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ رضي الله عنه فَقَالَ: أَلَا أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً سَمِعْتُهَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قُلْتُ: بَلَىٰ فَأَهْدِهَا لِي، فَقَالَ: سَأَلْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ عَلَّمَنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ؟ قَالَ: **«قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»**(٢).

وَعَنِ الطُّفَيْلِ بْنِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ **إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ** قَامَ فَقَالَ: **«أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللهَ، اذْكُرُوا اللهَ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ»** قَالَ أُبَيٌّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: **«ما شِئْتَ»**

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٣٦٩)، ومسلم (٤٠٧).

(٢) متفق عليه: البخاري (٣٣٧٠)، ومسلم (٤٠٦).

قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ؟ قَالَ: «مَا شِئْتَ، إِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ» قُلْتُ: النِّصْفَ؟ قَالَ: «ما شئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ» قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ» قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا؟ قَالَ: «إِذَنْ تُكْفَىٰ هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ»(١).

* قَوْلُهُ: «وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اقْتَفَىٰ الْأَثَرِ». أَيْ: سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَىٰ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ اصْطَفَاهُمُ اللهُ ﷻ. وَمَنِ اقْتَفَىٰ الْأَثَرَ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا، فَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَحْشُرَنَا مَعَهُمْ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَىٰ.

فَلَهُمْ مِنَّا سَلَامٌ كَمَا أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ فِي كُلِّ تَشَهُّدٍ مِنَ الصَّلَاةِ. كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠].

وَلِحَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَفِيهِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «فَإِذَا صَلَّىٰ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلِ: التَّحِيَّاتُ للهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَىٰ عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ. فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمُوهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ للهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»(٢).

* قَوْلُهُ: «وَبِاللهِ أَسْتَعِينُ، وَإِلَيْهِ أَلْجَأُ، وَبِهِ أَعْتَصِمُ».

فَإِنَّ اللهَ ﷻ هُوَ الْمُعِينُ عَلَىٰ قَضَاءِ الْحَوَائِجِ وَالْمَطَالِبِ، وَإِلَيْهِ الْمَلْجَأُ وَالْمَآبُ، وَبِهِ الِاعْتِصَامُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَعَلَيْهِ نَتَوَكَّلُ وَإِلَيْهِ نُنِيبُ، فَلَا غِنَىٰ لَنَا عَنْهُ

---

(١) صحيح: الترمذي (٢٤٥٧)، وأحمد (٢٠٧٣٥) وقال الألباني: حسن صحيح.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٨٣١)، ومسلم (٤٠٢).

طَرْفَةَ عَيْنٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، الْأَوَّلُ فَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ، وَالْآخِرُ فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ، وَالظَّاهِرُ فَلَا شَيْءَ فَوْقَهُ، وَالْبَاطِنُ فَلَا شَيْءَ تَحْتَهُ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: «**يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**»(١).

عَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ السُّلَمِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّىٰ يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**»(٢).

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَىٰ شِقِّكَ الْأَيْمَنِ ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ؛ فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ**» قَالَ: فَرَدَّدْتُهَا عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا بَلَغْتُ: اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ قُلْتُ: وَرَسُولِكَ، قَالَ: «**لَا. وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ**»(٣).

---

(١) صحيح: الترمذي (٢٥١٦) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٢٦٦٤) وصححه الألباني.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧٠٨).

(٣) متفق عليه: البخاري (٢٤٧)، ومسلم (٢٧١٠).

وَبَعْدُ: فَهَذَا مُخْتَصَرٌ فِي الْعَقِيدَةِ، يَجْمَعُ أَطْرَافَهَا، وَيُوَضِّحُ أُصُولَهَا، وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُحْيِينَا عَلَى الْإِيمَانِ وَيُمِيتَنَا عَلَيْهِ، وَأَنْ يَحْشُرَنَا تَحْتَ لِوَاءِ حَبِيبِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

* قَوْلُهُ: «وَبَعْدُ»(١). يُؤْتَىٰ بِهَا عِنْدَ الِانْتِقَالِ مِنْ أُسْلوبٍ إِلَىٰ أُسْلُوبٍ آخَرَ، وَلِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كانَ يَفْعَلُهُ عِنْدَ كِتابَةِ الْكُتُبِ.

* قَوْلُهُ: «فَهَذَا مُخْتَصَرٌ فِي الْعَقِيدَةِ(٢)».

الْمُخْتَصَرُ: هُوَ مَا قَلَّ لَفظُهُ وَكَثُرَ مَعْنَاهُ فَيَكُونُ جَامِعًا لِأَحْكَامٍ كَثِيرَةٍ بِأَلْفَاظٍ قَلِيلَةٍ كَمَا بَيَّنَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ، فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ وَأَقْصِرُوا الْخُطْبَةَ وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا»(٣).

* قَوْلُهُ: «يَجْمَعُ أَطْرَافَهَا، وَيُوَضِّحُ أُصُولَهَا».

أَيْ: يَجْمَعُ هَذَا الْمُخْتَصَرَ الْجَامِعَ النَّافِعَ إِنْ شَاءَ اللهُ أَطْرَافَ وَأُصُولَ هَذِهِ الْعَقِيدَةِ عَقِيدَةِ الطَّائِفَةِ الْمَنْصُورَةِ فِي الدُّنْيَا الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ مِنَ النَّارِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَأَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ.

* قَوْلُهُ: «وَأَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُحْيِينَا عَلَىٰ الْإِيمَانِ وَيُمِيتَنَا عَلَيْهِ».

وَأَنْ يُحْيِينَا عَلَىٰ الْإِيمَانِ وَأَنْ يُمِيتَنَا عَلَيْهِ إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ؛ لأَنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهُمَا كَيْفَ يَشَاءُ ﷻ. عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ

(١) لم يأت شيخنا بخطبة الحاجة؛ لأنه لا يشترط أن تبدأ بها الكتب.

(٢) سيأتي معنىٰ العقيدة في اللغة والاصطلاح بتفصيل بعد قليل.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٨٦٩).

كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَىٰ طَاعَتِكَ»(١).

* قَوْلُهُ: «وَأَنْ يَحْشُرَنَا تَحْتَ لِوَاءِ حَبِيبِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ». فَإِنَّ الْمَرْءَ يُحْشَرُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ كَمَا أَخْبَرَ ﷺ فَنَسْأَلُهُ ﷻ أَنْ يَحْشُرَنَا تَحْتَ لِوَاءِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنْ يَسْقِنَا مِنْ حَوْضِهِ وَأَنْ يَرْزُقَنَا شَفَاعَتَهُ إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠].

اللَّهُمَّ إِنَّا نُشْهِدُكَ أَنَّا نُحِبُّكَ وَنُحِبُّ نَبِيَّنَا وَجَمِيعَ أَنْبِيَائِكَ وَرُسُلِكَ وَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ وَآلَ بَيْتِهِ وَسَائِرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَ مَشَايِخَنَا أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَنَتَقَرَّبَ إِلَيْكَ بِحُبِّهِمُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَهُمْ أَجْمَعِينَ.

هَذَا وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٥٤).

الْعَقِيدَةُ

وَفِيهَا سِتَّةُ أَبْوَابٍ:

الْبَابُ الْأَوَّلُ: الْإِيمَانُ بِاللهِ.

الْبَابُ الثَّانِي: الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ.

الْبَابُ الثَّالِثُ: الْإِيمَانُ بِالْكُتُبِ.

الْبَابُ الرَّابِعُ: الْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ.

الْبَابُ الْخَامِسُ: الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ.

الْبَابُ السَّادِسُ: الْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ.

الْعَقِيدَةُ

وَفِيهَا سِتَّةُ أَبْوَابٍ:
الْبَابُ الْأَوَّلُ: الْإِيمَانُ بِاللهِ. الْبَابُ الثَّانِي: الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ.
الْبَابُ الثَّالِثُ: الْإِيمَانُ بِالْكُتُبِ. الْبَابُ الرَّابِعُ: الْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ.
الْبَابُ الْخَامِسُ: الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ.
الْبَابُ السَّادِسُ: الْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ.

* قَوْلُهُ: «الْعَقِيدَةُ». **الْعَقِيدَةُ فِي اللُّغَةِ**: مِنَ الْعَقْدِ؛ وَهُوَ الرَّبْطُ، وَالْإِبْرَامُ، وَالْإِحْكَامُ، وَالتَّوَثُّقُ، وَالشَّدُّ بِقُوَّةٍ، وَالتَّمَاسُكُ، وَالْمُرَاصَّةُ، وَالْإِثْبَاتُ؛ وَمِنْهُ: الْيَقِينُ وَالْجَزْمُ.

وَالْعَقْدُ نَقِيضُ الْحَلِّ، وَيُقَالُ: عَقَدَهُ يَعْقِدُهُ عَقْدًا، وَمِنْهُ: عُقْدَةُ الْيَمِينِ وَالنِّكَاحِ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ [المائدة: ٨٩]. **قَالَ ابْنُ فَارِسٍ**: الْعَيْنُ، وَالْقَافُ، وَالدَّالُ، أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَىٰ شَدٍّ وَشِدَّةِ وُثُوقٍ، وَإِلَيْهِ تَرْجِعُ فُرُوعُ الْبَابِ كُلُّهَا(١). **وَاعْتَقَدَ الشَّيْءَ**: اشْتَدَّ، وَصَلُبَ، يُقَالُ: اعْتَقَدَ الْإِخَاءُ بَيْنَهُمَا: صَدَقَ، وَثَبَتَ، وَعَقَدَ فُلَانٌ الْأَمْرَ: صَدَّقَهُ، وَعَقَدَ عَلَيْهِ قَلْبَهُ، وَضَمِيرَهُ. فَمَادَّةُ «عَقَدَ» تَدُورُ حَوْلَ الثُّبُوتِ عَلَىٰ الشَّيْءِ، وَالِالْتِزَامِ بِهِ، وَالتَّأَكُّدِ مِنْهُ وَالِاسْتِيثَاقِ بِهِ. **فَالْخُلَاصَةُ هِيَ أَنَّ الْعَقِيدَةَ فِي اللُّغَةِ**: مَأْخُوذَةٌ مِنَ الْعَقْدِ، وَهُوَ الشَّدُّ وَالرَّبْطُ وَالْإِيثَاقُ وَالثُّبُوتُ وَالْإِحْكَامُ(٢).

---

(١) ابن فارس: «معجم مقاييس اللغة» (٤/ ٨٦).

(٢) «لسان العرب»، مادة «عقد».

وَالْعَقِيدَةُ فِي الِاصْطِلَاحِ: الْإِيمَانُ الْجَازِمُ بِاللهِ تَعَالَىٰ، وَبِمَا يَجِبُ لَهُ مِنَ التَّوْحِيدِ، وَالْإِيمَانُ بِمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَبِمَا يَتَفَرَّعُ عَنْ هَذِهِ الْأُصُولِ وَيُلْحَقُ بِهَا مِمَّا هُوَ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ.

وَقَدْ أَطْلَقَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ عَلَىٰ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ اسْمَ «السُّنَّةِ»، وَذَلِكَ لِتَمْيِيزِهَا عَنْ عَقَائِدِ وَمَقُولَاتِ الْفِرَقِ الضَّالَّةِ؛ لِأَنَّ الْعَقِيدَةَ الصَّحِيحَةَ - وَهِيَ عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ - مُسْتَمَدَّةٌ مِنْ سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، الَّتِي هِيَ مُبَيِّنَةٌ لِلْقُرْآنِ.

الْعَقِيدَةُ فِي الِاصْطِلَاحِ الْعَامِّ: هِيَ الْأُمُورُ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يُصَدِّقَ بِهَا الْقَلْبُ، وَتَطْمَئِنَّ إِلَيْهَا النَّفْسُ، حَتَّىٰ تَكُونَ يَقِينًا ثَابِتًا لَا يُمَازِجُهَا رَيْبٌ، وَلَا يُخَالِطُهَا شَكٌّ؛ أَيِ: الْإِيمَانُ الْجَازِمُ الَّذِي لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ شَكٌّ لَدَىٰ مُعْتَقِدِهِ، وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُطَابِقًا لِلْوَاقِعِ، لَا يَقْبَلُ شَكًّا وَلَا ظَنًّا؛ فَإِنْ لَمْ يَصِلِ الْعِلْمُ إِلَىٰ دَرَجَةِ الْيَقِينِ الْجَازِمِ لَا يُسَمَّىٰ عَقِيدَةً(١).

أَمَّا الْعَقِيدَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ: فَهِيَ تَعْنِي: الْيَقِينَ وَالتَّسْلِيمَ وَالْإِيمَانَ الْجَازِمَ بِاللهِ ﷻ، وَمَا يَجِبُ لَهُ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ، ثُمَّ بِمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْقَدَرِ وَسَائِرِ أُصُولِ الْإِيمَانِ، ثُمَّ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، وَالْقَطْعِيَّاتِ الْأُخْرَىٰ، وَهِيَ كَثِيرَةٌ؛ كَالشَّفَاعَةِ وَالرُّؤْيَةِ، وَالْأُمُورِ الْعَمَلِيَّةِ الَّتِي هِيَ مِنْ قَطْعِيَّاتِ الدِّينِ؛ كَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالْجِهَادِ، وَالْحُبِّ فِي اللهِ وَالْبُغْضِ فِي اللهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يَنْدَرِجُ فِي الْوَاجِبَاتِ، وَفِي الْعِلَاقَاتِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ كَحُبِّ الصَّحَابَةِ ﷺ، وَحُبِّ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَحُبِّ الْعُلَمَاءِ وَحُبِّ الصَّالِحِينَ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مُنْدَرِجٌ فِي أُصُولِ الِاعْتِقَادِ وَثَوَابِتِهِ. وَدَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحجرات: ١٥]. وَقَوْلُهُ

---

(١) «الوجيز في عقيدة السلف الصالح» (ص٣٠).

تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ﴾ [البقرة: ٢]. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ﴾ [آل عمران: ٩].

* قَوْلُهُ: «وَفِيهَا سِتَّةُ أَبْوَابٍ».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ أَرْكَانَ وَأَبْوَابَ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ تَتَلَخَّصُ فِي سِتَّةِ أَبْوَابٍ هِيَ مَوْضُوعُ هَذَا الْكِتَابِ، وَلَا يَصِحُّ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِهَذِهِ الْأَرْكَانِ الَّتِي عَلَيْهَا مَدَارُ الْإِيمَانِ، وَهِيَ الَّتِي سَوْفَ نَتَنَاوَلُهَا فِي شَرْحِ هَذَا الْكِتَابِ الْمُبَارَكِ.

وَأُصُولُ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ هِيَ أُصُولُ الْإِيمَانِ السِّتَّةُ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ سُبْحَانَهُ، وَذَكَرَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**» قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ

وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا؟ قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَىٰ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ» قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»(١).

وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَسَوْفَ تَأْتِي تِبَاعًا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ.

* قَوْلُهُ: «الْبَابُ الْأَوَّلُ: الْإِيمَانُ بِاللهِ».

تَعْرِيفُ الْإِيمَانِ: **الْإِيمَانُ فِي اللُّغَةِ:** الْإِيمَانُ مَصْدَرُ آمَنَ يُؤْمِنُ إِيمَانًا فَهُوَ مُؤْمِنٌ(٢)، وَأَصْلُ آمَنَ أَأْمَنَ بِهَمْزَتَيْنِ لُيِّنَتِ الثَّانِيَةُ(٣)، وَهُوَ مِنَ الْأَمْنِ ضِدَّ الْخَوْفِ(٤). قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: وَاتَّفَقَ أَهْلُ الْعِلْمِ مِنَ اللُّغَوِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ أَنَّ الْإِيمَانَ مَعْنَاهُ: التَّصْدِيقُ. وَقَدِ اخْتَارَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فِي تَعْرِيفِ الْإِيمَانِ اللُّغَوِيِّ أَنَّهُ بِمَعْنَىٰ الْإِقْرَارِ؛ لِأَنَّهُ رَأَىٰ لَفْظَةَ أَقَرَّ أَصْدَقَ فِي الدَّلَالَةِ عَلَىٰ مَعْنَىٰ الْإِيمَانِ مِنْ غَيْرِهَا مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي فُسِّرَ بِهَا الْإِيمَانُ(٥).

تَعْرِيفُ الْإِيمَانِ اصْطِلَاحًا: تَصْدِيقُ الْقَلْبِ، وَإِقْرَارُ اللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٨).

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٥/ ٥١٣).

(٣) انظر: «الصحاح» للجوهري (٥/ ٢٠٧١).

(٤) انظر: «المفردات» للراغب الأصفهاني (ص٣٥)، و«القاموس المحيط» (ص١٥١٨).

(٥) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ٦٣٨).

وَالْجَوَارِحِ. **فَيَشْمَلُ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ:** تَصْدِيقَ الْقَلْبِ؛ وَيُسَمَّىٰ: قَوْلَ الْقَلْبِ، وَقَوْلَ اللِّسَانِ، وَعَمَلَ الْقَلْبِ، وَعَمَلَ الْجَوَارِحِ. **فَقَوْلُ الْقَلْبِ:** هُوَ التَّصْدِيقُ وَالْإِقْرَارُ وَالْمَعْرِفَةُ. **وَقَوْلُ اللِّسَانِ:** هُوَ النُّطْقُ، كَالنُّطْقِ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ، وَالذِّكْرِ، وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ. **وَعَمَلُ الْقَلْبِ:** كَالنِّيَّةِ، وَالْإِخْلَاصِ، وَالصِّدْقِ، وَالْمَحَبَّةِ، وَالتَّوَكُّلِ، وَالرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ. **وَعَمَلُ الْجَوَارِحِ:** كَالصَّلَاةِ، وَالصِّيَامِ، وَالزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ. **وَلِهَذَا يَقُولُ الْعُلَمَاءُ:** الْإِيمَانُ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَاعْتِقَادٌ بِالْجَنَانِ - وَهُوَ الْقَلْبُ - وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ.

وَقِيلَ: الْإِيمَانُ فِي الِاصْطِلَاحِ: هُوَ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَاعْتِقَادٌ بِالْقَلْبِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ. وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ نُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَهُوَ الْمَأْثُورُ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ. فَعَنْ عَدِيِّ بْنِ عَدِيٍّ، قَالَ: كَتَبَ إِلَيَّ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ الْإِيمَانَ فَرَائِضُ، وَشَرَائِعُ، وَحُدُودٌ، وَسُنَنٌ، فَمَنِ اسْتَكْمَلَهَا اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا لَمْ يَسْتَكْمِلِ الْإِيمَانَ، فَإِنْ أَعِشْ فَسَأُبَيِّنُهَا لَكُمْ حَتَّىٰ تَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنْ أَمُتْ فَمَا أَنَا عَلَىٰ صُحْبَتِكُمْ بِحَرِيصٍ(١).

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللهُ: «أَجْمَعَ أَهْلُ الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ عَلَىٰ أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَلَا عَمَلَ إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَالْإِيمَانُ عِنْدَهُمْ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ،

---

(١) ابن أبي شيبة في «الإيمان» (ص٤٨)، والبخاري مع «الفتح» (١/ ٤٥)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٤/ ٩٢٦)، برقم (١٥٧٢)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٤٠)، وابن عساكر (٤٥/ ٢٠٣)، و«قوام السنة في الحجة في بيان المحجة» (٢/ ١٥٠)، وابن عبد الحكم سيرة عمر (ص٦٠)، وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٨٥٩)، والبيهقي في «الشعب» (١/ ١٩٧)، وأبو حفص الملاء (١/ ٣٨)، و«الخلال في السنة» (٤/ ٥٧)، وصحح إسناده الشيخ الألباني.

وَالطَّاعَاتُ كُلُّهَا عِنْدَهُمْ إِيمَانٌ، إِلَّا مَا ذُكِرَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ فَإِنَّهُمْ ذَهَبُوا إِلَىٰ أَنَّ الطَّاعَاتِ لَا تُسَمَّىٰ إِيمَانًا»(١).

أَوَّلًا: مَعْنَىٰ أَنَّ الإِيمَانَ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ:

أَيْ لَا بُدَّ مِنَ النُّطْقِ بِالشَّهَادَةِ حَتَّىٰ يَدْخُلَ فِي الْإِيمَانِ، فَلَا يَكْفِي الِاعْتِقَادُ بِلَا قَوْلٍ وَلَا قَوْلٌ بِلَا اعْتِقَادٍ، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ ذَلِكَ: حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا: أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ**»(٢).

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ**»(٣). فَفِي هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَىٰ اشْتِرَاطِ النُّطْقِ بِالشَّهَادَتَيْنِ لِصِحَّةِ الْإِيمَانِ. فَالَّذِي يُنْجِي مِنَ الْخُلُودِ فِي النَّارِ مُكَوَّنٌ مِنْ قَوْلِ اللِّسَانِ مَعَ عَقْدِ الْقَلْبِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أو بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا: قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»(٤). فِيهِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ التَّلَفُّظَ بِـ(لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) أَفْضَلُ شُعَبِ الْإِيمَانِ سَوَاءٌ قَالَهَا عَقْدًا أَوْ ذِكْرًا.

---

(١) «التمهيد» (٩/ ٢٣٨).

(٢) متفق عليه: البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

(٣) متفق عليه: البخاري (٤٤)، ومسلم (١٩٣).

(٤) صحيح: مسلم (٣٥).

ثَانِيًا: الْأَدِلَّةُ عَلَىٰ أَنَّ الإِيمَانَ اعْتِقَادٌ بِالْقَلْبِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [النحل: ١٠٦]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤].

وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ؛ فَمَنِ اتَّقَىٰ الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَىٰ حَوْلَ الْحِمَىٰ يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًىٰ أَلَا إِنَّ حِمَىٰ اللهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**»(١). وَصَلَاحُ الْقَلْبِ إِنَّمَا يَكُونُ بِعُمْرَانِهِ بِالْعَقَائِدِ الْحَقِّ. فَإِذَا أُشْرِبَ الْقَلْبُ الْحَقَائِقَ الْإِيمَانِيَّةَ وَانْبَعَثَتْ مِنْهَا أَعْمَالُهُ الْقَلْبِيَّةُ كَانَ قَلْبًا سَلِيمًا.

ثَالِثًا: الْأَدِلَّةُ عَلَىٰ أَنَّ الإِيمَانَ يَكُونُ بِالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ:

كُلُّ النُّصُوصِ الْمُتَقَدِّمَةِ فِي الْمَجْمُوعَةِ الثَّانِيَةِ دَاخِلَةٌ فِي هَذَا النَّوْعِ، وَذَلِكَ أَنَّ النُّطْقَ بِاللِّسَانِ عَمَلٌ ظَاهِرٌ، وَيُضَافُ إِلَىٰ ذَلِكَ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ أَيْ: صَلَاتَكُمْ، فَسَمَّىٰ الصَّلَاةَ إِيمَانًا.

قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾، يَعْنِي: صَلَاتَكُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ، ثُمَّ أَوْرَدَ بِسَنَدِهِ: عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ

---

(١) متفق عليه: البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

ﷺ كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ عَلَىٰ أَجْدَادِهِ أَوْ قَالَ: أَخْوَالِهِ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَأَنَّهُ صَلَّىٰ قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّىٰ أَوَّلَ صَلَاةٍ صَلَّاهَا صَلَاةَ الْعَصْرِ، وَصَلَّىٰ مَعَهُ قَوْمٌ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّىٰ مَعَهُ فَمَرَّ عَلَىٰ أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكِعُونَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ بِالله لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ قِبَلَ مَكَّةَ، فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَكَانَتِ الْيَهُودُ قَدْ أَعْجَبَهُمْ إِذْ كَانَ يُصَلِّي قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَهْلُ الْكِتَابِ، فَلَمَّا وَلَّىٰ وَجْهَهُ قِبَلَ الْبَيْتِ أَنْكَرُوا ذَلِكَ. قَالَ زُهَيْرٌ: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ عَنِ الْبَرَاءِ فِي حَدِيثِهِ هَذَا أَنَّهُ مَاتَ عَلَىٰ الْقِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ رِجَالٌ وَقُتِلُوا فَلَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ؟ فَأَنْزَلَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾(١).

وعَنْ أَبِي جَمْرَةَ قَالَ: كُنْتُ أُتَرْجِمُ بَيْنَ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَبَيْنَ النَّاسِ، فَقَالَ: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ أَتَوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «**مَنِ الْوَفْدُ أَوْ مَنِ الْقَوْمُ؟**» قَالُوا: رَبِيعَةُ فَقَالَ: «**مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ أَوْ بِالْوَفْدِ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَىٰ**» قَالُوا: إِنَّا نَأْتِيكَ مِنْ شُقَّةٍ بَعِيدَةٍ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ، وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيَكَ إِلَّا فِي شَهْرٍ حَرَامٍ فَمُرْنَا بِأَمْرٍ نُخْبِرُ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا نَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ، فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِالله ﷻ وَحْدَهُ قَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِالله وَحْدَهُ؟**» قَالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَتُعْطُوا الْخُمُسَ مِنَ الْمَغْنَمِ**»(٢).

فَهَذَا الْحَدِيثُ مِنْ أَقْوَىٰ الْأَدِلَّةِ وَأَصْرَحِهَا عَلَىٰ أَنَّ الْأَعْمَالَ مِنَ الْإِيمَانِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فَسَّرَ الْإِيمَانَ بِالنُّطْقِ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَأَدَاءِ خُمُسِ الْمَغْنَمِ، وَهَذِهِ أَعْمَالٌ ظَاهِرَةٌ.

---

(١) صحيح: البخاري (٤٢).

(٢) متفق عليه: البخاري (٨٧)، ومسلم (١٧).

وَمِنْ أَقْوَىٰ الْأَدِلَّةِ وَأَصْرَحِهَا فِي الْقُرْآنِ عَلَىٰ أَنَّ الْأَعْمَالَ مِنَ الْإِيمَانِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤]. حَيْثُ جَعَلَ سُبْحَانَهُ إِقَامَ الصَّلَاةِ وَالْإِنْفَاقَ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا.

رَابِعًا: الأَدِلَّةُ عَلَىٰ زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ؟

أَجْمَعَ السَّلَفُ عَلَىٰ أَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ وَهُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ قَاطِبَةً، وَاسْتَدَلُّوا لِذَلِكَ بِأَدِلَّةٍ كَثِيرَةٍ مِنْهَا: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢]. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [التوبة: ١٢٤]. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [الفتح: ٤]. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١]. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾ [الكهف: ١٣]. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧]. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٧٣]. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب: ٢٢]. وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

وَمِنَ السُّنَّةِ: عَنْ حَنْظَلَةَ الْأُسَيْدِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ

حَتَّىٰ كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ الله ﷺ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَالله إِنَّا لَنَلْقَىٰ مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّىٰ دَخَلْنَا عَلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ الله. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّىٰ كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَىٰ مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَىٰ فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَوْ كَمَا قَالَ**»(١).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ فِي أَضْحَىٰ أَوْ فِطْرٍ إِلَىٰ الْمُصَلَّىٰ فَمَرَّ عَلَىٰ النِّسَاءِ، فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ؛ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ**» فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ؛ مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ**» قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟**» قُلْنَ: بَلَىٰ، قَالَ: «**فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟**» قُلْنَ: بَلَىٰ، قَالَ: «**فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا**»(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا**»(٣).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ**

---

(١) صحيح: مسلم (٢٧٥٠).

(٢) متفق عليه: البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٨٠).

(٣) حسن صحيح: الترمذي (١١٦٢)، أبو داود (٤٦٨٢)، أحمد (٧٣٥٤).

مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»(١).

فَائِدَةٌ فِي مَعْنَىٰ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ: وَرَدَ فِي تَعْرِيفِهِمَا أَنَّهُمَا قَدْ يَتَرَادَفَانِ؛ فَيَكُونُ أَحَدُهُمَا بِمَعْنَىٰ الْآخَرِ، وَقَدْ يَخْتَلِفَانِ فَيَكُونُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَعْنًىٰ.

أَمَّا التَّرَادُفُ: فَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الذاريات: ٣٥]. وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا بِالِاتِّفَاقِ إِلَّا بَيْتٌ وَاحِدٌ وَهُمْ أَهْلُ بَيْتِ لُوطٍ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ [هود: ٨١]. وَكَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [يونس: ٨٤].

فَجَمَعَ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّهُمَا بِمَعْنًىٰ وَاحِدٍ.

وَمِنَ السُّنَّةِ: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»(٢).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي وَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ، وَفِيهِ: فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحْدَهُ، قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَتُعْطُوا الْخُمُسَ مِنَ الْمَغْنَمِ»(٣).

وَجْهُ الدَّلَالَةِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ فَسَّرَ الْإِسْلَامَ بِالْأَرْكَانِ

---

(١) صحيح: مسلم (٤٩).

(٢) متفق عليه: البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

(٣) متفق عليه: البخاري (٨٧)، ومسلم (١٧).

الْخَمْسَةِ، وَفِي الْحَدِيثِ الثَّانِي فَسَّرَ الْإِيمَانَ بِالْأَرْكَانِ الْخَمْسَةِ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَىٰ التَّرَادُفِ بَيْنَهُمَا.

وَأَمَّا الِاخْتِلَافُ: فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤].

فَأَرَادَ بِالْإِيمَانِ هَاهُنَا التَّصْدِيقَ بِالْقُلُوبِ؛ لِأَنَّهُمُ ادَّعَوْا ذَلِكَ، فَأَخْبَرَ اللهُ أَنَّهُمْ لَيْسُو كَذَلِكَ، وَأَمَرَهُمْ بِأَنْ يَقُولُوا أَسْلَمْنَا، وَمَعْنَاهُ: اسْتِسْلَامُهُمْ فِي الظَّاهِرِ بِاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾، لِأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنْ أَعْرَابِ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ نَزَلُوا الْمَدِينَةَ وَادَّعَوُا الْإِسْلَامَ، وَعَلِمَ اللهُ مِنْهُمْ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾، مَخَافَةَ الْقَتْلِ وَالسَّبْيِ (١).

وَعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعُ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»** (٢).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ،**

---

(١) انظر: «تفسير ابن جرير» (٢٦/ ٨٩)، «تفسير القرطبي» (١٦/ ٣٤٨).

(٢) حسن صحيح: أبو داود (٤٨٨٠)، أحمد (١٩٢٧٧) وصححه الألباني.

وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ؛ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا؟ قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَىٰ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ» قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»(١).

فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْإِسْلَامَ غَيْرُ الْإِيمَانِ. عَنْ عَامِرِ بن سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَسَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَسْمًا فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَعْطِ فُلَانًا؛ فَإِنَّهُ مُؤْمِنٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوْ مُسْلِمٌ» أَقُولُهَا ثَلَاثًا وَيُرَدِّدُهَا عَلَيَّ ثَلَاثًا «أَوْ مُسْلِمٌ» ثُمَّ قَالَ: «إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ مَخَافَةَ أَنْ يُكِبَّهُ اللهُ فِي النَّارِ»(٢).

فَائِدَةٌ (٢): قِيلَ لِسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللهُ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ، فَقَالَ سُفْيَانُ: كَانَ هَذَا قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ أَحْكَامُ الْإِيمَانِ وَحُدُودُهُ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً أَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ، فَلَمَّا عَلِمَ صِدْقَ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ أَمَرَهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِالصَّلَاةِ فَأَمَرَهُمْ فَفَعَلُوا، وَاللهِ لَوْ لَمْ يَفْعَلُوا مَا نَفَعَهُمُ الْإِقْرَارُ الْأَوَّلُ، فَلَمَّا عَلِمَ اللهُ صِدْقَ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ أَمَرَهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِالْهِجْرَةِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَأَمَرَهُمْ فَفَعَلُوا، وَاللهِ لَوْ لَمْ يَفْعَلُوا مَا نَفَعَهُمْ إِقْرَارُهُمُ الْأَوَّلُ وَلَا صَلَاتُهُمْ، فَلَمَّا

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٨).

(٢) مسلم (١٥٠).

عَلِمَ اللهُ صِدْقَ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ أَمَرَهُمْ بِالرُّجُوعِ إِلَىٰ مَكَّةَ فَيُقَاتِلُوا آبَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ حَتَّىٰ يَقُولُوا كَقَوْلِهِمْ وَيُصَلُّوا صَلَاتَهُمْ وَيُهَاجِرُوا كَهِجْرَتِهِمْ، فَأَمَرَهُمْ فَفَعَلُوا حَتَّىٰ أَتَىٰ أَحَدُهُمْ بِرَأْسِ أَبِيهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا رَأْسُ الشَّيْخِ الْكَافِرِ، وَاللهِ لَوْ لَمْ يَفْعَلُوا مَا نَفَعَهُمْ إِقْرَارُهُمُ الْأَوَّلُ وَلَا صَلَاتُهُمْ وَلَا مُهَاجَرَتُهُمْ، فَلَمَّا عَلِمَ اللهُ صِدْقَ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ أَمَرَهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِالطَّوَافِ بِالْبَيْتِ تَعَبُّدًا وَأَنْ يَحْلِقُوا رُءُوسَهُمْ تَذَلُّلًا فَعَلُوا، وَاللهِ لَوْ لَمْ يَفْعَلُوا مَا نَفَعَهُمْ إِقْرَارُهُمُ الْأَوَّلُ، وَلَا صَلَاتُهُمْ، وَلَا مُهَاجَرَتُهُمْ، وَلَا قَتْلُهُمْ آبَاءَهُمْ، فَلَمَّا عَلِمَ اللهُ صِدْقَ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ أَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً يُطَهِّرُهُمْ بِهَا، وَاللهِ لَوْ لَمْ يَفْعَلُوا مَا نَفَعَهُمْ إِقْرَارُهُمُ الْأَوَّلُ وَلَا صَلَاتُهُمْ وَلَا مُهَاجَرَتُهُمْ وَلَا قَتْلُهُمْ آبَاءَهُمْ وَلَا طَوَافُهُمْ، فَلَمَّا عَلِمَ اللهُ الصِّدْقَ مِنْ قُلُوبِهِم فِيمَا تَتَابَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَرَائِعِ الْإِيمَانِ وَحُدُودِهِ، قَالَ ﷻ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. قَالَ سُفْيَانُ: فَمَنْ تَرَكَ خُلَّةً مِنْ خِلَالِ الْإِيمَانِ جَاحِدًا كَانَ بِهَا عِنْدَنَا كَافِرًا، وَمَنْ تَرَكَهَا كَسَلًا وَتَهَاوُنًا أَدَّبْنَاهُ وَكَانَ بِهَا عِنْدَنَا نَاقِصًا، هَكَذَا السُّنَّةُ أَبْلِغْهَا عَنِّي مَنْ سَأَلَكَ مِنَ النَّاسِ(١).

وَرُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ وَابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا قَالَا: لَا يَنْفَعُ قَوْلٌ إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا عَمَلٌ إِلَّا بِقَوْلٍ، وَلَا قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَلَا نِيَّةٌ إِلَّا بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ(٢).

وَكَذَلِكَ رُوِيَ مِثْلُ هَذَا عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَابْنِ جُرَيجٍ، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ، وَمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ، وَوَكِيعٍ،

---

(١) أخرجه الآجري في «الشريعة» عن محمد بن عبد الملك المصيصي، عن سفيان بن عيينة (ص ١٠٣)، وابن بطة في «الإبانة الكبير» (٢/ ٦٣٠).

(٢) أخرجه الآجري في «الشريعة» ص (١٣١)، وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٨٠٣).

وَالشَّافِعِيِّ، وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلَ، وَالْوَلِيدِ، وَأَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ. وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ لَا يُسْتَوْحَشُ مِنْ ذِكْرِهِمْ.

قَالَ وَكِيعٌ: وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يَقُولُونَ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ(١).

وَقِيلَ: إِنَّ الْإِيمَانَ هُوَ الْأَرْكَانُ السِّتَّةُ عِنْدَ التَّفْصِيلِ:

وَدَلِيلُ ذَلِكَ مِنَ الْكِتَابِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر: ٤٩].

وَمِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ ﷺ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» قَالَ: صَدَقْتَ(٢).

١- تَعْرِيفُ الْمَلَائِكَةِ: الْمَلَائِكَةُ جَمْعُ الْمَلَكِ بِفَتْحَتَيْنِ، وَهُوَ وَاحِدُ الْمَلَائِكَةِ، قِيلَ: مُخَفَّفٌ مِنْ مَالَكٍ. قَالَ الْكِسَائِيُّ: أَصْلُهُ مَأْلَكٌ بِتَقْدِيمِ الْهَمْزَةِ مِنَ الْأَلُوكِ وَهِيَ الرِّسَالَةُ، ثُمَّ قُلِبَتْ وَقُدِّمَتِ اللَّامُ. وَقِيلَ: أَصْلُهُ الْمَلْكُ بِفَتْحٍ ثُمَّ سُكُونٍ: وَهُوَ الْأَخْذُ بِقُوَّةٍ، وَأَصْلُ وَزْنِهِ مَفْعَلٌ فَتُرِكَتِ الْهَمْزَةُ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ وَظَهَرَتْ فِي الْجَمْعِ، وَزِيدَتِ الْهَاءُ إِمَّا لِلْمُبَالَغَةِ، وَإِمَّا لِتَأْنِيثِ الْجَمْعِ(٣). قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ: وَالْمَلَكُ فِي اللُّغَةِ: حَامِلُ الْأَلُوكَةِ وَهِيَ الرِّسَالَةُ. اهـ(٤).

وَفِي الاصْطِلَاحِ: الْمَلَكُ جِسْمٌ لَطِيفٌ نُورَانِيٌّ يَتَشَكَّلُ بِأَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ،

---

(١) انظر: هذه الروايات عند الآجري في «الشريعة» (ص ١٣١ – ١٣٢).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٨).

(٣) «القاموس المحيط» (٣/ ٣٢٧)، «لسان العرب» (١٠/ ٤٩٦)، «المصباح المنير» (١/ ١٨).

(٤) «النبوات» (ص٢٥٧).

وَمَسْكَنُهَا السَّمَاوَاتُ(١)(٢).

الدَّلِيلُ عَلَىٰ الإِيمَانِ بِالْمَلَائِكَةِ:

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وَمِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: **«أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»** قَالَ: صَدَقْتَ(٣).

تَعْرِيفُ الْكُتُبِ: **الْكِتَابُ فِي اللُّغَةِ:** مَصْدَرُ كَتَبَ، يُقَالُ: كَتَبَ الشَّيْءَ يَكْتُبُهُ كَتْبًا وَكِتَابًا وَكِتَابَةً، وَيُطْلَقُ عَلَىٰ عِدَّةِ مَعَانٍ مِنْهَا:

أ- أَنَّهُ اسْمٌ لِمَا كُتِبَ مَجْمُوعًا، قَالَهُ الأَزْهَرِيُّ.

ب- يُطْلَقُ عَلَىٰ مَا يَكْتُبُهُ الشَّخْصُ وَيُرْسِلُهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ.

ج- يُطْلَقُ عَلَىٰ الْمَكْتُوبِ وَعَلَىٰ مَا كُتِبَ فِيهِ.

د- يُطْلَقُ عَلَىٰ الْمُنَزَّلِ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَىٰ، فَيَشْمَلُ الْقُرْآنَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ.

هـ- يُطْلَقُ عَلَىٰ الصُّحُفِ الْمَجْمُوعَةِ(٤).

وَمَادَّةُ (كَتَبَ) تَدُورُ حَوْلَ الْجَمْعِ وَالضَّمِّ، وَسُمِّيَ الْكَاتِبُ كَاتِبًا؛ لأَنَّهُ يَجْمَعُ الْحُرُوفَ وَيَضُمُّ بَعْضَهَا إِلَىٰ بَعْضٍ.

---

(١) «فتح الباري» (٦/ ٣٠٦)، وانظر «كتاب التعريفات» للجرجاني (ص٢٢٩).

(٢) «الموسوعة الفقهية الميسرة» (جـ ٣٩/ ٥).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٨).

(٤) «لسان العرب»، و«المصباح المنير»، و«المعجم الوسيط».

وَمِنْهُ: الْكَتِيبَةُ مِنَ الْجَيْشِ، سُمِّيَتْ كَتِيبَةً؛ لِاجْتِمَاعِهَا، وَانْضِمَامِ بَعْضِهَا إِلَىٰ بَعْضٍ، وَمِنْهُ: تَسْمِيَةُ الْخَيَّاطِ كَاتِبًا؛ لِأَنَّهُ يَجْمَعُ أَطْرَافَ الثَّوْبِ إِلَىٰ بَعْضٍ، كَمَا فِي مَقَامَاتِ الْحَرِيرِي.

وَفِي اصْطِلَاحِ الْفُقَهَاءِ: الْكِتَابُ هُوَ الَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَىٰ الْمَسَائِلِ سَوَاءٌ كَانَتْ قَلِيلَةً أَوْ كَثِيرَةً مِنْ فَنٍّ أَوْ فُنُونٍ.

وَعِنْدَ الْأُصُولِيِّينَ: الْكِتَابُ هُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]. وَالْفُقَهَاءُ يَسْتَعْمِلُونَ هَذَا الْمَعْنَىٰ، فَيَقُولُونَ فِي الاسْتِدْلَالِ: وَدَلِيلُهُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ(١).

قَالَ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَيَتَضَمَّنُ الْإِيمَانُ بِالْكُتُبِ أُمُورًا:

١- الْإِيمَانَ بِأَنَّهَا أُنْزِلَتْ مِنْ عِنْدِ اللهِ حَقًّا.

٢- الْإِيمَانَ بِمَا عَلِمْنَا اسْمَهُ مِنْهَا بِاسْمِهِ كَالْقُرْآنِ الَّذِي نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالتَّوْرَاةِ الَّتِي أُنْزِلَتْ عَلَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْإِنْجِيلِ الَّذِي نُزِّلَ عَلَىٰ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالزَّبُورِ الَّذِي أُوتِيهِ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَأَمَّا مَا لَمْ نَعْلَمْهُ مِنَ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ فَنُؤْمِنُ بِهِ إِجْمَالًا.

٣- تَصْدِيقَ مَا صَحَّ مِنْ أَخْبَارِهَا، كَأَخْبَارِ الْقُرْآنِ، وَأَخْبَارِ مَا لَمْ يُبَدَّلْ، أَوْ يُحَرَّفْ مِنَ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ.

٤- الْعَمَلَ بِمَا لَمْ يُنْسَخْ مِنْهَا، وَالرِّضَا وَالتَّسْلِيمَ بِهِ، سَوَاءٌ فَهِمْنَا حِكْمَتَهُ أَمْ لَمْ نَفْهَمْهَا. وَجَمِيعُ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ مَنْسُوخَةٌ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا

---

(١) انظر: «البحر المحيط» (١/ ٤٤١). «الموسوعة الفقهية» (جـ٣٤/ ١٧٢).

عَلَيۡهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

أَيْ: حَاكِمًا عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ هَذَا فَلَا يَجُوزُ الْعَمَلُ بِأَيِّ حُكْمٍ مِنْ أَحْكَامِ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ إِلَّا مَا صَحَّ وَأَقَرَّهُ الْقُرْآنُ.

الْإِيمَانُ بِالْكُتُبِ أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ الْعَقِيدَةِ، وَرُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، وَلَا يَصِحُّ إِيمَانُ أَحَدٍ إِلَّا إِذَا آمَنَ بِالْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ عَلَىٰ رُسُلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

* قَوْلُهُ: «الْبَابُ الرَّابِعُ: الْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ».

الرَّسُولُ فِي اللُّغَةِ: هُوَ الَّذِي أَمَرَهُ الْمُرْسِلُ بِأَدَاءِ الرِّسَالَةِ بِالتَّسْلِيمِ أَوِ الْقَبْضِ، وَالَّذِي يُتَابِعُ أَخْبَارَ الَّذِي بَعَثَهُ، أَخْذًا مِنْ قَوْلِهِمْ: جَاءَتِ الْإِبِلُ رَسَلًا؛ أَيْ: مُتَتَابِعَةً قَطِيعًا بَعْدَ قَطِيعٍ. وَسُمِّيَ الرَّسُولُ رَسُولًا؛ لِأَنَّهُ ذُو رِسَالَةٍ.

وَهُوَ اسْمُ مَصْدَرٍ مِنْ أَرْسَلْتُ، وَأَرْسَلْتُ فُلَانًا فِي رِسَالَةٍ فَهُوَ مُرْسَلٌ وَرَسُولٌ.

وَيَجُوزُ اسْتِعْمَالُهُ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ لِلْمُذَكَّرِ وَالْمُؤَنَّثِ، وَالْمُثَنَّىٰ وَالْجَمْعِ، كَمَا يَجُوزُ التَّثْنِيَةُ وَالْجَمْعُ فَيُجْمَعُ عَلَىٰ رُسُلٍ. كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨].

وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ٤٧﴾ [طه: ٤٧].

وَالرَّسُولُ فِي الِاصْطِلَاحِ: لَهُ مَعْنَيَانِ: أَحَدُهُمَا: الشَّخْصُ الْمُرْسَلُ مِنْ إِنْسَانٍ إِلَىٰ آخَرَ بِمَالٍ أَوْ رِسَالَةٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ. وَالثَّانِي: الْوَاحِدُ مِنْ رُسُلِ اللهِ. وَيُرَادُ بِرُسُلِ اللهِ تَارَةً الْمَلَائِكَةُ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَ﴾ [هود: ٨١]. وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ﴾ [العنكبوت: ٣٣].

وَتَارَةً يُرَادُ بِهِمُ الْأَنْبِيَاءُ. مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. قَالَ عُمَرُ الْأَشْقَرُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْفَرْقُ بَيْنَ النَّبِيِّ وَالرَّسُولِ: أَنَّ الرَّسُولَ مَنْ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِشَرْعٍ جَدِيدٍ، وَالنَّبِيُّ هُوَ الْمَبْعُوثُ لِتَقْرِيرِ شَرْعِ مَنْ قَبْلَهُ، وَأَكْثَرُ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَذَلِكَ، وَهُوَ الْأَقْرَبُ لِلصَّوَابِ، وَاللهُ أَعْلَمُ(١).

النَّبِيُّ لُغَةً: فَعِيلٌ مِنَ الإِنْبَاءِ، وَهُوَ الإِخْبَارُ، وَالنَّبِيءُ فَعِيلٌ مَهْمُوزٌ؛ لِأَنَّهُ أَنْبَأَ عَنِ اللهِ؛ أَيْ: أَخْبَرَ، وَالْإِبْدَالُ وَالْإِدْغَامُ لُغَةٌ فَاشِيَةٌ، وَقُرِئَ بِهِمَا فِي السَّبْعَةِ(٢).

وَالنَّبِيُّ فِي الِاصْطِلَاحِ: قَالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ الْبَغْدَادِيُّ: النَّبِيُّ كُلُّ مَنْ نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ لِسَانِ مَلَكٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَكَانَ مُؤَيَّدًا بِنَوْعٍ مِنَ الْكَرَامَاتِ النَّاقِضَةِ لِلْعَادَاتِ(٣).

* قَوْلُهُ: «الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ».

جُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا مَاتَ قَامَتْ قِيَامَتُهُ؛ فَإِنَّهُ لَا يَرْجِعُ إِلَىٰ الدُّنْيَا بَلْ يَنْتَظِرُ فِي قَبْرِهِ حَتَّىٰ يَأْذَنَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِقِيَامِ السَّاعَةِ وَمَا بَعْدَهَا مِمَّا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا سَيَأْتِي مُفَصَّلًا.

وَمَعْنَىٰ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: هُوَ التَّصْدِيقُ الْجَازِمُ بِإِتْيَانِهِ، وَالْعَمَلُ بِمُوجَبِ ذَلِكَ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْإِيمَانُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَأَمَارَاتِهَا، وَبِالْمَوْتِ وَمَا بَعْدَهُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِهِ وَنَعِيمِهِ، وَبِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ، وَخُرُوجِ الْخَلَائِقِ مِنَ الْقُبُورِ،

---

(١) «الرسل والرسالات» (ص١٤)، وقيل: الرسول من البشر: هو ذكر حر أوحىٰ الله إليه بشرع وأمره بتبليغه، فإن لم يؤمر بتبليغه فنبي فحسب.

(٢) «لسان العرب»، و«المصباح المنير»، و«فتح الباري» (٦ / ٣٦١)، و«النبوات» لابن تيمية (ص ٢٧١، ٣٥٥، ٣٥٨) دار الكتاب العربي، بيروت ط ٢، ١٤١١ هـ.

(٣) «تفسير القرطبي» (١٢ / ٨٠)، و«أعلام النبوة» للماوردي (ص ٣٨) ١٣٩١هـ، و«النبوات» لابن تيمية (ص ٣٠١)، و«كشاف القناع» (١ / ٦)، و«نيل المآرب بشرح دليل الطالب» (١ / ٣٥).

وَتَفَاصِيلِ الْمَحْشَرِ، وَنَشْرِ الصُّحُفِ، وَنَصْبِ الْمَوَازِينِ، وَبِالصِّرَاطِ، وَالْحَوْضِ، وَالشَّفَاعَةِ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ(١).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ: فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَبِنَعِيمِهِ.

فَأَمَّا الْفِتْنَةُ: فَإِنَّ النَّاسَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ. فَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: «مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: اللهُ رَبِّي، وَالْإِسْلَامُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ ﷺ نَبِيِّي، وَأَمَّا الْمُرْتَابُ فَيَقُولُ: هَاه هَاه لَا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ، فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانُ، وَلَوْ سَمِعَهَا الْإِنْسَانُ لَصَعِقَ»(٢). ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ: إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ الْقِيَامَةُ الْكُبْرَىٰ؛ فَتُعَادُ الْأَرْوَاحُ إِلَىٰ الْأَجْسَادِ، وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ وَعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ، فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ، وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ، وَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ فَتُوزَنُ فِيهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف: ٨، ٩]. وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ - وَهِيَ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ - فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤].

وَيُحَاسِبُ اللهُ الْخَلَائِقَ، وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ كَمَا وُصِفَ

---

(١) «نواقض الإيمان القولية والعملية» (ص ٢٤٢).

(٢) صحيح: رواه البخاري (١٣٧٤).

ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. **وَأَمَّا الْكُفَّارُ**: فَلَا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ؛ فَإِنَّهُ لَا حَسَنَاتَ لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدُّ أَعْمَالُهُمْ وَتُحْصَىٰ فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا، وَيُقَرَّرُونَ بِهَا وَيُجْزَوْنَ بِهَا.

وَفِي عَرْصَةِ الْقِيَامَةِ: الْحَوْضُ الْمَوْرُودُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ طُولُهُ شَهْرٌ وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، مَنْ يَشْرَبُ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا.

وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَىٰ مَتْنِ جَهَنَّمَ - وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ - يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَرُكَّابِ الْإِبِلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْدُو عَدْوًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْطَفُ فَيُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ؛ فَإِنَّ الْجِسْرَ عَلَيْهِ كَلَالِيبُ تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمَنْ مَرَّ عَلَىٰ الصِّرَاطِ دَخَلَ الْجَنَّةَ.

فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ وَقَفُوا عَلَىٰ قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتِحُ بَابَ الْجَنَّةِ: مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ الْأُمَمِ: أُمَّتُهُ.

وَلَهُ فِي الْقِيَامَةِ ثَلَاثُ شَفَاعَاتٍ:

أَمَّا الشَّفَاعَةُ الْأُولَىٰ: فَيُشَفَّعُ فِي أَهْلِ الْمَوْقِفِ حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ تَتَرَاجَعَ الْأَنْبِيَاءُ: آدَمُ وَنُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ عَنِ الشَّفَاعَةِ حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ. **وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ**: فَيُشَفَّعُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ؛ وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ لَهُ. **وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ**: فَيُشَفَّعُ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَغَيْرِهِمْ، فَيُشَفَّعُ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَنْ لَا

يَدْخُلَهَا، وَيُشَفَّعُ فِيمَنْ دَخَلَهَا أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا، وَيُخْرِجُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ بَلْ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَيَبْقَىٰ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيُنْشِئُ اللهُ لَهَا أَقْوَامًا فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، وَأَصْنَافُ مَا تَضَمَّنَتْهُ الدَّارُ الْآخِرَةُ مِنَ الْحِسَابِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَالْجَنَّةِ(١).

* قَوْلُهُ: «الْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَ الْقَدَرِ».

الْقَدَرُ لُغَةً: يُطْلَقُ الْقَدَرُ عَلَىٰ الْحُكْمِ وَالْقَضَاءِ. **وَالْقَدْرُ بِتَحْرِيكِ الدَّالِ أَوْ تَسْكِينِهَا مَعْنَاهُ:** الطَّاقَةُ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ﴾ [البقرة: ٢٣٦]:

وَيَأْتِي أَيْضًا الْقَدَرُ بِمَعْنَىٰ التَّضْيِيقِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ۝١٦﴾ [الفجر: ١٦]. يَعْنِي: فَضَيَّقَ عَلَيْهِ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ فِي حَقِّ نَبِيِّهِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧]؛ أَيْ: لَنْ نُضَيِّقَ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ كَمَا ظَنَّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَكَّ فِي قُدْرَةِ اللهِ كَلَّا. ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾؛ أَيْ: لَنْ نُضَيِّقَ عَلَيْهِ(٢).

الْمَعْنَىٰ الشَّرْعِيُّ لِلْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ:

هُوَ تَقْدِيرُ اللهِ تَعَالَىٰ الْأَشْيَاءَ فِي الْقِدَمِ، وَعِلْمُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَنَّهَا سَتَقَعُ فِي أَوْقَاتٍ مَعْلُومَةٍ عِنْدَهُ، وَعَلَىٰ صِفَاتٍ مَخْصُوصَةٍ، وَكِتَابَتُهُ سُبْحَانَهُ لِذَلِكَ، وَمَشِيئَتُهُ لَهَا وَوُقُوعُهَا عَلَىٰ حَسَبِ مَا قَدَّرَهَا جَلَّ وَعَلَا وَخَلَقَهُ لَهَا(٣).

---

(١) «شرح العقيدة الواسطية» (ص ١٣٢-١٤٢).

(٢) «القضاء والقدر» للصلابي (ص / ٣٩٠).

(٣) «شفاء العليل» لابن القيم (ص ٢٩)، «القضاء والقدر» للمحمود (ص ٤٠)، «موسوعة أركان الإيمان» للصلابي (٢/ ٣٩٢).

الْبَابُ الأَوَّلُ: الإِيمَانُ بِاللهِ

وَفِيهِ سَبْعَةُ ضَوَابِطَ:

الضَّابِطُ الْأَوَّلُ: تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ: هُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِأَفْعَالِهِ.

الضَّابِطُ الثَّانِي: تَوْحِيدُ الأُلُوهِيَّةِ: هُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ.

الضَّابِطُ الثَّالِثُ: تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ: هُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِمَا سَمَّى وَوَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ.

الضَّابِطُ الرَّابِعُ: الْإِيمَانُ بِصِفَاتِ اللهِ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ، وَلَا تَأْوِيلٍ، وَلَا تَمْثِيلٍ، وَلَا تَكْيِيفٍ.

الضَّابِطُ الْخَامِسُ: الْعِبَادَاتُ أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ:

١- عِبَادَاتٌ بَدَنِيَّةٌ.

٢- عِبَادَاتٌ قَوْلِيَّةٌ.

٣- عِبَادَاتٌ مَالِيَّةٌ.

٤- عِبَادَاتٌ قَلْبِيَّةٌ.

الضَّابِطُ السَّادِسُ: التَّوَسُّلُ قِسْمَانِ:

١- **التَّوَسُّلُ الْمَشْرُوعُ:** وَهُوَ التَّوَسُّلُ إِلَى اللهِ بِاسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ أَوْ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ، أَوْ بِعَمَلٍ صَالِحٍ، أَوْ بِطَلَبِ الدُّعَاءِ مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ.

٢- **التَّوَسُّلُ الْمَمْنُوعُ:** التَّوَسُّلُ إِلَى اللهِ بِمَا لَمْ يَثْبُتْ فِي الشَّرْعِ أَنَّهُ وَسِيلَةٌ.

الضَّابِطُ السَّابِعُ: أُصُولُ الشِّرْكِ تِسْعَةٌ:

١- السِّحْرُ. ٢- الْكَهَانَةُ.

٣- التَّطَيُّرُ. ٤- الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللهِ.

٥- النَّذْرُ لِغَيْرِ اللهِ. ٦- الِاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللهِ.

٧- دُعَاءُ غَيْرِ اللهِ. ٨- الِاعْتِقَادُ فِي النُّجُومِ وَالْأَنْوَاءِ.

٩- الِاعْتِقَادُ أَنَّ غَيْرَ اللهِ يَنْفَعُ أَوْ يَضُرُّ.

الْبَابُ الْأَوَّلُ: الْإِيمَانُ بِاللهِ

الضَّابِطُ الْأَوَّلُ: تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ: هُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِأَفْعَالِهِ.

* قَوْلُهُ: «تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ: هُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِأَفْعَالِهِ».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ شَيْخَنَا - حَفِظَهُ اللهُ - قَدْ بَدَأَ هَذِهِ الرِّسَالَةَ الْمُبَارَكَةَ بِذِكْرِ أَقْسَامِ التَّوْحِيدِ وَأَنْوَاعِهِ، وَبَيَانِ كُلِّ نَوْعٍ، وَقَدِ اخْتَارَ الْقَوْلَ بِأَنَّ التَّوْحِيدَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ.

* قَوْلُهُ: «تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ».

أَوَّلًا: تَعْرِيفُ التَّوْحِيدِ لُغَةً وَاصْطِلَاحًا: التَّوْحِيدُ لُغَةً: قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي «النِّهَايَةِ» - فِي أَسْمَاءِ اللهِ الْوَاحِدِ -: هُوَ الْفَرْدُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ آخَرُ(١).

وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: الْفَرْقُ بَيْنَ الْوَاحِدِ وَالْأَحَدِ أَنَّ الْأَحَدَ بُنِيَ لِنَفْيِ مَا يُذْكَرُ مَعَهُ مِنَ الْعَدَدِ، تَقُولُ: مَا جَاءَنِي أَحَدٌ، وَالْوَاحِدُ اسْمٌ بُنِيَ لِمُفْتَتَحِ الْعَدَدِ، تَقُولُ: جَاءَنِي وَاحِدٌ مِنَ النَّاسِ، وَلَا تَقُولُ: جَاءَنِي أَحَدٌ، فَالْوَاحِدُ مُنْفَرِدٌ بِالذَّاتِ فِي عَدَمِ الْمِثْلِ وَالنَّظِيرِ، وَالْأَحَدُ مُنْفَرِدٌ بِالْمَعْنَىٰ، وَقِيلَ: الْوَاحِدُ هُوَ الَّذِي لَا يَتَجَزَّأُ، وَلَا يُثَنَّىٰ، وَلَا يَقْبَلُ الِانْقِسَامَ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا مَثِيلَ، وَلَا يَجْمَعُ هَذَيْنِ الْوَصْفَيْنِ إِلَّا اللهُ تَعَالَىٰ(٢).

وَفِي «لِسَانِ الْعَرَبِ»: الْوَاحِدُ مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ، مَعْنَاهُ: لَا ثَانِيَ لَهُ، وَلَا

---

(١) «النهاية» لابن الأثير (٥/ ١٥٩).

(٢) «تهذيب اللغة» (٥/ ١٩٥).

يَجُوزُ أَنْ يُنْعَتَ الشَّيْءُ بِأَنَّهُ وَاحِدٌ، فَأَمَّا أَحَدٌ فَلَا يُنْعَتُ بِهِ غَيْرُ اللهِ لِخُلُوصِ هَذَا الِاسْمِ الشَّرِيفِ لَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَتَقُولُ: أَحَّدْتُ اللهَ تَعَالَىٰ، وَوَحَّدْتُهُ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ(١).

وَقَالَ الْفَيْرُوزْ أَبَادِي: التَّوْحِيدُ الْإِيمَانُ بِاللهِ، وَاللهُ الْأَوْحَدُ وَالْمُتَوَحِّدُ ذُو الْوَحْدَانِيَّةِ(٢).

مِنْ هَذَا يَتَبَيَّنُ لَنَا أَنْ مَادَّةَ «وَحَّدَ» وَكَلِمَةَ وَحْدَةٍ تَدُورُ حَوْلَ انْفِرَادِ الشَّيْءِ بِذَاتِهِ أَوْ بِصِفَاتِهِ أَوْ بِأَفْعَالِهِ، وَعَدَمِ وُجُودِ نَظِيرٍ لَهُ فِيمَا هُوَ وَاحِدٌ فِيهِ، أَمَّا إِذَا عُدِّيَ بِالتَّضْعِيفِ، فَقِيلَ: وَحَّدَ الشَّيْءَ تَوْحِيدًا، أَنَّ مَعْنَاهُ: إِمَّا جَعَلَهُ وَاحِدًا، أَوِ اعْتَقَدَهُ وَاحِدًا، قَالَ تَعَالَىٰ حِكَايَةً عَنِ الْمُشْرِكِينَ: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص: ٥].

التَّوْحِيدُ شَرْعًا: فَتَوْحِيدُ اللهِ مَعْنَاهُ: اعْتِقَادُ أَنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَفْيُ الْمِثْلِ وَالنَّظِيرِ عَنْهُ، وَالتَّوَجُّهُ إِلَيْهِ وَحْدَهُ بِالْعِبَادَةِ، وَإِذَا قِيلَ: اللهُ وَاحِدٌ أَوْ أَحَدٌ، كَانَ مَعْنَىٰ ذَلِكَ انْفِرَادَهُ بِمَا لَهُ مِنْ ذَاتٍ وَصِفَاتٍ، وَعَدَمَ مُشَارَكَةِ غَيْرِهِ فِيهَا، فَهُوَ وَاحِدٌ فِي إِلَهِيَّتِهِ، فَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَوَاحِدٌ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، فَلَا رَبَّ سِوَاهُ، وَوَاحِدٌ فِي كُلِّ مَا ثَبَتَ لَهُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ الَّتِي لَا تَنْبَغِي إِلَّا لَهُ.

إِذًا فَالتَّوْحِيدُ هُوَ: الْإِيمَانُ الْجَازِمُ بِتَفَرُّدِ اللهِ تَعَالَىٰ وَوَحْدَانِيَّتِهِ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَنَفْيُ الشُّرَكَاءِ وَالْأَنْدَادِ عَنْهُ سُبْحَانَهُ اعْتِقَادًا وَعَمَلًا عَلَىٰ الْوَجْهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ الْوَحْيُ الْإِلَهِيُّ عَلَىٰ أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ(٣).

---

(١) «لسان العرب» (٣/ ٤٥١).

(٢) «القاموس المحيط» (١/ ٣٤٤).

(٣) «منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلىٰ الإسلام» (١/ ٤٧-٤٩) بتصرف.

ثَانِيًا: أَرْكَانُ التَّوْحِيدِ وَمَعْنَىٰ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ):

١- تَعْرِيفُ الرُّبُوبِيَّةِ: أ- تَعْرِيفُ الرَّبِّ:

الرَّبُّ تَأْتِي عَلَىٰ ثَلَاثَةِ مَعَانٍ: يَكُونُ الرَّبُّ: الْمَالِكَ، وَيَكُونُ الرَّبُّ: السَّيِّدَ الْمُطَاعَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٤١]؛ أَيْ: سَيِّدَهُ، وَيَكُونُ الرَّبُّ: الْمُصْلِحَ: رَبَّ الشَّيْءَ: إِذَا أَصْلَحَهُ... وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ: لَأَنْ يَرُبَّنِي بَنُو عَمِّي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَرُبَّنِي غَيْرُهُمْ[١]؛ أَيْ: يَكُونُونَ عَلَيَّ أُمَرَاءَ وَسَادَةً..، وَرَبَّ وَلَدَهُ وَالصَّبِيَّ يَرُبُّهُ رَبًّا، وَرَبَّتْهُ تَرْبِيبًا وَتَرِبَّةً، عَنِ اللِّحْيَانِيِّ: بِمَعْنَىٰ رَبَّاهُ. وَفِي الْحَدِيثِ: «**لَكَ نِعْمَةٌ تَرُبُّهَا**»[٢]؛ أَيْ: تَحْفَظُهَا وَتُرَاعِيهَا وَتُرَبِّيهَا، كَمَا يُرَبِّي الرَّجُلُ وَلَدَهُ..[٣]. فَالْمَعَانِي اللُّغَوِيَّةُ لِكَلِمَةِ «رَبٍّ» هِيَ: الْمُصْلِحُ لِلشَّيْءِ، الْقَائِمُ عَلَيْهِ، الْمُنَمِّي لَهُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ كَمَالَهُ، وَأَيْضًا: صَاحِبُهُ وَسَيِّدُهُ.

ب- تَعْرِيفُ الرُّبُوبِيَّةِ: **عَرَّفَهُ شَيْخُنَا - حَفِظَهُ اللهُ -**: (إِفْرَادُ اللهِ بِأَفْعَالِهِ).

أَيِ: الْإِقْرَارُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَالِكُهُ وَخَالِقُهُ وَرَازِقُهُ، وَأَنَّهُ الْمُحْيِي الْمُمِيتُ النَّافِعُ الضَّارُّ الْمُتَفَرِّدُ بِإِجَابَةِ الدُّعَاءِ عِنْدَ الِاضْطِرَارِ، الَّذِي لَهُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، وَبِيَدِهِ الْخَيْرُ كُلُّهُ، الْقَادِرُ عَلَىٰ مَا يَشَاءُ، لَيْسَ لَهُ فِي ذَلِكَ شَرِيكٌ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ، وَهَذَا التَّوْحِيدُ لَا يَكْفِي الْعَبْدَ فِي حُصُولِ الْإِسْلَامِ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ مَع ذَلِكَ بِلَازِمِهِ مِنْ تَوْحِيدِ الْإِلَهِيَّةِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ حَكَىٰ عَنِ الْمُشْرِكِينَ أَنَّهُمْ مُقِرُّونَ بِهَذَا التَّوْحِيدِ للهِ وَحْدَهُ.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٦٦٦).

(٢) مسلم: الصحيح (١٦/ ١٢٤) مع شرح النووي.

(٣) «لسان العرب» (١/ ٤٤٠ ـ ٤٠١).

ثَالِثًا: الْأَدِلَّةُ عَلَىٰ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ:

فَقَدْ دَلَّ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ عَلَىٰ إِثْبَاتِ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ لِلهِ ﷻ عَلَىٰ خَلْقِهِ:

١- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس: ٣١].

٢- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزخرف: ٨٧].

٣- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

٤- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل: ٦٢].

فَهُمْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ لِلهِ وَحْدَهُ وَلَمْ يَكُونُوا بِذَلِكَ مُسْلِمِينَ.

٥- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٦].

قَالَ مُجَاهِدٌ فِي الْآيَةِ: إِيمَانُهُمْ بِاللهِ قَوْلُهُمْ: إِنَّ اللهَ خَلَقَنَا وَيَرْزُقُنَا وَيُمِيتُنَا، فَهَذَا إِيمَانٌ مَعَ شِرْكِ عِبَادَتِهِمْ غَيْرَهُ. رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

٦- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَطَاءٍ وَالضَّحَّاكِ نَحْوُ ذَلِكَ، فَتَبَيَّنَ أَنَّ الْكُفَّارَ يَعْرِفُونَ اللهَ وَيَعْرِفُونَ رُبُوبِيَّتَهُ، وَمُلْكَهُ وَقَهْرَهُ، وَكَانُوا مَعَ ذَلِكَ يَعْبُدُونَهُ وَيُخْلِصُونَ لَهُ أَنْوَاعًا مِنَ الْعِبَادَاتِ كَالْحَجِّ وَالصَّدَقَةِ وَالذَّبْحِ وَالنَّذْرِ وَالدُّعَاءِ وَقْتَ الِاضْطِرَارِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَيَدَّعُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٧]. وَبَعْضُهُمْ يُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ، وَبَعْضُهُمْ يُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ.

٧- قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي مَقَامِ إِثْبَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ وَتَوْحِيدِ الأُلُوهِيَّةِ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الطور: ٣٥-٣٦]. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾؛ أَيْ: مِنْ غَيْرِ رَبٍّ. وَمَعْنَاهُ: أَخُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ خَلَقَهُمْ فَوُجِدُوا بِلَا خَالِقٍ، وَذَلِكَ مِمَّا لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ؛ لِأَنَّ تَعَلُّقَ الْخَلْقِ بِالْخَالِقِ مِنْ ضَرُورَةِ الِاسْمِ، فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ خَالِقٍ، فَإِنْ أَنْكَرُوا الْخَالِقَ لَمْ يَجُزْ أَنْ يُوجَدُوا بِلَا خَالِقٍ. ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ لِأَنْفُسِهِمْ، وَذَلِكَ فِي الْبُطْلَانِ أَشَدُّ لِأَنَّ مَا لَا وُجُودَ لَهُ كَيْفَ يَخْلُقُ، فَإِذَا بَطَلَ الْوَجْهَانِ قَامَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ لَهُمْ خَالِقًا فَلْيُؤْمِنُوا بِهِ ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، وَهَذَا فِي الْبُطْلَانِ أَشَدُّ وَأَشَدُّ؛ فَإِنَّ الْمَسْبُوقَ بِالْعَدَمِ يَسْتَحِيلُ أَنْ يُوجَدَ بِنَفْسِهِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ مُوجِدًا لِغَيْرِهِ، وَهَذَا إِنْكَارٌ عَلَيْهِمْ فِي شِرْكِهِمْ بِاللهِ ﷻ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْخَالِقُ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾؛ أَيْ: وَلَكِنْ عَدَمُ إِيقَانِهِمْ هُوَ الَّذِي يَحْمِلُهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ.

وَعَنْ جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الطور: ٣٥-٣٧] كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ(١).

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظُ آلُ حَكَمِي رَحِمَهُ اللهُ: وَكَثِيرًا مَا يُرْشِدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عِبَادَهُ إِلَىٰ الِاسْتِدْلَالِ عَلَىٰ مَعْرِفَتِهِ بِآيَاتِهِ الظَّاهِرَةِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ الْعُلْوِيَّةِ وَالسُّفْلِيَّةِ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الذاريات: ٢٠]؛ أَيْ: فِيهَا مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ عَظَمَةِ خَالِقِهَا وَقُدْرَتِهِ الْبَاهِرَةِ مِمَّا قَدْ ذَرَأَ فِيهَا مِنْ صُنُوفِ النَّبَاتِ

---

(١) متفق عليه: البخاري (٤٨٥٤)، ومسلم (٤٦٣).

وَالْحَيَوَانَاتِ وَالْمِهَادِ وَالْجِبَالِ وَالْقِفَارِ وَالْأَنْهَارِ وَالْبِحَارِ وَاخْتِلَافِ أَلْسِنَةِ النَّاسِ وَأَلْوَانِهِمْ وَمَا جُبِلُوا عَلَيْهِ مِنَ الْإِرَادَاتِ وَالْقُوَىٰ، وَمَا بَيْنَهُمْ مِنَ التَّفَاوُتِ فِي الْعُقُولِ وَالْفُهُومِ وَالْحَرَكَاتِ وَالسَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ، وَمَا فِي تَرْكِيبِهِمْ مِنَ الْحِكَمِ فِي وَضْعِ كُلِّ عُضْوٍ مِنْ أَعْضَائِهِمْ فِي الْمَحَلِّ الَّذِي هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ فِيهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ ﷻ: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢١]. قَالَ قَتَادَةُ: مَنْ تَفَكَّرَ فِي خَلْقِ نَفْسِهِ عَلِمَ أَنَّهُ إِنَّمَا لُيِّنَتْ مَفَاصِلُهُ لِلْعِبَادَةِ. وَكَذَا مَا فِي ابْتِدَاءِ الْإِنْسَانِ مِنَ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ إِذْ كَانَتْ نُطْفَةً ثُمَّ عَلَقَةً ثُمَّ مُضْغَةً ثُمَّ عِظَامًا إِلَىٰ أَنْ نَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الذاريات: ٤٧-٤٩] يَقُولُ تَعَالَىٰ مُنَبِّهًا عَلَىٰ خَلْقِ الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا﴾؛ أَيْ: جَعَلْنَاهَا سَقْفًا مَحْفُوظًا رَفِيعًا ﴿بِأَيْيْدٍ﴾؛ أَيْ: بِقُوَّةٍ قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَالثَّوْرِيُّ وَغَيْرُ وَاحِدٍ(١). ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لَقَادِرُونَ(٢). وَعَنْهُ أَيْضًا: لَمُوسِعُونَ الرِّزْقَ عَلَىٰ خَلْقِنَا(٣).

الضَّابِطُ الثَّانِي: تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ: هُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ.

* قَوْلُهُ: «تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ». ١- تَعْرِيفُ تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ (الْقَصْدُ وَالطَّلَبُ):

هُوَ إِفْرَادُ اللهِ ﷻ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ، وَإِخْلَاصُهَا لَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا؛ أَيْ: إِفْرَادُ اللهِ بِأَفْعَالِكَ، فَلَا تَصْرِفْ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ، فَإِنَّ تَوْحِيدَ

(١) ابن كثير (٤/ ٢٥٤).

(٢) البغوي «معالم التنزيل» (٥/ ٢٢٩).

(٣) السابق.

الْأُلُوهِيَّةِ هُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ: «إِثْبَاتُ الْإِلَهِيَّةِ للهِ وَحْدَهُ بِأَنْ يَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَلَا يَعْبُدَ إِلَّا إِيَّاهُ، وَلَا يَتَوَكَّلَ إِلَّا عَلَيْهِ، وَلَا يُوَالِي إِلَّا لَهُ، وَلَا يُعَادِي إِلَّا فِيهِ، وَلَا يَعْمَلَ إِلَّا لِأَجْلِهِ»(١).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «وَتَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ الْمُتَضَمِّنُ أَنَّهُ وَحْدَهُ الْإِلَهُ الْمَعْبُودُ الْمَحْبُوبُ، الَّذِي لَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ وَالذُّلُّ وَالْخُضُوعُ وَالْحُبُّ إِلَّا لَهُ»(٢).

قَالَ الشَّيْخُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وَسُمِّيَ تَوْحِيدًا فِعْلِيًّا؛ لِأَنَّهُ مُتَضَمِّنٌ لِأَفْعَالِ الْقُلُوبِ وَالْجَوَارِحِ، فَهُوَ تَوْحِيدُ اللهِ بِأَفْعَالِ الْعَبِيدِ»(٣).

وَهَذَا النَّوْعُ هُوَ أَعْظَمُ أَنْوَاعِ التَّوْحِيدِ وَأَهَمُّهَا، وَهُوَ مُتَضَمِّنٌ لَهَا جَمِيعَهَا، وَهُوَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خُلِقَتِ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ، وَمِنْ أَجْلِهِ أُرْسِلَتِ الرُّسُلُ وَأُنْزِلَتِ الْكُتُبُ، وَعَلَيْهِ الْحِسَابُ فِي الْآخِرَةِ، وَفِيهِ يَدْخُلُ النَّاسُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَفِيهِ الْخُصُومَةُ بَيْنَ الرُّسُلِ وَأَقْوَامِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

* قَوْلُهُ: «هُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: **أَنَّ تَوْحِيدَ الْأُلُوهِيَّةِ عَرَّفَهُ شَيْخُنَا - حَفِظَهُ اللهُ - بِقَوْلِهِ: هُوَ** إِفْرَادُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْعِبَادَةِ، وَيَتَضَمَّنُ هَذَا التَّعْرِيفُ عِدَّةَ مَسَائِلَ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: تَعْرِيفُ الْعِبَادَةِ:

الْعِبَادَةُ فِي اللُّغَةِ: **قَالَ ابْنُ سِيدَهْ:** «أَصْلُ الْعِبَادَةِ فِي اللُّغَةِ: التَّذْلِيلُ. مِنْ قَوْلِهِمْ: طَرِيقٌ مُعَبَّدٌ؛ أَيْ: مُذَلَّلٌ. وَمِنْهُ أُخِذَ الْعَبْدُ لِذِلَّتِهِ لِمَوْلَاهُ. وَالْعِبَادَةُ

---

(١) «درء التعارض» (١/ ٢٢٤).

(٢) «بدائع الفوائد» (٤/ ١٣٢).

(٣) «الحق الواضح المبين» (٣/ ٢١٢).

وَالْخُضُوعُ وَالتَّذَلُّلُ وَالِاسْتِكَانَةُ قَرَائِبُ فِي الْمَعَانِي. وَالْعِبَادَةُ نَوْعٌ مِنَ الْخُضُوعِ لَا يَسْتَحِقُّهُ إِلَّا الْمُنْعِمُ بِأَعْلَىٰ أَجْنَاسِ النِّعَمِ، كَالْحَيَاةِ وَالْفَهْمِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ»(١).

وَقَالَ فِي الصِّحَاحِ: «أَصْلُ الْعُبُودِيَّةِ: الْخُضُوعُ وَالذُّلُّ. وَالْعِبَادَةُ الطَّاعَةُ»(٢).

الْعِبَادَةُ فِي الِاصْطِلَاحِ: عَرَّفَهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ بِقَوْلِهِ: هِيَ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ(٣).

قَالَ فِي سُلَّمِ الْوُصُولِ:

ثُمَّ الْعِبَادَةُ هِيَ اسْمٌ جَامِعُ ... لِكُلِّ مَا يَرْضَىٰ الْإِلَهُ السَّامِعُ
وَفِي الْحَدِيثِ مُخُّهَا الدُّعَاءُ ... خَوْفٌ تَوَكُّلٌ كَذَا الرَّجَاءُ
وَرَغْبَةٌ وَرَهْبَةٌ خُشُوعُ ... وَخَشْيَةٌ إِنَابَةٌ خُضُوعُ
وَالِاسْتِعَاذَةُ وَالِاسْتِعَانَهْ ... كَذَا اسْتِغَاثَةٌ بِهِ سُبْحَانَهْ
وَالذَّبْحُ وَالنَّذْرُ وَغَيْرُ ذَلِكْ ... فَافْهَمْ هُدِيتَ أَوْضَحَ الْمَسَالِكْ

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظُ آلُ حَكَمِي رَحِمَهُ اللهُ: «أَيْ: تَعْبُدُهُ مَحَبَّةً وَتَذَلُّلًا وَخَوْفًا وَرَجَاءً وَرَغَبًا وَرَهَبًا وَتَوَكُّلًا عَلَيْهِ وَاطِّرَاحًا بَيْنَ يَدَيْهِ وَاسْتِعَانَةً بِهِ وَالْتِجَاءً إِلَيْهِ وَافْتِقَارًا إِلَيْهِ. وَذَلِكَ لَا يَنْبَغِي إِلَّا لِله عَجَلَّ خَالِقِ كُلِّ شَيْءٍ وَمُصَوِّرِهِ وَمُصَرِّفِهِ وَمُدَبِّرِهِ، مُبْدِي الْخَلْقِ وَمُعِيدِهِ، وَمُحْيِيهِ وَمُبِيدِهِ، الْفَعَّالِ لِمَا يُرِيدُ، الَّذِي هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ، الَّذِي لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَىٰ مِنْهُ إِلَّا إِلَيْهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ﴾

---

(١) «المخصص» (١٣/ ٩٦).

(٢) «الصحاح»، مادة «عبد»، وينظر لسان العرب، مادة «عبد».

(٣) «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ١٤٩).

[الأنعام: ١٧]. ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [فاطر: ٢]. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ [فاطر: ١٦].

وَالْعَبْدُ إِنْ أُرِيدَ بِهِ الْمُعَبَّدُ؛ أَيِ: الْمُذَلَّلُ الْمُسَخَّرُ، دَخَلَ فِيهِ جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ مِنْ جَمِيعِ الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ؛ مِنْ عَاقِلٍ وَغَيْرِهِ، وَمِنْ رَطْبٍ وَيَابِسٍ، وَمُتَحَرِّكٍ وَسَاكِنٍ، وَظَاهِرٍ وَكَامِنٍ، وَمُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ، وَبَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، الْكُلُّ مَخْلُوقٌ للهِ ﷻ، مُسَخَّرٌ بِتَسْخِيرِهِ مُدَبَّرٌ بِتَدْبِيرِهِ»(١).

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: الْحِكْمَةُ مِنَ خَلْقِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ: **الْحِكْمَةُ وَالْغَايَةُ مِنْ خَلْقِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ هِيَ الْعِبَادَةُ؛** وَمَعْنَاهَا: تَحْقِيقُ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)؛ أَيْ: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ غَيْرِ اللهِ ﷻ، وَهَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ الأَسْمَىٰ مِنَ الْعِبَادَةِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَـٰلَةُ ۚ ﴾ [النحل: ٣٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة: ٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام: ١٥١].

(١) «معارج القبول» (٢/ ٤٢٤).

وَعَنْ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ: عُفَيْرٌ فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ هَلْ تَدْرِي حَقَّ الله عَلَىٰ عِبَادِهِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَىٰ الله؟» قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ الله عَلَىٰ الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَىٰ الله أَنْ لا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَفَلَا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟ قَالَ: «لا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا»(١).

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا، وَهُوَ أَحَدُ النُّقَبَاءِ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ؛ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ - وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ -: «بَايِعُونِي عَلَىٰ أَنْ لا تُشْرِكُوا بِالله شَيْئًا، وَلا تَسْرِقُوا، وَلا تَزْنُوا، وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ، وَلا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَىٰ مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَىٰ الله، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ الله فَهُوَ إِلَىٰ الله؛ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ» فَبَايَعْنَاهُ عَلَىٰ ذَلِك(٢).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَىٰ الْيَمَنِ فَقَالَ: «ادْعُهُمْ إِلَىٰ شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنِّي رَسُولُ الله، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ الله قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ الله افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ؛ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ»(٣).

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لا

---

(١) متفق عليه: البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).

(٢) متفق عليه: البخاري (١٨)، ومسلم (١٧٠٩).

(٣) متفق عليه: البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (١٩).

إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ اللهِ وَابْنُ أَمَتِهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ»(١).

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: أَنَّهَا وَظِيفَةُ الرُّسُلِ:

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ اللهَ ﷻ قَدْ بَعَثَ الرُّسُلَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ جَمِيعَهُمْ بِرِسَالَةٍ وَاحِدَةٍ هِيَ تَوْحِيدُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وَدَعْوَةِ النَّاسِ إِلَىٰ ذَلِكَ، لَأَنَّ هَذِهِ هِيَ وَظِيفَةُ الرُّسُلِ دَعْوَةُ النَّاسِ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ ﷻ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف: ٥٩]. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴿٦٨﴾﴾ [الأعراف: ٧٣]. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأعراف: ٦٥]. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٨٥]. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧]. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ لِسَانِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ [طه: ٩٨]. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ لِسَانِ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨) واللفظ له.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [المائدة: ٧٢].

الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: أَنَّ مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ دَخَلَ الْجَنَّةَ:

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ الْخُصُومَةَ بَيْنَ الرُّسُلِ وَبَيْنَ أَقْوَامِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَتَكُونُ فِي التَّوْحِيدِ وَتَحْقِيقِ مَعْنَىٰ الْعِبَادَةِ، فَمَنْ عَبَدَ اللهَ وَلَمْ يُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ أَشْرَكَ بِهِ شَيْئًا وَمَاتَ عَلَىٰ الشِّرْكِ دَخَلَ النَّارَ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾ [النساء: ٤٨].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ» وَقُلْتُ أَنَا: مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ(١).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه؛ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ كَلِمَةً وَقُلْتُ أُخْرَىٰ؛ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ» وَقُلْتُ أَنَا: مَنْ مَاتَ وَهُوَ لَا يَدْعُو لِله نِدًّا دَخَلَ الْجَنَّةَ(٢).

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ»(٣).

عَنْ عِمْرَانَ بن حُصَيْنٍ رضي الله عنهما قَالَ: لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ، فَذَكَرْتُهُ لِسَعِيدِ بن جُبَيْرٍ، فَقَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، حَتَّىٰ رُفِعَ لِي

---

(١) متفق عليه: البخاري (١٢٣٨)، ومسلم (٩٢).

(٢) متفق عليه: البخاري (٤٤٩٧)، ومسلم (٩٢).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٩٢).

سَوَادٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ أُمَّتِي هَذِهِ؟ قِيلَ: بَلْ هَذَا مُوسَىٰ وَقَوْمُهُ. قِيلَ: انْظُرْ إِلَىٰ الْأُفُقِ، فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلَأُ الْأُفُقَ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلَأَ الْأُفُقَ، قِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ» ثُمَّ دَخَلَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ، فَأَفَاضَ الْقَوْمُ وَقَالُوا: نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللهِ وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ فَنَحْنُ هُمْ أَوْ أَوْلَادُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ؛ فَإِنَّا وُلِدْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَخَرَجَ فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَلَا يَكْتَوُونَ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ». فَقَالَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا؟ قَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»(١).

الضَّابِطُ الثَّالِثُ: تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ: هُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِمَا سَمَّىٰ وَوَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ وَعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ.

* قَوْلُهُ: «تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّهُ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِمَا أَثْبَتَهُ اللهُ ﷻ لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ، وَبِمَا أَثْبَتَهُ لَهُ رَسُولُهُ ﷺ فِي سُنَّتِهِ الْمُطَهَّرَةِ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ وَالصِّفَاتِ الْعُلَىٰ.

أَوَّلًا: الْأُصُولُ الَّتِي يَنْبَنِي عَلَيْهَا الْإِيمَانُ بِأَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَىٰ:

١- أَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ ﷻ كُلَّهَا حُسْنَىٰ:

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ ﷻ كُلَّهَا حُسْنَىٰ، وَأَسْمَاءُ اللهِ الْحُسْنَىٰ هِيَ الَّتِي أَثْبَتَهَا تَعَالَىٰ لِنَفْسِهِ، وَأَثْبَتَهَا لَهُ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَآمَنَ بِهَا جَمِيعُ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ

(١) متفق عليه: البخاري (٥٧٠٥) واللفظ له، مسلم (٢٢٠).

فِيٓ أَسۡمَـٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَـٰنَۖ أَيًّا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الإسراء: ١١٠]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: ٨]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَـٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

٢- أَن أَسْمَاءَهُ ﷻ غَيْرُ مَحْصُورَةٍ بِعَدَدٍ:

ذَكَرَ النَبِيُّ ﷺ أَنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ لِله تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَهُوَ وِتْرٌ وَيُحِبُّ الْوِتْرَ**»(١).

وَقَدْ وَرَدَ غَيْرُ ذَلِكَ عَنْهُ ﷺ: أَنَّ هُنَاكَ أَسْمَاءَ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ ﷻ أَوْ عَلِمَهَا بَعْضُ خَلْقِهِ سُبْحَانَهُ. عَنْ عَبْدِ اللهِ بْن مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلا حَزَنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا**» قَالَ: فَقِيلَ: يَا

---

(١) متفق عليه: البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧).

رَسُولَ اللهِ أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: «بَلَىٰ يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا»(١).

قَالَ الْأَشْقَرُ رَحِمَهُ اللهُ: «وَالْإِشْكَالُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّهُ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ أَسْمَاءً لَمْ يُنْزِلْهَا فِي كِتَابِهِ، بَلِ اخْتَصَّ بِهَا بَعْضَ عِبَادِهِ، أَوِ اخْتَصَّ بِهَا نَفْسَهُ، فَلَمْ يُعَرِّفْهَا أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ، بَيْنَمَا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ التِّسْعَةَ وَالتِّسْعِينَ كُلَّهَا مُنَزَّلَةٌ مَعْرُوفَةٌ بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ «مَنْ أَحْصَاهَا»، فَالْإِحْصَاءُ لَهَا لَا يُمْكِنُ مَا لَمْ تَكُنْ مُنَزَّلَةً مَعْرُوفَةً مَعْلُومَةً، وَمِنْ هَذَا يَنْتُجُ أَنَّ مَا اسْتَأْثَرَ اللهُ بِعِلْمِهِ أَوِ اخْتَصَّ بِهِ بَعْضَ خَلْقِهِ غَيْرُ التِّسْعَةِ وَالتِّسْعِينَ.

وَالْحَقُّ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُصَارَ إِلَيْهِ: أَنَّ عَدَدَ الْأَسْمَاءِ الَّتِي عَرَّفَنَا اللهُ إِيَّاهَا فِي كِتَابِهِ، أَوْ ذَكَرَهَا رَسُولُهُ ﷺ، تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ لَا تَزِيدُ، لِنَصِّ الرَّسُولِ ﷺ عَلَىٰ هَذَا الْعَدَدِ، وَلِقَوْلِهِ: «مَنْ أَحْصَاهَا»، وَأَنَّ مَا زَادَ عَلَىٰ هَذِهِ التِّسْعَةِ وَالتِّسْعِينَ فَهُوَ مِمَّا لَا نَعْرِفُهُ، لِأَنَّهُ مِنْ مَكْنُونِ عِلْمِ اللهِ أَوْ مِمَّا اخْتَصَّ اللهُ بِهِ بَعْضَ خَلْقِهِ، وَإِلَّا فَمَا فَائِدَةُ تَحْدِيدِ عَدَدِ أَسْمَاءِ اللهِ بِتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ؟»(٢).

٣- تَحْدِيدُ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ: أَخْبَرَ الرَّسُولُ ﷺ أَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ تَعَالَىٰ الْمُنَزَّلَةَ الَّتِي يُمْكِنُنَا مَعْرِفَتُهَا وَإِحْصَاؤُهَا تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا. وَلَمْ يَرِدْ حَدِيثٌ صَحِيحٌ يَسْرِدُ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ سَرْدًا لَا يَتْرُكُ مَجَالًا لِلْخِلَافِ فِي تَحْدِيدِهَا، بَلْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ مُتَفَرِّقَةً فِي كِتَابِ اللهِ وَفِي سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، تَذْكُرُ الْآيَةُ الِاسْمَ وَالِاسْمَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ، أَوْ تُخْتَمُ الْآيَةُ بِوَاحِدٍ أَوْ أَكْثَرَ، وَقَدْ تَسْرِدُ الْآيَاتُ جُمْلَةً مِنْ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ. وَقَدْ عُنِيَ الْعُلَمَاءُ بِجَمْعِ أَسْمَاءِ اللهِ مِنْ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ كَمَا عُنُوا بِتَفْسِيرِهَا وَشَرْحِهَا. فَالْقُرْطُبِيُّ لَهُ كِتَابُ «مَعَانِي أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَىٰ»، وَقَدْ سَرَدَهَا

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٣٧٠٤)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٩٩).

(٢) «العقيدة في الله» (ص ٢٠٩).

ابْنُ جَرِيرِ الطَّبَرِيُّ، وَأَبُو بَكْرِ بْنِ الْعَرَبِيِّ، وَابْنُ حَجَرِ الْعَسْقَلَانِيُّ، وَغَيْرُهُمْ. وَقَدِ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ فِي عَدِّ جُمْلَةٍ كَبِيرَةٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَاخْتَلَفُوا فِي جُمْلَةٍ قَلِيلَةٍ(١).

٤- اسْمُ اللهِ الأَعْظَمُ: أَخْبَرَنَا الرَّسُولُ ﷺ فِي أَكْثَرَ مِنْ حَدِيثٍ أَنَّ للهِ اسْمًا أَعْظَمَ لَهُ مُمَيِّزَاتٌ عَنْ بَقِيَّةِ أَسْمَائِهِ تَعَالَىٰ، فَمِنْ هَذِهِ الأَحَادِيثِ:

١- عَنْ بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ، لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**»، فَقَالَ: «**دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**»(٢).

٢- وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ وَرَجُلٌ يُصَلِّي، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْحَنَّانُ الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، أَسْأَلُكَ**» فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ**»(٣).

٣- عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**اسْمُ اللهِ الأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ** ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣] **وَفَاتِحَةِ آلِ عِمْرَانَ** ﴿الم ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ [آل عمران: ١، ٢]»(٤).

---

(١) «العقيدة في الله» (ص ٢١٠).

(٢) صحيح: الترمذي (٣٤٧٥)، ابن ماجه (٣٨٥٧)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٢٢٨٩).

(٣) صحيح: الترمذي (٣٥٤٤)، ابن ماجه (٣٨٥٨)، أحمد (١١٧٩٥)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٢٢٩٠).

(٤) حسن: الترمذي (٣٤٧٨)، ابن ماجه (٣٨٥٥)، وحسنه الألباني في «المشكاة» (٢٢٩١).

٤- عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**اسْمُ اللهِ الْأَعْظَمُ فِي سُوَرٍ مِنَ الْقُرْآنِ الثَّلَاثِ: فِي (الْبَقَرَةِ)، وَ(آلِ عِمْرَانَ)، وَ(طَهَ)**»(١).

قَالَ الْأَشْقَرُ رَحِمَهُ اللهُ: «**وَالَّذِي يَظْهَرُ مِنَ الْمُقَارَنَةِ بَيْنَ النُّصُوصِ الَّتِي وَرَدَ فِيهَا اسْمُ اللهِ الْأَعْظَمُ أَنَّهُ: (اللهُ)، فَهَذَا الِاسْمُ هُوَ الِاسْمُ الْوَحِيدُ الَّذِي يُوجَدُ فِي جَمِيعِ النُّصُوصِ الَّتِي قَالَ الرَّسُولُ ﷺ إِنَّ اسْمَ اللهِ الْأَعْظَمَ وَرَدَ فِيهَا.**

وَمِمَّا يُرَجِّحُ أَنَّ (اللهَ) هُوَ الِاسْمُ الْأَعْظَمُ أَنَّهُ تَكَرَّرَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (٢٦٩٧) سَبْعًا وَتِسْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ وَأَلْفَيْنِ (حَسَبَ إِحْصَاءِ الْمُعْجَمِ الْمُفَهْرَسِ) وَوَرَدَ بِلَفْظِ (اللَّهُمَّ) خَمْسَ مَرَّاتٍ فِي حِينِ أَنَّ اسْمًا آخَرَ مِمَّا يَخْتَصُّ بِاللهِ تَعَالَىٰ وَهُوَ (الرَّحْمَنُ) لَمْ يَرِدْ ذِكْرُهُ إِلَّا سَبْعًا وَخَمْسِينَ مَرَّةً، وَيُرَجِّحُهُ أَيْضًا مَا تَضَمَّنَهُ هَذَا الِاسْمُ مِنَ الْمَعَانِي الْعَظِيمَةِ الْكَثِيرَةِ»(٢).

قَالَ شَيْخُنَا - حَفِظَهُ اللهُ -: «وَيُلَاحَظُ أَنَّ الِاسْمَ الَّذِي تَكَرَّرَ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ هُوَ (اللهُ)؛ فَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ، وَوَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الثَّانِي بِصِيغَةِ (اللَّهُمَّ) وَإِنَّمَا كَانَ الْأَصْلُ فِيهِ (يَا اللهُ)»(٣).

٥- مَعْنَىٰ الْإِحْصَاءِ:

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظُ آلُ حَكَمِي رَحِمَهُ اللهُ: «**وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي مَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ أَحْصَاهَا»». فَقَالَ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ: مَعْنَاهُ حَفِظَهَا، وَأَنَّ إِحْدَىٰ**

---

(١) صحيح: ابن ماجه (٣٨٥٦)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٦٣)، والطبراني في «الكبير» (٧٧٥٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٩٧٩).

(٢) «العقيدة في الله» (ص ٢١٣).

(٣) «المادة الحاضرة في الخطب والمحاضرة» (ج١/ ١٦٨).

الرِّوَايَتَيْنِ مُفَسِّرَةٌ لِلْأُخْرَىٰ[(١)]. وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: يَحْتَمِلُ وُجُوهًا:

أَحَدُهَا: أَنْ يَعُدَّهَا حَتَّىٰ يَسْتَوْفِيَهَا بِمَعْنَىٰ: أَنْ لَا يَقْتَصِرَ عَلَىٰ بَعْضِهَا فَيَدْعُوَ اللهَ بِهَا كُلِّهَا، وَيُثْنِي عَلَيْهِ بِجَمِيعِهَا، فَيَسْتَوْجِبَ الْمَوْعُودَ عَلَيْهَا مِنَ الثَّوَابِ.

وَثَانِيهَا: الْمُرَادُ بِالْإِحْصَاءِ الْإِطَاقَةُ، وَالْمَعْنَىٰ مَنْ أَطَاقَ الْقِيَامَ بِحَقِّ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَالْعَمَلَ بِمُقْتَضَاهَا وَهُوَ أَنْ يَعْتَبِرَ مَعَانِيَهَا فَيُلْزِمَ نَفْسَهُ بِمَوَاجِبِهَا فَإِذَا قَالَ: «الرَّزَّاقُ» وَثِقَ بِالرِّزْقِ، وَكَذَا سَائِرُ الْأَسْمَاءِ.

ثَالِثُهَا: الْمُرَادُ بِهَا الْإِحَاطَةُ بِجَمِيعِ مَعَانِيهَا.

وَقِيلَ: أَحْصَاهَا عَمِلَ بِهَا فَإِذَا قَالَ: «الْحَكِيمُ» سَلَّمَ لِجَمِيعِ أَوَامِرِهِ وَأَقْدَارِهِ، وَأَنَّهَا جَمِيعُهَا عَلَىٰ مُقْتَضَىٰ الْحِكْمَةِ، وَإِذَا قَالَ: «الْقُدُّوسُ» اسْتَحْضَرَ كَوْنَهُ مُقَدَّسًا مُنَزَّهًا عَنْ جَمِيعِ النَّقَائِصِ، وَاخْتَارَهُ أَبُو الْوَفَاءِ بْنُ عَقِيلٍ.

وَقَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: طَرِيقُ الْعَمَلِ بِهَا أَنَّ مَا كَانَ يُسَوِّغُ الِاقْتِدَاءَ بِهِ كَالرَّحِيمِ وَالْكَرِيمِ فَيُمَرِّنُ الْعَبْدُ نَفْسَهُ عَلَىٰ أَنْ يَصِحَّ لَهُ الِاتِّصَافُ بِهَا - يَعْنِي: فِيمَا يَقُومُ بِهِ - وَمَا كَانَ يَخْتَصُّ بِهِ نَفْسَهُ كَالْجَبَّارِ وَالْعَظِيمِ فَعَلَىٰ الْعَبْدِ الْإِقْرَارُ بِهَا وَالْخُضُوعُ لَهَا وَعَدَمُ التَّحَلِّي بِصِفَةٍ مِنْهَا، وَمَا كَانَ فِيهِ مَعْنَىٰ الْوَعْدِ يَقِفُ فِيهِ عِنْدَ الطَّمَعِ وَالرَّغْبَةِ، وَمَا كَانَ فِيهِ مَعْنَىٰ الْوَعِيدِ يَقِفُ مِنْهُ عِنْدَ الْخَشْيَةِ وَالرَّهْبَةِ». اهـ[(٢)].

وَالظَّاهِرُ أَنَّ مَعْنَىٰ حِفْظِهَا وَإِحْصَائِهَا هُوَ مَعْرِفَتُهَا وَالْقِيَامُ بِعُبُودِيَّتِهَا، كَمَا أَنَّ الْقُرْآنَ لَا يَنْفَعُ حِفْظُ أَلْفَاظِهِ مَنْ لَا يَعْمَلُ بِهِ، بَلْ جَاءَ فِي الْمُرَّاقِ مِنَ الدِّينِ أَنَّهُمْ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ[(٣)].

---

(١) متفق عليه: البخاري (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧).

(٢) «فتح الباري» (١١/ ٢٢٥-٢٢٦).

(٣) «معارج القبول» (١/ ١٢٥-١٢٧).

٦- أَسْمَاءُ اللهِ تَعَالَىٰ أَعْلَامٌ وَأَوْصَافٌ:

قَالَ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: «أَعْلَامٌ بِاعْتِبَارِ دَلَالَتِهَا عَلَىٰ الذَّاتِ، وَأَوْصَافٌ بِاعْتِبَارِ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعَانِي، وَهِيَ بِالِاعْتِبَارِ الْأَوَّلِ مُتَرَادِفَةٌ لِدَلَالَتِهَا عَلَىٰ مُسَمًّىٰ وَاحِدٍ، وَهُوَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَبِالِاعْتِبَارِ الثَّانِي مُتَبَايِنَةٌ، لِدَلَالَةِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَىٰ مَعْنَاهُ الْخَاصِّ. فَـ(الْحَيُّ، الْعَلِيمُ، الْقَدِيرُ، السَّمِيعُ، الْبَصِيرُ، الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ، الْعَزِيزُ، الْحَكِيمُ) كُلُّهَا أَسْمَاءٌ لِمُسَمًّىٰ وَاحِدٍ وَهُوَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لَكِنْ مَعْنَىٰ الْحَيِّ غَيْرُ مَعْنَىٰ الْعَلِيمِ، وَمَعْنَىٰ الْعَلِيمِ غَيْرُ مَعْنَىٰ الْقَدِيرِ، وَهَكَذَا. وَإِنَّمَا قُلْنَا بِأَنَّهَا أَعْلَامٌ وَأَوْصَافٌ لِدَلَالَةِ الْقُرْآنِ عَلَيْهَا. كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: ١٠٧]. وَقَوْلِهِ: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨]، فَإِنَّ الْآيَةَ الثَّانِيَةَ دَلَّتْ عَلَىٰ أَنَّ الرَّحِيمَ هُوَ الْمُتَّصِفُ بِالرَّحْمَةِ. وَلِإِجْمَاعِ أَهْلِ اللُّغَةِ وَالْعُرْفِ أَنَّهُ لَا يُقَالُ: عَلِيمٌ إِلَّا لِمَنْ عَلِمَ، وَلَا سَمِيعٌ إِلَّا لِمَنْ سَمِعَ، وَلَا بَصِيرٌ إِلَّا لِمَنْ لَهُ بَصَرٌ. وَهَذَا أَمْرٌ أَبْيَنُ مِنْ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَىٰ دَلِيلٍ.

وَبِهَذَا عُلِمَ ضَلَالُ مَنْ سَلَبُوا أَسْمَاءَ اللهِ تَعَالَىٰ مَعَانِيَهَا مِنْ أَهْلِ التَّعْطِيلِ، وَقَالُوا: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ سَمِيعٌ بِلَا سَمْعٍ، وَبَصِيرٌ بِلَا بَصَرٍ، وَعَزِيزٌ بِلَا عِزَّةٍ، وَهَكَذَا. وَعَلَّلُوا ذَلِكَ بِأَنَّ ثُبُوتَ الصِّفَاتِ يَسْتَلْزِمُ تَعَدُّدَ الْقُدَمَاءِ. وَهَذِهِ الْعِلَّةُ عَلِيلَةٌ، بَلْ مَيِّتَةٌ لِدَلَالَةِ السَّمْعِ(١) وَالْعَقْلِ عَلَىٰ بُطْلَانِهَا.

أَمَّا السَّمْعُ: فَلِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَوْصَافٍ كَثِيرَةٍ مَعَ أَنَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ. فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٢-١٥]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾﴾ [الأعلى: ١-٤]. فَفِي هَذِهِ الْآيَاتِ

---

(١) السمع هو القرآن والسنة، وسيمر بك هذا التعبير كثيرًا فانتبه له.

الْكَرِيمَةِ أَوْصَافٌ كَثِيرَةٌ لِمَوْصُوفٍ وَاحِدٍ، وَلَمْ يَلْزَمْ مِنْ ثُبُوتِهَا تَعَدُّدُ الْقُدَمَاءِ.

وَأَمَّا الْعَقْلُ: فَلِأَنَّ الصِّفَاتِ لَيْسَتْ ذَوَاتٍ بَائِنَةً مِنَ الْمَوْصُوفِ حَتَّىٰ يَلْزَمَ مِنْ ثُبُوتِهَا التَّعَدُّدُ، وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ صِفَاتِ مَنِ اتَّصَفَ بِهَا فَهِيَ قَائِمَةٌ بِهِ، وَكُلُّ مَوْجُودٍ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ تَعَدُّدِ صِفَاتِهِ، فَفِيهِ صِفَةُ الْوُجُودِ، وَكَوْنُهُ وَاجِبَ الْوُجُودِ أَوْ مُمْكِنَ الْوُجُودِ، وَكَوْنُهُ عَيْنًا قَائِمًا بِنَفْسِهِ أَوْ وَصْفًا فِي غَيْرِهِ.

وَبِهَذَا أَيْضًا عُلِمَ أَنَّ (الدَّهْرَ) لَيْسَ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ، لِأَنَّهُ اسْمٌ جَامِدٌ لَا يَتَضَمَّنُ مَعْنًىٰ يُلْحِقُهُ بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ، وَلِأَنَّهُ اسْمٌ لِلْوَقْتِ وَالزَّمَنِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْ مُنْكِرِي الْبَعْثِ: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤] يُرِيدُونَ: مُرُورَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ.

فَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: «قَالَ اللهُ ﷻ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي الْأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»(١) فَلَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الدَّهْرَ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَذَلِكَ أَنَّ الَّذِينَ يَسُبُّونَ الدَّهْرَ إِنَّمَا يُرِيدُونَ الزَّمَانَ الَّذِي هُوَ مَحَلُّ الْحَوَادِثِ، لَا يُرِيدُونَ اللهَ تَعَالَىٰ، فَيَكُونُ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: «وَأَنَا الدَّهْرُ» مَا فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ: «بِيَدِي الْأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»، فَهُوَ سُبْحَانَهُ خَالِقُ الدَّهْرِ وَمَا فِيهِ، وَقَدْ بَيَّنَ أَنَّهُ يُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَهُمَا: الدَّهْرُ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمُقَلِّبُ (بِكَسْرِ اللَّامِ) هُوَ الْمُقَلَّبَ (بِفَتْحِهَا)، وَبِهَذَا تَبَيَّنَ أَنَّهُ يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ الدَّهْرُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مُرَادًا بِهِ اللهُ تَعَالَىٰ»(٢).

٧- دَلَالَةُ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ تَكُونُ بِالْمُطَابَقَةِ، وَبِالتَّضَمُّنِ، وَبِالِالْتِزَامِ:

مِثَالُ ذَلِكَ: «الْخَالِقُ» يَدُلُّ عَلَىٰ ذَاتِ اللهِ، وَعَلَىٰ صِفَةِ الْخَلْقِ بِالْمُطَابَقَةِ،

---

(١) متفق عليه: البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦).

(٢) «القواعد المثلىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنىٰ» (ص ٨-١٠).

وَيَدُلُّ عَلَىٰ الذَّاتِ وَحْدَهَا وَعَلَىٰ صِفَةِ الْخَلْقِ وَحْدَهَا بِالتَّضَمُّنِ، وَيَدُلُّ عَلَىٰ صِفَتَيِ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ بِالِالْتِزَامِ. وَلِهَذَا لَمَّا ذَكَرَ اللهُ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَالَ: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢]. وَدَلَالَةُ الِالْتِزَامِ مُفِيدَةٌ جِدًّا لِطَالِبِ الْعِلْمِ إِذَا تَدَبَّرَ الْمَعْنَىٰ، وَوَفَّقَهُ اللهُ تَعَالَىٰ فَهْمًا لِلتَّلَازُمِ، فَإِنَّهُ بِذَلِكَ يَحْصُلُ مِنَ الدَّلِيلِ الْوَاحِدِ عَلَىٰ مَسَائِلَ كَثِيرَةٍ.

وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّازِمَ مِنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ وَقَوْلِ رَسُولِهِ ﷺ إِذَا صَحَّ أَنْ يَكُونَ لَازِمًا فَهُوَ حَقٌّ، وَذَلِكَ لِأَنَّ كَلَامَ اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ حَقٌّ، وَلَازِمُ الْحَقِّ حَقٌّ، وَلِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ عَالِمٌ بِمَا يَكُونُ لَازِمًا مِنْ كَلَامِهِ وَكَلَامِ رَسُولِهِ ﷺ، فَيَكُونُ مُرَادًا.

٨- أَسْمَاءُ اللهِ تَعَالَىٰ تَوْقِيفِيَّةٌ لَا مَجَالَ لِلْعَقْلِ فِيهَا:

وَعَلَىٰ هَذَا فَيَجِبُ الْوُقُوفُ فِيهَا عَلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، فَلَا يُزَادُ فِيهَا وَلَا يُنْقَصُ، لِأَنَّ الْعَقْلَ لَا يُمْكِنُهُ إِدْرَاكُ مَا يَسْتَحِقُّهُ تَعَالَىٰ مِنَ الْأَسْمَاءِ، فَوَجَبَ الْوُقُوفُ فِي ذَلِكَ عَلَىٰ النَّصِّ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦]. وَقَوْلِهِ: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

وَلِأَنَّ تَسْمِيَتَهُ تَعَالَىٰ بِمَا لَمْ يُسَمِّ بِهِ نَفْسَهُ أَوْ إِنْكَارَ مَا سَمَّىٰ بِهِ نَفْسَهُ جِنَايَةٌ فِي حَقِّهِ تَعَالَىٰ، فَوَجَبَ سُلُوكُ الْأَدَبِ فِي ذَلِكَ، وَالِاقْتِصَارُ عَلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ النَّصُّ.

٩- الْإِلْحَادُ فِي أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ هُوَ الْمَيْلُ بِهَا عَمَّا يَجِبُ فِيهَا:

قَالَ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَهُوَ أَنْوَاعٌ: **الْأَوَّلُ**: أَنْ يُنْكِرَ شَيْئًا مِنْهَا أَوْ مِمَّا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الصِّفَاتِ وَالْأَحْكَامِ، كَمَا فَعَلَ أَهْلُ التَّعْطِيلِ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ. وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ إِلْحَادًا لِوُجُوبِ الْإِيمَانِ بِهَا وَبِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالصِّفَاتِ اللَّائِقَةِ

بِاللهِ، فَإِنْكَارُ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ مَيْلٌ بِهَا عَمَّا يَجِبُ فِيهَا.

الثَّانِي: أَنْ يَجْعَلَهَا دَالَّةً عَلَىٰ صِفَاتٍ تُشَابِهُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، كَمَا فَعَلَ أَهْلُ التَّشْبِيهِ؛ وَذَلِكَ لَأَنَّ التَّشْبِيهَ مَعْنًىٰ بَاطِلٌ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَدُلَّ عَلَيْهِ النُّصُوصُ، بَلْ هِيَ دَالَّةٌ عَلَىٰ بُطْلَانِهِ، فَجَعْلُهَا دَالَّةً عَلَيْهِ مَيْلٌ بِهَا عَمَّا يَجِبُ فِيهَا.

الثَّالِثُ: أَنْ يُسَمِّيَ اللهَ تَعَالَىٰ بِمَا لَمْ يُسَمِّ بِهِ نَفْسَهُ، كَتَسْمِيَةِ النَّصَارَىٰ لَهُ: (الْأَبِ)، وَتَسْمِيَةِ الْفَلَاسِفَةِ إِيَّاهُ (الْعِلَّةِ الْفَاعِلَةِ)؛ وَذَلِكَ لَأَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ تَعَالَىٰ تَوْقِيفِيَّةٌ، فَتَسْمِيَةُ اللهِ تَعَالَىٰ بِمَا لَمْ يُسَمِّ بِهِ نَفْسَهُ مَيْلٌ بِهَا عَمَّا يَجِبُ فِيهَا، كَمَا أَنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ الَّتِي سَمَّوْهُ بِهَا نَفْسَهَا بَاطِلَةٌ، يُنَزَّهُ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا.

الرَّابِعُ: أَنْ يَشْتَقَّ مِنْ أَسْمَائِهِ أَسْمَاءً لِلْأَصْنَامِ، كَمَا فَعَلَ الْمُشْرِكُونَ فِي اشْتِقَاقِ الْعُزَّىٰ مِنَ الْعَزِيزِ، وَاشْتِقَاقِ اللَّاتِ مِنَ الْإِلَهِ عَلَىٰ أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ، فَسَمَّوْا بِهَا أَصْنَامَهُمْ، وَذَلِكَ لَأَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ تَعَالَىٰ مُخْتَصَّةٌ بِهِ. **لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ**: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]. **وَقَوْلِهِ**: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: ٨]. **وَقَوْلِهِ**: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحشر: ٢٤]. فَكَمَا اخْتَصَّ بِالْعِبَادَةِ وَبِالْأُلُوهِيَّةِ الْحَقَّةِ، وَبِأَنَّهُ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَهُوَ مُخْتَصٌّ بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ، فَتَسْمِيَةُ غَيْرِهِ بِهَا عَلَىٰ الْوَجْهِ الَّذِي يَخْتَصُّ بِاللهِ ﷻ مَيْلٌ بِهَا عَمَّا يَجِبُ فِيهَا.

وَالْإِلْحَادُ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهِ مُحَرَّمٌ؛ لَأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ هَدَّدَ الْمُلْحِدِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وَمِنْهُ مَا يَكُونُ شِرْكًا أَوْ كُفْرًا حَسْبَمَا تَقْتَضِيهِ الْأَدِلَّةُ الشَّرْعِيَّةُ.

ثَانِيًا: الْأُصُولُ الَّتِي يَنْبَنِي عَلَيْهَا الإِيمَانُ بِصِفَاتِ اللهِ ﷻ[(١)]:

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ فِي تَعْرِيفِ تَوْحِيدِ الصِّفَاتِ:

«فَأَمَّا الْأَوَّلُ وَهُو التَّوْحِيدُ فِي الصِّفَاتِ، فَالْأَصْلُ فِي هَذَا الْبَابِ أَنْ يُوصَفَ اللهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَبِمَا وَصَفَتْهُ بِهِ رُسُلُهُ نَفْيًا وَإِثْبَاتًا، فَيُثْبَتَ للهِ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ وَيَنْفِي عَنْهُ مَا نَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَقَدْ عُلِمَ أَنَّ طَرِيقَةَ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا إِثْبَاتُ مَا أَثْبَتَهُ مِنَ الصِّفَاتِ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَكَذَلِكَ يَنْفُونَ عَنْهُ مَا نَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ - مَعَ مَا أَثْبَتَهُ مِنَ الصِّفَاتِ - مِنْ غَيْرِ إِلْحَادٍ، لَا فِي أَسْمَائِهِ وَلَا فِي آيَاتِهِ»[(٢)].

الْأَوَّلُ: تَنْزِيهُ اللهِ ﷻ عَنْ مُشَابَهَةِ صِفَاتِ الْحَوَادِثِ:

فَاللهُ ﷻ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ؛ لَا فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ[(٣)]؛ كَمَا أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ نَفْسِهِ، وَالْأَدِلَّةُ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ. وَهُوَ تَنْزِيهُ الرَّبِّ ﷻ عَنْ مُشَابَهَةِ الْمَخْلُوقِينَ.

١- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]. وَمُقْتَضَى الْآيَةِ نَفْيُ الْمُمَاثَلَةِ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ مَعَ إِثْبَاتِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ للهِ ﷻ، وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مَا يَثْبُتُ للهِ مِنَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ لَيْسَ كَمَا يَثْبُتُ لِلْمَخْلُوقِينَ مِنْ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ مَعَ كَثْرَةِ مَنْ يَتَّصِفُ بِهِمَا مِنَ الْمَخْلُوقِينَ. وَمَا يُقَالُ فِي السَّمْعِ وَالْبَصَرِ يُقَالُ فِي غَيْرِهِمَا مِنَ الصِّفَاتِ.

---

(١) انظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٣/ ٣)، و«الرسالة التدمرية» له (ص٧)، و«المجموع الثمين من فتاوى العثيمين» (٢/ ١٢)، و«الأسئلة والأجوبة في العقيدة» للشيخ صالح الأطرم (ص٢٢).

(٢) «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية (١/ ١١٧).

(٣) «الرسالة التدمرية» (ص ٦ - ٧).

٢- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾ [المجادلة: ١].

رَوَىٰ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ؛ لَقَدْ جَاءَتِ الْمُجَادِلَةُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ تُكَلِّمُهُ وَأَنَا فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ مَا أَسْمَعُ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١] إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ(١).

٣- قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]. قَالَ الطَّبَرِيُّ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ: «فَلَا تُمَثِّلُوا للهِ الْأَمْثَالَ وَلَا تُشَبِّهُوا لَهُ الْأَشْبَاهَ؛ فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ وَلَا شِبْهَ»(٢).

٤- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥]، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي تَفْسِيرِهَا: «هَلْ تَعْلَمُ لِلرَّبِّ مِثْلًا أَوْ شَبِيهًا».

٥- قَوْلُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤]. قَالَ الطَّبَرِيُّ: «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَبِيهٌ وَلَا عَدْلٌ وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ».

الثَّانِي: الْإِيمَانُ بِجَمِيعِ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ حَقِيقَةً لَا مَجَازًا:

عَلَىٰ الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ، فَكَمَا لَا يَجُوزُ تَمْثِيلُ صِفَاتِهِ عَزَّ وَجَلَّ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ، كَذَلِكَ لَا يَجُوزُ نَفْيُ الصِّفَاتِ الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ.

وَالْمُلَاحَظُ عَلَىٰ الْآيَةِ الْمَذْكُورَةِ آنِفًا أَنَّهَا ذَاتُ شِقَّيْنِ؛ أَحَدُهُمَا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ رَدٌّ عَلَىٰ أَهْلِ التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ، وَالْآخَرُ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ

---

(١) صحيح: رواه النسائي (٣٤٦٠)، وابن ماجه (١٨٨)، وصححه الألباني.

(٢) الطبري (٧/ ٦٢١).

ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١] رَدٌّ عَلَىٰ أَهْلِ النَّفْيِ وَالتَّعْطِيلِ. وَمِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَىٰ الْأَصْلِ الثَّانِي: وَهُوَ الْإِيمَانُ بِمَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ:

١- قَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٢- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: ٣].

٣- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْمُرُنَا إِذَا أَخَذْنَا مَضْجَعَنَا أَنْ نَقُولَ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ»(١).

(١) صحيح: مسلم برقم (٢٧١٣).

الثَّالِثُ: قَطْعُ الطَّمَعِ عَنْ إِدْرَاكِ كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ ﷻ:

إِذِ الْعِبَادُ لَا يَعْلَمُونَ كَيْفِيَّةَ مَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ؛ لِأَنَّ عُقُولَهُمْ لَا تُطِيقُ «كُنْهَ مَعْرِفَتِهِ ﷻ، وَلَا تَقْدِرُ أَلْسِنَتُهُمْ عَلَىٰ بُلُوغِ صِفَتِهِ»(١).

الْأَدِلَّةُ عَلَىٰ الْأَصْلِ الثَّالِثِ:

١- قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠]. قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي مَعْنَىٰ الْآيَةِ: لَا إِحَاطَةَ لِلْعِلْمِ الْبَشَرِيِّ بِرَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَيَنْفِي جِنْسَ أَنْوَاعِ الْإِحَاطَةِ عَنْ كَيْفِيَّتِهَا.

٢- قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ فِي مَعْرَضِ حَدِيثِهِ عَنِ الْآيَةِ: وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ كَمَالِ عَظَمَتِهِ وَأَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّهُ لِكَمَالِ عَظَمَتِهِ لَا يُدْرَكُ بِحَيْثُ يُحَاطُ بِهِ؛ فَإِنَّ الْإِدْرَاكَ وَهُوَ الْإِحَاطَةُ بِالشَّيْءِ قَدْرٌ زَائِدٌ عَلَىٰ الرُّؤْيَةِ، فَالرَّبُّ يُرَىٰ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُدْرَكُ كَمَا يُعْلَمُ وَلَا يُحَاطُ بِعِلْمِهِ.

لِذَا نَجِدُ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ كَثِيرًا مَا تَحَدَّىٰ الْبَشَرَ بِأَنْ يَأْتُوا بِشَيْءٍ مِنْ أَفْعَالِهِ فَقَدْ تَحَدَّاهُمْ بِأَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابَةً أَوْ يُنَزِّلُوا وَلَوْ أَقْصَرَ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَلَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَقْدِرَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَحَدٌ فِي اللَّاحِقِ وَقَدْ عَجَزَ عَنْهُ السَّابِقُونَ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج: ٧٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن

---

(١) «مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية» (١٢/ ٥٧٥).

مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة: ٢٣].

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ: الْإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ، بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]. فَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلَا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وَآيَاتِهِ، وَلَا يُكَيِّفُونَ، وَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا سَمِيَّ لَهُ، وَلَا كُفُوَ لَهُ، وَلَا نِدَّ لَهُ، وَلَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلًا، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ».

الرَّابِعُ: صِفَاتُ اللهِ كُلُّهَا صِفَاتُ كَمَالٍ لَا نَقْصَ فِيهَا:

قَالَ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «صِفَاتُ اللهِ تَعَالَىٰ كُلُّهَا صِفَاتُ كَمَالٍ لَا نَقْصَ فِيهَا بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ كَالْحَيَاةِ، وَالْعِلْمِ، وَالْقُدْرَةِ، وَالسَّمْعِ، وَالْبَصَرِ، وَالرَّحْمَةِ، وَالْعِزَّةِ، وَالْحِكْمَةِ، وَالْعُلُوِّ، وَالْعَظَمَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَقَدْ دَلَّ عَلَىٰ هَذَا: السَّمْعُ وَالْعَقْلُ وَالْفِطْرَةُ.

أَمَّا السَّمْعُ: فَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [النحل: ٦٠] وَالْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ: هُوَ الْوَصْفُ الْأَعْلَىٰ.

وَأَمَّا الْعَقْلُ: فَوَجْهُهُ أَنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ حَقِيقَةً فَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ لَهُ صِفَةٌ إِمَّا صِفَةُ كَمَالٍ وَإِمَّا صِفَةُ نَقْصٍ، وَالثَّانِي بَاطِلٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ الرَّبِّ الْكَامِلِ الْمُسْتَحِقِّ لِلْعِبَادَةِ، وَلِهَذَا أَظْهَرَ اللهُ تَعَالَىٰ بُطْلَانَ أُلُوهِيَّةِ الْأَصْنَامِ بِاتِّصَافِهَا بِالنَّقْصِ وَالْعَجْزِ.

فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ

ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأحقاف: ٥]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ [النحل: ٢٠، ٢١]. وَقَالَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَهُوَ يَحْتَجُّ عَلَىٰ أَبِيهِ: ﴿يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم: ٤٢]. وَعَلَىٰ قَوْمِهِ: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنبياء: ٦٦، ٦٧].

ثُمَّ إِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ بِالْحِسِّ وَالْمُشَاهَدَةِ: أَنَّ لِلْمَخْلُوقِ صِفَاتِ كَمَالٍ، وَهِيَ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ، فَمُعْطِي الْكَمَالَ أَوْلَىٰ بِهِ.

وَأَمَّا الْفِطْرَةُ: فَلِأَنَّ النُّفُوسَ السَّلِيمَةَ مَجْبُولَةٌ مَفْطُورَةٌ عَلَىٰ مَحَبَّةِ اللهِ وَتَعْظِيمِهِ، وَهَلْ تُحِبُّ وَتُعَظِّمُ وَتَعْبُدُ إِلَّا مَنْ عَلِمَتْ أَنَّهُ مُتَّصِفٌ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ اللَّائِقَةِ بِرُبُوبِيَّتِهِ وَأُلُوهِيَّتِهِ؟ وَإِذَا كَانَتِ الصِّفَةُ نَقْصًا لَا كَمَالَ فِيهَا فَهِيَ مُمْتَنِعَةٌ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَىٰ، كَالْمَوْتِ، وَالْجَهْلِ، وَالنِّسْيَانِ، وَالْعَجْزِ، وَالْعَمَىٰ، وَالصَّمَمِ، وَنَحْوِهَا. لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]. وَقَوْلِهِ عَنْ مُوسَىٰ: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه: ٥٢]. وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ [فاطر: ٤٤]. وَقَوْلِهِ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٨٠].

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فِي حَدِيثِ الدَّجَّالِ، وَفِيهِ: ... ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِي النَّاسِ فَأَثْنَىٰ عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ وَفِيهِ:... أَنَّهُ أَعْوَرُ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ(١).
عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَىٰ وَادٍ

(١)متفق عليه: البخاري (٣٠٥٧)، ومسلم (١٦٩).

هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا إِنَّهُ مَعَكُمْ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ**»(١).

وَقَدْ عَاقَبَ اللهُ تَعَالَىٰ الْوَاصِفِينَ لَهُ بِالنَّقْصِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ﴾ [المائدة: ٦٤]. وَقَوْلِهِ: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾ [آل عمران: ١٨١]. وَنَزَّهَ نَفْسَهُ عَمَّا يَصِفُونَ بِهِ مِنَ النَّقَائِصِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الصافات: ١٨٠]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون: ٩١].

وَإِذَا كَانَتِ الصِّفَةُ كَمَالًا فِي حَالٍ، وَنَقْصًا فِي حَالٍ لَمْ تَكُنْ جَائِزَةً فِي حَقِّ اللهِ، وَلَا مُمْتَنِعَةً عَلَىٰ سَبِيلِ الْإِطْلَاقِ، فَلَا تُثْبَتُ لَهُ إِثْبَاتًا مُطْلَقًا، وَلَا تُنْفَىٰ عَنْهُ نَفْيًا مُطْلَقًا، بَلْ لَا بُدَّ مِنَ التَّفْصِيلِ، فَتَجُوزُ فِي الْحَالِ الَّتِي تَكُونُ كَمَالًا، وَتَمْتَنِعُ فِي الْحَالِ الَّتِي تَكُونُ نَقْصًا، وَذَلِكَ كَالْمَكْرِ، وَالْكَيْدِ، وَالْخِدَاعِ، وَنَحْوِهَا، فَهَذِهِ الصِّفَاتُ تَكُونُ كَمَالًا إِذَا كَانَتْ فِي مُقَابَلَةِ مَنْ يُعَامِلُونَ الْفَاعِلَ بِمِثْلِهَا؛ لِأَنَّهَا حِينَئِذٍ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ فَاعِلَهَا قَادِرٌ عَلَىٰ مُقَابَلَةِ عَدُوِّهِ بِمِثْلِ فِعْلِهِ، أَوْ أَشَدَّ، وَتَكُونُ نَقْصًا فِي غَيْرِ هَذِهِ الْحَالِ، وَلِهَذَا لَمْ يَذْكُرْهَا اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ صِفَاتِهِ عَلَىٰ سَبِيلِ الْإِطْلَاقِ، وَإِنَّمَا ذَكَرَهَا فِي مُقَابَلَةِ مَنْ يُعَامِلُونَهُ وَرُسُلَهُ بِمِثْلِهَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عمران: ٥٤]. وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ [الطارق: ١٥، ١٦]. وَقَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟

---

(١) متفق عليه: البخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (٢٧٠٤).

بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾ [الأعراف: ١٨٢، ١٨٣]. وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]. وَقَوْلِهِ: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤، ١٥].

وَلِهَذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهُ أَنَّهُ خَانَ مَنْ خَانُوهُ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [الأنفال: ٧١] فَقَالَ: فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ، وَلَمْ يَقُلْ: فَخَانَهُمْ؛ لِأَنَّ الْخِيَانَةَ خِدْعَةٌ فِي مَقَامِ الِائْتِمَانِ، وَهِيَ صِفَةُ ذَمٍّ مُطْلَقًا. وَبِذَا عُرِفَ أَنَّ قَوْلَ بَعْضِ الْعَوَامِّ: خَانَ اللهُ مَنْ يَخُونُ. مُنْكَرٌ فَاحِشٌ يَجِبُ النَّهْيُ عَنْهُ.

الْخَامِسُ: بَابُ الصِّفَاتِ أَوْسَعُ مِنْ بَابِ الْأَسْمَاءِ:

قَالَ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: **وَذَلِكَ**: لِأَنَّ كُلَّ اسْمٍ مُتَضَمِّنٍ لِصِفَةٍ؛ وَلِأَنَّ مِنَ الصِّفَاتِ مَا يَتَعَلَّقُ بِأَفْعَالِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَأَفْعَالُهُ لَا مُنْتَهَىٰ لَهَا، كَمَا أَنَّ أَقْوَالَهُ لَا مُنْتَهَىٰ لَهَا، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان: ٢٧].

وَمِنْ أَمْثِلَةِ ذَلِكَ: أَنَّ مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ: الْمَجِيءُ، وَالْإِتْيَانُ، وَالْأَخْذُ، وَالْإِمْسَاكُ، وَالْبَطْشُ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي لَا تُحْصَىٰ. **كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]. **وَقَالَ**: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]. **وَقَالَ**: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ﴾ [آل عمران: ١١]. **وَقَالَ**: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج: ٦٥]. **وَقَالَ**: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [البروج: ١٢]. **وَقَالَ**: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ»(١).

فَنَصِفُ اللهَ تَعَالَىٰ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ عَلَىٰ الْوَجْهِ الْوَارِدِ، وَلَا نُسَمِّيهِ بِهَا، فَلَا نَقُولُ: إِنَّ مِنْ أَسْمَائِهِ الْجَائِيَ، وَالْآتِيَ، وَالْآخِذَ، وَالْمُمْسِكَ، وَالْبَاطِشَ، وَالْمُرِيدَ، وَالنَّازِلَ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، وَإِنْ كُنَّا نُخْبِرُ بِذَلِكَ عَنْهُ وَنَصِفُهُ بِهِ(٢).

السَّادِسُ: الصِّفَاتُ تَنْقَسِمُ إِلَىٰ قِسْمَيْنِ: ذَاتِيَّةٍ، وَفِعْلِيَّةٍ:

فَالذَّاتِيَّةُ: هِيَ الَّتِي لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ مُتَّصِفًا بِهَا، فَهِيَ لَا تَنْفَكُّ عَنْ ذَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْعِزَّةِ وَالْحِكْمَةِ وَالْعُلُوِّ وَالْعَظَمَةِ. وَمِنْهَا الصِّفَاتُ الْخَبَرِيَّةُ: كَالْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ وَالْعَيْنَيْنِ.

وَالْفِعْلِيَّةُ: هِيَ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِمَشِيئَتِهِ، إِنْ شَاءَ فَعَلَهَا وَإِنْ شَاءَ لَمْ يَفْعَلْهَا، كَالِاسْتِوَاءِ عَلَىٰ الْعَرْشِ، وَالنُّزُولِ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا.

وَقَدْ تَكُونُ الصِّفَةُ ذَاتِيَّةً فِعْلِيَّةً بِاعْتِبَارَيْنِ كَالْكَلَامِ، فَإِنَّهُ بِاعْتِبَارِ أَصْلِهِ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ مُتَكَلِّمًا، وَبِاعْتِبَارِ آحَادِ الْكَلَامِ صِفَةٌ فِعْلِيَّةٌ، لِأَنَّ الْكَلَامَ يَتَعَلَّقُ بِمَشِيئَتِهِ، يَتَكَلَّمُ مَتَىٰ شَاءَ بِمَا شَاءَ. كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢].

وَكُلُّ صِفَةٍ تَعَلَّقَتْ بِمَشِيئَتِهِ تَعَالَىٰ فَإِنَّهَا تَابِعَةٌ لِحِكْمَتِهِ. وَقَدْ تَكُونُ الْحِكْمَةُ مَعْلُومَةً لَنَا، وَقَدْ نَعْجَزُ عَنْ إِدْرَاكِهَا، وَلَكِنَّنَا نَعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَشَاءُ شَيْئًا إِلَّا وَهُوَ مُوَافِقٌ لِلْحِكْمَةِ. كَمَا يُشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإنسان: ٣٠].

---

(١) متفق عليه: البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

(٢) «القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى» (٢١).

الضَّابِطُ الرَّابِعُ: الْإِيمَانُ بِصِفَاتِ اللهِ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ، وَلَا تَأْوِيلٍ، وَلَا تَمْثِيلٍ، وَلَا تَكْيِيفٍ.

* قَوْلُهُ: «الْإِيمَانُ بِصِفَاتِ اللهِ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ...».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ هَذَا الْبَابَ - بَابَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ - قَدْ ضَلَّ فِيهِ كَثِيرٌ مِنْ فِرَقِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَخَالَفُوا مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي هَذَا الْبَابِ وَهُوَ مَا ذَكَرَهُ شَيْخُنَا - حَفِظَهُ اللهُ -: الْإِيمَانُ بِصِفَاتِ اللهِ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ، وَلَا تَأْوِيلٍ، وَلَا تَمْثِيلٍ[1]، وَلَا تَكْيِيفٍ. أَيْ: أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِهَا كَمَا جَاءَتْ عَنِ اللهِ ﷻ وَفْقَ مُرَادِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وَوَفْقَ مُرَادِ رَسُولِهِ ﷺ. فَإِنَّهُمْ يُمِرُّونَهَا كَمَا جَاءَتْ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ، وَلَا تَأْوِيلٍ، وَلَا تَشْبِيهٍ، وَيُفَوِّضُونَ فِي الْكَيْفِ، وَيَفْهَمُونَ الْمَعْنَىٰ، فَكَمَا قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ لَمَّا سُئِلَ عَنْ الِاسْتِوَاءِ، فَقَالَ: الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ. فَفَهِمَ الْمَعْنَىٰ وَفَوَّضَ فِي الْكَيْفِ.

* قَوْلُهُ: (مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ).

أَوَّلًا: مَعْنَىٰ التَّحْرِيفِ[2]: **التَّحْرِيفُ لُغَةً**: التَّغْيِيرُ وَالتَّبْدِيلُ وَالْإِمَالَةُ. فَهُوَ فِي الْأَصْلِ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: حَرَّفْتُ الشَّيْءَ عَنْ وَجْهِهِ إِذَا أَمَلْتَهُ وَغَيَّرْتَهُ.

وَالتَّحْرِيفُ شَرْعًا: الْمَيْلُ بِالنُّصُوصِ عَمَّا هِيَ عَلَيْهِ، إِمَّا بِالطَّعْنِ فِيهَا، أَوْ بِإِخْرَاجِهَا عَنْ حَقَائِقِهَا مَعَ الْإِقْرَارِ بِلَفْظِهَا. أَوْ نَقُولُ بِعِبَارَةٍ مُخْتَصَرَةٍ: هُوَ الْعُدُولُ بِالْكَلَامِ عَنْ وَجْهِهِ وَصَوَابِهِ إِلَىٰ غَيْرِهِ[3]. وَالتَّحْرِيفُ فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ:

---

(١) تمثيل: كان في الأصل «تشبيه»، فقال شيخنا - حفظه الله -: عَدِّلْها إلى تمثيل. بعدما قرأت عليه كلام الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ في «شرح الواسطية»، وسوف يأتي قريبًا إن شاء الله.

(٢) «معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات» (ص ٥٩).

(٣) «الصواعق المرسلة» (١/ ٢١٥).

هُوَ تَغْيِيرُ أَلْفَاظِ نُصُوصِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ أَوْ مَعَانِيهَا عَنْ مُرَادِ اللهِ بِهَا.

ثَانِيًا: أَنْوَاعُ التَّحْرِيفِ: التَّحْرِيفُ نَوْعَانِ:

النَّوْعُ الْأَوَّلُ: تَحْرِيفُ اللَّفْظِ:

وَتَعْرِيفُهُ: هُوَ الْعُدُولُ بِاللَّفْظِ عَنْ جِهَتِهِ إِلَىٰ غَيْرِهَا، وَلَهُ أَرْبَعُ صُوَرٍ:

١- الزِّيَادَةُ فِي اللَّفْظِ. ٢- النُّقْصَانُ فِي اللَّفْظِ.

٣- تَغْيِيرُ حَرَكَةٍ إِعْرَابِيَّةٍ. ٤- تَغْيِيرُ حَرَكَةٍ غَيْرِ إِعْرَابِيَّةٍ.

وَمِنْ أَمْثِلَةِ تَحْرِيفِ اللَّفْظِ: **الْمِثَالُ الْأَوَّلُ**: تَحْرِيفُ إِعْرَابِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤] مِنَ الرَّفْعِ إِلَىٰ النَّصْبِ، وَقَالَ: (وَكَلَّمَ اللهَ)؛ أَيْ: مُوسَىٰ كَلَّمَ اللهَ، وَلَمْ يُكَلِّمْهُ اللهُ، وَلَمَّا حَرَّفَهَا بَعْضُ الْجَهْمِيَّةِ هَذَا التَّحْرِيفِ قَالَ لَهُ بَعْضُ أَهْلِ التَّوْحِيدِ: فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فَبُهِتَ الْمُحَرِّفُ.

مِثَالٌ آخَرُ: إِنَّ بَعْضَ الْمُعَطِّلَةِ سَأَلَ بَعْضَ أَئِمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ: هَلْ يُمْكِنُ أَنْ يُقْرَأَ «الْعَرْشُ» بِالرَّفْعِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥] وَقَصَدَ بِهَذَا التَّحْرِيفِ أَنْ يَكُونَ الِاسْتِوَاءُ صِفَةً لِلْمَخْلُوقِ لَا لِلْخَالِقِ(١).

النَّوْعُ الثَّانِي: تَحْرِيفُ الْمَعْنَىٰ: وَتَعْرِيفُهُ: هُوَ صَرْفُ اللَّفْظِ عَنْ مَعْنَاهُ الصَّحِيحِ إِلَىٰ غَيْرِهِ مَعَ بَقَاءِ صُورَةِ اللَّفْظِ(٢). أَوْ نَقُولُ: تَعْرِيفُهُ: هُوَ الْعُدُولُ بِالْمَعْنَىٰ عَنْ وَجْهِهِ وَحَقِيقَتِهِ، وَإِعْطَاءُ اللَّفْظِ مَعْنَىٰ لَفْظٍ آخَرَ بِقَدْرِ مَا مُشْتَرَكٌ بَيْنَهُمَا.

وَهَذَا النَّوْعُ هُوَ الَّذِي جَالَ فِيهِ أَهْلُ الْكَلَامِ مِنَ الْمُعَطِّلَةِ وَصَالُوا وَتَوَسَّعُوا،

---

(١) «الصواعق المرسلة» (١/ ٢١٨).

(٢) «الصواعق المنزلة» (١/ ٢٠١).

وَسَمُّوهُ تَأْوِيلًا، وَهُوَ اصْطِلَاحٌ فَاسِدٌ حَادِثٌ لَمْ يُعْهَدْ بِهِ اسْتِعْمَالٌ فِي اللُّغَةِ.

وَمِنْ أَمْثِلَةِ تَحْرِيفِ الْمَعْنَىٰ: **كَقَوْلِ الْمُعَطِّلَةِ فِي مَعْنَىٰ اسْتَوَىٰ**: اسْتَوْلَىٰ فِي قَوْلِهِ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]. **وَفِي مَعْنَىٰ الْيَدِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ**: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] النِّعْمَةُ وَالْقُدْرَةُ. **وَفِي مَعْنَىٰ الْمَجِيءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ**: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] وَجَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ.

وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ التَّحْرِيفَ وَذَمَّهُ حَيْثُ ذَكَرَهُ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ فِي الْأَصْلِ عَنِ الْيَهُودِ، فَهُمُ الرَّاسِخُونَ فِيهِ، وَهُمْ شُيُوخُ الْمُحَرِّفِينَ وَسَلَفُهُمْ، فَإِنَّهُمْ حَرَّفُوا كَثِيرًا مِنْ أَلْفَاظِ التَّوْرَاةِ وَمَا غُلِبُوا عَنْ تَحْرِيفِ لَفْظِهِ حَرَّفُوا مَعْنَاهُ، وَلِهَذَا وُصِفُوا بِالتَّحْرِيفِ فِي الْقُرْآنِ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ.

وَقَدْ دَرَجَ عَلَىٰ آثَارِهِمُ الرَّافِضَةُ، فَهُمْ أَشْبَهُ بِهِمْ مِنَ الْقَذَّةِ بِالْقَذَّةِ، وَكَذَلِكَ الْجَهْمِيَّةُ، فَإِنَّهُمْ سَلَكُوا فِي تَحْرِيفِ النُّصُوصِ مَسَالِكَ إِخْوَانِهِمْ مِنَ الْيَهُودِ(١).

ب- مَعْنَىٰ التَّعْطِيلِ:

التَّعْطِيلُ لُغَةً: مَأْخُوذٌ مِنَ «الْعَطَلِ»: الَّذِي هُوَ الْخُلُوُّ وَالْفَرَاغُ وَالتَّرْكُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ [الحج: ٤٥]؛ أَيْ: أَهْمَلَهَا أَهْلُهَا وَتَرَكُوا وِرْدَهَا(٢).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: وَالتَّعْطِيلُ فِي جَانِبِ اللهِ يَنْقَسِمُ إِلَىٰ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: تَعْطِيلُ الْمَصْنُوعِ عَنْ صَانِعِهِ وَخَالِقِهِ، وَهُوَ الْمُتَمَثِّلُ فِيمَنْ يُنْكِرُ وُجُودَ خَالِقٍ لِهَذَا الْكَوْنِ، وَهُوَ قَوْلُ الدَّهْرِيَّةِ الْمَلَاحِدَةِ.

الْقِسْمُ الثَّانِي: تَعْطِيلُ عِبَادَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ أَيْ: مَا يَجِبُ لَهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ عِبَادِهِ مِنْ حَقِيقَةِ

---

(١) «الصواعق المرسلة» (١/ ٢١٥-٢١٦).

(٢) «شرح الواسطية» (ص ٢٠).

التَّوْحِيدِ وَإِفْرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ، وَهُوَ الْمُتَمَثِّلُ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ الَّذِينَ صَرَفُوا شَيْئًا مِنَ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللهِ ﷻ.

الْقِسْمُ الثَّالِثُ: تَعْطِيلُ اللهِ سُبْحَانَهُ عَنْ كَمَالِهِ الْمُقَدَّسِ بِتَعْطِيلِ أَسْمَائِهِ وَأَوْصَافِهِ وَأَفْعَالِهِ(١). وَهَذَا الْقِسْمُ الثَّالِثُ هُوَ الَّذِي نَقْصِدُهُ هُنَا. **فَالْمُرَادُ بِالتَّعْطِيلِ فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ هُوَ:** نَفْيُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ أَوْ بَعْضِهَا وَسَلْبُهَا عَنِ اللهِ.

وَالنَّوْعُ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي مِنْ أَنْوَاعِ التَّعْطِيلِ هِيَ مِنَ الشِّرْكِ فِي الرُّبُوبِيَّةِ، وَمِنْ هَذَا: شِرْكُ طَائِفَةِ أَهْلِ وِحْدَةِ الْوُجُودِ، وَمِنْهُ: شِرْكُ الْمَلَاحِدَةِ الْقَائِلِينَ بِقِدَمِ الْعَالَمِ، وَمِنْ هَذَا: شِرْكُ مَنْ عَطَّلَ أَسْمَاءَ الرَّبِّ - تَعَالَىٰ - وَأَوْصَافَهُ، وَأَفْعَالَهُ، مِنْ غُلَاةِ الْجَهْمِيَّةِ وَالْقَرَامِطَةِ.

* قَوْلُهُ: «وَلَا تَأْوِيلٍ».

تَعْرِيفُ الْمُؤَوَّلِ: **الْمُؤَوَّلُ لُغَةً:** مِنَ الْأَوْلِ وَهُوَ الرُّجُوعُ، يُقَالُ: آلَ الْأَمْرُ إِلَيْهِ، إِذَا رَجَعَ إِلَيْهِ. **وَاصْطِلَاحًا:** مَا حُمِلَ لَفْظُهُ عَلَى الْمَعْنَىٰ الْمَرْجُوحِ.

وَالتَّأْوِيلُ: فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَىٰ مَعْنَيَيْنِ:

الْأَوَّلُ: التَّفْسِيرُ: وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦]. **يَعْنِي:** بِتَفْسِيرِهِ؛ لِأَنَّهُمْ رَأَوْا رُؤْيَا، وَأَرَادُوا مِنْ يُوسُفَ أَنْ يُعَبِّرَهَا لَهُمْ وَيُبَيِّنَهَا لَهُمْ؛ أَيْ: يُفَسِّرُهَا. وَمِنَ السُّنَّةِ حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَضَعَ يَدَهُ عَلَىٰ كَتِفِي - أَوْ عَلَىٰ مَنْكِبِي، شَكَّ سَعِيدٌ - ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**»(٢)؛ أَيْ: عَلِّمْهُ التَّفْسِيرَ.

---

(١) «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» (ص١٥٣).

(٢) صحيح: أحمد (٢٨٧٤)، وأصله في الصحيحين.

الثَّانِي: الْمَآلُ: بِمَعْنَىٰ الإِخْبَارِ أَوْ الامْتِثَالِ. فَأَمَّا الإِخْبَارُ: مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣]؛ أَيْ: هَلْ يَنْتَظِرُ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ إِلَّا وُقُوعَ مَا أُخْبِرُوا بِهِ.

وَأَمَّا الامْتِثَالُ: مِثْلَ قَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا صَلَّىٰ النَّبِيُّ ﷺ صَلَاةً بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] إِلَّا يَقُولُ فِيهَا: «سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»(١). وَمَعْنَىٰ يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ؛ أَيْ: يُفَسِّرُهُ وَيَمْتَثِلُهُ.

وَالظَّاهِرُ لا يُؤَوَّلُ إِلَّا بِشُرُوطٍ ثَلَاثَةٍ: وَجُمْلَةُ ذَلِكَ:

أَنَّ الْأَصْلَ حَمْلُ النَّصِّ عَلَىٰ الظَّاهِرِ، فَإِذَا أَرَدْنَا حَمْلَهُ عَلَىٰ الْمَعْنَىٰ الْمَرْجُوحِ فَلَا بُدَّ مِنْ شُرُوطٍ حَتَّىٰ يَكُونَ تَأْوِيلًا صَحِيحًا، وَلَيْسَ تَأْوِيلًا فَاسِدًا.

١- عِنْدَ تَعَذُّرِ حَمْلِ اللَّفْظِ عَلَىٰ الظَّاهِرِ:

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّهُ قَدْ يَتَعَذَّرُ حَمْلُ اللَّفْظِ عَلَىٰ الظَّاهِرِ فَنَحْمِلُهُ عَلَىٰ الْمَعْنَىٰ الثَّانِي.

مِثَالُ ذَلِكَ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [يوسف: ٨٢]. فَيُحْمَلُ النَّصُّ عَلَىٰ الْمَعْنَىٰ الْمَرْجُوحِ، وَهُوَ: وَاسْأَلْ أَهْلَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كُنَّا فِيهَا؛ لِأَنَّهُ لَوْ سَأَلَ الْقَرْيَةَ عَلَىٰ الظَّاهِرِ لَسَأَلَ الْمَسَاكِنَ وَالدُّورَ. وَمِثَالُ ذَلِكَ أَيْضًا: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ [النساء: ٤٣]، فَالْغَائِطُ فِي اللُّغَةِ هُوَ الْمَكَانُ الْمُنْخَفِضُ، فَلَيْسَ الْمَقْصُودُ أَنَّ مُجَرَّدَ الذَّهَابِ إِلَىٰ الْغَائِطِ وَالْعَوْدَةِ مِنْهُ يُوجِبُ الْوُضُوءَ، وَإِنَّمَا حُمِلَ عَلَىٰ الْمَعْنَىٰ الْمَرْجُوحِ؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِي حَاجَتَهُ بَحَثَ عَنْ مَكَانٍ

---

(١) متفق عليه: البخاري (٤٩٦٧)، ومسلم (٤٨٤).

مُنْخَفِضٍ فَحُمِلَ اللَّفْظُ عَلَيْهِ وَهُوَ قَضَاءُ الْحَاجَةِ.

٢- بِدَلِيلٍ يُرَجِّحُ المَعْنَىٰ الآخَرَ: حَتَّىٰ لَا يُؤَوَّل النَّصُّ تَأْوِيلًا فَاسِدًا أَوْ بِالْهَوَىٰ وَلَيْسَ عَلَيْهَا دَلِيلٌ مِنْ قُرْآنٍ أَوْ سُنَّةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، كَتَأْوِيلَاتِ الشِّيعَةِ الرَّافِضَةِ؛ لِقَوْلِهِ تَعالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧] قَالُوا: الْمُرَادُ بِهَا عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَهَذَا تَأْوِيلٌ فَاسِدٌ لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ. وَمِثَالُ ذَلِكَ أَيْضًا: قَوْلُهُ تَعالَىٰ: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الإسراء: ٦٠] قَالُوا: الْمَقْصُودُ بِهَا بَنُو أُمَيَّةَ.

٣- أَنْ يَكُونَ المَعْنَىٰ الآخَرُ مِمَّا تَحْتَمِلُهُ اللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ:

فَإِذَا كَانَ اللَّفْظُ لَا تَحْتَمِلُهُ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ؛ لَا يَصِحُّ التَّأْوِيلُ، بَلْ يَكُونُ مَرْدُودًا. **مِثَالُ ذَلِكَ:** قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. حَمَلَهُ الْمُعَطِّلَةُ كَالْمُعْتَزِلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَالْأَشَاعِرَةِ وَالْمَاتُرِيدِيَّةِ وَكُلِّ مَنْ عَطَّلَ الصِّفَاتِ عَلَىٰ الْعِلْمِ، فَهَذَا تَأْوِيلٌ فَاسِدٌ إِذْ لَيْسَ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ أَنَّ مِنْ مَعَانِي الْكُرْسِيِّ الْعِلْمَ. **وَمِثَالُ ذَلِكَ:** أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

قَالُوا: الْمَقْصُودُ مِنْهَا اسْتَوْلَىٰ وَمَلَكَ وَقَهَرَ. وَهَذَا تَأْوِيلٌ فَاسِدٌ؛ إِذْ لَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ أَنَّ اسْتَوَىٰ بِمَعْنَىٰ اسْتَوْلَىٰ، وَإِنَّمَا هِيَ بِمَعْنَىٰ عَلَا وَارْتَفَعَ.

فَإِذَا لَمْ تَتَوَافَرِ الشُّرُوطُ السَّابِقَةُ وَحَدَثَ تَأْوِيلٌ فَهُوَ فَاسِدٌ لَا يُعْتَدُّ بِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ التَّأْوِيلَاتُ الْفَاسِدَةُ فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَمُخَالَفَتُهُمْ لِظَاهِرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَصَحِيحِ السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ، وَلِكَثْرَةِ الْفِرَقِ الضَّالَّةِ فِي هَذَا الْبَابِ نُبَيِّنُ عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ؛ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ، الطَّائِفَةِ الْمَنْصُورَةِ. وَقَدْ أَجْمَلَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ هَذَا الْمَنْهَجَ فِي الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ فَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيمَا وَصَفَ وَسَمَّىٰ بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، فَلَا عُدُولَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ عَمَّا جَاءَ بِهِ الْمُرْسَلُونَ، فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ

النَّبِيِّنَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١-٤].

وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، حَيْثُ يَقُولُ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وَلِهَذَا مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُهُ شَيْطَانٌ حَتَّىٰ يُصْبِحَ. وَقَوْلُهُ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: ٣]. وَقَوْلُهُ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٨]. وَقَوْلُهُ: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ ﴾ [سبأ: ٢]. وَقَوْلُهُ: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦۚ ﴾ [فاطر: ١١]. وَقَوْلُهُ: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢]. وَقَوْلُهُ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٨]. وَقَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]. وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء: ٥٨]. وَقَوْلُهُ: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾ [الكهف: ٣٩]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وَقَوْلُهُ: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾ [المائدة: ١]. وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة: ١٩٥]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات: ٩]. وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾ [التوبة: ٧]. وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢]. وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]. وَقَوْلُهُ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]. وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ [الصف: ٤]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾ [البروج: ١٤]. وَقَوْلُهُ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾﴾ [الفاتحة: ١]. وَقَوْلُهُ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤٣]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. وَقَوْلُهُ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ﴾ [الأنعام: ٥٤]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: ١٠٧]. وَقَوْلُهُ: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [يوسف: ٦٤]. وَقَوْلُهُ: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ﴾ [المائدة: ١١٩]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء: ٩٣]. وَقَوْلُهُ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ [محمد: ٢٨]. وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦]. وَقَوْلُهُ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: ٣].

وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠]. وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]. وَقَوْلُهُ: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢١-٢٢]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٧]. وَقَوْلُهُ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]. وَقَوْلُهُ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٣-١٤]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه: ٣٩]. وَقَوْلُهُ: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]. وَقَوْلُهُ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾ [المجادلة: ١]. وَقَوْلُهُ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٨٠].

إِلَىٰ أَنْ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:... وَهَذَا الْبَابُ فِي كِتَابِ اللهِ كَثِيرٌ، مِنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبًا الْهُدَىٰ مِنْهُ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ»(١). فَنُثْبِتُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ وَمَا أَثْبَتَهُ لَهُ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ بَلْ نُمِرُّهَا كَمَا جَاءَتْ عَلَىٰ الْوَجْهِ الَّذِي يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

* قَوْلُهُ: «وَلَا تَمْثِيلٍ».

قَالَ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: نَسْمَعُ كَثِيرًا مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي نَقْرَأُهَا يَقُولُونَ: تَشْبِيهٌ، يُعَبِّرُونَ بِالتَّشْبِيهِ وَهُمْ يَقْصُدُونَ التَّمْثِيلَ، فَأَيُّمَا أَوْلَىٰ: أَنُعَبِّرُ بِالتَّشْبِيهِ، أَوْ نُعَبِّرُ بِالتَّمْثِيلِ؟

---

(١) «التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة» (٢٨-٤٣) بتصرف.

نَقُولُ: بِالتَّمْثِيلِ أَوْلَىٰ. **أَوَّلًا**: لَأَنَّ الْقُرْآنَ عَبَّرَ بِهِ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢]. وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَكُلُّ مَا عَبَّرَ بِهِ الْقُرْآنُ، فَهُوَ أَوْلَىٰ مِنْ غَيْرِهِ؛ لَأَنَّنَا لَا نَجِدُ أَفْضَلَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَلَا أَدَلَّ عَلَىٰ الْمَعْنَىٰ الْمُرَادِ مِنَ الْقُرْآنِ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُرِيدُهُ مِنْ كَلَامِهِ، فَتَكُونُ مُوَافَقَةُ الْقُرْآنِ هِيَ الصَّوَابَ، فَنُعَبِّرُ بِنَفْيِ التَّمْثِيلِ. وَهَكَذَا فِي كُلِّ مَكَانٍ، فَإِنَّ مُوَافَقَةَ النَّصِّ فِي اللَّفْظِ أَوْلَىٰ مِنْ ذِكْرِ لَفْظٍ مُرَادِفٍ أَوْ مُقَارِبٍ.

ثَانِيًا: أَنَّ التَّشْبِيهَ عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ يَعْنِي إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ؛ وَلِهَذَا يُسَمُّونَ أَهْلَ السُّنَّةِ: مُشَبِّهَةً، فَإِنْ قُلْنَا: مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهٍ، وَهَذَا الرَّجُلُ لَا يَفْهَمُ مِنَ التَّشْبِيهِ إِلَّا إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ، صَارَ كَأَنَّنَا نَقُولُ لَهُ: مِنْ غَيْرِ إِثْبَاتِ صِفَاتٍ! فَصَارَ مَعْنَىٰ التَّشْبِيهِ يُوهِمُ مَعْنًىٰ فَاسِدًا؛ فَلِهَذَا كَانَ الْعُدُولُ عَنْهُ أَوْلَىٰ.

ثَالِثًا: أَنَّ نَفْيَ التَّشْبِيهِ عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ غَيْرُ صَحِيحٍ؛ لَأَنَّ مَا مِنْ شَيْئَيْنِ مِنَ الْأَعْيَانِ أَوْ مِنَ الصِّفَاتِ إِلَّا وَبَيْنَهُمَا اشْتِرَاكٌ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ، وَالِاشْتِرَاكُ نَوْعُ تَشَابُهٍ، فَلَوْ نَفَيْتَ التَّشْبِيهَ مُطْلَقًا، لَكُنْتَ نَفَيْتَ كُلَّ مَا يَشْتَرِكُ فِيهِ الْخَالِقُ وَالْمَخْلُوقُ فِي شَيْءٍ مَا. مَثَلًا: الْوُجُودُ، يَشْتَرِكُ فِي أَصْلِهِ الْخَالِقُ وَالْمَخْلُوقُ، هَذَا نَوْعُ اشْتِرَاكٍ وَنَوْعُ تَشَابُهٍ، لَكِنْ فَرْقٌ بَيْنَ الْوُجُودَيْنِ، وُجُودُ الْخَالِقِ وَاجِبٌ وَوُجُودُ الْمَخْلُوقِ مُمْكِنٌ.

وَكَذَلِكَ السَّمْعُ، فِيهِ اشْتِرَاكٌ، الْإِنْسَانُ لَهُ سَمْعٌ، وَالْخَالِقُ لَهُ سَمْعٌ، لَكِنْ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ، لَكِنْ أَصْلُ وُجُودِ السَّمْعِ مُشْتَرَكٌ. **فَإِذَا قُلْنَا**: مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهٍ. وَنَفَيْنَا مُطْلَقَ التَّشْبِيهِ، صَارَ فِي هَذَا إِشْكَالٌ. **وَبِهَذَا عَرَفْنَا**: أَنَّ التَّعْبِيرَ بِالتَّمْثِيلِ أَوْلَىٰ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ. **فَإِنْ قُلْتَ**: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ التَّكْيِيفِ وَالتَّمْثِيلِ؟ **فَالْجَوَابُ**: الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا مِنْ وَجْهَيْنِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ التَّمْثِيلَ ذِكْرُ الصِّفَةِ مُقَيَّدَةً بِمُمَاثِلٍ، فَتَقُولُ: يَدُ فُلَانٍ مِثْلُ يَدِ فُلَانٍ، وَالتَّكْيِيفُ ذِكْرُ الصِّفَةِ غَيْرَ مُقَيَّدَةٍ بِمُمَاثِلٍ، مِثْلُ أَنْ تَقُولَ: كَيْفِيَّةُ يَدِ فُلَانٍ كَذَا وَكَذَا.

وَعَلَىٰ هَذَا نَقُولُ: كُلُّ مُمَثِّلٍ مُكَيِّفٌ، وَلَا عَكْسَ.

الثَّانِي: أَنَّ الْكَيْفِيَّةَ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي الصِّفَةِ وَالْهَيْئَةِ، وَالتَّمْثِيلَ يَكُونُ فِي ذَلِكَ وَفِي الْعَدَدِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]؛ أَيْ: فِي الْعَدَدِ(١).

* قَوْلُهُ: «وَلَا تَمْثِيلٍ»(٢).

مَعْنَىٰ: (وَلَا تَمْثِيلٍ)؛ أَيْ: يَنْفِي عَنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ التَّمْثِيلَ، وَالتَّمْثِيلُ مَأْخُوذٌ مِنَ الْمِثْلِ، وَالْمِثْلُ هُوَ النَّظِيرُ وَالْمُسَاوِي، وَالْمَنْفِيُّ مِنَ التَّمْثِيلِ هُنَا هُوَ مُسَاوَاةُ اللهِ ﷻ بِغَيْرِهِ فِيمَا يَجُوزُ عَلَيْهِ، وَفِيمَا يَجِبُ لَهُ، وَفِيمَا يَمْتَنِعُ عَنْهُ، فَكُلُّ مَنْ سَوَّىٰ بِاللهِ غَيْرَهُ فِيمَا يَجِبُ أَوْ فِيمَا يَجُوزُ أَوْ فِيمَا يَمْتَنِعُ فَإِنَّهُ قَدْ مَثَّلَ، وَالنُّصُوصُ وَاضِحَةٌ وَبَيِّنَةٌ وَمُتَنَوِّعَةٌ فِي نَفْيِ الْمِثْلِ. قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، فَنَفَىٰ عَنْ نَفْسِهِ الْمِثْلَ. وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ٤]. وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]. وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [مريم: ٦٥]. وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة: ٢٢].

كُلُّ هَذَا لِنَفْيِ الْمِثْلِ، فَإِذَا كَانَ لَا مِثْلَ لَهُ وَلَا سَمِيَّ وَلَا نَظِيرَ، فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُمَاثِلَ شَيْئًا مِمَّا يَسْتَحِقُّهُ اللهُ ﷻ أَوْ يَتَّصِفَ بِهِ شَيْءٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَا مَثِيلَ لَهُ لَا فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي أَسْمَائِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ، وَلَا فِيمَا يَجِبُ لَهُ، بَلْ وَلَا فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَإِذَا وَقَرَ هَذَا فِي قَلْبِ الْعَبْدِ أَوْرَثَهُ

---

(١) «شرح العقيدة الواسطية» (١/ ١١١-١١٣).

(٢) كانت في الأصل: «ولا تشبيه»، فقرأت علي شيخنا - حفظه الله - كلام الشيخ ابن عثيمين رحمه الله، فقال: عدِّلها إلىٰ «ولا تمثيل».

تَعْظِيمًا لِلرَّبِّ، وَعَرَفَ أَنَّ الرَّبَّ الَّذِي يَعْبُدُهُ وَيَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِالطَّاعَاتِ لَا يَسْتَحِقُّ أَحَدٌ غَيْرُهُ مَا يَتَعَبَّدُ بِهِ، وَمَا يَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِهِ، فَيَكُونُ هَذَا التَّوْحِيدُ مُوصِلًا إِلَىٰ تَوْحِيدِ الْإِلَهِيَّةِ، وَمُثْمِرًا إِفْرَادَ اللهِ ﷻ بِالْعِبَادَةِ(١).

فَخُلَاصَةُ الْقَوْلِ: أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ لَا يُشَبِّهُونَ وَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِ اللهِ ﷻ بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِ.

* قَوْلُهُ: «وَلَا تَكْيِيفٍ».

التَّكْيِيفُ مَعْنَاهُ: الْتِمَاسُ الْكَيْفِيَّاتِ، لَا تَقُلْ: كَيْفَ؟ وَالْكَيْفُ عَنْهُ مَرْفُوعٌ كَمَا قَالَ مَالِكٌ، لَا تَبْحَثْ عَنْ كَيْفِيَّةِ الصِّفَةِ، وَلَا عَنْ كَيْفِيَّةِ اتِّصَافِهِ بِالصِّفَةِ، فَالْكَيْفُ يَشْتَمِلُ أَمْرَيْنِ هُمَا: كَيْفِيَّةُ الصِّفَةِ نَفْسِهَا، وَكَيْفِيَّةُ اتِّصَافِهِ بِالصِّفَةِ. فَمِنَ الصِّفَاتِ مَثَلًا مَا يَبْحَثُ فِيهِ أَصْحَابُ التَّشْبِيهِ عَنْ كَيْفِيَّةِ الصِّفَةِ: كَالْوَجْهِ، وَالْعَيْنِ، وَالْيَدِ وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَمِنْهَا مَا يَبْحَثُ فِيهِ عَنْ كَيْفِيَّةِ اتِّصَافِهِ بِهَا، وَذَلِكَ مِثْلُ: الْعِلْمِ، وَالْإِرَادَةِ، وَالْقُدْرَةِ، وَالرَّحْمَةِ. وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ قَدْ أَوْصَدُوا هَذَا الْبَابَ وَأَغْلَقُوهُ، فَلَا سَبِيلَ إِلَىٰ مَعْرِفَةِ الْكَيْفِيَّاتِ؛ لِأَنَّ مَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ أَمْرٌ لَا تُدْرِكُهُ الْعُقُولُ عَلَىٰ وَجْهِ الْكَمَالِ، إِنَّمَا نُدْرِكُ مِنْهُ الْمَعْنَىٰ، وَأَمَّا الْحَقَائِقُ وَمَا عَلَيْهِ الْأَمْرُ فَإِنَّهُ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي اسْتَأْثَرَ بِهِ اللهُ ﷻ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، إِذَا وَقَفْنَا عَلَىٰ لَفْظِ الْجَلَالَةِ فَالْمَقْصُودُ بِالتَّأْوِيلِ هُنَا: حَقِيقَةُ مَا يَئُولُ إِلَيْهِ مَا أَخْبَرَ بِهِ ﷻ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ أُمُورِ الْغَيْبِ، فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ إِلَّا اللهُ ﷻ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ؟ كَيْفَ وَجْهُهُ؟ كَيْفَ يَدُهُ؟ كَيْفَ كَلَامُهُ؟ كُلُّ هَذَا لَا سَبِيلَ إِلَىٰ مَعْرِفَتِهِ؛ لِأَنَّهُ مِمَّا اسْتَأْثَرَ اللهُ بِعِلْمِهِ، وَاللهُ ﷻ قَدْ نَفَىٰ

---

(١) «شرح العقيدة الواسطية» (٢/ ٩) لخالد المصلح.

الْإِحَاطَةَ بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ، فَكَيْفَ بِصِفَاتِهِ؟ فَكَيْفَ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فَنَفَىٰ الْإِحَاطَةَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، فَكَيْفَ بِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُحِيطَ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ وَمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ؟ وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠].

حَتَّىٰ النَّظَرُ الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي نَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيْسَ نَظَرًا يُدْرِكُ بِهِ النَّاظِرُ اللهَ جَلَّ وَعَلَا، بَلْ قَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فَنَفَىٰ إِدْرَاكَ الْأَبْصَارِ لَهُ؛ وَذَلِكَ لِكَمَالِهِ وَبَدِيعِ وَجَمِيلِ صِفَاتِهِ وَذَاتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. فَإِذَا كَانَ الْعَبْدُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُدْرِكَ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ إِدْرَاكًا تَامًّا، فَكَيْفَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُكَيِّفَ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ؟

هَذَا بَابٌ مُوصَدٌ لَا سَبِيلَ إِلَىٰ تَحْصِيلِهِ وَلَا إِلَىٰ وُلُوجِهِ، وَالْمُؤْمِنُ يَقِفُ عِنْدَ مَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ ﷺ، وَيَقُولُ: يَسَعُنِي مَا وَسِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَالصَّحَابَةَ وَسَلَفَ الْأُمَّةِ، وَمَنْ تَجَاوَزَ هَذَا الْحَدَّ فَإِنَّهُ قَدْ وَلَجَ بَابَ بِدْعَةٍ(١).

الضَّابِطُ الْخَامِسُ: الْعِبَادَاتُ أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ:

١- عِبَادَاتٌ بَدَنِيَّةٌ. ٢- عِبَادَاتٌ قَوْلِيَّةٌ.
٣- عِبَادَاتٌ مَالِيَّةٌ. ٤- عِبَادَاتٌ قَلْبِيَّةٌ.

* قَوْلُهُ: «الْعِبَادَاتُ أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ».

تَعْرِيفُ الْعِبَادَةِ: **الْعِبَادَةُ فِي اللُّغَةِ**: قَالَ ابْنُ سِيدَهْ: «أَصْلُ الْعِبَادَةِ فِي اللُّغَةِ: التَّذْلِيلُ. مِنْ قَوْلِهِمْ: (طَرِيقٌ مُعَبَّدٌ)؛ أَيْ: مُذَلَّلٌ. وَمِنْهُ أُخِذَ (الْعَبْدُ) لِذِلَّتِهِ لِمَوْلَاهُ. وَالْعِبَادَةُ وَالْخُضُوعُ وَالتَّذَلُّلُ وَالِاسْتِكَانَةُ قَرَائِبُ فِي الْمَعَانِي. وَالْعِبَادَةُ نَوْعٌ مِنَ

(١) «شرح العقيدة الواسطية» (٢/ ٩) لخالد المصلح.

الْخُضُوعِ لَا يَسْتَحِقُّهُ إِلَّا الْمُنْعِمُ بِأَعْلَىٰ أَجْنَاسِ النِّعَمِ، كَالْحَيَاةِ وَالْفَهْمِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ»(١). وَقَالَ فِي «الصحَاحِ»: «أَصْلُ الْعُبُودِيَّةِ: الْخُضُوعُ وَالذُّلُّ. وَالْعِبَادَةُ الطَّاعَةُ»(٢).

الْعِبَادَةُ اصْطِلَاحًا: عَرَّفَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ الْعِبَادَةَ بِقَوْلِهِ: هِيَ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ(٣).

وَعَرَّفَهَا ابْنُ الْقَيِّمِ بِأَنَّهَا: كَمَالُ الْمَحَبَّةِ مَعَ كَمَالِ الذُّلِّ. **وَقَالَ فِي النُّونِيَّةِ:**

وَعِبَادَةُ الرَّحْمَنِ غَايَةُ حُبِّهِ ... مَعَ ذُلِّ عَابِدِهِ هُمَا قُطْبَانِ(٤)

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظُ آلُ حَكَمِي رَحِمَهُ اللهُ:

ثُمَّ الْعِبَادَةُ هِيَ اسْمٌ جَامِعُ ... لِكُلِّ مَا يَرْضَىٰ الْإِلَهُ السَّامِعُ

«**ثُمَّ الْعِبَادَةُ**» الَّتِي خَلَقَ اللهُ لَهَا الْخَلْقَ، وَأَخَذَ بِهَا عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ، أَرْسَلَ بِهَا رُسُلَهُ وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ، وَلِأَجْلِهَا خُلِقَتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ، وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ «**هِيَ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا**» يُحِبُّ وَ«**يَرْضَىٰ**» مَبْنِيٌّ لِلْمَعْرُوفِ فَاعِلُهُ «**الْإِلَهُ السَّامِعُ**» وَهُوَ اللهُ ﷻ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ. **فَالظَّاهِرَةُ:** كَالتَّلَفُّظِ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَإِغَاثَةِ الْمَلْهُوفِ، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ، وَتَعْلِيمِ النَّاسِ الْخَيْرَ، وَالدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ ﷻ وَغَيْرِ ذَلِكَ. **وَالْبَاطِنَةُ:** كَالْإِيمَانِ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَخَشْيَةِ اللهِ، وَخَوْفِهِ وَرَجَائِهِ، وَالتَّوَكُّلِ

---

(١) «المخصص» (١٣/ ٩٦).

(٢) «الصحاح» مادة «عبد»، وينظر «لسان العرب»، مادة «عبد».

(٣) «العبودية» (ص٣٨).

(٤) «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» (ص٣٢).

عَلَيْهِ، وَالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ إِلَيْهِ، وَالِاسْتِعَانَةِ بِهِ، وَالْحُبِّ وَالْبُغْضِ فِي اللهِ، وَالْمُوَالَاةِ وَالْمُعَادَاةِ فِيهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّهَا لَا تُقْبَلُ الْأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ مَا لَمْ يُسَاعِدْهَا عَمَلُ الْقَلْبِ، وَمَنَاطُ الْعِبَادَةِ هِيَ غَايَةُ الْحُبِّ مَعَ غَايَةِ الذُّلِّ، وَلَا تَنْفَعُ عِبَادَةٌ بِوَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ دُونَ الْآخَرِ؛ وَلِذَا قَالَ مَنْ قَالَ مِنَ السَّلَفِ: مَنْ عَبَدَ اللهَ بِالْحُبِّ وَحْدَهُ فَهُوَ زِنْدِيقٌ، وَمَنْ عَبَدَهُ بِالرَّجَاءِ وَحْدَهُ فَهُوَ مُرْجِئٌ، وَمَنْ عَبَدَهُ بِالْخَوْفِ وَحْدَهُ فَهُوَ حَرُورِيٌّ، وَمَنْ عَبَدَهُ بِالْحُبِّ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ مُوَحِّدٌ(١).

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظُ آلُ حَكَمِي رَحِمَهُ اللهُ: وَبَيَانُ كَلَامِهِمْ هَذَا أَنَّ دَعْوَىٰ الْحُبِّ للهِ بِلَا تَذَلُّلٍ وَلَا خَوْفٍ وَلَا رَجَاءٍ وَلَا خَشْيَةٍ وَلَا رَهْبَةٍ وَلَا خُضُوعٍ دَعْوَىٰ كَاذِبَةٌ؛ وَلِذَا تَرَىٰ مَنْ يَدَّعِي ذَلِكَ كَثِيرًا مَا يَقَعُ فِي مَعَاصِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيَرْتَكِبُهَا، وَلَا يُبَالِي، وَيَحْتَجُّ فِي ذَلِكَ بِالْإِرَادَةِ الْكَوْنِيَّةِ وَأَنَّهُ مُطِيعٌ لَهَا، وَهَذَا شَأْنُ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨] وَقَالُوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ﴾ [الزخرف: ٢٠] وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَإِمَامُهُمْ فِي ذَلِكَ الِاحْتِجَاجِ هُوَ إِبْلِيسُ إِذْ قَالَ: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ [الأعراف: ١٦] وَإِنَّمَا الْمَحَبَّةُ نَفْسُ وِفَاقِ الْعَبْدِ رَبَّهُ: فَيُحِبُّ مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، وَيُبْغِضُ مَا يَكْرَهُهُ وَيَأْبَاهُ.

وَإِنَّمَا تُتَلَقَّىٰ مَعْرِفَةُ مَحَابِّ اللهِ وَمَعَاصِيهِ مِنْ طَرِيقِ الشَّرْعِ، وَإِنَّمَا تَحْصُلُ بِمُتَابَعَةِ الشَّارِعِ؛ وَلِذَا قَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ: ادَّعَىٰ قَوْمٌ مَحَبَّةَ اللهِ فَابْتَلَاهُمُ اللهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]. فَمَنِ ادَّعَىٰ مَحَبَّةَ اللهِ، وَلَمْ يَكُ مُتَّبِعًا رَسُولَهُ فَهُوَ كَاذِبٌ.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ: إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَمْشِي عَلَىٰ الْمَاءِ أَوْ يَطِيرُ فِي

---

(١) انظر «العبودية» لشيخ الإسلام ابن تيمية و«مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ١٤٩) وما بعدها.

الْهَوَاءِ فَلَا تُصَدِّقُوهُ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مُتَابَعَتَهُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ(١).

وَكَذَلِكَ الرَّجَاءُ وَحْدَهُ إِذَا اسْتَرْسَلَ فِيهِ الْعَبْدُ تَجَرَّأَ عَلَىٰ مَعَاصِي اللهِ وَأَمِنَ مَكْرَ اللهِ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٩].

وَكَذَلِكَ الْخَوْفُ وَحْدَهُ إِذَا اسْتَرْسَلَ فِيهِ الْعَبْدُ سَاءَ ظَنُّهُ بِرَبِّهِ، وَقَنَطَ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَيَئِسَ مِنْ رَوْحِهِ. وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٧]. وَقَالَ: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الحجر: ٥٦]. فَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ خُسْرَانٌ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِهِ كُفْرَانٌ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ضَلَالٌ وَطُغْيَانٌ، وَعِبَادَةُ اللهِ ﷻ بِالْحُبِّ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ تَوْحِيدٌ وَإِيمَانٌ.

فَالْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩].

وَبَيْنَ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ فِي آلِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩]. فَتَارَةً يَمُدُّهُ الرَّجَاءُ وَالرَّغْبَةُ فَيَكَادُ أَنْ يَطِيرَ شَوْقًا إِلَىٰ اللهِ، وَطَوْرًا يَقْبِضُهُ الْخَوْفُ وَالرَّهْبَةُ فَيَكَادُ أَنْ يَذُوبَ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، فَهُوَ دَائِبٌ فِي طَلَبِ مَرْضَاةِ رَبِّهِ مُقْبِلٌ عَلَيْهِ، خَائِفٌ مِنْ عُقُوبَاتِهِ مُلْتَجِئٌ مِنْهُ إِلَيْهِ، عَائِذٌ بِهِ مِنْهُ رَاغِبٌ فِيمَا لَدَيْهِ(٢).

---

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٢٣).

(٢) «معارج القبول» (٢/ ٤٣٤-٤٣٨).

أَرْكَانُ الْعِبَادَةِ (الْإِخْلَاصُ - الصِّدْقُ - الْمُتَابَعَةُ):

أَوَّلًا: الْإِخْلَاصُ: وَحَقِيقَةُ الْإِخْلَاصِ أَنْ يَكُونَ قَصْدُ الْعَبْدِ وَجْهَ اللهِ ﷻ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ. كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل: ١٧-٢١]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء: ١٨-١٩]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [آل عمران: ١٤٥]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الشورى: ٢٠]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٦]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾ [البقرة: ٢٦٤، ٢٦٥].

عَنْ عُمَرَ بن الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ؛ فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ**

فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إِلَىٰ أَجْسَامِكُمْ وَلا إِلَىٰ صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ»(٢).

وَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شُجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ فَقَالَ ﷺ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ»(٣).

ثَانِيًا: الصِّدْقُ: فَهُوَ بَذْلُ الْعَبْدِ جُهْدَهُ فِي امْتِثَالِ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ وَاجْتِنَابِ مَا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ، وَالِاسْتِعْدَادُ لِلِقَاءِ اللهِ، وَتَرْكُ الْعَجْزِ وَتَرْكُ التَّكَاسُلِ عَنْ طَاعَةِ اللهِ، وَإِمْسَاكُ النَّفْسِ بِلِجَامِ التَّقْوَىٰ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ، وَطَرْدُ الشَّيْطَانِ عَنْهُ بِالْمُدَاوَمَةِ عَلَىٰ ذِكْرِ اللهِ، وَالِاسْتِقَامَةُ عَلَىٰ ذَلِكَ كُلِّهِ مَا اسْتَطَاعَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ۝١١٩﴾ [التوبة: ١١٩]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] الْآيَةَ. وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿الم ۝١ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ۝٣﴾ - إِلَىٰ قَوْلِهِ - ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ۝١٠ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ۝١١﴾

---

(١) متفق عليه: البخاري (٨)، ومسلم (١٩٠٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٤).

(٣) متفق عليه: البخاري (١٢٣)، ومسلم (١٩٠٤).

[العنكبوت: ١-١١]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ ﴾ [البقرة: ٢١٤] الْآيَةَ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ. احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّيْ فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ (لَوْ) تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»(١).

ثَالِثًا: الْمُتَابَعَةُ: وَإِذَا اجْتَمَعَتِ النِّيَّةُ الصَّالِحَةُ وَالْعَزِيمَةُ الصَّادِقَةُ فِي هَذَا الْعَبْدِ قَامَ بِعِبَادَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّهُ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ ذَلِكَ إِلَّا بِمُتَابَعَتِهِ الرَّسُولَ ﷺ فَيَعْبُدُ اللهَ تَعَالَىٰ بِوَفْقِ مَا شَرَعَ، وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ أَحَدٍ سِوَاهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٥]. عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ، فَهُوَ رَدٌّ**»(٢). وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ**»(٣).

فَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ الْأَرْكَانِ شُرُوطٌ فِي الْعِبَادَةِ لَا قِوَامَ لَهَا إِلَّا بِهَا؛ فَالْعَزِيمَةُ الصَّادِقَةُ شَرْطٌ فِي صُدُورِهَا، وَالنِّيَّةُ الْخَالِصَةُ، وَمُوَافَقَةُ السُّنَّةِ شَرْطٌ فِي قَبُولِهَا، فَلَا تَكُونُ عِبَادَةً مَقْبُولَةً إِلَّا بِاجْتِمَاعِهَا، فَإِخْلَاصُ النِّيَّةِ بِدُونِ صِدْقِ الْعَزِيمَةِ هَوَسٌ وَتَطْوِيلُ أَمَلٍ، وَتَمَنٍّ عَلَىٰ اللهِ، وَتَسْوِيفٌ فِي الْعَمَلِ وَتَفْرِيطٌ فِيهِ، وَصِدْقُ الْعَزِيمَةِ بِدُونِ إِخْلَاصٍ فِيهِ يَكُونُ شِرْكًا أَكْبَرَ أَوْ أَصْغَرَ بِحَسَبِ مَا نَقَصَ مِنَ الْإِخْلَاصِ. فَإِنْ كَانَ الْبَاعِثُ عَلَىٰ

(١)صحيح: رواه مسلم (٢٦٦٤).
(٢)متفق عليه: البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).
(٣)صحيح: مسلم (١٧١٨).

الْعَمَلِ مِنْ أَصْلِهِ هُوَ إِرَادَةَ غَيْرِ اللهِ فَنِفَاقٌ، وَإِنْ كَانَ دَخَلَ الرِّيَاءُ فِي تَزْيِينِ الْعَمَلِ، وَكَانَ الْبَاعِثُ عَلَيْهِ أَوَّلًا إِرَادَةَ اللهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ كَانَ شِرْكًا أَصْغَرَ بِحَسَبِهِ حَتَّىٰ إِذَا غَلَبَ عَلَيْهِ الْتَحَقَ بِالْأَكْبَرِ. وَإِخْلَاصُ النِّيَّةِ مَعَ صِدْقِ الْعَزِيمَةِ إِنْ لَمْ يَكُنِ الْعَمَلُ عَلَىٰ وَفْقِ السُّنَّةِ كَانَ بِدْعَةً وَحَدَثًا فِي الدِّينِ وَشَرْعَ مَا لَمْ يَأْذَنِ اللهُ بِهِ، فَيَكُونُ رَدًّا عَلَىٰ صَاحِبِهِ وَوَبَالًا عَلَيْهِ وَالْعِيَاذُ بِاللهِ، فَلَا يَصْدُرُ الْعَمَلُ مِنَ الْعَبْدِ إِلَّا بِصِدْقِ الْعَزِيمَةِ، وَلَا يُقْبَلُ مِنْهُ ذَلِكَ إِلَّا بِإِخْلَاصِ النِّيَّةِ وَإِتْبَاعِ السُّنَّةِ؛ وَلِذَا قَالَ الْفُضَيْلُ بن عِيَاضٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢] قَالَ: أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ[١]، يَعْنِي: خَالِصًا مِنْ شَوَائِبِ الشِّرْكِ[٢].

* قَوْلُهُ: «عِبَادَاتٌ بَدَنِيَّةٌ».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ الْعِبَادَاتِ تَتَنَوَّعُ فَمِنْهَا مَا هُوَ بِالْبَدَنِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ بِاللِّسَانِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ بِالْقَلْبِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ بِالْمَالِ، فَإِذَا فَعَلَ الْمُسْلِمُ هَذِهِ الْعِبَادَةَ بِالشُّرُوطِ السَّابِقَةِ (الْإِخْلَاصِ - الصِّدْقِ - الْمُتَابَعَةِ) فَإِنَّهُ قَدْ عَبَدَ اللهَ ﷻ كَمَا أَمَرَهُ بِذَلِكَ.

فَالْعِبَادَاتُ الْبَدَنِيَّةُ: كَالصَّلَاةِ وَالسُّجُودِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالطَّوَافِ، وَالْجِهَادِ، وَطَلَبِ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُحْتَاجُ إِلَىٰ فِعْلِهِ بِالْبَدَنِ.

* قَوْلُهُ: «عِبَادَاتٌ قَوْلِيَّةٌ». الْعِبَادَاتُ الْقَوْلِيَّةُ: كَالنُّطْقِ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَذِكْرِ اللهِ تَعَالَىٰ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَغَيْرِهِمَا، وَالدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَتَعْلِيمِ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُنْطَقُ بِاللِّسَانِ.

---

(١) انظر: «مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام» (١١/ ٦٠٠)، وتمامه: قيل له: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، حتىٰ يكون صوابًا خالصًا.

(٢) «معارج القبول» (٢/ ٤٣٩-٤٤١).

* قَوْلُهُ: «عِبَادَاتٌ مَالِيَّةٌ». **الْعِبَادَاتُ الْمَالِيَّةُ**: كَالزَّكَاةِ، وَالصَّدَقَةِ، وَالذَّبْحِ، وَالنَّذْرِ بِإِخْرَاجِ شَيْءٍ مِنَ الْمَالِ، وَغَيْرِهَا.

* قَوْلُهُ: «عِبَادَاتٌ قَلْبِيَّةٌ». **الْعِبَادَاتُ الْقَلْبِيَّةُ**: وَهِيَ تَنْقَسِمُ إِلَىٰ قِسْمَيْنِ:

أ- «قَوْلِ الْقَلْبِ»، وَتُسَمَّىٰ «اعْتِقَادِيَّةً»، وَهِيَ: اعْتِقَادُ أَنَّهُ لَا رَبَّ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّهُ لَا أَحَدَ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ سِوَاهُ، وَالْإِيمَانُ بِجَمِيعِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَالْإِيمَانُ بِمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

ب- «عَمَلِ الْقَلْبِ»، وَمِنْهَا: الْإِخْلَاصُ، وَمَحَبَّةُ اللهِ تَعَالَىٰ، وَالرَّجَاءُ لِثَوَابِهِ، وَالْخَوْفُ مِنْ عِقَابِهِ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ، وَالصَّبْرُ عَلَىٰ فِعْلِ أَوَامِرِهِ وَعَلَىٰ اجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَغَيْرِهَا.

الضَّابِطُ السَّادِسُ: التَّوَسُّلُ قِسْمَانِ:

١- التَّوَسُّلُ الْمَشْرُوعُ: وَهُوَ التَّوَسُّلُ إِلَى اللهِ بِاسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ أَوْ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ، أَوْ بِعَمَلٍ صَالِحٍ، أَوْ بِطَلَبِ الدُّعَاءِ مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ.

٢- التَّوَسُّلُ الْمَمْنُوعُ: التَّوَسُّلُ إِلَى اللهِ بِمَا لَمْ يَثْبُتْ فِي الشَّرْعِ أَنَّهُ وَسِيلَةٌ.

* قَوْلُهُ: «التَّوَسُّلُ قِسْمَانِ».

أَوَّلًا: تَعْرِيفُ التَّوَسُّلِ: **التَّوَسُّلُ فِي اللُّغَةِ**: مَأْخُوذٌ مِنَ الْوَسِيلَةِ، وَالْوَسِيلَةُ فِي اللُّغَةِ: هِيَ مَا يُتَقَرَّبُ بِهَا إِلَىٰ الْغَيْرِ، قَالَ فِي «الْقَامُوسِ»: الْوَسِيلَةُ وَالْوَاسِلَةُ هِيَ: الْمَنْزِلَةُ عِنْدَ الْمَلِكِ وَالدَّرَجَةُ وَالْقُرْبَةُ، وَقِيلَ فِي الْوَسِيلَةِ: هِيَ أَنْ يَعْمَلَ عَمَلًا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَالتَّوَسُّلُ فِي الشَّرْعِ: هُوَ التَّقَرُّبُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِطَاعَتِهِ؛ أَيِ: اتِّبَاعُ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَبِكُلِّ عَمَلٍ يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ.

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ ذَلِكَ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المائدة: ٣٥].

وَنَقَلَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ: مَعْنَىٰ الْوَسِيلَةِ فِيهَا الْقُرْبَةُ، وَنَقَلَ مِثْلَ ذَلِكَ عَنْ مُجَاهِدٍ، وَأَبِي وَائِلٍ، وَالْحَسَنِ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ كَثِيرٍ، وَالسُّدِّي، وَابْنِ زَيْدٍ وَغَيْرِ وَاحِدٍ، وَنَقَلَ عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ فِيهَا: (أَيْ: تَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِ، وَالْعَمَلِ بِمَا يُرْضِيهِ) ثُمَّ قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: «وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةُ لَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُفَسِّرِينَ فِيهِ... وَالْوَسِيلَةُ هِيَ الَّتِي يُتَوَصَّلُ بِهَا إِلَىٰ تَحْصِيلِ الْمَقْصُودِ»[1].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: ٥٦-٥٧].

وَأَمَّا الْآيَةُ الثَّانِيَةُ فَقَدْ بَيَّنَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُنَاسَبَةَ نُزُولِهَا الَّتِي تُوَضِّحُ مُعْنَاهَا فَقَالَ: «نَزَلَتْ فِي نَفَرٍ مِنَ الْعَرَبِ كَانُوا يَعْبُدُونَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ، فَأَسْلَمَ الْجِنِّيُّونَ، وَالْإِنْسُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ»[2].

* قَوْلُهُ: «التَّوَسُّلُ الْمَشْرُوعُ».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ التَّوَسُّلَ يَنْقَسِمُ إِلَىٰ قِسْمَيْنِ: تَوَسُّلٍ مَشْرُوعٍ، وَتَوَسُّلٍ غَيْرِ مَشْرُوعٍ لَمْ يَثْبُتْ بِهِ نَصٌّ مِنْ كِتَابٍ أَوْ سُنَّةٍ أَوْ إِجْمَاعٍ، فَالْأَوَّلُ مَشْرُوعٌ، وَالثَّانِي مَمْنُوعٌ.

فَالتَّوَسُّلُ الْمَشْرُوعُ: هُوَ مَا كَانَ ثَابِتًا بِالشَّرْعِ؛ بِأَنْ يَدُلَّ عَلَيْهِ دَلِيلٌ مِنَ الْكِتَابِ أَوِ السُّنَّةِ.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٥٢ – ٥٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٣٠٣٠).

وَالتَّوَسُّلُ الْبِدْعِيُّ: هُوَ مَا لَمْ يَدُلَّ عَلَىٰ جَوَازِهِ دَلِيلٌ، أَوْ وُجِدَ الدَّلِيلُ؛ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ، وَوُجِدَ مِنَ الْأَدِلَّةِ الثَّابِتَةِ مَا يُنَاقِضُهُ.

أَنْوَاعُ التَّوَسُّلِ الشَّرْعِيِّ وَأَدِلَّتُهُ: التَّوَسُّلُ الْمَشْرُوعُ هُوَ كُلُّ تَوَسُّلٍ دَلَّ عَلَىٰ جَوَازِهِ نَصٌّ مِنَ الْكِتَابِ أَوِ السُّنَّةِ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا: اتِّخَاذُ وَسِيلَةٍ لِإِجَابَةِ الدُّعَاءِ؛ بِأَنْ يَجْعَلَ الدَّاعِي فِي دُعَائِهِ مَا يَكُونُ سَبَبًا فِي قَبُولِهِ.

* قَوْلُهُ: «وَهُوَ التَّوَسُّلُ إِلَىٰ اللهِ بِاسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ أَوْ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ».

التَّوَسُّلُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَدْعُوَ اللهَ تَعَالَىٰ بِأَسْمَائِهِ كُلِّهَا، كَأَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَىٰ أَنْ تَغْفِرَ لِي، أَوْ أَنْ يَدْعُوَ اللهَ تَعَالَىٰ بِاسْمٍ مُعَيَّنٍ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَىٰ يُنَاسِبُ مَا يَدْعُو بِهِ، كَأَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ يَا رَحْمَنُ ارْحَمْنِي، أَوْ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ أَنْ تَرْحَمَنِي.

أَوْ أَنْ يَدْعُوَ اللهَ تَعَالَىٰ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ، كَأَنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِصِفَاتِكَ الْعُلْيَا أَنْ تَرْزُقَنِي رِزْقًا حَلَالًا»، أَوْ أَنْ يَدْعُوهُ بِصِفَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ تَعَالَىٰ تُنَاسِبُ مَا يَدْعُو بِهِ، كَأَنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي»، أَوْ يَقُولَ مَثَلًا: «اللَّهُمَّ انْصُرْنَا عَلَىٰ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ إِنَّكَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ».

وَدَلِيلُ ذَلِكَ: قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ

أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجِلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي. إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا» قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: «بَلَىٰ يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا»(١).

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: «قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عُفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي»(٢).

* قَوْلُهُ: «بِعَمَلٍ صَالِحٍ».

فَالتَّوَسُّلُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ هُوَ: تَوَسُّلُ الْعَبْدِ بِأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ.

مِثَالُ التَّوَسُّلِ بِالأَقْوَالِ: أَنْ يَتَوَسَّلَ الْمَرْءُ بِإِيمَانِهِ بِرَبِّهِ جَلَّ فِي عَلَاهُ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ مُخْبِرًا عَنِ الْحَوَارِيِّينَ أَنَّهُمْ تَوَسَّلُوا بِأَفْعَالِهِمُ الصَّالِحَةِ، وَمِنْهَا: الْإِيمَانُ فَقَالُوا: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران: ٥٣]. فَتَوَسَّلُوا بِالْإِيمَانِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ، وَتَوَسَّلُوا بِفِعْلٍ آخَرَ، وَهُوَ اتِّبَاعُ الرَّسُولِ، وَلَيْسَ بِالْإِيمَانِ فَقَطْ، وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّ اتِّبَاعَ أَيِّ نَبِيٍّ هُوَ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، بَلْ مِنَ الْقُرُبَاتِ الَّتِي يَتَقَرَّبُ بِهَا الْعَبْدُ إِلَىٰ اللهِ جَلَّ فِي عُلَاهُ، وَمِنَ الْوَاجِبَاتِ الْمَفْرُوضَةِ، فَقَدَّمَ الْحَوَارِيُّونَ بَيْنَ يَدَيْ دُعَائِهِمْ تَوَسُّلًا بِأَقْوَالٍ وَأَفْعَالٍ، كَالْإِيمَانِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَاتِّبَاعِ الرَّسُولِ.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ مُبَيِّنًا مَا فَعَلُوهُ: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ [آل عمران: ١٩٣]، فَتَوَسَّلُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ بِإِيمَانِهِمْ، وَهَذَا مِنْ

---

(١) صحيح: أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٩١)، وقال أحمد شاكر في تحقيقه للمسند رقم٣٧١٢: إسناده صحيح. وصححه الألباني «السلسلة الصحيحة» رقم (١٩٩).

(٢) صحيح: الترمذي (٣٥١٣)، ابن ماجه (٣٨٥٠)، وصححه الألباني.

آدَابِ الدُّعَاءِ. وَتَوَسَّلُوا بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ [البقرة: ٢٨٥].

مِنَ التَّوَسُّلِ بِالأَفْعَالِ: دَلِيلُ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ اللهِ، قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧].

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خَرَجَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمُ الْمَطَرُ فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ قَالَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ادْعُوا اللهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ.**

فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنِّي كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَرْعَىٰ ثُمَّ أَجِيءُ، فَأَحْلُبُ فَأَجِيءُ بِالْحِلَابِ فَآتِي بِهِ أَبَوَيَّ فَيَشْرَبَانِ ثُمَّ أَسْقِي الصِّبْيَةَ وَأَهْلِي وَامْرَأَتِي، فَاحْتَبَسْتُ لَيْلَةً فَجِئْتُ فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ قَالَ: فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ رِجْلَيَّ فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبُهُمَا حَتَّىٰ طَلَعَ الْفَجْرُ. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَىٰ مِنْهَا السَّمَاءَ. قَالَ: فَفُرِجَ عَنْهُمْ. وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أُحِبُّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ. فَقَالَتْ: لَا تَنَالُ ذَلِكَ مِنْهَا حَتَّىٰ تُعْطِيَهَا مِائَةَ دِينَارٍ فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّىٰ جَمَعْتُهَا فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتِ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا. فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً. قَالَ: فَفَرَجَ عَنْهُمُ الثُّلُثَيْنِ. وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقٍ مِنْ ذُرَةٍ فَأَعْطَيْتُهُ وَأَبَىٰ ذَاكَ أَنْ يَأْخُذَ فَعَمَدْتُ إِلَىٰ ذَلِكَ الْفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ حَتَّىٰ اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ أَعْطِنِي حَقِّي. فَقُلْتُ: انْطَلِقْ إِلَىٰ تِلْكَ الْبَقَرِ وَرَاعِيهَا فَإِنَّهَا لَكَ، فَقَالَ:

أَتَسْتَهْزِئُ بِي؟ قَالَ: فَقُلْتُ: مَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ وَلَكِنَّهَا لَكَ. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فَكُشِفَ عَنْهُمْ»(١).

التَّوَسُّلُ بِالْأَحْوَالِ: فَكَأَنْ تَكُونَ فِي مَأْزَقٍ شَدِيدٍ أَوْ فِي كُرْبَةٍ، فَتَقُولُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ بِحَالِي وَمَا أَنَا فِيهِ مِنْ مَأْزَقٍ، اللَّهُمَّ فَرِّجْ عَنِّي، وَقَدْ فَعَلَ أَبُو الْأَنْبِيَاءِ ذَلِكَ عِنْدَمَا أَضْرَمُوا النَّارَ وَأَلْقَوْهُ فِيهَا، فَقَالَ: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلِ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: اللهُ جَلَّ وَعَلَا أَعْلَمُ بِحَالِي وَهُوَ حَسْبِي وَكَفِيلِي، فَتَوَسَّلَ بِحَالِهِ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣]»(٢).

فَهَؤُلَاءِ تَوَسَّلُوا بِأَحْوَالِهِمْ، وَأَيُّوبُ وَزَكَرِيَّا وَغَيْرُ هَؤُلَاءِ تَوَسَّلُوا بِأَحْوَالِهِمْ كَذَلِكَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ وَاصِفًا كَيْفَ كَانَ يَتَوَسَّلُ أَيُّوبُ بِحَالِهِ لِرَبِّهِ فَيَقُولُ: ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣] فَاسْتَجَابَ اللهُ لَهُ وَقَالَ: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ [الأنبياء: ٨٤]. وَتَوَسَّلَ ذُو النُّونِ فَقَالَ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧]. وَتَوَسَّلَ زَكَرِيَّا فَقَالَ: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عمران: ٣٨]. وَيَقُولُ: ﴿رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾﴾ [مريم: ٤]. فَتَوَسَّلَ للهِ جَلَّ وَعَلَا بِأَحْوَالِهِ.

* قَوْلُهُ: «بِطَلَبِ الدُّعَاءِ مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ». وَدَلِيلُ ذَلِكَ: قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ حِكَايَةً

---

(١) متفق عليه: البخاري (٢٢١٥)، ومسلم (٢٧٤٣)

(٢) صحيح: البخاري (٤٥٦٣).

عَنْ أَبْنَاءِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾﴾ [يوسف: ٩٧]. وَمِنْهَا: **التَّوَسُّلُ بِدُعَاءِ النَّبِيِّ** ﷺ كَمَا فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ مِنْهَا:

عَنْ أَنَسِ بن مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **قَالَ**: أَصَابَتِ النَّاسَ سَنَةٌ عَلَىٰ عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَبَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَلَكَ الْمَالُ وَجَاعَ الْعِيَالُ، فَادْعُ اللهَ لَنَا فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَمَا نَرَىٰ فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا وَضَعَهَا حَتَّىٰ ثَارَ السَّحَابُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ مِنْبَرِهِ حَتَّىٰ رَأَيْتُ الْمَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَىٰ لِحْيَتِهِ ﷺ فَمُطِرْنَا يَوْمَنَا ذَلِكَ، وَمِنَ الْغَدِ، وَبَعْدَ الْغَدِ، وَالَّذِي يَلِيهِ حَتَّىٰ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَىٰ، وَقَامَ ذَلِكَ الْأَعْرَابِيُّ أَوْ قَالَ غَيْرُهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ تَهَدَّمَ الْبِنَاءُ وَغَرِقَ الْمَالُ، فَادْعُ اللهَ لَنَا فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا**» فَمَا يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَىٰ نَاحِيَةٍ مِنَ السَّحَابِ إِلَّا انْفَرَجَتْ وَصَارَتِ الْمَدِينَةُ مِثْلَ الْجَوْبَةِ، وَسَالَ الْوَادِي قَنَاةُ شَهْرًا، وَلَمْ يَجِئْ أَحَدٌ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَّا حَدَّثَ بِالْجودِ(١).

عَنْ أَنَسِ بن مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ عُمَرَ بن الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَىٰ بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا. قَالَ: فَيُسْقَوْنَ(٢).

قَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللهُ: «وَقَدْ بَيَّنَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ فِي الْأَنْسَابِ صِفَةَ مَا دَعَا بِهِ الْعَبَّاسُ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ وَالْوَقْتِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ ذَلِكَ، فَأَخْرَجَ بِإِسْنَادٍ لَهُ أَنَّ الْعَبَّاسَ لَمَّا اسْتَسْقَىٰ بِهِ عُمَرُ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ بَلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَمْ يُكْشَفْ إِلَّا بِتَوْبَةٍ، وَقَدْ تَوَجَّهَ الْقَوْمُ بِي إِلَيْكَ لِمَكَانِي مِنْ نَبِيِّكَ، وَهَذِهِ أَيْدِينَا إِلَيْكَ

---

(١) متفق عليه: البخاري (٩٣٣)، ومسلم (٨٩٥).

(٢) صحيح: البخاري (١٠١٠).

بِالذُّنُوبِ وَنَوَاصِينَا إِلَيْكَ بِالتَّوْبَةِ فَاسْقِنَا الْغَيْثَ». فَأَرْخَتِ السَّمَاءُ مِثْلَ الْجِبَالِ حَتَّىٰ أَخْصَبَتِ الْأَرْضُ، وَعَاشَ النَّاسُ(١).

* قَوْلُهُ: «التَّوَسُّلُ الْمَمْنُوعُ». **أَمَّا التَّوَسُّلُ الْمَمْنُوعُ:** فَهُوَ التَّوَسُّلُ بِذَوَاتِ الْمَخْلُوقِينَ وَحَقِّهِمْ وَجَاهِهِمْ، كَأَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: «أَسْأَلُكَ بِفُلَانٍ، أَوْ بِحَقِّ فُلَانٍ، أَوْ جَاهِهِ حَيًّا أَوْ مَيِّتًا». فَإِنَّ هَذَا بِدْعَةٌ مُحَرَّمَةٌ، وَوَسِيلَةٌ مِنْ وَسَائِلِ الشِّرْكِ، وَإِنْ تَقَرَّبَ صَاحِبُهُ إِلَىٰ الْمَخْلُوقِ الْمُتَوَسَّلِ بِهِ بِشَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ فَهُوَ الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ ذَلِكَ، كَأَنْ يَذْبَحَ لِلْوَلِيِّ، أَوْ يَنْذِرَ لِقَبْرِهِ، أَوْ يُنَادِيَهُ وَيَطْلُبَ مِنْهُ الْمَدَدَ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ التَّوَسُّلِ لَمْ يَكُنِ الصَّحَابَةُ يَفْعَلُونَهُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَا فِي الِاسْتِسْقَاءِ، وَلَا فِي غَيْرِهِ لَا فِي حَيَاتِهِ وَلَا بَعْدَ مَمَاتِهِ، لَا عِنْدَ قَبْرِهِ، وَلَا عِنْدَ غَيْرِ قَبْرِهِ، وَلَا يُعْرَفُ هَذَا فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَدْعِيَةِ الْمَعْرُوفَةِ الْمَشْهُورَةِ بَيْنَهُمْ، وَكُلُّ مَا نُقِلَ فِي هَذَا إِنَّمَا هُوَ أَحَادِيثُ ضَعِيفَةٌ، أَوْ عَمَّنْ لَيْسَ قَوْلُهُ حُجَّةً.

وَأَمَّا تَوَسُّلُ الصَّحَابَةِ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَالْمَقْصُودُ بِهِ: التَّوَسُّلُ بِدُعَائِهِ فِي حَيَاتِهِ، لَا بِذَاتِهِ فِي حَيَاتِهِ أَوْ بَعْدَ مَمَاتِهِ، كَمَا يَقُولُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ: «وَأَمَّا التَّوَسُّلُ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَالتَّوَجُّهُ بِهِ فِي كَلَامِ الصَّحَابَةِ فَيُرِيدُونَ بِهِ التَّوَسُّلَ بِدُعَائِهِ وَشَفَاعَتِهِ»(٢).

وَبَيَّنَ رَحِمَهُ اللهُ التَّوَسُّلَ الصَّحِيحَ بِالْأَنْبِيَاءِ، وَأَنَّ التَّوَسُّلَ بِذَوَاتِهِمْ لَا يَجُوزُ، وَلَا مَنْفَعَةَ لِلْعَبْدِ حَاصِلَةٌ مِنْهُ: فَقَالَ: «التَّوَسُّلُ إِلَىٰ اللهِ بِالنَّبِيِّينَ هُوَ التَّوَسُّلُ بِالْإِيمَانِ بِهِمْ، وَبِطَاعَتِهِمْ، كَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِمْ، وَمَحَبَّتِهِمْ، وَمُوَالَاتِهِمْ، أَوْ بِدُعَائِهِمْ

---

(١) «فتح الباري» (٢/ ٤٩٧).

(٢) «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» (ص٨٠).

وَشَفَاعَتِهِمْ. وَأَمَّا نَفْسُ ذَوَاتِهِمْ فَلَيْسَ فِيهَا مَا يَقْتَضِي حُصُولَ مَطْلُوبِ الْعَبْدِ، وَإِنْ كَانَ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ الْجَاهُ الْعَظِيمُ، وَالْمَنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ بِسَبَبِ إِكْرَامِ اللهِ لَهُمْ وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وَفَضْلِهِ عَلَيْهِمْ»(١).

فالتَّوَسُّلُ الْمَمْنُوعُ: هُوَ التَّوَسُّلُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِمَا لَمْ يَثْبُتْ فِي الشَّرِيعَةِ أَنَّهُ وَسِيلَةٌ. وَهَذَا التَّعْرِيفُ هُوَ الَّذِي اخْتَارَهُ شَيْخُنَا - حَفِظَهُ اللهُ - وَهُوَ أَنْوَاعٌ بَعْضُهَا أَشَدُّ خُطُورَةً مِنْ بَعْضٍ، مِنْهَا:

١- التَّوَسُّلُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِدُعَاءِ الْمَوْتَىٰ وَالْغَائِبِينَ، وَالِاسْتِغَاثَةِ بِهِمْ. وَسُؤَالِهِمْ قَضَاءَ الْحَاجَاتِ وَتَفْرِيجَ الْكُرُبَاتِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَهَذَا مِنَ الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ النَّاقِلِ مِنَ الْمِلَّةِ.

٢- التَّوَسُّلُ إِلَىٰ اللهِ بِفِعْلِ الْعِبَادَاتِ عِنْدَ الْقُبُورِ وَالْأَضْرِحَةِ بِدُعَاءِ اللهِ عِنْدَهَا، وَالْبِنَاءِ عَلَيْهَا، وَوَضْعِ الْقَنَادِيلِ وَالسُّتُورِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَهَذَا مِنَ الشِّرْكِ الْأَصْغَرِ الْمُنَافِي لِكَمَالِ التَّوْحِيدِ، وَهُوَ ذَرِيعَةٌ مُفْضِيَةٌ إِلَىٰ الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ.

٣- التَّوَسُّلُ إِلَىٰ اللهِ بِجَاهِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَمَكَانَتِهِمْ وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَ اللهِ، وَهَذَا مُحَرَّمٌ، بَلْ هُوَ مِنَ الْبِدَعِ الْمُحْدَثَةِ؛ لِأَنَّهُ تَوَسُّلٌ لَمْ يُشَرِّعْهُ اللهُ وَلَمْ يَأْذَنْ بِهِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ [يونس: ٥٩]؛ وَلِأَنَّ جَاهَ الصَّالِحِينَ وَمَكَانَتَهُمْ عِنْدَ اللهِ إِنَّمَا تَنْفَعُهُمْ هُمْ. كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النجم: ٣٩]. وَلِذَا لَمْ يَكُنْ هَذَا التَّوَسُّلُ مَعْرُوفًا فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَقَدْ نَصَّ عَلَىٰ الْمَنْعِ مِنْهُ وَتَحْرِيمِهِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ(٢).

---

(١) «مجموع فتاوىٰ ابن تيمية» (٢٧/ ١٣٣).

(٢) «كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة» (ص ٥٠-٥١).

الضَّابِطُ السَّابِعُ: أُصُولُ الشِّرْكِ تِسْعَةٌ:

١- السِّحْرُ. ٢- الْكِهَانَةُ. ٣- التَّطَيُّرُ.

٤- الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللهِ. ٥- النَّذْرُ لِغَيْرِ اللهِ.

٦- الِاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللهِ. ٧- دُعَاءُ غَيْرِ اللهِ.

٨- الِاعْتِقَادُ فِي النُّجُومِ وَالْأَنْوَاءِ.

٩- الِاعْتِقَادُ أَنَّ غَيْرَ اللهِ يَنْفَعُ أَوْ يَضُرُّ.

* قَوْلُهُ: «أُصُولُ الشِّرْكِ تِسْعَةٌ».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: **أَنَّ أُصُولَ الشِّرْكِ تِسْعَةٌ؛ أَيِ**: الْمُوبِقَاتُ وَالْمُهْلِكَاتُ الَّتِي نَصَّ عَلَيْهَا الْعُلَمَاءُ بِالِاسْتِقْرَاءِ وَالتَّتَبُّعِ.

وَفِيهِ مَسَائِلُ: الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: تَعْرِيفُ الشِّرْكِ:

الشِّرْكُ فِي اللُّغَةِ: الْمُخَالَطَةُ وَالْمُصَاحَبَةُ، جَاءَ فِي «لِسَانِ الْعَرَبِ»: «الشِّرْكَةُ وَالشَّرِكَةُ سَوَاءٌ: مُخَالَطَةُ الشَّرِيكَيْنِ، يُقَالُ: اشْتَرَكْنَا بِمَعْنَى تَشَارَكْنَا، وَقَدِ اشْتَرَكَ الرَّجُلَانِ وَتَشَارَكَا وَشَارَكَ أَحَدُهُمَا الْآخَرُ، وَالشَّرِيكُ الْمُشَارِكُ، وَالشِّرْكُ كَالشَّرِيكِ، وَالْجَمْعُ أَشْرَاكٌ وَشُرَكَاءُ، وَطَرِيقٌ مُشْتَرَكٌ يَسْتَوِي فِيهِ النَّاسُ، وَاسْمٌ مُشْتَرَكٌ فِيهِ مَعَانٍ كَثِيرَةٌ: كَالْعَيْنِ وَنَحْوِهَا، وَأَشْرَكَ بِاللهِ جَعَلَ لَهُ شَرِيكًا فِي مُلْكِهِ تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ، وَالِاسْمُ الشِّرْكُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ عَبْدِهِ لُقْمَانَ أَنَّهُ قَالَ لِابْنِهِ: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣].

وَالشِّرْكُ: أَنْ يُجْعَلَ للهِ شَرِيكٌ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، تَعَالَى اللهُ عَنِ الشُّرَكَاءِ

وَالْأَنْدَادِ»(١).

تَعْرِيفُ الشِّرْكِ شَرْعًا: فَقَدْ عَرَّفَهُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ بِقَوْلِهِ: هُوَ أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا، وَهُوَ خلقَكَ. وَيُمْكِنُ الْقَوْلُ بِأَنَّ الشِّرْكَ فِي الشَّرْعِ هُوَ أَنْ يَصْرِفَ الْعَبْدُ شَيْئًا مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَىٰ مِنْ أَصْنَامٍ أَوْ أَوْثَانٍ، أَوْ أَشْجَارٍ، أَوْ أَحْجَارٍ، أَوْ إِنْسٍ، أَوْ جِنٍّ، أَوْ قُبُورٍ، أَوْ أَجْرَامٍ سَمَاوِيَّةٍ، أَوْ قُوَىٰ طَبِيعِيَّةٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ. وَمِنْ هَذَا يَتَبَيَّنُ لَنَا أَنَّ مَنْ صَرَفَ شَيْئًا مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ كَالدُّعَاءِ وَالذَّبْحِ وَالنَّذْرِ وَالصَّلَاةِ وَالِاسْتِغَاثَةِ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَالتَّوَكُّلِ وَنَحْوِهَا، لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَىٰ فَقَدْ أَشْرَكَ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: التَّحْذِيرُ مِنَ الشِّرْكِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ قَالَ: «لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ بِشِرْكٍ، أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَىٰ قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾»(٢).

---

(١) «لسان العرب» (١٠/ ٤٤٨-٤٤٩).

(٢) متفق عليه: البخاري (٣٣٦٠)، ومسلم (١٢٤).

وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ حَقِيقَةَ الشِّرْكِ وَعِظَمَ جُرْمِهِ:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ...»(١).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بن عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الْكَبَائِرُ؟ قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللهِ» قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «ثُمَّ عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ»(٢).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَوْلُ الزُّورِ، أَوْ قَالَ: وَشَهَادَةُ الزُّورِ»(٣).

عَنْ مُعَاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ: عُفَيْرٌ فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَىٰ اللهِ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَىٰ اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»(٤).

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: أَقْسَامُ الشِّرْكِ(٥): يَنْقَسِمُ الشِّرْكُ إِلَىٰ قِسْمَيْنِ:

١- شِرْكٌ أَكْبَرُ: مُخْرِجٌ مِنْ مِلَّةِ الإِسْلَامِ.

٢- شِرْكٌ أَصْغَرُ: مُحْبِطٌ لِلْعَمَلِ.

أَوَّلًا: تَعْرِيفُ الشِّرْكِ الأَكْبَرِ. يُعَرَّفُ الشِّرْكُ الأَكْبَرُ بِأَنَّهُ: إِثْبَاتُ شَرِيكٍ للهِ عَزَّ وَجَلَّ

---

(١) متفق عليه: البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٦٩٢٠).

(٣) متفق عليه: البخاري (٦٨٧١)، ومسلم (٨٨).

(٤) متفق عليه: البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).

(٥) «المفيد في مهمات التوحيد» (ص ١١١-١٢٦) بتصرف.

فِي خَصَائِصِهِ؛ فَيَجْعَلَ الْإِنْسَانُ نِدًّا للهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، أَوْ فِي أُلُوهِيَّتِهِ، أَوْ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ(١).

ثَانِيًا: حُكْمُ الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ:

١- الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ، وَصَاحِبُهُ حَلَالُ الدَّمِ وَالْمَالِ.

يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾ [التوبة: ٥].

وَيَقُولُ عَنْهُمْ: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝١١﴾ [التوبة: ١١].

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ**»(٢).

٢- الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ يُحْبِطُ جَمِيعَ الْعَمَلِ:

يَقُولُ اللهُ ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٨٨﴾ [الأنعام: ٨٨]. وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ۝٦٥﴾ [الزمر: ٦٥].

---

(١) «معارج القبول» للشيخ حافظ الحكمي (٢/ ٤٨٣).

(٢) متفق عليه: البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).

٣- الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ لَا يُغْفَرُ لِصَاحِبِهِ إِنْ مَاتَ عَلَيْهِ:

يَقُولُ اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦]. أَمَّا إِنْ تَابَ قَبْلَ الْمَوْتِ، فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنفال: ٣٨].

٤- صَاحِبُ الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ فِي الْآخِرَةِ خَالِدٌ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ:

يَقُولُ اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

ثَالِثًا: أَقْسَامُ الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ:

يَنْقَسِمُ الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ إِلَىٰ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ أَنْوَاعِ التَّوْحِيدِ:

١- شِرْكٌ فِي الرُّبُوبِيَّةِ. **٢- شِرْكٌ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.**

٣- شِرْكٌ فِي الْأُلُوهِيَّةِ.

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَىٰ مِنْ أَقْسَامِ الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ: الشِّرْكُ فِي الرُّبُوبِيَّةِ:

الشِّرْكُ فِي الرُّبُوبِيَّةِ أَحَدُ أَقْسَامِ الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ، وَهُوَ شِرْكٌ يَتَعَلَّقُ بِذَاتِ اللهِ ﷻ.

أ- **تَعْرِيفُهُ:** هُوَ صَرْفُ خَصَائِصِ الرُّبُوبِيَّةِ كُلِّهَا، أَوْ بَعْضِهَا لِغَيْرِ اللهِ ﷻ، أَوْ تَعْطِيلُهُ ﷻ عَنْهَا بِالْكُلِّيَّةِ. **وَخَصَائِصُ الرُّبُوبِيَّةِ هِيَ:** التَّفَرُّدُ بِالْخَلْقِ، وَالرِّزْقِ، وَالْإِحْيَاءِ، وَالْإِمَاتَةِ، وَالْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ، وَالضَّرِّ، وَالنَّفْعِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

ب- نَوْعَاهُ: ١- شِرْكُ التَّعْطِيلِ:

تَعْرِيفُهُ: هُوَ تَعْطِيلُ الْمَصْنُوعِ عَنْ صَانِعٍ، وَتَعْطِيلُ الصَّانِعِ عَنْ أَفْعَالِهِ،

وَيَكُونُ ذَلِكَ بِتَعْطِيلِ خَصَائِصِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَإِنْكَارِ أَنْ يَكُونَ اللهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ[(١)].

وَمِنَ الْأَمْثِلَةِ عَلَيْهِ: شِرْكُ فِرْعَوْنَ الَّذِي عَطَّلَ الرُّبُوبِيَّةَ ظَاهِرًا؛ ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الشعراء: ٢٣]. وَقَالَ لِهَامَانَ: ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ [غافر: ٣٦-٣٧]. وَمِنْ هَذَا الشِّرْكِ[(٢)]: شِرْكُ أَهْلِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ؛ كَابْنِ عَرَبِيٍّ، وَابْنِ سَبْعِينَ، وَغَيْرِهِمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ الْخَالِقَ عَيْنُ الْمَخْلُوقِ؛ فَعَطَّلُوا للهِ ﷻ عَنْ أَنْ يَكُونَ رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ رَبٍّ، وَعَبْدٍ.

٢- شِرْكُ التَّمْثِيلِ:

تَعْرِيفُهُ: هُوَ التَّسْوِيَةُ بَيْنَ اللهِ وَخَلْقِهِ فِي شَيْءٍ مِنْ خَصَائِصِ الرُّبُوبِيَّةِ، أَوْ نِسْبَتُهَا إِلَىٰ غَيْرِهِ ﷻ[(٣)]. وَمِنَ الْأَمْثِلَةِ عَلَيْهِ[(٤)]: شِرْكُ النَّصَارَىٰ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَعَهُ أَرْبَابًا، فَجَعَلُوهُ ثَالِثَ ثَلَاثَةٍ؛ وَشِرْكُ الْمَجُوسِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ لِلْعَالَمِ رَبَّيْنِ أَحَدُهُمَا خَالِقٌ لِلْخَيْرِ، وَالْآخَرُ خَالِقٌ لِلشَّرِّ؛ وَشِرْكُ الصَّابِئَةِ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ الْكَوَاكِبَ هِيَ الْمُدَبِّرَةُ لِأَمْرِ الْعَالَمِ؛ وَشِرْكُ الْقَدَرِيَّةِ «مَجُوسِ هَذِهِ الْأُمَّةِ» الْقَائِلِينَ بِأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ يَخْلُقُ فِعْلَ نَفْسِهِ؛ وَشِرْكُ عُبَّادِ الْقُبُورِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ أَرْوَاحَ الْأَوْلِيَاءِ تَتَصَرَّفُ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَتَقْضِي الْحَاجَاتِ، وَتُفَرِّجُ الْكُرُبَاتِ، وَتَنْصُرُ مَنْ دَعَاهَا، وَتَحْفَظُ مَنْ لَاذَ بِحِمَاهَا. وَمِثْلُهُمْ مَزَاعِمُ غُلَاةِ الصُّوفِيَّةِ فِي الْأَوْلِيَاءِ: أَنَّهُمْ يَنْفَعُونَ، وَيَضُرُّونَ، وَيَتَصَرَّفُونَ فِي الْأَكْوَانِ إِلخ.

---

(١) «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» لابن القيم (ص٢٣١).

(٢) «الدين الخالص» لصديق حسن خان (١/ ٣١٥).

(٣) «المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية» للدكتور إبراهيم البريكان (ص١٤٧).

(٤) «تجريد التوحيد» للمقريزي (ص٥٥-٥٧، ٧٠)، و«الجواب الكافي» لابن القيم (٢٣١)، و«شرح الطحاوية» لابن أبي العز (١/ ٣٨)، و«توحيد الربوبية» لمحمد إبراهيم الحمد (ص٢١-٢٥).

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ أَقْسَامِ الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ: الشِّرْكُ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ:

أَوَّلًا: تَعْرِيفُهُ: هُوَ التَّسْوِيَةُ بَيْنَ اللهِ وَالْخَلْقِ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ؛ بِأَنْ يُجْعَلَ للهِ ﷻ نِدًّا فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ؛ فَيُسَمِّيهِ بِأَسْمَاءِ اللهِ، أَوْ يَصِفُهُ بِصِفَاتِهِ(١).

ثَانِيًا: نَوْعَاهُ: ١- شِرْكُ التَّشْبِيهِ:

تَعْرِيفُهُ: هُوَ أَنْ يُثْبِتَ للهِ تَعَالَىٰ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ مِنَ الْخَصَائِصِ، مِثْلَ مَا يُثْبِتُ لِلْمَخْلُوقِ مِنْ ذَلِكَ(٢). **وَمِنَ الْأَمْثِلَةِ عَلَيْهِ:** قَوْلُ الْقَائِلِ: إِنَّ يَدَيِ اللهِ مِثْلُ أَيْدِي الْمَخْلُوقِينَ، وَاسْتِوَاءَهُ عَلَىٰ عَرْشِهِ كَاسْتِوَائِهِمْ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

٢- شِرْكُ الِاشْتِقَاقِ:

تَعْرِيفُهُ: هُوَ أَنْ يَشْتَقَّ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ ﷻ الْمُخْتَصَّةِ بِهِ اسْمًا، وَيُسَمِّي بِهِ غَيْرَهُ.

وَهَذَا مِنَ الْإِلْحَادِ فِي أَسْمَائِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ(٣). **وَمِنَ الْأَمْثِلَةِ عَلَيْهِ:** مَا فَعَلَهُ الْمُشْرِكُونَ مِنَ اشْتِقَاقِ أَسْمَاءِ لِآلِهَتِهِمُ الْبَاطِلَةِ مِنْ أَسْمَاءِ الْإِلَهِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فَـ«يُلْحِدُونَ»: أَيْ: يُشْرِكُونَ(٤).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «اشْتَقُّوا الْعُزَّىٰ مِنَ الْعَزِيزِ، وَاشْتَقُّوا اللَّاتَ مِنَ اللهِ»(٥).

---

(١) «فتاوىٰ اللجنة الدائمة» (١/ ٥١٦)، و«المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية» للبريكان (ص١٤٧).

(٢) «فتح رب البرية بتلخيص الحموية» للشيخ ابن عثيمين (ص٢٠-٢١).

(٣) «فتاوىٰ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء» (١/ ٥١٦).

(٤) أخرجه عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير عن قتادة بن دعامة السدوسي. «انظر الدر المنثور في التفسير المأثور» للسيوطي (٣/ ٢٧٢).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم، عن ابن عباس «الدر المنثور» (٣/ ٢٧١).

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ مِنْ أَقْسَامِ الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ: الشِّرْكُ فِي الْأُلُوهِيَّةِ وَالتَّعَبُّدِ:

أَوَّلًا: تَعْرِيفُهُ: هُوَ أَنْ يُجْعَلَ للهِ نِدٌّ فِي الْعِبَادَةِ، أَوْ فِي التَّشْرِيعِ؛ فَيَصْرِفَ الْعَبْدُ لِغَيْرِ اللهِ شَيْئًا مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي تُصْرَفُ للهِ، أَوْ يَتَّخِذَ غَيْرَهُ مُشَرِّعًا مِنْ دُونِهِ، أَوْ شَرِيكًا لَهُ ﷻ فِي التَّشْرِيعِ(١).

ثَانِيًا: أَنْوَاعُهُ: الشِّرْكُ فِي الْأُلُوهِيَّةِ وَالتَّعَبُّدِ عَلَىٰ أَنْوَاعٍ، مِنْهَا:

١- شِرْكُ الدُّعَاءِ.
٢- شِرْكُ الشَّفَاعَةِ.
٣- شِرْكُ النِّيَّةِ وَالْإِرَادَةِ وَالْقَصْدِ.
٤- شِرْكُ الطَّاعَةِ.
٥- شِرْكُ الْمَحَبَّةِ.
٦- شِرْكُ الْخَوْفِ.

أَوَّلًا: شِرْكُ الدُّعَاءِ:

أ- تَعْرِيفُهُ: هُوَ دُعَاءُ غَيْرِ اللهِ؛ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَالْأَوْلِيَاءِ، وَغَيْرِهِمْ، فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ ﷻ؛ فَمَنْ دَعَا، أَوِ اسْتَغَاثَ، أَوِ اسْتَعَانَ، أَوِ اسْتَعَاذَ بِغَيْرِ اللهِ، فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ؛ مِنْ طَلَبِ رِزْقٍ، أَوْ شِفَاءِ مَرِيضٍ، أَوْ إِحْيَاءِ مَيِّتٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ؛ فَقَدْ أَشْرَكَ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ، سَوَاءٌ أَكَانَ ذَلِكَ الْغَيْرُ نَبِيًّا، أَوْ وَلِيًّا، أَوْ جِنِّيًّا، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ(٢). يَقُولُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ مُعَدِّدًا أَنْوَاعَ الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ: «وَمِنْ أَنْوَاعِهِ: طَلَبُ الْحَوَائِجِ مِنَ الْمَوْتَىٰ، وَالِاسْتِغَاثَةُ بِهِمْ، وَالتَّوَجُّهُ إِلَيْهِمْ. وَهَذَا أَصْلُ شِرْكِ الْعَالَمِ؛ فَإِنَّ الْمَيِّتَ قَدِ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَهُوَ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا؛ فَضْلًا عَمَّنِ اسْتَغَاثَ بِهِ، وَسَأَلَهُ قَضَاءَ حَاجَتِهِ»(٣).

---

(١) «فتاوىٰ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء» (١/ ٥١٦).
(٢) «تيسير ذي الجلال» للقحطاني ص٢٦، و«بيان الشرك ووسائله» لمحمد الخميس ص١٤.
(٣) «مدارج السالكين» لابن القيم (١/ ٣٧٥).

ب- مِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَىٰ أَنَّ دُعَاءَ غَيْرِ اللهِ شِرْكٌ:

١- قَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٧]. فَهَذَا سَيَقْدُمُ عَلَىٰ رَبِّهِ، فَيُجَازِيهِ بِأَعْمَالِهِ، وَلَا يُنِيلُهُ مِنَ الْفَلَاحِ شَيْئًا؛ لِأَنَّهُ كَافِرٌ[١].

٢- قَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ ﴾ [الزمر: ٨]. فَلَا يُغْنِيكَ مَا تَتَمَتَّعُ بِهِ، إِذَا كَانَ الْمَآلُ النَّارَ[٢].

ثَانِيًا: شِرْكُ الشَّفَاعَةِ:

أ- تَعْرِيفُ الشَّفَاعَةِ: بِأَنَّهَا انْضِمَامُ شَيْءٍ إِلَىٰ آخَرَ، نَاصِرًا لَهُ، وَسَائِلًا عَنْهُ، فَهِيَ مَأْخُوذَةٌ مِنْ شَفَعَ الشَّيْءَ شَفْعًا، إِذَا ضَمَّ مِثْلَهُ إِلَيْهِ، وَجَعَلَهُ زَوْجًا[٣].

ب- الشَّفَاعَةُ الْمَعْنِيَّةُ هَاهُنَا:

الشَّفَاعَةُ الْمُرَادَةُ هُنَا هِيَ تِلْكَ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْآخِرَةِ؛ كَطَلَبِ الشَّفِيعِ مَغْفِرَةَ ذُنُوبِ الْمَشْفُوعِ لَهُ، أَوِ التَّجَاوُزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.

ج- كَيْفَ يَقَعُ شِرْكُ الشَّفَاعَةِ؟

يَقَعُ هَذَا الشِّرْكُ إِذَا اتَّخَذَ الْعَبْدُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا، فَصَرَفَ لَهُمْ نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ، أَوْ كُلَّهَا، وَتَوَجَّهَ بِهِمْ، وَتَقَرَّبَ بِعِبَادَتِهِمْ إِلَىٰ اللهِ، زَاعِمًا أَنَّ مَعْبُودَاتِهِ هَذِهِ تَشْفَعُ لَهُ عِنْدَ اللهِ، وَتُقَرِّبُهُ مِنْهُ زُلْفَىٰ.

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» لابن سعدي (٥/ ٣٨٦).

(٢) المرجع نفسه (٦/ ٤٥٣).

(٣) «المعجم الوسيط» لجماعة من المؤلفين (٤٨٧).

د- مِنْ أَدِلَّةِ هَذَا النَّوْعِ.

١- قَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس: ١٨].

فَحَكَمَ اللهُ ﷻ بِالشِّرْكِ عَلَىٰ مَنْ عَبَدَ الشُّفَعَاءَ، أَوْ دَعَاهُمْ بِقَصْدِ الشَّفَاعَةِ[(١)].

٢- قَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزمر: ٤٣-٤٤]. فَنَفَىٰ ﷻ أَنْ تَشْفَعَ لَهُمْ هَذِهِ الْأَنْدَادُ عِنْدَ اللهِ، وَأَخْبَرَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ للهِ وَحْدَهُ؛ فَلَا يَشْفَعُ أَحَدٌ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ.

٣- قَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾. فَكَذَّبَهُمْ وَكَفَّرَهُمْ بِذَلِكَ[(٢)].

٤- قَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سبأ: ٢٢]. فَقَطَعَ اللهُ الْأَسْبَابَ الَّتِي يَتَعَلَّقُ بِهَا الْمُشْرِكُونَ قَطْعًا؛ لِأَنَّ الْمُشْرِكَ إِنَّمَا يَتَّخِذُ مَعْبُودَهُ لِمَا يَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَحْصُلُ لَهُ بِهِ مِنَ النَّفْعِ.

---

(١) «تيسير العزيز الحميد» للشيخ سليمان بن عبد الله (ص٢٧٦).
(٢) «مدارج السالكين» لابن القيم (١/ ٣٦٩).

وَالنَّفْعُ لَا يَكُونُ إِلَّا مِمَّنْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعِ: إِمَّا مَالِكٌ لِمَا يُرِيدُ عَابِدُهُ مِنْهُ؛ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَالِكًا، كَانَ شَرِيكًا لِلْمَالِكِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَرِيكًا لَهُ، كَانَ مُعِينًا لَهُ وَظَهِيرًا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُعِينًا وَلَا ظَهِيرًا، كَانَ شَفِيعًا عِنْدَهُ؛ فَنَفَىٰ سُبْحَانَهُ الْمَرَاتِبَ الْأَرْبَعَ نَفْيًا مُرَتَّبًا مُنْتَقِلًا مِنَ الْأَعْلَىٰ إِلَىٰ مَا دُونَهُ؛ فَنَفَىٰ الْمِلْكَ، وَالشَّرِكَةَ، وَالْمُظَاهَرَةَ، وَالشَّفَاعَةَ الَّتِي يَظُنُّهَا الْمُشْرِكُ، وَأَثْبَتَ شَفَاعَةً لَا نَصِيبَ فِيهَا لِمُشْرِكٍ، وَهِيَ الشَّفَاعَةُ بِإِذْنِهِ(١).

ثَالِثًا: شِرْكُ النِّيَّةِ وَالْإِرَادَةِ وَالْقَصْدِ:

أ- الْمُرَادُ بِهَذَا النَّوْعِ: هُوَ أَنْ يَنْوِيَ الْعَبْدُ وَيُرِيدَ وَيَقْصِدَ بِعَمَلِهِ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا غَيْرَ اللهِ ﷻ. أَوْ هُوَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ لِلدُّنْيَا فَقَطْ. أَوْ هُوَ الَّذِي يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنْ غَيْرِ إِيمَانٍ، أَوْ كَانَ غَرَضُهُ وَهَدَفُهُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَقَطْ(٢)؛ فَمَنْ كَانَ غَرَضُهُ الدُّنْيَا لَا غَيْرَ، لَا يُرِيدُ إِلَّا إِيَّاهَا، وَلَا يُحِبُّ وَلَا يُبْغِضُ إِلَّا مِنْ أَجْلِهَا، وَلَا يُوَالِي وَلَا يُعَادِي إِلَّا عَلَيْهَا؛ فَلَيْسَ لَهُ فِي الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.

ب- دَلِيلُ هَذَا النَّوْعِ: قَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥-١٦].

فَهَؤُلَاءِ لَمْ يَعْمَلُوا إِلَّا لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا فَقَطْ؛ فَلَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ ثَوَابٌ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُرِيدُوا بِعَمَلِهِم الْآخِرَةَ، وَإِنَّمَا أَرَادُوا الدُّنْيَا(٣).

---

(١) «مدارج السالكين» لابن القيم (١/ ٣٧٢)، وانظر «تيسير العزيز الحميد» (ص٢٨٥).

(٢) «تجريد التوحيد» للمقريزي (ص٦٧)، و«تيسير العزيز الحميد» (ص٥٣٧). و«بيان الشرك ووسائله عند علماء الحنابلة» للخميس (ص١٤).

(٣) «تيسير العزيز الحميد» (ص٥٣٥)، و«فتح المجيد» (ص٥٤٠).

رَابِعًا: شِرْكُ الطَّاعَةِ:

أ- تَعْرِيفُهُ: **يُعَرَّفُ شِرْكُ الطَّاعَةِ بِأَنَّهُ:** مُسَاوَاةُ غَيْرِ اللهِ بِاللهِ فِي التَّشْرِيعِ وَالْحُكْمِ(١). أَوْ طَاعَةُ الْعُلَمَاءِ وَالْأُمَرَاءِ فِي الْمَعْصِيَةِ، مَعَ اسْتِحْلَالِ ذَلِكَ(٢)؛ فَكُلُّ مَنْ أَطَاعَ مَخْلُوقًا فِي تَحْرِيمِ الْحَلَالِ، أَوْ تَحْلِيلِ الْحَرَامِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ شِرْكَ طَاعَةٍ.

ب- مِنْ أَدِلَّةِ هَذَا النَّوْعِ: ١- **قَوْلُ اللهِ** ﷻ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١].

فَهَؤُلَاءِ اتَّخَذُوا عُلَمَاءَهُمْ، وَمَشَايِخَهُمْ وَقُرَّاءَهُمْ سَادَةً لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ، يُطِيعُونَهُمْ فِي مَعَاصِي اللهِ، فَيُحِلُّونَ مَا أَحَلُّوهُ لَهُمْ مِمَّا قَدْ حَرَّمَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَيُحَرِّمُونَ مَا يُحَرِّمُونَهُ عَلَيْهِمْ، مِمَّا قَدْ أَحَلَّهُ اللهُ لَهُمْ(٣).

٢- عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]؛ فَقَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ! قَالَ ﷺ: «**أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتُحِلُّونَهُ؟**» قَالَ عَدِيٌّ: بَلَىٰ. **فَقَالَ رَسُولُ اللهِ** ﷺ: «**فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ**»(٤).

٣- **قَوْلُ اللهِ** ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ

---

(١) «المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية» للبريكان (ص١٥٥).

(٢) «فتح المجيد» (ص٥٥٣)، و«بيان الشرك ووسائله عند علماء الحنابلة» للخميس (ص١٥).

(٣) «جامع البيان» للطبري (٦/ ٣٥٤).

(٤) صحيح: الترمذي (٣٠٩)

وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَـٰلَۢا بَعِيدٗا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء: ٦٠]. فَسَمَّىٰ سُبْحَانَهُ الِاحْتِكَامَ إِلَىٰ غَيْرِ شَرْعِهِ تَحَاكُمًا إِلَىٰ الطَّاغُوتِ(١).

٤- قَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]. فَنَفَىٰ ﷻ الْإِيمَانَ عَنِ الْمُعْرِضِينَ عَنِ الِاحْتِكَامِ إِلَىٰ شَرْعِهِ، وَأَقْسَمَ بِنَفْسِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ أَحَدٌ حَتَّىٰ يَحْكُمَ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ وَحَتَّىٰ يَنْتَفِيَ عَنْ صَدْرِهِ الضِّيقُ وَالْحَرَجُ مِنْ ذَٰلِكَ.

خَامِسًا: شِرْكُ الْمَحَبَّةِ: أ- أَنْوَاعُ الْمَحَبَّةِ: الْمَحَبَّةُ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ:

١- **مَحَبَّةٌ وَاجِبَةٌ**: وَهِيَ مَحَبَّةُ طَاعَةِ اللهِ، وَالِانْقِيَادِ لَهُ(٢)؛ وَهِيَ مَحَبَّةُ الْعُبُودِيَّةِ الْمُسْتَلْزِمَةُ لِلذُّلِّ وَالْخُضُوعِ، وَكَمَالِ الطَّاعَةِ، وَإِيثَارِ الْمَحْبُوبِ عَلَىٰ غَيْرِهِ؛ فَهَذِهِ الْمَحَبَّةُ خَالِصَةٌ للهِ، لَا يَجُوزُ أَنْ يُشْرِكَ مَعَهُ فِيهَا أَحَدًا(٣).

٢- **مَحَبَّةٌ مُحَرَّمَةٌ، أَوْ شِرْكِيَّةٌ**: وَهِيَ صَرْفُ تِلْكَ الْمَحَبَّةِ الْوَاجِبَةِ للهِ ﷻ، إِلَىٰ غَيْرِهِ؛ فَمَنْ أَحَبَّ غَيْرَ اللهِ حُبَّ ذُلٍّ وَخُضُوعٍ، فَقَدَّمَ طَاعَتَهُ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَآثَرَ مَحَابَّهُ عَلَىٰ مَحَابِّ اللهِ، فَقَدْ جَعَلَهُ نِدًّا للهِ. وَعَنْهَا يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللهُ: إِنَّ مَنِ اتَّخَذَ نِدًّا تُسَاوِي مَحَبَّتُهُ مَحَبَّةَ اللهِ، فَهُوَ الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ. وَهَذِهِ الْمَحَبَّةُ: قَلِيلُهَا وَكَثِيرُهَا يُنَافِي مَحَبَّةَ اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ(٤).

---

(١) «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» للشيخ عبد الرحمن بن حسن (ص٥٦٧).

(٢) «الوسيط في تفسير القرآن» (١/ ١٣٦)، و«الإرشاد إلىٰ صحيح الاعتقاد» للفوزان (ص٧٤).

(٣) «الإرشاد إلىٰ صحيح الاعتقاد» للشيخ صالح الفوزان (ص٧٤).

(٤) «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» للشيخ عبد الرحمن بن حسن (ص٤٨٧).

٣- مَحَبَّةٌ طَبِيعِيَّةٌ، أَوْ جِبِلِّيَّةٌ: وَهَذِهِ مُبَاحَةٌ، مَا لَمْ تَصِلْ إِلَىٰ تَعْظِيمِ الْمَحْبُوبِ إِلَىٰ الْحَدِّ الَّذِي لَا يَلِيقُ إِلَّا بِاللهِ ﷻ. وَمِنْ أَمْثِلَةِ هَذِهِ الْمَحَبَّةِ: حُبُّ الْإِنْسَانِ لِوَطَنِهِ، وَالْوَالِدِ لِوَلَدِهِ، وَالزَّوْجِ لِزَوْجِهِ، وَذِي الْمَالِ لِمَالِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَعَنْهَا يَقُولُ اللهُ ﷻ: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤].

ب- دَلِيلُ هَذَا النَّوْعِ: قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

ج- شُبْهَةٌ وَالرَّدُّ عَلَيْهَا: يَعْتَرِضُ بَعْضُ الْوَاقِعِينَ فِي هَذَا النَّوْعِ مِنَ الشِّرْكِ: بِأَنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللهَ حُبًّا شَدِيدًا، رُبَّمَا أَشَدَّ مِنْ حُبِّهِمْ لِأَنْدَادِهِمْ، فَأَيْنَ الشِّرْكُ فِي ذَلِكَ؟

وَعَلَىٰ شُبْهَتِهِمْ هَذِهِ رَدَّ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ بِقَوْلِهِ: وَتَرَىٰ الْمُشْرِكَ يُكَذِّبُ حَالُهُ وَعَمَلُهُ قَوْلَهُ؛ فَإِنَّهُ يَقُولُ: لَا نُحِبُّهُمْ كَحُبِّ اللهِ، وَلَا نُسَوِّيهِمْ بِاللهِ، ثُمَّ يَغْضَبُ لَهُمْ وَلِحُرُمَاتِهِمْ إِذَا انْتُهِكَتْ أَعْظَمَ مِمَّا يَغْضَبُ للهِ، وَيَسْتَبْشِرُ بِذِكْرِهِمْ، وَيَتَبَشْبَشُ بِهِ، سِيَّمَا إِذَا ذُكِرَ عَنْهُمْ مَا لَيْسَ فِيهِمْ؛ مِنْ إِغَاثَةِ اللَّهْفَانِ، وَكَشْفِ الْكُرُبَاتِ، وَقَضَاءِ الْحَاجَاتِ، وَأَنَّهُمُ الْبَابُ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ عِبَادِهِ؛ فَإِنَّكَ تَرَىٰ الْمُشْرِكَ يَفْرَحُ، وَيُسَرُّ، وَيَحِنُّ قَلْبُهُ، وَتَهِيجُ مِنْهُ لَوَاعِجُ التَّعْظِيمِ وَالْخُضُوعِ لَهُمْ وَالْمُوَالَاةِ، وَإِذَا ذَكَرْتَ لَهُ اللهَ وَحْدَهُ، وَجَرَّدْتَ تَوْحِيدَهُ، لَحِقَتْهُ وَحْشَةٌ، وَضِيقٌ، وَحَرَجٌ، وَرَمَاكَ بِنَقْصِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي لَهُ، وَرُبَّمَا عَادَاكَ[(١)].

---

(١) «مدارج السالكين» لابن القيم (١/ ٣٧١).

سَادِسًا: شِرْكُ الْخَوْفِ:

أ- أَنْوَاعُ الْخَوْفِ: الْخَوْفُ أَنْوَاعُهُ ثَلَاثَةٌ، كَمَا الْمَحَبَّةُ:

١- خَوْفٌ وَاجِبٌ: وَقُلْنَا هُوَ الْخَوْفُ مِنَ اللهِ ﷻ أَنْ يُصِيبَكَ بِمَا يَشَاءُ، وَالْمَطْلُوبُ فِيهِ: أَنْ يَحْمِلَكَ عَلَىٰ فِعْلِ الْمَأْمُورَاتِ، وَاجْتِنَابِ الْمَنْهِيَّاتِ وَالْمَحْظُورَاتِ. وَهَذَا الْخَوْفُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُقْتَرِنًا بِالرَّجَاءِ وَالْمَحَبَّةِ.

٢- خَوْفٌ طَبِيعِيٌّ(١): وَهُوَ الْخَوْفُ مِمَّا يُخَافُ مِنْهُ طَبْعًا؛ كَالْخَوْفِ مِنَ السَّبُعِ، كَالْأَسَدِ وَنَحْوِهِ، وَالْعَدُوِّ الْمُبْغِتِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، مَعَ اعْتِقَادِ أَنَّ النَّفْعَ وَالضُّرَّ بِيَدِ اللهِ وَحْدَهُ. وَهَذَا الْخَوْفُ مُبَاحٌ، وَهُوَ غَيْرُ مَذْمُومٍ. وَقَدْ وَقَعَ لِمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَقُولُ تَعَالَىٰ حَاكِيًا عَنْهُ: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ [القصص: ٢١].

٣- الْخَوْفُ الْمُحَرَّمُ: وَهُوَ قِسْمَانِ:

الْأَوَّلُ: الْخَوْفُ السِّرِّيُّ «الِاعْتِقَادِيُّ»، وَسُمِّيَ اعْتِقَادِيًّا؛ لِأَنَّ مَحَلَّهُ الْقَلْبُ وَهُوَ: الْخَوْفُ مِنْ غَيْرِ اللهِ أَنْ يُؤَثِّرَ فِيهِ، أَوْ يُصِيبَهُ لِمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ ﷻ؛ مِنْ مَرَضٍ، أَوْ مَنْعِ رِزْقٍ، أَوْ إِصَابَةٍ بِفَقْرٍ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ بِقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ، كَمَا قَالَ اللهُ عَنْ قَوْمِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّهُمْ قَالُوا لَهُ: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [هود: ٥٤]. وَهَذَا الْخَوْفُ هُوَ الْخَوْفُ الشِّرْكِيُّ؛ فَمَنْ وَقَعَ فِيهِ وَقَعَ فِي الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ.

الثَّانِي: الْخَوْفُ الْعَمَلِيُّ: وَهُوَ الْخَوْفُ مِنَ النَّاسِ الْمُؤَدِّي إِلَىٰ تَرْكِ الْوَاجِبِ، أَوِ الْمُؤَدِّي إِلَىٰ عَمَلِ الْمُحَرَّمِ(٢). وَهَذَا الْخَوْفُ حَرَامٌ، وَيُنَافِي كَمَالَ

---

(١) «فتح المجيد» للشيخ عبد الرحمن بن حسن (ص٤٨٩)، و«الإرشاد» للفوزان (ص٦٧).

(٢) «فتح المجيد» (ص٤٨٨)، و«الأسئلة والأجوبة في العقيدة» (ص٣٩)، و«الإرشاد» (ص٦٦).

التَّوْحِيدِ، وَهُوَ شِرْكٌ أَصْغَرُ. وَدَلِيلُهُ: قَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣]؛ فَاخْشَوْهُمْ؛ أَيْ: وَاتْرُكُوا الْجِهَادَ.

ثَانِيًا: الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ: أ- تَعْرِيفُ الشِّرْكِ الْأَصْغَرِ:

يُعَرَّفُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ بِأَنَّهُ: مُسَاوَاةُ غَيْرِ اللهِ بِاللهِ فِي هَيْئَةِ الْفِعْلِ وَأَقْوَالِ اللِّسَانِ. أَوْ: كُلُّ مَا أَطْلَقَ عَلَيْهِ الشَّرْعُ وَصْفَ الشِّرْكِ، لَكِنَّهُ لَا يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ(١).

يَقُولُ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَعْدِي ﵀: وَأَمَّا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ؛ فَهُوَ جَمِيعُ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ الَّتِي يُتَوَسَّلُ بِهَا إِلَىٰ الشِّرْكِ؛ كَالْغُلُوِّ فِي الْمَخْلُوقِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ رُتْبَةَ الْعِبَادَةِ؛ كَالْحَلِفِ بِغَيْرِ اللهِ، وَكَيَسِيرِ الرِّيَاءِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ(٢).

ب- حُكْمُ الشِّرْكِ الْأَصْغَرِ، مَعَ دَلِيلِهِ:

١- الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ بَعْدَ الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ، وَمَعْصِيَةٌ مِنْ أَكْبَرِ الْمَعَاصِي، لِمَا فِيهِ مِنْ تَسْوِيَةِ غَيْرِ اللهِ بِاللهِ ﷻ.

٢- الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ لَا يَنْقُضُ التَّوْحِيدَ، بَلْ يَتَنَافَىٰ مَعَ كَمَالِهِ.

٣- الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ لَا يُحْبِطُ جَمِيعَ الْعَمَلِ، بَلْ يُحْبِطُ الْعَمَلَ الْمُصَاحِبَ.

٤- الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ إِنْ مَاتَ صَاحِبُهُ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ يَمُوتُ مُسْلِمًا، وَلَكِنَّ شِرْكَهُ لَا يُغْفَرُ لَهُ - عَلَىٰ الرَّاجِحِ مِنْ قَوْلَيِ الْعُلَمَاءِ، بَلْ يُعَاقَبُ عَلَيْهِ، وَإِنْ دَخَلَ بَعْدَ ذَلِكَ الْجَنَّةَ(٣).

٥- صَاحِبُ الشِّرْكِ الْأَصْغَرِ فِي الْآخِرَةِ إِنْ دَخَلَ النَّارَ لَا يُخَلَّدُ فِيهَا.

---

(١) «المجموع الثمين» (٢/ ٢٧)، و«الإخلاص والشرك الأصغر» لعبد العزيز العبد (ص٣٠).

(٢) «القول السديد شرح كتاب التوحيد» لابن سعدي (ص٢٤).

(٣) «تيسير العزيز الحميد» لسليمان بن عبد الله (ص٩٨).

ج- الدَّلِيلُ عَلَىٰ الشِّرْكِ الْأَصْغَرِ: **قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ:** ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ١١٠﴾ [الكهف: ١١٠].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **قَالَ:** قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَه**»[١].

د- مِنْ أَنْوَاعِ الشِّرْكِ الْأَصْغَرِ: يَنْقَسِمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ إِلَىٰ أَنْوَاعٍ مِنْهَا:

- يَسِيرُ الرِّيَاءِ مِنْ أَنْوَاعِ الشِّرْكِ الْأَصْغَرِ:

تَعْرِيفُ الرِّيَاءِ فِي اللُّغَةِ: مُشْتَقٌّ مِنَ الرُّؤْيَةِ، يُقَالُ: فَعَلَهُ رِيَاءً؛ أَيْ: لِيَرَاهُ النَّاسُ، فَيَحْصُلَ عَلَىٰ الصِّيتِ وَالذِّكْرِ[٢].

وَالرِّيَاءُ اصْطِلَاحًا: إِظْهَارُ الْعِبَادَةِ بِقَصْدِ رُؤْيَةِ النَّاسِ. أَوِ التَّصَنُّعُ لِلْمَخْلُوقِ؛ كَالْمُسْلِمِ الَّذِي يَعْمَلُ للهِ، وَيُصَلِّي للهِ، وَلَكِنَّهُ يُحْسِنُ صَلَاتَهُ وَعَمَلَهُ لِيَمْتَدِحَهُ النَّاسُ[٣].

وَوَجْهُ الْمُطَابَقَةِ بَيْنَ الْمَعْنَيَيْنِ: أَنَّ الْمُرَائِي يَقْصِدُ رُؤْيَةَ النَّاسِ لِعَمَلِهِ.

حُكْمُ الرِّيَاءِ: الرِّيَاءُ مُحَرَّمٌ بِنَصِّ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. **فَمِنَ الْكِتَابِ:** قَوْلُهُ ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ١١٠﴾ [الكهف: ١١٠].

ومن السنة: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ فَقَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟**» قَالَ: قُلْنَا: بَلَىٰ. فَقَالَ: «**الشِّرْكُ الْخَفِيُّ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي**

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٨٥).

(٢) «لسان العرب» لابن منظور (٢/ ٢٠٣-٢٠٤).

(٣) «الدين الخالص» لصديق خان (٢/ ٣٧٩).

فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَىٰ مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ»(١).

عَنْ مَحْمُودِ بن لَبِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ» قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَىٰ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً»(٢).

- السُّمْعَةُ مِنْ أَنْوَاعِ الشِّرْكِ الْأَصْغَرِ:

تَعْرِيفُ السُّمْعَةِ: **السُّمْعَةُ فِي اللُّغَةِ:** مُشْتَقَّةٌ مِنَ السَّمَاعِ وَالْإِسْمَاعِ. وَهِيَ مَا يُسْمَعُ بِهِ مِنْ صِيتٍ. يُقَالُ: فَعَلَ ذَلِكَ رِيَاءً وَسُمْعَةً؛ أَيْ: لِيَرَاهُ النَّاسُ وَيَسْمَعُوا بِهِ(٣).

وَالسُّمْعَةُ اصْطِلَاحًا: إِظْهَارُ الْعِبَادَةِ بِقَصْدِ سَمَاعِ النَّاسِ. أَوْ تَحَدُّثُ الْإِنْسَانِ بِأَعْمَالِهِ الَّتِي عَمِلَهَا لِيَمْدَحَهُ النَّاسُ بِهَا. وَيَدْخُلُ فِيهِ: أَنْ يَعْمَلَ الْعَمَلَ لَيْلًا، ثُمَّ يُحَدِّثَ بِهِ النَّاسَ فِي النَّهَارِ(٤).

حُكْمُ السُّمْعَةِ:

السُّمْعَةُ مُحَرَّمَةٌ بِنَصِّ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ: **فَمِنَ الْكِتَابِ:** قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وَمِنَ السُّنَّةِ: **عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:** قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ رَاءَىٰ رَاءَىٰ اللهُ بِهِ»(٥).

---

(١) صحيح: ابن ماجه (٤٢٠٤)، أحمد (١٠٨٥٩) وصححه الألباني «صحيح الجامع» (٢٦٠٧).

(٢) صحيح: أحمد (٢٢١١٩)، وصححه الألباني «صحيح الجامع» (١٥٥٥).

(٣) «لسان العرب» لابن منظور (٢/ ٢٠٣-٢٠٤).

(٤) «الدين الخالص» لصديق حسن خان (٢/ ٣٧٩).

(٥) متفق عليه: البخاري (٦٤٩٩)، ومسلم (٢٩٨٧).

مَسْأَلَةٌ: مَتَىٰ يَنْقَلِبُ حُكْمُ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ مِنْ شِرْكٍ أَصْغَرَ إِلَىٰ شِرْكٍ أَكْبَرَ؟

يَدْخُلُ الرِّيَاءُ وَالسُّمْعَةُ تَحْتَ حُكْمِ الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ بِأَحَدِ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ:

١- أَنْ يُرَائِيَ الْإِنْسَانُ، أَوْ يُسْمِعَ بِأَصْلِ إِيمَانِهِ؛ يُظْهِرُ أَمَامَ النَّاسِ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ لِيَعْصِمَ دَمَهُ وَمَالَهُ.

٢- أَنْ يَغْلِبَ الرِّيَاءُ أَوِ السُّمْعَةُ عَلَىٰ أَعْمَالِ الْإِنْسَانِ.

٣- أَنْ يَغْلِبَ عَلَىٰ أَعْمَالِهِ إِرَادَةُ الدُّنْيَا؛ بِحَيْثُ لَا يُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللهِ.

مَسْأَلَةٌ: حُكْمِ الْعِبَادَةِ إِذَا اتَّصَلَ بِهَا رِيَاءٌ أَوْ سُمْعَةٌ.

إِذَا كَانَ قَصْدُ الْعَابِدِ بِعِبَادَتِهِ مُرَاءَاةَ النَّاسِ مِنَ الْأَصْلِ؛ فَهَذَا مُبْطِلٌ لِلْعِبَادَةِ. أَمَّا إِذَا طَرَأَ الرِّيَاءُ أَوِ السُّمْعَةُ أَثْنَاءَ الْعِبَادَةِ؛ فَلَا يَخْلُو حَالُ الْعِبَادَةِ مِنْ أَنْ يَكُونَ أَوَّلُهَا مُرْتَبِطًا بِآخِرِهَا - كَالصَّلَاةِ مَثَلًا، فَتَبْطُلُ جَمِيعُ الْعِبَادَةِ إِذَا لَمْ يُدَافِعِ الرِّيَاءَ أَوِ السُّمْعَةَ وَسَكَنَ إِلَيْهِمَا، أَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ أَوَّلُ الْعِبَادَةِ مُرْتَبِطًا بِآخِرِهَا - كَالصَّدَقَةِ مَثَلًا بِمِائَةِ رِيَالٍ؛ خَمْسُونَ مِنْهَا دَخَلَهُ الرِّيَاءُ - فَيَبْطُلُ مِنْهَا مَا خَالَطَهُ الرِّيَاءُ أَوِ السُّمْعَةُ[1].

* قَوْلُهُ: «السِّحْرُ».

أَوَّلًا: تَعْرِيفُ السِّحْرِ لُغَةً وَاصْطِلَاحًا: **وَالسِّحْرُ فِي اللُّغَةِ هُوَ**: كُلُّ مَا لَطُفَ وَخَفِيَ سَبَبُهُ، وَمِنْهُ سُمِّيَ السَّحَرُ سَحَرًا فِي آخِرِ اللَّيْلِ؛ لِأَنَّهُ خَفِيٌّ، وَكُلُّ مَا لَطُفَ يَعْنِي: دَقَّ، وَخَفِيَ سَبَبُهُ عَنِ النَّاسِ يُسَمَّىٰ سِحْرًا فِي اللُّغَةِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷺ: «**إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا**»[2] الْبَيَانُ مَعْنَاهُ: الْكَلَامُ الْبَلِيغُ؛ لِأَنَّهُ يَسْتَمِيلُ النُّفُوسَ وَيُؤَثِّرُ فِيهَا كَمَا يُؤَثِّرُ السِّحْرُ، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ حَرَامًا. وَكَذَلِكَ النَّمِيمَةُ، سُمِّيَتْ سِحْرًا[3] لِأَنَّهَا

---

(١) «فتاوى العقيدة» للشيخ ابن عثيمين (ص٢٠٠-٢٠١).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٥١٤٦).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٦٠٦) عن عبد الله بن مسعود قال: إن محمدًا ﷺ قال: «ألا أنبئكم ما =

تَعْمَلُ عَمَلَ السِّحْرِ فِي الْإِفْسَادِ بَيْنَ النَّاسِ، وَإِحْدَاثِ الْبَغْضَاءِ فِي الْقُلُوبِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ سِحْرًا فِي الْحَقِيقَةِ، لَكِنَّهَا سِحْرٌ لُغَوِيٌّ.

أَمَّا تَعْرِيفُهُ فِي الشَّرْعِ: فَالسِّحْرُ عِبَارَةٌ عَنْ عَزَائِمَ وَرُقًىٰ وَعُقَدٍ يُؤَثِّرُ فِي بَدَنِ الْمَسْحُورِ، أَوْ يُفَرِّقُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ إِذَا أَرَادَ اللهُ.

وَقَدْ سُحِرَ النَّبِيُّ ﷺ(١)، وَأَثَّرَ فِيهِ السِّحْرُ، وَصَارَ ﷺ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ فَعَلَ الشَّيْءَ وَلَمْ يَكُنْ فَعَلَهُ، وَرَقَاهُ جِبْرِيلُ فَبَرِئَ بِإِذْنِ اللهِ(٢).

ثَانِيًا: أَنْوَاعُ السِّحْرِ: وَقَدْ ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ السِّحْرَ الْمُحَرَّمَ عَلَىٰ نَوْعَيْنِ:

النَّوْعُ الْأَوَّلُ: سِحْرٌ حَقِيقِيٌّ، وَهُوَ هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَا.

وَالنَّوْعُ الثَّانِي: سِحْرٌ تَخْيِيلِيٌّ، لَيْسَ لَهُ حَقِيقَةٌ، وَإِنَّمَا هُوَ خَيَالٌ وَشَعْوَذَةٌ، وَهُوَ مَا يُسَمَّىٰ بِالْقُمْرَةِ، فَالسَّاحِرُ يُخَيِّلُ لِلنَّاسِ شَيْئًا وَهُوَ لَيْسَ حَقِيقَةً، كَأَنْ يُخَيِّلَ لِلنَّاسِ أَنَّهُ دَخَلَ فِي النَّارِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، أَوْ يُخَيِّلَ لِلنَّاسِ أَنَّهُ يَمْشِي عَلَىٰ حَبْلٍ، وَهُوَ لَيْسَ كَذَلِكَ، أَوْ يُخَيِّلَ لِلنَّاسِ أَنَّ السَّيَّارَةَ تَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، أَوْ يُخَيِّلَ لِلنَّاسِ أَنَّهُ يَطْعَنُ نَفْسَهُ بِالسِّلَاحِ وَلَا يُؤَثِّرُ فِيهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُ عَمِلَ شَيْئًا مِنَ التَّخَيُّلِ وَالْقُمْرَةِ فَأَثَّرَ عَلَىٰ الْأَبْصَارِ. **كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ:** ﴿سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾.

فَسَحَرُوا الْأَعْيُنَ فَقَطْ، وَذَلِكَ بِمَا يَعْمَلُونَهُ مِنَ الْحِيَلِ، وَيَجْعَلُونَ فِي الْعِصِيِّ

=

العضه هي النميمة القالة بين الناس».

(١) متفق عليه: البخاري (٣٢٦٨)، ومسلم (٣٢٨٩) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «سحر النبي ﷺ حتىٰ كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله.........».

(٢) كما في الصحيح ولا عبرة بمن أنكر ذلك من العقلانيين، لأن السحر مرض، والنبي ﷺ بشر يجري عليه ما يجري علىٰ البشر من الأمراض.

الَّتِي مَعَهُمْ مَوَادَّ تُحَرِّكُهَا، وَتَجْعَلُ الْعَصَىٰ كَأَنَّهَا حَيَّةٌ، وَهِيَ لَيْسَتْ كَذَلِكَ. كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ عَنْ مُوسَىٰ ﷺ: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ۝٦٦﴾. حَيْثُ حَشَوْهَا بِشَيْءٍ مِنَ الزِّئْبَقِ وَشَيْءٍ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا يَرَاهَا النَّاسُ، وَظَنُّوا أَنَّهَا تَتَحَرَّكُ(١).

ثَالِثًا: حُكْمُ السِّحْرِ: السِّحْرُ مُحَرَّمٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ، وَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ، وَمِنَ السَّبْعِ الْمُوبِقَاتِ.

أَمَّا الْكِتَابُ فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝١٠٢﴾ [البقرة: ١٠٢]. فَدَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ عَلَىٰ أَنَّ السِّحْرَ كُفْرٌ، وَأَنَّ السَّحَرَةَ يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ، كَمَا دَلَّتْ عَلَىٰ أَنَّ السِّحْرَ لَيْسَ بِمُؤَثِّرٍ لِذَاتِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، وَإِنَّمَا يُؤَثِّرُ بِإِذْنِ اللهِ الْكَوْنِيِّ وَالْقَدَرِيِّ؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. كَمَا دَلَّتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ عَلَىٰ أَنَّ الَّذِينَ يَتَعَلَّمُونَ السِّحْرَ إِنَّمَا يَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ مِنْ خَلَاقٍ - أَيْ: مِنْ حَظٍّ وَنَصِيبٍ -. وَهَذَا وَعِيدٌ عَظِيمٌ يَدُلُّ عَلَىٰ شِدَّةِ خَسَارَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَنَّهُمْ بَاعُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَبْخَسِ الْأَثْمَانِ(٢).

---

(١) «إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد» (١/ ٣٤٣-٣٤٤) للفوزان.

(٢) «رسالة في حكم السحر والكهانة» للشيخ ابن باز (ص ٧).

وَأَمَّا السُّنَّةُ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ»(١).

وَأَمَّا الإِجْمَاعُ: يَقُولُ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنِ السِّحْرِ: عَمَلُ السِّحْرِ حَرَامٌ، وَهُوَ مِنَ الْكَبَائِرِ بِالْإِجْمَاعِ، وَقَدْ عَدَّهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ السَّبْعِ الْمُوبِقَاتِ. وَمِنْهُ مَا يَكُونُ كُفْرًا، وَمِنْهُ مَا لَا يَكُونُ كُفْرًا؛ بَلْ مَعْصِيَةً كَبِيرَةً. فَإِنْ كَانَ فِيهِ قَوْلٌ أَوْ فِعْلٌ يَقْتَضِي الْكُفْرَ، فَهُوَ كُفْرٌ، وَإِلَّا فَلَا. وَأَمَّا تَعَلُّمُهُ وَتَعْلِيمُهُ فَحَرَامٌ(٢)؛ فَالسِّحْرُ قَدْ يَكُونُ كُفْرًا إِذَا كَانَ فِيهِ تَعْظِيمُ غَيْرِ اللهِ؛ مِنَ الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ وَالْكَوَاكِبِ وَغَيْرِهِمْ، وَإِذَا كَانَ فِيهِ ادِّعَاءُ عِلْمِ الْغَيْبِ.

رَابِعًا: حُكْمُ السَّاحِرِ:

اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي حُكْمِ السَّاحِرِ هَلْ يَكْفُرُ أَمْ لَا؟ وَكَذَلِكَ هَلْ يُقْتَلُ أَمْ لَا؟ ذَهَبَ الْجُمْهُورُ إِلَىٰ أَنَّ السِّحْرَ إِنْ كَانَ مِمَّا يُعَظَّمُ فِيهِ غَيْرُ اللهِ تَعَالَىٰ؛ كَالتَّعَبُّدِ لِلشَّيَاطِينِ أَوِ الْكَوَاكِبِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُؤَدِّي إِلَىٰ الْكُفْرِ، فَهُوَ كُفْرٌ بِلَا نِزَاعٍ، وَمِنْ هَذَا النَّوْعِ سِحْرُ التَّفْرِيقِ، وَهُوَ سِحْرُ هَارُوتَ وَمَارُوتَ الْمَذْكُورُ فِي سُورَةِ «الْبَقَرَةِ» فَإِنَّهُ كُفْرٌ بِلَا نِزَاعٍ.

وَإِنْ كَانَ السِّحْرُ لَا يَقْتَضِي الْكُفْرَ كَالِاسْتِعَانَةِ بِخَوَاصِّ بَعْضِ الْأَشْيَاءِ مِنْ دِهَانَاتٍ وَغَيْرِهَا، فَهُوَ حَرَامٌ حُرْمَةً شَدِيدَةً، وَلَكِنَّهُ لَا يَبْلُغُ بِصَاحِبِهِ الْكُفْرَ.

---

(١) متفق عليه: البخاري (٢٧٦٧)، ومسلم (٨٩).

(٢) نقله عنه ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/ ٢٢٤)، وانظر كلام الحافظ ابن حجر عن حكم السحر وتعلمه في الموضع نفسه. وانظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٥٨) و«أضواء البيان» للشنقيطي (٤/ ٤٥٦).

وَعَلَىٰ ذَٰلِكَ؛ فَإِنْ كَانَ السَّاحِرُ الْمُسْلِمُ قَدِ اسْتَعْمَلَ السِّحْرَ الَّذِي هُوَ كُفْرٌ فَلَا شَكَّ فِي أَنَّهُ يُقْتَلُ كُفْرًا؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»(١). وَأَمَّا إِنْ كَانَ السَّاحِرُ قَدْ عَمِلَ السِّحْرَ الَّذِي لَا يَبْلُغُ بِصَاحِبِهِ الْكُفْرَ، فَهَذَا هُوَ مَحَلُّ الْخِلَافِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: يُقْتَلُ مُطْلَقًا إِذَا عَمِلَ بِسِحْرِهِ، سَوَاءٌ قَتَلَ بِسِحْرِهِ أَحَدًا أَمْ لَمْ يَقْتُلْ، وَمِمَّنْ ذَهَبَ إِلَىٰ ذَٰلِكَ: الْأَئِمَّةُ مَالِكٌ، وَأَبُو حَنِيفَةَ، وَأَحْمَدُ فِي أَصَحِّ الرِّوَايَتَيْنِ. وَذَهَبَ الشَّافِعِيُّ وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَمَنْ وَافَقَهُمَا إِلَىٰ أَنَّ السَّاحِرَ لَا يُقْتَلُ إِنْ عَمِلَ بِسِحْرٍ لَا يَبْلُغُ بِهِ الْكُفْرَ، إِلَّا إِنْ قَتَلَ بِسِحْرِهِ هَذَا إِنْسَانًا فَإِنَّهُ يُقْتَلُ بِهِ قِصَاصًا لَا حَدًّا.

قَالَ الشِّنْقِيطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْأَظْهَرُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ: أَنَّ السَّاحِرَ الَّذِي لَمْ يَبْلُغْ بِهِ سِحْرُهُ الْكُفْرَ، وَلَمْ يَقْتُلْ إِنْسَانًا أَنَّهُ لَا يُقْتَلُ، لِدَلَالَةِ النُّصُوصِ الْقَطْعِيَّةِ، وَالْإِجْمَاعِ عَلَىٰ عِصْمَةِ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ عَامَّةً إِلَّا بِدَلِيلٍ وَاضِحٍ. وَقَتْلُ السَّاحِرِ الَّذِي لَمْ يَكْفُرْ بِسِحْرِهِ لَمْ يَثْبُتْ فِيهِ شَيْءٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالتَّجَرُّؤُ عَلَىٰ دَمِ مُسْلِمٍ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ صَحِيحٍ مِنْ كِتَابٍ أَوْ سُنَّةٍ مَرْفُوعَةٍ، غَيْرُ ظَاهِرٍ عِنْدِي. وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ. مَعَ أَنَّ الْقَوْلَ بِقَتْلِهِ مُطْلَقًا قَوِيٌّ جِدًّا لِفِعْلِ الصَّحَابَةِ لَهُ مِنْ غَيْرِ نَكِيرٍ(٢).

لَكِنَّ جُمْهُورَ الْعُلَمَاءِ عَلَىٰ قَتْلِ السَّاحِرِ مُطْلَقًا، سَوَاءٌ قَتَلَ نَفْسًا مَعْصُومَةً بِسِحْرِهِ أَمْ لَا. وَهُوَ مَذْهَبُ الْأَئِمَّةِ: مَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَأَحْمَدَ فِي أَصَحِّ الرِّوَايَتَيْنِ، وَقَدْ رَجَّحَهُ صَاحِبُ «الْمُغْنِي»(٣)، كَمَا قَدْ رَجَّحَهُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ(٤)، وَالْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْمَالِكِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ(٥).

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٠١٦).

(٢) «أضواء البيان» للعلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ (٤/ ٤٩٧-٥٠١).

(٣) «المغني مع الشرح الكبير»، لابن قدامة المقدسي (١٠/ ١١٦).

(٤) «المجموع الثمين من فتاوىٰ الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ» (٢/ ١٣٤).

(٥) «عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي»، للإمام أبي بكر المالكي (٣/ ١٩٥).

خَامِسًا: حُكْمُ تَعَلُّمِ السِّحْرِ: اخْتُلِفَ فِي ذَلِكَ عَلَىٰ أَقْوَالٍ: الصَّحِيحُ مِنْهَا: أَنَّ تَعَلُّمَ السِّحْرِ، وَتَعْلِيمَهُ حَرَامٌ لِلْأَدِلَّةِ الدَّالَّةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

قَالَ ابْنُ قُدَامَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَإِنَّ تَعَلُّمَ السِّحْرِ وَتَعْلِيمَهُ حَرَامٌ لَا نَعْلَمُ فِيهِ خِلَافًا بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ(١). لَكِنْ مَا هِيَ دَرَجَةُ هَذَا التَّحْرِيمِ؟

إِنْ قَصَدَ مِنْ تَعَلُّمِهِ الْعَمَلَ بِهِ، وَكَانَ فِيهِ قَوْلٌ أَوِ اعْتِقَادٌ، أَوْ فِعْلٌ يَقْتَضِي الْكُفْرَ مِثْلَ السِّحْرِ الَّذِي لَا يَتَأَتَّىٰ إِلَّا عَنْ طَرِيقِ الشَّيَاطِينِ وَنَحْوِهِمْ - كَأَنْ يَسْتَغِيثَ بِهِمْ، وَيَدْعُوهُمْ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ تَعَالَىٰ. أَوْ يَنْطِقَ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ مِنْ أَجْلِ رِضَاهُمْ، أَوْ يَعْتَقِدَ نَفْعَهُمْ وَضَرَّهُمْ بِغَيْرِ إِذْنِ اللهِ تَعَالَىٰ، أَوْ يَتَقَرَّبَ لَهُمْ بِذَبْحٍ أَوْ نَحْوِهِ، أَوْ يُهِينَ مَا أَوْجَبَ اللهُ تَعْظِيمَهُ مِنَ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ أَوْ غَيْرِهِ، أَوْ يَدَّعِيَ لِنَفْسِهِ أَوْ لِشَيَاطِينِهِ عِلْمَ الْغَيْبِ، وَمُشَارَكَةَ اللهِ فِي ذَلِكَ، أَوْ تَعَلَّمَهُ مُعْتَقِدًا إِبَاحَتَهُ فَهُوَ كُفْرٌ، وَإِلَّا فَهُوَ فِسْقٌ.

قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا تَعَلَّمَ السِّحْرَ قِيلَ لَهُ: صِفْ لَنَا سِحْرَكَ؟ فَإِنْ وَصَفَ مَا يَسْتَوْجِبُ الْكُفْرَ... فَهُوَ كَافِرٌ، وَإِنْ كَانَ لَا يُوجِبُ الْكُفْرَ فَإِنِ اعْتَقَدَ إِبَاحَتَهُ فَهُوَ كَافِرٌ وَإِلَّا فَلَا»(٢). وَقَالَ النَّوَوِيُّ: «وَأَمَّا تَعَلُّمُهُ وَتَعْلِيمُهُ فَحَرَامٌ، فَإِنْ تَضَمَّنَ مَا يَقْتَضِي الْكُفْرَ كَفَرَ، وَإِلَّا فَلَا»(٣). وَقَالَ أَبُو حَيَّانَ: «وَأَمَّا حُكْمُ السِّحْرِ فَمَا كَانَ مِنْهُ يُعَظَّمُ بِهِ غَيْرُ اللهِ مِنَ الْكَوَاكِبِ وَالشَّيَاطِينِ، وَإِضَافَةُ مَا يُحْدِثُهُ اللهُ إِلَيْهَا فَهُوَ كُفْرٌ إِجْمَاعًا لَا يَحِلُّ تَعَلُّمُهُ وَلَا الْعَمَلُ بِهِ، وَكَذَا مَا قُصِدَ بِتَعَلُّمِهِ سَفْكُ الدِّمَاءِ، وَالتَّفْرِيقُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ وَالْأَصْدِقَاءِ. وَأَمَّا إِذَا كَانَ لَا يُعَلَّمُ مِنْهُ شَيْئًا مِنْ

---

(١) «المغني» لابن قدامة (ج ٨/ ص ١٥١).

(٢) «أضواء البيان» (ج ٤/ ص ٤٥٥).

(٣) «شرح صحيح مسلم» للنووي (ج ١٤/ ص ١٧٦).

ذَلِكَ، بَلْ يُحْتَمَلُ فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَا يَحِلُّ تَعَلُّمُهُ وَالْعَمَلُ بِهِ...»(١). وَقَالَ الشَّيْخُ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللهُ: «وَقَدْ نَصَّ أَحْمَدُ عَلَىٰ أَنَّهُ يَكْفُرُ بِتَعَلُّمِهِ وَتَعْلِيمِهِ»(٢).

الْأَدِلَّةُ: عَلَىٰ حُرْمَةِ تَعَلُّمِ السِّحْرِ:

١- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ: فَإِنَّ ظَاهِرَهَا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِذَلِكَ، وَلَا يَكْفُرُ بِتَعْلِيمِ الشَّيْءِ إِلَّا وَذَلِكَ الشَّيْءُ كُفْرٌ(٣). وَقَالَ الشِّنْقِيطِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٢- قَوْلُهُ: ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ صَرِيحٌ فِي كُفْرِ مُعَلِّمِ السِّحْرِ(٤).

٣- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ﴾ [البقرة: ١٠٢]. قَالَ ابْنُ حَجَرْ رَحِمَهُ اللهُ: الْآيَةُ فِيهَا إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنَّ تَعَلُّمَ السِّحْرِ كُفْرٌ(٥).

٤- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ﴾ [البقرة: ١٠٢]. قَالَ مُجَاهِدُ وَالسُّدِّيُّ: مِنْ نَصِيبٍ(٦).

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ فِي الْجَنَّةِ ﴿مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ﴾ نَصِيبٍ،

---

(١) «روائع البيان» (ج ١/ ص ٨٤).

(٢) «تيسير العزيز الحميد» (ص ٣٣٥).

(٣) «فتح الباري» (ج ١٠/ ص ٢٢٥).

(٤) «أضواء البيان» (ج ٤/ ص ٤٤٢).

(٥) «فتح الباري» (ج ١٠/ ص ٢٢٥).

(٦) «تفسير ابن كثير» (ج ١/ ص ١٤٣).

وَنَفْيُ النَّصِيبِ فِي الْآخِرَةِ بِالْكُلِّيَّةِ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلْكَافِرِ عِيَاذًا بِاللهِ تَعَالَىٰ[(١)].

وَقَالَ أَبُو حَيَّانَ: «وَأَمَّا حُكْمُ السِّحْرِ؛ فَمَا كَانَ مِنْهُ يُعَظَّمُ بِهِ غَيْرُ اللهِ مِنَ الْكَوَاكِبِ وَالشَّيَاطِينِ، وَإِضَافَةُ مَا يُحْدِثُهُ اللهُ إِلَيْهَا فَهُوَ كُفْرٌ إِجْمَاعًا لَا يَحِلُّ تَعَلُّمُهُ وَلَا الْعَمَلُ بِهِ، وَكَذَا مَا قُصِدَ بِتَعَلُّمِهِ سَفْكُ الدِّمَاءِ، وَالتَّفْرِيقُ بَيْنَ الزَّوْجَينِ وَالْأَصْدِقَاءِ. وَأَمَّا إِذَا كَانَ لَا يَعْلَمُ مِنْهُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، بَلْ يُحْتَمَلُ فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَا يَحِلُّ تَعَلُّمُهُ وَالْعَمَلُ بِهِ...»[(٢)]. قَالَ شَيْخُنَا - حَفِظَهُ اللهُ -: هَذَا كَلَامٌ حَسَنٌ جَيِّدٌ، وَهُوَ الَّذِي يَنْبَغِي التَّعْوِيلُ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْأَمْرِ[(٣)].

سَادِسًا: حُكْمُ حَلِّ السِّحْرِ بِالسِّحْرِ:

قَالَ ابْنُ قُدَامَةَ رَحِمَهُ اللهُ: وَأَمَّا مَنْ يَحُلُّ السِّحْرَ، فَإِنْ كَانَ بِشَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ، أَوْ شَيْءٍ مِنَ الذِّكْرِ وَالْأَقْسَامِ وَالْكَلَامِ الَّذِي لَا بَأْسَ بِهِ، فَلَا بَأْسَ بِهِ، وَإِنْ كَانَ بِشَيْءٍ مِنَ السِّحْرِ، فَقَدْ تَوَقَّفَ أَحْمَدُ عَنْهُ[(٤)].

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: النُّشْرَةُ حَلُّ السِّحْرِ عَنِ الْمَسْحُورِ، وَهِيَ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: حَلٌّ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ، وَهُوَ الَّذِي مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ. وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ قَوْلُ الْحَسَنِ، فَيَتَقَرَّبُ النَّاشِرُ وَالْمُنْتَشِرُ إِلَىٰ الشَّيْطَانِ بِمَا يُحِبُّ، فَيُبْطِلُ عَمَلَهُ عَنِ الْمَسْحُورِ.

وَالثَّانِي: النُّشْرَةُ بِالرُّقْيَةِ وَالتَّعَوُّذَاتِ وَالْأَدْوِيَةِ وَالدَّعَوَاتِ الْمُبَاحَةِ. فَهَذَا جَائِزٌ[(٥)].

---

(١) «تفسير ابن عباس» (الدر المنثور) (ج ١/ ص ٤٦).

(٢) «روائع البيان» (ج ١/ ص ٨٤).

(٣) «الصارم البتار في التصدي للسحرة الأشرار» (ص ٧٣).

(٤) «المغني» (١٠/ ١١٤).

(٥) انظر «فتح المجيد» ص (٤٢١، ٤٢٢).

وَهَذَا التَّفْصِيلُ هُوَ الَّذِي اخْتَارَهُ شَيْخُنَا - حَفِظَهُ اللهُ -.

فَائِدَةُ: مَنْ أَرَادَ التَّوَسُّعَ فِي هَذَا الْبَابِ فَلْيُرَاجِعْ كِتَابَ «الصَّارِمِ الْبَتَّارِ فِي التَّصَدِّي لِلسَّحَرَةِ الْأَشْرَارِ» لِشَيْخِنَا - حَفِظَهُ اللهُ -.

* قَوْلُهُ: «الْكَهَانَةُ».

١- تَعْرِيفُهَا: **الْكَهَانَةُ فِي اللُّغَةِ:** مِنْ كَهَنَ يَكْهَنُ كَهَانَةً: قَضَىٰ لَهُ بِالْغَيْبِ، وَالْكَاهِنُ: هُوَ الَّذِي يَتَعَاطَىٰ الْخَبَرَ عَنِ الْكَائِنَاتِ فِي مُسْتَقْبَلِ الزَّمَانِ، وَيَدَّعِي مَعْرِفَةَ الْأَسْرَارِ وَمُطَالَعَةَ الْغَيْبِ. **وَالْمَعْنَىٰ الِاصْطِلَاحِيُّ لَا يَخْرُجُ عَنِ الْمَعْنَىٰ اللُّغَوِيِّ**(١).

٢- الْأَحْكَامُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالْكَهَانَةِ:

أَجْمَعَ الْفُقَهَاءُ عَلَىٰ أَنَّ التَّكَهُّنَ وَالْكَهَانَةَ بِمَعْنَىٰ ادِّعَاءِ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالِاكْتِسَابُ بِهِ حَرَامٌ، كَمَا أَجْمَعُوا عَلَىٰ أَنَّ إِتْيَانَ الْكَاهِنِ لِلسُّؤَالِ عَنْ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ حَرَامٌ، وَأَنَّ التَّصْدِيقَ بِمَا يَقُولُهُ: كُفْرٌ. عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»**(٢). وَفِي رُوَايَةٍ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ **«مَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ»**(٣).

وَنَهَىٰ عَنْ أَكْلِ مَا اكْتَسَبَهُ بِالْكَهَانَةِ، لِأَنَّهُ سُحْتٌ، جَاءَ عَنْ طَرِيقٍ غَيْرِ مَشْرُوعٍ، كَأُجْرَةِ الْبَغِيِّ. عن أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ «نَهَىٰ عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ، وَمَهْرِ الْبَغِيِّ، وَحُلْوَانِ الْكَاهِنِ»(٤)، وَهُوَ مَا يَأْخُذُهُ عَلَىٰ كَهَانَتِهِ، وَتَشْمَلُ

---

(١) «الموسوعة الفقهية الكويتية» (٣٥/ ١٧١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٢٣٠).

(٣) صحيح: أحمد (٩٢٥٢) وصححه الألباني.

(٤) متفق عليه: البخاري (٢٢٣٧)، ومسلم (١٥٦٧).

الْكَهَانَةُ كُلَّ ادِّعَاءٍ بِعِلْمِ الْغَيْبِ الَّذِي اسْتَأْثَرَ اللهُ بِعِلْمِهِ، وَيَشْمَلُ اسْمُ الْكَاهِنِ: كُلَّ مَنْ يَدَّعِي ذَلِكَ مِنْ مُنَجِّمٍ وَعَرَّافٍ وَضَرَّابٍ بِالْحَصْبَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ(١).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: تَصْعَدُ الشَّيَاطِينُ أَفْوَاجًا تَسْتَرِقُ السَّمْعَ فَيَنْفَرِدُ الْمَارِدُ مِنْهَا فَيَعْلُو فَيُرْمَىٰ بِالشِّهَابِ فَيُصِيبُ جَبْهَتَهُ، أَوْ جَنْبَهُ حَيْثُ يَشَاءُ اللهُ مِنْهُ فَيَلْتَهِبُ فَيَأْتِي أَصْحَابَهُ وَهُوَ يَلْهَبُ فَيَقُولُ: إِنَّهُ كَانَ مِنَ الأَمْرِ كَذَا وَكَذَا، فَيَذْهَبُ أُولَئِكَ إِلَىٰ إِخْوَانِهِمْ مِنَ الْكَهَنَةِ فَيَزِيدُونَ عَلَيْهِ أَضْعَافَهُ مِنَ الْكَذِبِ فَيُخْبِرُونَهُمْ بِهِ، فَإِذَا رَأَوْا شَيْئًا مِمَّا قَالُوا قَدْ كَانَ، صَدَّقُوهُمْ بِمَا جَاءُوهُمْ مِنَ الْكَذِبِ(٢)، فَلَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ وَحَرَسَتِ السَّمَاءُ بَطَلَتِ الْكَهَانَةُ بِالْقُرْآنِ الَّذِي فَرَّقَ اللهُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَأَطْلَعَ اللهُ نَبِيَّهُ عَلَيْهِ.

٢- حُكْمُ الْكَاهِنِ مِنْ حَيْثُ الرِّدَّةُ وَعَدَمُهَا:

قَالَ الْفُقَهَاءُ: الْكَاهِنُ يَكْفُرُ بِادِّعَاءِ عِلْمِ الْغَيْبِ، لأَنَّهُ يَتَعَارَضُ مَعَ نَصِّ الْقُرْآنِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧]. أَيْ: عَالِمُ الْغَيْبِ هُوَ اللهُ وَحْدَهُ فَلَا يُطْلِعُ عَلَيْهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ إِلَّا مَنِ ارْتَضَاهُ لِلرِّسَالَةِ، فَإِنَّهُ يُطْلِعُهُ عَلَىٰ مَا يَشَاءُ فِي غَيْبِهِ. وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**مَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ**»(٣). وَقَالَ الْقَرَافِيُّ: وَأَمَّا مَا يُخْبِرُ بِهِ الْمُنَجِّمُ مِنَ الْغَيْبِ مِنْ نُزُولِ الأَمْطَارِ وَغَيْرِهِ، فَقِيلَ ذَلِكَ كُفْرٌ يُقْتَلُ بِغَيْرِ اسْتِتَابَةٍ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «**قَالَ اللهُ** ﷻ: **أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِي فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِي**

---

(١) «الموسوعة الفقهية الكويتية» (٣٥/ ١٧٢).

(٢) «حاشية ابن عابدين» (٣ / ٢٩٧).

(٣) **صحيح**: أحمد (٩٢٥٢)، وصححه الألباني

كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»(١)، وَقِيلَ: يُسْتَتَابُ فَإِنْ تَابَ وَإِلا قُتِلَ، قَالَهُ أَشْهَبُ(٢).

قَالَ الْبَغَوِيُّ: الْعَرَّافُ الَّذِي يَدَّعِي مَعْرِفَةَ الْأُمُورِ بِمُقَدِّمَاتٍ يَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَىٰ الْمَسْرُوقِ وَمَكَانِ الضَّالَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَقِيلَ: هُوَ الْكَاهِنُ، وَالْكَاهِنُ هُوَ الَّذِي يُخْبِرُ عَنِ الْمُغَيَّبَاتِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَقِيلَ: الَّذِي يُخْبِرُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ. وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: الْعَرَّافُ اسْمٌ لِلْكَاهِنِ وَالْمُنَجِّمِ وَالرَّمَّالِ وَنَحْوِهِمْ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِي مَعْرِفَةِ الْأُمُورِ بِهَذِهِ الطُّرُقِ(٣).

الْكَاهِنُ هُوَ الَّذِي يَدَّعِي أَنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ، وَهُوَ لَفْظٌ يُطْلَقُ عَلَىٰ الْعَرَّافِ، وَالرَّمَّالِ، وَالَّذِي يَضْرِبُ بِالْحَصَىٰ، وَالْمُنَجِّمِ؛ فَكُلُّ مَنْ أَخْبَرَ عَنِ الْمُغَيَّبَاتِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، هُوَ كَاهِنٌ، وَكُلُّ مَنِ ادَّعَىٰ مَعْرِفَةَ عِلْمِ شَيْءٍ مِنَ الْمُغَيَّبَاتِ، فَهُوَ إِمَّا دَاخِلٌ فِي اسْمِ الْكَاهِنِ، أَوْ مُشَارِكٌ لَهُ فِي الْمَعْنَىٰ، فَيُلْحَقُ بِهِ(٤).

٣- حُكْمُ الْكَهَانَةِ:

الْكَهَانَةُ مُحَرَّمَةٌ بِالْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَالْإِجْمَاعِ. أَمَّا الْكِتَابُ: يَقُولُ اللهُ ﷻ مُخَاطِبًا رَسُولَهُ ﷺ: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ۝٢٩﴾ [الطور: ٢٩]. وَوَجْهُ الدِّلَالَةِ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَىٰ تَحْرِيمِ الْكَهَانَةِ: أَنَّ اللهَ ﷻ نَفَىٰ الْكَهَانَةَ عَنْ نَبِيِّهِ ﷺ؛ لِأَنَّ الْكُهَّانَ يَدَّعُونَ عِلْمَ الْغَيْبِ. وَمُجَرَّدُ ادِّعَاءِ عِلْمِ الْغَيْبِ كُفْرٌ بَوَاحٌ، فَاعْتَبَرَ اللهُ ﷻ السَّلَامَةَ مِنَ الْكَهَانَةِ نِعْمَةً. وَمَفْهُومُ ذَلِكَ أَنَّ الْكَهَانَةَ

---

(١) متفق عليه: البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١).

(٢) «الموسوعة الفقهية الكويتية» (٣٥/ ١٧٤).

(٣) «شرح السنة» (٣٢٥٩) «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٢١٦).

(٤) «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» للشيخ عبد الرحمن بن حسن (ص٤١٤).

تَتَنَافَىٰ مَعَ نِعْمَةِ الْإِسْلَامِ(١).

وَأَمَّا السُّنَّةُ: قَوْلُهُ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ»(٢). فَفِي قَوْلِهِ ﷺ: «أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ» إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنَّ مَنْ تَلَقَّىٰ الْكَهَانَةَ عَمَّنْ يَتَعَاطَاهَا، فَقَدْ بَرِئَ مِنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ. فَفِيهِ وَعِيدٌ وَتَحْذِيرٌ مِنْ مُجَرَّدِ إِتْيَانِ الْكُهَّانِ وَالْعَرَّافِينَ وَنَحْوِهِمْ مِمَّنْ يَدَّعُونَ مَعْرِفَةَ الْغَيْبِ - وَلَوْ لَمْ يُصَدِّقهُمْ - وَيَشْهَدُ لِهَذَا الْمَعْنَىٰ قَوْلُهُ ﷺ: «مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»(٣). هَذَا إِذَا سَأَلَهُ وَلَمْ يُصَدِّقْهُ. أَمَّا إِذَا سَأَلَهُ وَصَدَّقَهُ، فَالْوَعِيدُ أَشَدُّ - وَالْعِيَاذُ بِاللهِ تَعَالَىٰ، يَقُولُ ﷺ: «مَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، أَوْ أَتَىٰ امْرَأَةً حَائِضًا، أَوْ أَتَىٰ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا، فَقَدْ بَرِئَ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ»(٤).

قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَنٍ آلِ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللهُ - مُعَلِّقًا عَلَىٰ هَذَا الْحَدِيثِ -: ظَاهِرُ الْحَدِيثِ أَنَّهُ يَكْفُرُ مَتَىٰ اعْتَقَدَ صِدْقَهُ بِأَيِّ وَجْهٍ كَانَ(٥).

فَإِذَا كَانَ هَذَا حَالُ مَنْ أَتَىٰ الْكَاهِنَ، فَمَا هُوَ حَالُ الْكَاهِنِ نَفْسِهِ؟(٦).

---

(١) «أضواء البيان» للشنقيطي (٧/ ٤٥٦).

(٢) ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١١٧)، وقال: ورجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع وهو ثقة. وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ٣٣): رواه البزار بإسناد جيد.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٢٣٠).

(٤) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٦٣٩)، صححه الألباني.

(٥) «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» (ص٤١١).

(٦) «المفيد في مهمات التوحيد» (١/ ١٨٢-١٨٣).

* قَوْلُهُ: «التَّطَيُّرُ». أَوَّلًا: تَعْرِيفُ التَّطَيُّرِ:

التَّطَيُّرُ وَالطِّيَرَةُ: هِيَ التَّشَاؤُمُ، وَهُوَ مَصْدَرٌ مِنْ تَطَيَّرَ يَتَطَيَّرُ تَطَيُّرًا وَطِيَرَةً.

يَقُولُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَصْلُ التَّطَيُّرِ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَعْتَمِدُونَ عَلَىٰ الطَّيْرِ، فَإِذَا خَرَجَ أَحَدُهُمْ لِأَمْرٍ، فَإِنْ رَأَىٰ الطَّيْرَ طَارَ يَمْنَةً تَيَمَّنَ بِهِ وَاسْتَمَرَّ، وَإِنْ رَآهُ طَارَ يَسْرَةً تَشَاءَمَ بِهِ وَرَجَعَ، وَرُبَّمَا كَانَ أَحَدُهُمْ يُهَيِّجُ الطَّيْرَ لِيَطِيرَ، فَيَعْتَمِدُهَا؛ فَجَاءَ الشَّرْعُ بِالنَّهْيِ عَنْ ذَلِكَ(١). وَكَانُوا يُسَمُّونَهُ السَّانِحَ، وَالْبَارِحَ؛ فَالسَّانِحُ مَا وَلَّاكَ مَيَامِنَهُ، بِأَنْ يَمُرَّ عَنْ يَسَارِكَ إِلَىٰ يَمِينِكَ. وَالْبَارِحُ بِالْعَكْسِ. وَكَانُوا يَتَيَمَّنُونَ بِالسَّانِحِ، وَيَتَشَاءَمُونَ بِالْبَارِحِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ رَمْيُهُ إِلَّا بِأَنْ يَنْحَرِفَ إِلَيْهِ(٢). وَلَمْ يَقْتَصِرِ التَّطَيُّرُ عَلَىٰ الطُّيُورِ وَالْحَيَوَانَاتِ، بَلِ انْسَحَبَ هَذَا الِاعْتِقَادُ عَلَىٰ غَيْرِ الطَّيْرِ؛ فَلَقَدْ كَانُوا يَتَشَاءَمُونَ بِبَعْضِ الْأَشْهُرِ؛ كَشَهْرِ صَفَرَ الَّذِي كَانَ يَمْتَنِعُ بَعْضُهُمْ عَنِ الزَّوَاجِ فِيهِ أَوِ السَّفَرِ. كَذَلِكَ كَانُوا يَتَشَاءَمُونَ مِنَ الْمَرْضَىٰ، فَيَمْتَنِعُونَ عَنْ مُجَالَسَتِهِمْ، أَوْ مُآكَلَتِهِمْ. وَكَذَا كَانُوا يَتَشَاءَمُونَ بِذِي الْعَاهَةِ؛ كَالْأَعْرَجِ، وَالْأَعْوَرِ، وَغَيْرِهِمَا.

ثَانِيًا: حُكْمُ التَّطَيُّرِ:

حُكْمُ الطِّيَرَةِ: الطِّيَرَةُ مُحَرَّمَةٌ شَرْعًا، وَهِيَ مِنَ الشِّرْكِ الْأَصْغَرِ الْمُنَافِي لِكَمَالِ التَّوْحِيدِ، لِمَا فِيهَا مِنْ سُوءِ الظَّنِّ بِاللهِ، وَتَعَلُّقِ الْقُلُوبِ بِغَيْرِهِ، وَصَرْفِ شَيْءٍ مِنْ حُقُوقِهِ لِغَيْرِهِ. وَتَنْقَلِبُ إِلَىٰ شِرْكٍ أَكْبَرَ إِذَا اعْتَقَدَ أَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الَّتِي تَطَيَّرَ بِهَا فَاعِلَةٌ بِنَفْسِهَا، أَوْ سَبَبٌ مُؤَثِّرٌ فِي جَلْبِ النَّفْعِ وَدَفْعِ الضُّرِّ. وَقَدْ تَقَدَّمَ قَوْلُهُ ﷺ: **«الطِّيَرَةُ شِرْكٌ»**(٣).

---

(١) «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٢١٢).
(٢) «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٢١٢-٢١٣).
(٣) «المفيد في مهمات التوحيد» (ص ١٤٧).

ثَالِثًا: الْأَدِلَّةُ عَلَىٰ تَحْرِيمِهَا:

١- قَوْلُ اللهِ ﷻ عَنْ آلِ فِرْعَوْنَ: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [الأعراف: ١٣١]. فَآلُ فِرْعَوْنَ كَانُوا إِذَا أَصَابَهُمْ بَلَاءٌ وَقَحْطٌ تَطَيَّرُوا - تَشَاءَمُوا - بِمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَنْ مَعَهُ، وَقَالُوا: هَذَا بِسَبَبِ مُوسَىٰ وَأَصْحَابِهِ، أَصَابَنَا بِشُؤْمِهِمْ. فَأَخْبَرَ ﷻ أَنَّ مَا قَضَىٰ عَلَيْهِمْ وَقُدِّرَ لَهُمْ، إِنَّمَا جَاءَهُمْ مِنْ قِبَلِ كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ بِآيَاتِهِ وَرُسُلِهِ. فَفِي هَذِهِ الْآيَةِ نَهْيٌ عَنِ التَّطَيُّرِ، وَوَعِيدٌ فِيهِ[1].

٢- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا عَدْوَىٰ وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ الصَّالِحُ، الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ**»[2].

٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَا طِيَرَةَ وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ**» قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: «**الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ**»[3].

٤- عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ ثَلَاثًا**»، وَمَا مِنَّا إِلَّا وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ[4]. **وَزِيَادَةُ**: وَمَا مِنَّا إِلَّا وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ؛ أَيْ: وَمَا مِنَّا إِلَّا وَقَدْ وَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ؛ وَلَكِنْ لَمَّا تَوَكَّلْنَا عَلَىٰ اللهِ فِي جَلْبِ النَّفْعِ وَدَفْعِ الضُّرِّ، أَذْهَبَهُ اللهُ عَنَّا بِتَوَكُّلِنَا عَلَيْهِ وَحْدَهُ.

رَابِعًا: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الطِّيَرَةِ وَبَيْنَ الْفَأْلِ؟ **الطِّيَرَةُ** سُوءُ ظَنٍّ بِاللهِ ﷻ، وَصَرْفُ شَيْءٍ مِنْ حُقُوقِهِ ﷻ لِغَيْرِهِ، وَتَعَلُّقٌ لِلْقُلُوبِ بِمَخْلُوقٍ لَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ.

---

(١) «فتح المجيد، شرح كتاب التوحيد» للشيخ عبد الرحمن بن حسن (ص ٤٢٤).

(٢) متفق عليه: البخاري (٥٧٥٦)، ومسلم (٢٢٢٤).

(٣) متفق عليه: البخاري (٥٧٥٤)، ومسلم (٢٢٢٣).

(٤) صحيح: أخرجه أبو داود (٣٩١٠)، وابن ماجه (٣٥٣٨)، وصححه الألباني «الصحيحة» (رقم ٤٢٩).

وَالْفَأْلُ حُسْنُ الظَّنِّ بِاللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَالرَّسُولُ ﷺ إِنَّمَا كَانَ يُعْجِبُهُ الْفَأْلُ؛ لَأَنَّ التَّشَاؤُمَ سُوءُ ظَنٍّ بِاللهِ تَعَالَىٰ بِغَيْرِ سَبَبٍ مُحَقَّقٍ، وَالتَّفَاؤُلَ حُسْنُ ظَنٍّ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْمُؤْمِنُ مَأْمُورٌ بِحُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ(١).

خَامِسًا: حُصُولُ التَّطَيُّرِ عِنْدَ بَعْضِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعِلَاجُهُ:

الطِّيَرَةُ الَّتِي فِي الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ تَكُونُ مِنْ بَعْضِ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَقَدْ يَقَعُ فِي نَفْسِ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ مِنَ التَّطَيُّرِ، وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ.

فَالتَّطَيُّرُ أَمْرٌ قَدْ يَقَعُ مِنَ الْإِنْسَانِ، كَمَا قَالَ ذَلِكَ الصَّحَابِيُّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: وَمِنَّا أُنَاسٌ يَتَطَيَّرُونَ. قَالَ ﷺ: «**ذَلِكَ شَيْءٌ يَجِدُهُ أَحَدُكُمْ فِي نَفْسِهِ؛ فَلَا يَصُدَّنَّكُمْ**»(٢)؛ فَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ تَأَذِّيَ الْإِنْسَانِ وَتَشَاؤُمَهُ بِالطِّيَرَةِ إِنَّمَا هُوَ فِي نَفْسِهِ وَعَقِيدَتِهِ، لَا فِي الْمُتَطَيَّرِ بِهِ، فَوَهْمُهُ وَخَوْفُهُ وَإِشْرَاكُهُ هُوَ الَّذِي يُطَيِّرُهُ وَيَصُدُّهُ(٣).

وَالطِّيَرَةُ هِيَ مَا أَمْضَاكَ، أَوْ رَدَّكَ، وَهَذَا مِنَ الْعِلَاجِ؛ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا قَالَ ذَلِكَ، وَأَعْرَضَ عَمَّا وَقَعَ فِي قَلْبِهِ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، كَفَّرَ اللهُ عَنْهُ مَا وَقَعَ فِي قَلْبِهِ ابْتِدَاءً، لِزَوَالِهِ عَنْ قَلْبِهِ بِهَذَا الدُّعَاءِ الْمُتَضَمِّنِ لِلِاعْتِمَادِ عَلَىٰ اللهِ وَحْدَهُ، وَالْإِعْرَاضِ عَمَّا سِوَاهُ. فَعِلَاجُ هَذَا التَّطَيُّرِ الَّذِي يَقَعُ فِي نَفْسِ الْإِنْسَانِ، يَكُونُ بِصِدْقِ التَّوَكُّلِ عَلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاعْتِقَادِ أَنَّهُ وَحْدَهُ هُوَ النَّافِعُ وَالضَّارُّ.

وَيُضَافُ إِلَىٰ صِدْقِ الِالْتِجَاءِ: الدُّعَاءُ الَّذِي عَلَّمَنَاهُ الرَّؤُوفُ بِنَا، الْحَرِيصُ عَلَيْنَا ﷺ وَقَدْ تَقَدَّمَ: «**اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ**»(٤).

---

(١) «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٢١٥).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٥٣٧).

(٣) «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» (ص٤٣٠).

(٤) «المفيد في مهمات التوحيد» (١/ ١٤٤-١٤٧).

* قَوْلُهُ: «الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللهِ».

الذَّبْحُ لُغَةً: هُوَ شَقُّ حَلْقِ الْحَيَوَانِ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا: ذَبْحُ مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ لِلهِ.

وَاصْطِلَاحًا: ذَبْحُ حَيَوَانٍ مَقْدُورٍ عَلَيْهِ مُبَاحٍ أَكْلُهُ يَعِيشُ فِي الْبَرِّ غَيْرَ الْجَرَادِ؛ بِقَطْعِ حُلْقُومٍ وَمَرِّيءٍ أَوْ عَقْرِ مَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ مِنْهُ(١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

قَوْلُهُ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي﴾ الصَّلَاةُ قِيلَ: الْمُرَادُ بِهَا الدُّعَاءُ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهَا الصَّلَاةُ الْمَعْرُوفَةُ الْمُفْتَتَحَةُ بِالتَّكْبِيرِ وَالْمُخْتَتَمَةُ بِالتَّسْلِيمِ، فَالصَّلَاةُ للهِ ﷻ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَنُسُكِي﴾ النُّسُكُ قِيلَ فِي تَفْسِيرِهِ هُوَ: مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَىٰ اللهِ ﷻ مِنَ الذَّبَائِحِ وَالْقَرَابِينِ، وَقِيلَ: إِنَّ النُّسُكَ هُنَا يَشْمَلُ كُلَّ مَا يُتَعَبَّدُ بِهِ، وَالنُّسُكُ لُغَةً يُطْلَقُ عَلَىٰ مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ مِنَ الْعِبَادَاتِ غَيْرَ الذَّبْحِ، وَمِنْهُ الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ، وَهِيَ مِنَ الْمَنَاسِكِ، فَالْمَنَاسِكُ هُنَا لَا تَقْتَصِرُ عَلَىٰ الذَّبْحِ وَالتَّقَرُّبِ بِهِ فَقَطْ، بَلِ النُّسُكُ يَشْمَلُ الذَّبْحَ وَيَشْمَلُ غَيْرَهُ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾؛ أَيْ: عَمَلَ حَيَاتِي وَعَمَلَ مَوْتِي، كُلَّ هَذَا للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَهَذَا فِيهِ بَيَانُ وُجُوبِ إِفْرَادِهِ ﷻ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ أَخْبَرَ وَأَمَرَ النَّبِيَّ ﷺ بِالْقَوْلِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لِتَبْلِيغِ هَذَا بِخُصُوصِهِ، وَهَذَا دَالٌّ عَلَىٰ أَنَّهُ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِذَلِكَ دُونَ غَيْرِهِ. قَوْلُهُ: ﴿لِلَّهِ﴾ اسْتِحْقَاقًا.

وَقَوْلُهُ: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ هَذَا فِيهِ بَيَانُ وَجْهِ اسْتِحْقَاقِهِ. وَقَوْلُهُ: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ هَذَا فِيهِ بَيَانُ انْفِرَادِهِ بِذَلِكَ وَتَأْكِيدُ مَا تَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾. ثُمَّ قَالَ: ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾ يَعْنِي: أَنَّ هَذَا الْإِفْرَادَ وَهَذَا الْإِخْلَاصَ

(١) «توضيح الأحكام» (جـ٦/ ٢٨).

لَيْسَ أَمْرًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِي. بَلْ هُوَ أَمْرٌ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾؛ أَيْ: أَوَّلُ الْمُنْقَادِينَ الْمُبَادِرِينَ لِامْتِثَالِ هَذَا الْأَمْرِ، وَهُوَ فِي قَوْلِهِ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾، وَالْإِسْلَامُ هُوَ الِانْقِيَادُ(١).

وَمِنَ السُّنَّةِ: عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُسِرُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: فَغَضِبَ، وَقَالَ: مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُسِرُّ إِلَيَّ شَيْئًا يَكْتُمُهُ النَّاسَ غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ حَدَّثَنِي بِكَلِمَاتٍ أَرْبَعٍ قَالَ: فَقَالَ: مَا هُنَّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: قَالَ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَىٰ مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ**»(٢). **قَوْلُهُ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»**. وَاللَّعْنُ يَقْتَضِي تَحْرِيمَ الْفِعْلِ الْمَلْعُونِ صَاحِبُهُ، وَالذَّبْحُ عَلَىٰ أَنْوَاعٍ نُبَيِّنُهَا عَلَىٰ وَجْهِ الْإِيجَازِ:

النَّوْعُ الْأَوَّلُ: الذَّبْحُ لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ مَعَ ذِكْرِ اسْمِهِ، فَهَذَا هُوَ الْمَأْمُورُ بِهِ فَتَذْبَحَ لِلهِ قَصْدًا، وَتُفْرِدَهُ لَفْظًا، فَتَقُولَ: «بِاسْمِ اللهِ» عِنْدَ الذَّبْحِ، هَذَا هُوَ الَّذِي أَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهِ وَأَحَلَّهُ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ.

النَّوْعُ الثَّانِي: الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللهِ قَصْدًا وَلَفْظًا، فَيَقْصِدَ بِذَبِيحَتِهِ مَثَلًا وَلِيًّا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ، أَوْ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، أَوْ أَحَدًا مِنَ الْجِنِّ، أَوْ صَنَمًا، وَيُسَمِّيَ الْمَقْصُودَ، فَيَذْبَحَ مَثَلًا لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، أَوْ لِلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ قَصْدًا، يُرِيدُ التَّقَرُّبَ إِلَيْهِ بِهَذَا الذَّبْحِ بِاسْمِ الْحُسَيْنِ، أَوْ بِاسْمِ عَلِيٍّ، أَوْ بِاسْمِ النَّبِيِّ، أَوْ بِاسْمِ جِبْرِيلَ، فَهَذَا كُلُّهُ شِرْكٌ أَكْبَرُ يُخْرِجُ صَاحِبَهُ مِنَ الْمِلَّةِ، وَهَذَا لَا إِشْكَالَ فِيهِ، وَلَا خِلَافَ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي أَنَّ مَنْ فَعَلَ هَذَا فَقَدْ خَرَجَ مِنْ دَائِرَةِ الْإِسْلَامِ، وَخَلَعَ رِبْقَةَ الْإِيمَانِ،

---

(١) «شرح الأصول الثلاثة» للمصلح.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩٧٨).

وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ؛ لِوُقُوعِهِ فِي الشِّرْكِ الَّذِي جَاءَتِ الرُّسُلُ بِالتَّحْذِيرِ مِنْهُ وَالنَّهْيِ عَنْهُ.

النَّوْعُ الثَّالِثُ: أَنْ يَذْبَحَ للهِ قَصْدًا، وَيَذْكُرَ اسْمَ غَيْرِهِ لَفْظًا، فَفِي الْعَقِيقَةِ مَثَلًا يَتَقَرَّبُ إِلَىٰ اللهِ بِالذَّبْحِ، وَفِي الْهَدَايَا الَّتِي تُهْدَىٰ إِلَىٰ الْبَيْتِ الْحَرامِ يَقْصِدُ بِهَا التَّقَرُّبَ إِلَىٰ اللهِ ﷻ، لَكِنْ عِنْدَ الذَّبْحِ يَذْكُرُ غَيْرَ اللهِ، فَيَذْكُرُ مَلَكًا، أَوْ إِنْسًا، أَوْ جِنًّا، أَوْ مَا إِلَىٰ ذَلِكَ، مِمَّا يُشْرِكُ بِهِ وَتُصْرَفُ الْعِبَادَةُ إِلَيْهِ، فَهَذَا شِرْكٌ وَكُفْرٌ كَالنَّوْعِ الثَّانِي، وَإِنْ كَانَ أَخَفَّ مِنْهُ دَرَجَةً، لَكِنَّهُ شِرْكٌ وَكُفْرٌ؛ لِأَنَّهُ مِمَّا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ.

النَّوْعُ الرَّابِعُ: أَنْ يَقْصِدَ بِالذَّبِيحَةِ غَيْرَ اللهِ، وَيَذْكُرَ اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا، فَيَقْصِدَ بِالذَّبْحِ وَلِيًّا أَوْ نَبِيًّا أَوْ مَلَكًا أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، وَعِنْدَ الذَّبْحِ يَقُولُ: «بِاسْمِ اللهِ»، وَحُكْمُ هَذِهِ الذَّبِيحَةِ أَنَّهَا مُحَرَّمَةٌ لَا يَحِلُّ أَكْلُهَا، وَفِعْلُ الذَّابِحِ شِرْكٌ؛ لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»(١)، وَلأَنَّهُ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، فَلَمْ يُحَقِّقْ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢]، فَهَذِهِ الْأَقْسَامُ عَلَىٰ وَجْهِ الْإِيجَازِ فِي الذَّبْحِ(٢).

مَسْأَلَةٌ: هَلْ يَجُوزُ الذَّبْحُ للهِ فِي مَكَانٍ ذُبِحَ فِيهِ لِغَيْرِ اللهِ:

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللهُ: (بَابُ لَا يُذْبَحُ للهِ بِمَكَانٍ يُذْبَحُ فِيهِ لِغَيْرِ اللهِ). **قَالَ الْفَوْزَانُ - حَفِظَهُ اللهُ -**: هَذَا الْبَابُ تَابِعٌ لِلْبَابِ الَّذِي قَبْلَهُ؛ لأَنَّ الْبَابَ الَّذِي قَبْلَهُ: مَا جَاءَ فِي الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللهِ. يَعْنِي: أَنَّهُ مُحَرَّمٌ وَأَنَّهُ شِرْكٌ، وَهَذَا الْبَابُ فِيهِ سَدُّ الذَّرِيعَةِ الْمُفْضِيَةِ إِلَىٰ الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللهِ.

وَقَوْلُهُ: (لَا يُذْبَحُ للهِ فِي مَكَانٍ يُذْبَحُ فِيهِ لِغَيْرِ اللهِ) لأَنَّ الذَّبْحَ فِي هَذَا الْمَكَانِ

---

(١) متفق عليه: البخاري (١)، ومسلم (٤٥).

(٢) «شرح الأصول الثلاثة» للمصلح (الشاملة).

وَإِنْ كَانَ للهِ ﷻ، فَإِنَّهُ وَسِيلَةٌ إِلَىٰ الشِّرْكِ، وَكَذَلِكَ فِي الذَّبْحِ فِي هَذَا الْمَكَانِ تَعْظِيمٌ لَهُ وَمُشَابَهَةٌ لِلْمُشْرِكِينَ، وَقَدْ نَهَىٰ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْوَسَائِلِ الْمُفْضِيَةِ إِلَىٰ الشِّرْكِ، مِثْل: نَهْيِهِ عَنِ الصَّلَاةِ إِلَىٰ الْقُبُورِ وَإِنْ كَانَ الْمُصَلِّي لَا يُصَلِّي إِلَّا للهِ ﷻ، وَنَهْيِهِ عَنِ الدُّعَاءِ عِنْدَ الْقُبُورِ وَإِنْ كَانَ الدَّاعِي لَا يَدْعُو إِلَّا اللهَ وَحْدَهُ، لَكِنَّ هَذَا الْمَكَانَ لَا يَصْلُحُ التَّعَبُّدُ للهِ فِيهِ، لأَنَّهُ وَسِيلَةٌ إِلَىٰ الشِّرْكِ، وَكَذَلِكَ نَهَىٰ عَنِ الصَّلَاةِ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ لأَنَّهُ وَسِيلَةٌ إِلَىٰ عِبَادَتِهَا؛ لأَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَسْجُدُونَ لَهَا عِنْدَ الْغُرُوبِ، وَنَهَىٰ عَنِ الصَّلَاةِ عِنْدَ شُرُوقِ الشَّمْسِ؛ لأَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَسْجُدُونَ لَهَا فِي هَذَا الْوَقْتِ؛ فَكُلُّ مَوْطِنٍ وَكُلُّ زَمانٍ قَدِ اتَّخَذَهُ الْمُشْرِكُونَ لِعِبَادَتِهِمْ فَإِنَّنَا نُهِينَا أَنْ نُشارِكَهُمْ فِيهِ، وَأُمِرْنَا أَنْ نَبْتَعِدَ عَنْهُ، مِنْ بَابِ سَدِّ الذَّرَائِعِ، وَمِنْ بَابِ قَطْعِ الْمُشَابَهَةِ لِلْمُشْرِكِينَ، مِمَّا يُعْطِي دِينَ الْإِسْلَامِ اسْتِقْلَالِيَّةً تَامَّةً عَنْ كُلِّ دِينٍ سِوَاهُ فِي الْأَدْيَانِ الْبَاطِلَةِ(١).

قَوْلُهُ: «وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾»؛ أَيْ: فِي مَسْجِدِ الضِّرَارِ، نَهْيٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَنِ الصَّلَاةِ فِي هَذَا، وَقِصَّتُهُ: أَنَّ أَبَا عَامِرٍ الْفَاسِقَ كَانَ قَدْ قَرَأَ الْكُتُبَ السَّابِقَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَتَعَبَّدَ حَتَّىٰ صَارَ يُقَالُ لَهُ: «أَبُو عَامِرٍ الرَّاهِبُ»، وَيُعَظِّمُهُ النَّاسُ لِمَا يَظْهَرُ عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ؛ فَلَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ حَسَدَهُ وَكَفَرَ بِهِ، وَأَبْغَضَ الرَّسُولَ ﷺ؛ وَسَمَّاهُ النَّبِيُّ بِـ«أَبِي عَامِرٍ الْفَاسِقِ»، لأَنَّهُ خَرَجَ عَنْ طَاعَةِ اللهِ وَكَفَرَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ. ثُمَّ ذَهَبَ هَذَا الْكَافِرُ إِلَىٰ الشَّامِ يُؤَلِّبُ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَتَبَ وَهُوَ فِي الشَّامِ إِلَىٰ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ فِي الْمَدِينَةِ: أَنِ ابْنُوا لَنَا مَكَانًا مِنْ أَجْلِ أَنْ نَجْتَمِعَ فِيهِ وَنَتَشَاوَرَ. يُرِيدُونَ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمَكَانُ مَحَلَّ اجْتِمَاعٍ لِأَعْدَاءِ الرَّسُولِ ﷺ، يَتَشَاوَرُونَ فِيهِ لِلْكَيْدِ لِلْإِسْلَامِ،

(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ١٧٤)

وَكَانُوا لَمْ يَجْرُءُوا عَلَىٰ أَنْ يَبْنُوهُ عَلَىٰ أَنَّهُ مَجْمَعُ، فَأَظْهَرُوهُ بِصُورَةِ الْمَسْجِدِ، وَقَالُوا: بَنَيْنَاهُ مِنْ أَجْلِ الضَّعِيفِ وَالْمَرِيضِ وَاللَّيْلَةِ الْمَطِيرَةِ أَوِ اللَّيْلَةِ الشَّاتِيَةِ، وَطَلَبُوا مِنَ الرَّسُولِ ﷺ أَنْ يُصَلِّيَ فِيهِ، يُرِيدُونَ مِنْ هَذَا التَّغْطِيَةَ وَالْخَدِيعَةَ. فَوَعَدَهُمْ ﷺ وَقَالَ: «**إِنَّا عَلَىٰ سَفَرٍ إِلَىٰ غَزْوَةِ تَبُوكَ، إِنْ شَاءَ اللهُ إِذَا رَجَعْنَا نُصَلِّي فِيهِ**»، فَلَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ تَبُوكَ وَلَمْ يَبْقَ عَلَىٰ وُصُولِهِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ إِلَّا لَيْلَةٌ أَوْ لَيْلَتَانِ أَتَاهُ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ. قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾، وَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ مَقَاصِدَهُمُ الْخَبِيثَةَ فِي هَذَا الْبِنَاءِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ فِيهِ: مَنْعُ الرَّسُولِ ﷺ مِنَ الصَّلَاةِ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ وَتَيْئِيسٌ لِهَؤُلَاءِ. **فَفِي هَذِهِ الْآيَاتِ**: أَنَّ النِّيَّاتِ تُؤَثِّرُ فِي الْأَمْكِنَةِ وَالْمَبَانِي، النِّيَّاتُ الْخَبِيثَةُ تُؤَثِّرُ فِي الْأَمْكِنَةِ وَالْبِقَاعِ خُبْثًا، وَالنِّيَّاتُ الصَّالِحَةُ تُؤَثِّرُ فِيهَا بَرَكَةً وَخَيْرًا.

فَفِيهَا: الْحَثُّ عَلَىٰ إِصْلَاحِ الْمَقَاصِدِ.

وَفِيهَا: دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ الِاعْتِبَارَ بِالْمَقَاصِدِ لَا بِالْمَظَاهِرِ؛ هَؤُلَاءِ بَنَوْا مَسْجِدًا فِي الظَّاهِرِ، وَلَكِنْ لَيْسَ مَقْصُودُهُمُ الْمَسْجِدَ، فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ مَا كُلُّ مَنْ أَظْهَرَ الصَّلَاحَ يُقْبَلُ مِنْهُ حَتَّىٰ تُعْرَفَ حَقِيقَتُهُ.

وَفِيهِ: التَّنْبِيهُ عَلَىٰ خِدَاعِ الْمُخَادِعِينَ، وَأَنْ يَكُونَ الْمُؤْمِنُونَ عَلَىٰ حَذَرٍ دَائِمًا مِنَ الْمَشْبُوهِينَ وَمِنْ تَضْلِيلِهِمْ، وَأَنَّهُمْ قَدْ يَتَظَاهَرُونَ بِالصَّلَاحِ، وَيَتَظَاهَرُونَ بِالْمَشَارِيعِ الْخَيْرِيَّةِ، وَلَكِنْ مَا دَامَتْ سَوَابِقُهُمْ وَمَا دَامَتْ تَصَرُّفَاتُهُمْ تَشْهَدُ بِكَذِبِهِمْ فَإِنَّهُ لَا يُقْبَلُ مِنْهُمْ، وَلَا نَنْخَدِعُ بِالْمَظَاهِرِ دُونَ نَظَرٍ إِلَىٰ الْمَقَاصِدِ وَإِلَىٰ مَا يَتَرَتَّبُ وَلَوْ عَلَىٰ الْمَدَىٰ الْبَعِيدِ عَلَىٰ هَذِهِ الْمَظَاهِرِ.

فَفِيهِ: تَنْبِيهُ الْمُسْلِمِينَ إِلَىٰ الْحَذَرِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ مِنْ تَضْلِيلِ الْمَشْبُوهِينَ، وَأَنَّ كُلَّ مَنْ تَظَاهَرَ بِالْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ وَالْمَشَارِيعِ الْخَيْرِيَّةِ لَا يَكُونُ

صَالِحًا، إِلَّا مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ سَوابِقُ فِي الإِجْرَامِ، وَلَمْ يُعْرَفْ عَنْهُ إِلَّا الْخَيْرُ؛ فَهَذَا يُقْبَلُ مِنْهُ، لَكِنْ مَنْ كَانَ مَعْرُوفًا بِالسَّوَابِقِ السَّيِّئَةِ وَالْمَكَائِدِ الْخَبِيثَةِ، أَوْ يَظْهَرُ عَلَيْهِ أَوْ عَلَىٰ فَلتَاتِ لِسَانِهِ أَوْ عَلَىٰ كَلَامِهِ شَيْءٌ؛ فَإِنَّنَا نَأْخُذُ الْحَذَرَ مِنْهُ وَلَا نَنْخَدِعُ، لِأَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا نَهَىٰ رَسُولَهُ أَنْ يُصَلِّيَ فِي مَكَانٍ أُعِدَّ لِلْمَعْصِيَةِ، فَدَلَّ هَذَا عَلَىٰ أَنَّهُ لَا يُذْبَحُ للهِ فِي مَكَانٍ يُذْبَحُ فِيهِ لِغَيْرِ اللهِ، كَمَا لَا يُصَلَّىٰ للهِ فِي مَكَانٍ أُعِدَّ لِلْمَعْصِيَةِ وَالْكُفْرِ، كَذَلِكَ لَا يُذْبَحُ للهِ فِي مَكَانٍ أُعِدَّ لِلْمَعْصِيَةِ(١).

عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: نَذَرَ رَجُلٌ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ فَأَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟**» قَالُوا: لَا، قَالَ: «**هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟**» قَالُوا: لَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوْفِ بِنَذْرِكَ؛ فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ**».

قَالَ الشَّيْخُ الْفَوْزَانِ - حَفِظَهُ اللهُ -: الشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ لِلْبَابِ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «**هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟... فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟**» فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّهُ لَا يُذْبَحُ للهِ فِي مَكَانٍ كَانَ فِي السَّابِقِ يُذْبَحُ فِيهِ لِغَيْرِ اللهِ؛ لِأَنَّ هَذَا وَسِيلَةٌ إِلَىٰ الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللهِ ﷻ، كَالصَّلَاةِ عِنْدَ الْقَبْرِ، وَكَالدُّعَاءِ عِنْدَ الْقَبْرِ، كُلُّ الْوَسَائِلِ الَّتِي تُفْضِي إِلَىٰ الشِّرْكِ مَمْنُوعَةٌ؛ وَكَإِسْرَاجِ الْقُبُورِ نَهَىٰ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ لِأَنَّهُ وَسِيلَةٌ إِلَىٰ الشِّرْكِ، وَالْبِنَاءِ عَلَىٰ الْقُبُورِ نَهَىٰ عَنْهُ الرَّسُولُ ﷺ لِأَنَّهُ وَسِيلَةٌ إِلَىٰ الشِّرْكِ؛ كُلُّ الْوَسَائِلِ الَّتِي تُفْضِي إِلَىٰ الشِّرْكِ نَهَىٰ عَنْهَا ﷺ، وَمِنْهَا: الذَّبْحُ للهِ فِي مَكَانٍ يُذْبَحُ فِيهِ لِغَيْرِ اللهِ(٢).

---

(١) «إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد» (١/ ١٧٥ - ١٧٦).

(٢) «إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد» (١/ ١٧٧ - ١٧٨).

* قَوْلُهُ: «النَّذْرُ لِغَيْرِ اللهِ». ١- تَعْرِيفُ النَّذْرِ:

النَّذْرُ لُغَةً: الْإِيجَابُ، يُقَالُ: نَذَرَ فُلَانٌ دَمَ فُلَانٍ؛ أَيْ: أَوْجَبَ قَتْلَهُ.

النَّذْرُ شَرْعًا: إِلْزَامُ مُكَلَّفٍ مُخْتَارٍ نَفْسَهُ عِبَادَةً للهِ تَعَالَىٰ غَيْرَ لَازِمَةٍ لَهُ بِأَصْلِ الشَّرْعِ.

٢- حُكْمُ النَّذْرِ: الْأَصْلُ فِي النَّذْرِ أَنَّهُ مَكْرُوهٌ. عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: نَهَىٰ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ النَّذْرِ، وَقَالَ: «**إِنَّهُ لا يَرُدُّ شَيْئًا، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ**»(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ النَّذْرَ لا يُقَرِّبُ مِنَ ابْنِ آدَمَ شَيْئًا لَمْ يَكُنِ اللهُ قَدَّرَهُ لَهُ، وَلَكِنِ النَّذْر يُوَافِقُ الْقَدَرَ فَيُخْرِجُ بِذَلِكَ مِنَ الْبَخِيلِ مَا لَمْ يَكُنِ الْبَخِيلُ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَ**»(٢).

فَقَدَ نَهَىٰ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ النَّذْرِ وَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ، وَأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِخَيْرٍ أَوِ الدَّافِعَةِ لِشَرٍّ أَصْلًا، وَإِنَّمَا يُوَافِقُ الْقَدَرَ مُوَافَقَةً كَمَا يُوَافِقُهُ سَائِرُ الْأَسْبَابِ فَيُخْرِجُ مِنَ الْبَخِيلِ حِينَئِذٍ مَا لَمْ يَكُنْ يُخْرِجُهُ قَبْلَ ذَلِكَ.

٣- حُكْمُ الْوَفَاءِ بِهِ إِذَا كَانَ للهِ:

أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي الْجُمْلَةِ عَلَىٰ انْعِقَادِ النَّذْرِ الَّذِي للهِ وَلُزُومِ الْوَفَاءِ بِهِ. لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٧٠]. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلا يَعْصِهِ**»(٣).

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ أَنَّ عُمَرَ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: كُنْتُ نَذَرْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ

---

(١) متفق عليه: البخاري (٦٦٠٨)، ومسلم (١٦٣٩).

(٢) متفق عليه: البخاري (٦٦٠٩)، ومسلم (١٦٤٠) واللفظ له.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٦٦٩٦).

أَنْ أَعْتَكِفَ لَيْلَةً فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، قَالَ: «فَأَوْفِ بِنَذْرِكَ»(١).

وَمَدْحُ الْوَافِينَ بِهِ يَدُلُّ عَلَىٰ جَوَازِ النَّذْرِ إِذَا كَانَ فِي طَاعَةِ اللهِ. **فَقَالَ اللهُ** ﷻ: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝﴾ [الإنسان: ٧]. **قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ**: يُخْبِرُ تَعَالَىٰ أَنَّهُ عَالِمٌ بِجَمِيعِ مَا يَعْمَلُهُ الْعَامِلُونَ مِنَ الْخَيْرَاتِ، مِنَ النَّفَقَاتِ وَالْمَنْذُورَاتِ، وَتَضَمَّنَ ذَلِكَ مُجَازَاتَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ أَوْفَرَ الْجَزَاءِ لِلْعَامِلِينَ ابْتِغَاءَ وَجْهِهِ. اهـ.

٤- حُكْمُ النَّذْرِ لِغَيْرِ اللهِ:

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ: «وَأَمَّا النَّذْرُ لِغَيْرِ اللهِ كَالنَّذْرِ لِلْأَصْنَامِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْقُبُورِ وَنَحْوِ ذَلِكَ فَهُوَ شِرْكٌ، وَقَالَ فِيمَنْ نَذَرَ لِلْقُبُورِ وَنَحْوِهَا دُهْنًا لِتُنَوَّرَ بِهِ وَيَقُولُ: إِنَّهَا تَقْبَلُ النَّذْرَ كَمَا يَقُولُهُ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ، فَهَذَا النَّذْرُ مَعْصِيَةٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ لَا يَجُوزُ الْوَفَاءُ بِهِ، وَكَذَلِكَ إِذَا نَذَرَ مَالًا لِلسَّدَنَةِ أَوِ الْمُجَاوِرِينَ الْعَاكِفِينَ بِتِلْكَ الْبُقْعَةِ؛ فَإِنَّ فِيهِمْ شَبَهًا مِنَ السَّدَنَةِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ الْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، وَالْمُجَاوِرُونَ هُنَاكَ فِيهِمْ شَبَهٌ مِنَ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمُ الْخَلِيلُ عليه السلام: ﴿مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ۝﴾ [الأنبياء: ٥٢]. فَالنَّذْرُ لِأُولَئِكَ السَّدَنَةِ وَالْمُجَاوِرِينَ فِي هَذِهِ الْبِقَاعِ نَذْرُ مَعْصِيَةٍ، وَفِيهِ شَبَهٌ مِنَ النَّذْرِ لِسَدَنَةِ الصُّلْبَانِ وَالْمُجَاوِرِينَ عِنْدَهَا، انْتَهَىٰ.

وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّاذِرَ للهِ وَحْدَهُ عَلَّقَ رَغْبَتَهُ بِهِ وَحْدَهُ لِعِلْمِهِ بِأَنَّهُ تَعَالَىٰ مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَىٰ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ، فَتَوْحِيدُ الْقَصْدِ هُوَ تَوْحِيدُ الْعِبَادَةِ، وَلِهَذَا تَرَتَّبَ عَلَيْهِ وُجُوبُ الْوَفَاءِ فِيمَا نَذَرَهُ طَاعَةً للهِ، وَالْعِبَادَةُ إِذَا صُرِفَتْ لِغَيْرِ اللهِ صَارَ ذَلِكَ شِرْكًا بِاللهِ؛ لِالْتِفَاتِهِ إِلَىٰ غَيْرِهِ تَعَالَىٰ فِيمَا يَرْغَبُ فِيهِ أَوْ

---

(١) متفق عليه: البخاري (٢٠٣٢)، ومسلم (١٦٥٦).

يَرْهَبُ فَقَدْ جَعَلَهُ شَرِيكًا للهِ»(١).

٥- كَيْفَ يَكُونُ عِبَادَةً وَقَدْ كَرِهَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟!

قَالَ الشَّيْخُ صَالِحُ آلُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللهُ: **وَالْجَوَابُ**: أَنَّ النَّذْرَ قِسْمَانِ: نَذْرٌ مُطْلَقٌ، وَنَذْرٌ مُقَيَّدٌ، وَالنَّذْرُ الْمُطْلَقُ هُوَ: أَنْ يُلْزِمَ الْعَبْدُ نَفْسَهُ بِعِبَادَةٍ للهِ - جَلَّ وَعَلَا -، هَكَذَا بِلَا قَيْدٍ، كَأَنْ يَقُولَ مَثَلًا: للهِ عَلَيَّ نَذْرٌ أَنْ أُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ، وَلَيْسَ هَذَا النَّذْرُ فِي مُقَابَلَةِ شَيْءٍ يَحْدُثُ لَهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، أَوْ شَيْءٍ حَدَثَ لَهُ، فَيُلْزِمُ نَفْسَهُ بِعِبَادَةٍ: كَصَلَاةٍ، أَوْ صِيَامٍ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، فَهَذَا هُوَ النَّذْرُ الْمُطْلَقُ وَهُوَ: إِلْزَامُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ بِطَاعَةٍ للهِ - جَلَّ وَعَلَا - أَوْ بِعِبَادَةٍ، وَلَيْسَ هَذَا النَّذْرُ هُوَ الَّذِي كَرِهَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بَلِ النَّذْرُ الْمَكْرُوهُ هُوَ الْقِسْمُ الثَّانِي: وَهُوَ النَّذْرُ الْمُقَيَّدُ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ فِيهِ الرَّسُولُ ﷺ: «**إِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ**»(٢).

وَحَقِيقَتُهُ: أَنْ يُلْزِمَ الْعَبْدُ نَفْسَهُ بِطَاعَةٍ للهِ ﷻ مُقَابِلَ شَيْءٍ يُحْدِثُهُ اللهُ ﷻ لَهُ، وَيُقَدِّرُهُ، وَيَقْضِيهِ لَهُ، كَأَنْ يَقُولَ مَثَلًا: إِنْ شَفَىٰ اللهُ مَرِيضِي فَلِلَّهِ عَلَيَّ نَذْرٌ: أَنْ أَتَصَدَّقَ بِكَذَا وَكَذَا، أَوْ إِنْ نَجَحْتُ فَسَأُصَلِّي لَيْلَةً، أَوْ إِنْ عُيِّنْتُ فِي هَذِهِ الْوَظِيفَةِ فَسَأَصُومُ أُسْبُوعًا، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَهَذَا كَأَنَّهُ يَشْتَرِطُ بِهَذَا النَّذْرِ عَلَىٰ اللهِ ﷻ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ إِنْ أَعْطَيْتَنِي كَذَا وَكَذَا: صُمْتُ لَكَ، وَإِنْ أَنْجَحْتَنِي صَلَّيْتُ، أَوْ تَصَدَّقْتُ، وَإِنْ شَفَيْتَ مَرِيضِي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، يَعْنِي: مُقَابَلَةً لِلْفِعْلِ بِالْفِعْلِ. وَهَذَا هُوَ الَّذِي وَصَفَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِقَوْلِهِ: «**إِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ**» لِأَنَّ الْبَخِيلَ هُوَ الَّذِي لَا يَعْمَلُ الْعِبَادَةَ حَتَّىٰ يُقَاضَىٰ عَلَيْهَا، فَصَارَ بِمَا أَعْطَاهُ اللهُ مِنَ النِّعْمَةِ أَوْ بِمَا دَفَعَ عَنْهُ مِنَ النِّقْمَةِ كَأَنَّهُ فِي حِسِّ ذَلِكَ النَّاذِرِ قَدْ أُعْطِيَ الْأَجْرَ، وَأُعْطِيَ ثَمَنَ تِلْكَ الْعِبَادَةِ.

---

(١) «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» (١/ ١٥٧).

(٢) متفق عليه:البخاري (٦٦٠٩)، ومسلم (١٦٤٠) واللفظ له.

وَهَذَا الْمَعْنَىٰ الْخَاطِئُ يَسْتَحْضِرُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْعَوَامِّ الَّذِينَ يَسْتَعْمِلُونَ النُّذُورَ، فَإِنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ حَاجَتَهُمْ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِالنَّذْرِ.

وَقَدْ قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ **وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ**: إِنَّ مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ لَا تَحْصُلُ حَاجَاتُهُ إِلَّا بِالنَّذْرِ، فَإِنَّ اعْتِقَادَهُ هَذَا مُحَرَّمٌ؛ لِأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ اللهَ لَا يُعْطِي إِلَّا بِمُقَابِلٍ، وَهَذَا سُوءُ ظَنٍّ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسُوءُ اعْتِقَادٍ فِيهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بَلْ هُوَ الْمُتَفَضِّلُ الْمُنْعِمُ عَلَىٰ خَلْقِهِ. فَإِذَا تَبَيَّنَ لَكَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ النَّذْرَ الْمُطْلَقَ لَا يَدْخُلُ فِي الْكَرَاهَةِ. **لَكِنْ إِذَا أَطْلَقْنَا الْقَوْلَ** بِأَنَّ: النَّذْرَ عِبَادَةٌ، فَهَلْ يَدْخُلُ فِي هَذَا الْإِطْلَاقِ النَّذْرُ الْمُقَيَّدُ؟

وَالْجَوَابُ: أَنَّ النَّذْرَ الْمُقَيَّدَ لَهُ جِهَتَانِ: **الْأُولَىٰ**: وَفَاؤُهُ بِالنَّذْرِ الَّذِي أَلْزَمَ نَفْسَهُ بِهِ، فَإِنَّهُ يَكُونُ بِذَلِكَ قَدْ تَعَبَّدَ اللهَ عِبَادَةً مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ فِيمَا يَظْهَرُ.

الْجِهَةُ الثَّانِيَةُ: جِهَةُ الْكَرَاهَةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهَذَا النَّذْرِ الْمُقَيَّدِ، وَهِيَ إِنَّمَا جَاءَتْ لِصِفَةِ الِاعْتِقَادِ لَا لِصِفَةِ أَصْلِ الْعِبَادَةِ، فَإِنَّهُ فِي النَّذْرِ الْمُقَيَّدِ إِذَا قَالَ: إِنْ كَانَ كَذَا وَكَذَا فَلِلَّهِ عَلَيَّ نَذْرُ كَذَا وَكَذَا، كَانَتِ الْكَرَاهَةُ رَاجِعَةً إِلَىٰ ذَلِكَ التَّقْيِيدِ، لَا إِلَىٰ أَصْلِ النَّذْرِ، دَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ: التَّعْلِيلُ؛ حَيْثُ قَالَ: «**فَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ**». فَلَا إِشْكَالَ إِذًا. فَالنَّذْرُ عِبَادَةٌ مِنَ الْعِبَادَاتِ الْعَظِيمَةِ.

* **قَوْلُهُ**: «الِاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللهِ».

١- تَعْرِيفُهَا: **الِاسْتِعَاذَةُ لُغَةً**: الِالْتِجَاءُ، وَقَدْ عَاذَ بِهِ يَعُوذُ: لَاذَ بِهِ، وَلَجَأَ إِلَيْهِ، وَاعْتَصَمَ بِهِ، وَعُذْتُ بِفُلَانٍ وَاسْتَعَذْتُ بِهِ: أَيْ لَجَأْتُ إِلَيْهِ[1].

الِاسْتِعَاذَةُ اصْطِلَاحًا: الِالْتِجَاءُ، وَالِاعْتِصَامُ، وَالتَّحَرُّزُ، وَحَقِيقَتُهَا: الْهَرَبُ مِنْ شَيْءٍ تَخَافُهُ إِلَىٰ مَنْ يَعْصِمُكَ مِنْهُ، وَلِهَذَا يُسَمَّىٰ الْمُسْتَعَاذُ بِهِ مَعَاذًا، وَمَلْجَأً،

---

(١) «الموسوعة الفقهية الكويتية» (٤/ ٥).

فَالْعَائِذُ بِاللهِ قَدْ هَرَبَ مِمَّا يُؤْذِيهِ أَوْ يُهْلِكُهُ إِلَىٰ رَبِّهِ وَمَالِكِهِ، وَفَرَّ إِلَيْهِ، وَأَلْقَىٰ نَفْسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَاعْتَصَمَ بِهِ، وَاسْتَجَارَ بِهِ، وَالْتَجَأَ إِلَيْهِ.

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: الِاسْتِعَاذَةُ هِيَ: الِالْتِجَاءُ إِلَىٰ اللهِ وَالِالْتِصَاقُ بِجَنَابِهِ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ. وَالْعِيَاذُ يَكُونُ لِدَفْعِ الشَّرِّ. وَاللِّيَاذُ لِطَلَبِ الْخَيْرِ.

٢- الِاسْتِعَاذَةَ بِاللهِ عِبَادَةٌ:

الِاسْتِعَاذَةُ بِاللهِ عِبَادَةٌ للهِ، وَلِهَذَا أَمَرَ اللهُ بِالِاسْتِعَاذَةِ بِهِ فِي غَيْرِ آيَةٍ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت: ٣٦]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون: ٩٧-٩٨]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾﴾ [غافر: ٥٦]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ [الفلق: ١]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾﴾ [الناس: ١-٣].

فَإِذَا كَانَ تَعَالَىٰ هُوَ رَبُّنَا وَمَلِكُنَا وَإِلَهُنَا، فَلَا مَفْزَعَ لَنَا فِي الشَّدَائِدِ سِوَاهُ، وَلَا مَلْجَأَ لَنَا مِنْهُ إِلَّا إِلَيْهِ، وَلَا مَعْبُودَ لَنَا غَيْرُهُ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُدْعَىٰ وَلَا يُخَاف وَلَا يُرْجَىٰ وَلَا يُحَبّ غَيْرُهُ، وَلَا يُذَلّ وَلَا يُخْضَعُ لِغَيْرِهِ، وَلَا يُتَوَكَّلُ إِلَّا عَلَيْهِ، لِأَنَّ مَنْ تَخَافُهُ وَتَرْجُوهُ وَتَدْعُوهُ وَتَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ مُرَبِّيَكَ وَالْقَيِّمَ بِأُمُورِكَ، وَمُتَوَلِّيَ شَأْنِكَ، فَهُوَ رَبُّكَ، وَلَا رَبَّ لَكَ سِوَاهُ، أَوْ تَكُونَ مَمْلُوكَهُ وَعَبْدَهُ الْحَقَّ، فَهُوَ مَلِكُ النَّاسِ حَقًّا، وَكُلُّهُمْ عَبِيدُهُ وَمَمَالِيكُهُ، أَوْ يَكُونُ مَعْبُودَكَ وَإِلَهَكَ الَّذِي لَا تَسْتَغْنِي عَنْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ، بَلْ حَاجَتُكَ إِلَيْهِ أَعْظَمُ مِنْ حَاجَتِكَ إِلَىٰ حَيَاتِكَ وَرَوْحِكَ، فَهُوَ الْإِلَهُ الْحَقُّ إِلَهُ النَّاسِ، فَمَنْ كَانَ رَبَّهُمْ وَمَلِكَهُمْ وَإِلَهَهُمْ فَهُمْ جَدِيرُونَ أَلَّا يَسْتَعِيذُوا بِغَيْرِهِ، وَلَا يَسْتَنْصِرُوا بِسِوَاهُ، وَلَا يَلْجَئُوا إِلَىٰ غَيْرِ حِمَاهُ.

٣- أَنْوَاعُ الِاسْتِعَاذَةِ:

الِاسْتِعَاذَةُ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ: **الْأَوَّلُ**: الِاسْتِعَاذَةُ بِاللهِ تَعَالَىٰ، وَهِيَ الْمُتَضَمِّنَةُ لِكَمَالِ الِافْتِقَارِ إِلَيْهِ وَالِاعْتِصَامِ بِهِ، وَاعْتِقَادِ كِفَايَتِهِ وَتَمَامِ حِمَايَتِهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَاضِرٍ أَوْ مُسْتَقْبَلٍ، صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ، بَشَرٍ أَوْ غَيْرِ بَشَرٍ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الفلق: ١-٥]. **وَقَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ [الناس: ١-٧].

الثَّانِي: الِاسْتِعَاذَةُ بِصِفَةٍ، كَكَلَامِهِ وَعَظَمَتِهِ وَعِزَّتِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَيَقُولُ: «**إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ، أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ**»(١).

وَعَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ السُّلَمِيَّةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّىٰ يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**»(٢).

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي**»(٣).

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٣٧١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧٠٨).

(٣) صحيح: أبو داود (٥٠٧٤)، النسائي (٥٥٢٩)، ابن ماجه (٣٨٧١)، وأحمد (٤٧٧٠).

عَنْ عُثْمَانَ بن أَبِي الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: أَتَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَبِي وَجَعٌ قَدْ كَانَ يُهْلِكُنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«امْسَحْ بِيَمِينِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ وَقُلْ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ»** قَالَ: فَفَعَلْتُ، فَأَذْهَبَ اللهُ مَا كَانَ بِي، فَلَمْ أَزَلْ آمُرُ بِهِ أَهْلِي وَغَيْرَهُمْ[(١)].

قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: بَابُ الْحَلِفِ بِعِزَّةِ اللهِ وَصِفَاتِهِ وَكَلِمَاتِهِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: **«أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ»**، وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: **«يَبْقَىٰ رَجُلٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا»**، وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«قَالَ اللهُ: لَكَ ذَلِكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ»** وَقَالَ أَيُّوبُ: **وَعِزَّتِكَ لَا غِنَىٰ بِي عَنْ بَرَكَتِكَ»**[(٢)].

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ، فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَىٰ بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: **«اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ»**[(٣)].

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥] قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»** قَالَ: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قَالَ: **«أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»** ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«هَذَا أَهْوَنُ أَوْ هَذَا أَيْسَرُ»**[(٤)].

الثَّالِثُ: الِاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللهِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ، فَهَذَا شِرْكٌ وَمِنْهُ قَوْلُهُ

---

(١) صحيح: أبو داود (٣٨٩١)، الترمذي (٢٠٨٠)، ابن ماجه (٣٥٢٢)، وأحمد (١٥٨٣٤).

(٢) فتح الباري (١١/ ٥٤٥).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٤٨٦).

(٤) صحيح: رواه البخاري (٤٦٢٨).

تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن: ٦].

الرَّابِعُ: الِاسْتِعَاذَةُ بِمَا يُمْكِنُ الْعَوْذُ بِهِ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَوِ الْأَمَاكِنِ أَوْ غَيْرِهَا، فَهَذَا جَائِزٌ، وَدَلِيلُهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«سَتَكُونُ فِتَنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ»**(١).

وَلَكِنْ إِنِ اسْتَعَاذَ مِنْ شَرِّ ظَالِمٍ وَجَبَ إِيوَاؤُهُ وَإِعَاذَتُهُ بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ، وَإِنِ اسْتَعَاذَ لِيَتَوَصَّلَ إِلَىٰ فِعْلِ مَحْظُورٍ أَوِ الْهَرَبِ مِنْ وَاجِبٍ حَرُمَ إِيوَاؤُهُ.

٤- الِاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللهِ شِرْكٌ:

أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَىٰ أَنَّهُ لَا تَجُوزُ الِاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللهِ، وَلِهَذَا نَهوا عَنِ الرُّقَىٰ الَّتِي لَا يُعْرَفُ مَعْنَاهَا، خَشْيَةَ أَنْ يَكُونَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ. فَلَا تَجُوزُ الِاسْتِعَاذَةُ بِالْجِنِّ، فَقَدْ ذَمَّ اللهُ الْكَافِرِينَ عَلَىٰ ذَلِكَ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن: ٦]. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ الْقَوْمُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا نَزَلُوا بِالْوَادِي قَالُوا: نَعُوذُ بِسَيِّدِ هَذَا الْوَادِي مِنْ شَرِّ مَا فِيهِ فَلَا يَكونُونَ بِشَيْءٍ أَشَدَّ وَلَعًا مِنْهُمْ بِهِمْ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: عَنْ إِبْرَاهِيمَ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ كَانُوا إِذَا نَزَلُوا الْوَادِي قَالُوا: نَعُوذُ بِسَيِّدِ هَذَا الْوَادِي مِنْ شَرِّ مَا فِيهِ، فَتَقُولُ الْجِنُّ: مَا نَمْلِكُ لَكُمْ وَلَا لِأَنْفُسِنَا ضَرًّا وَلَا نَفْعًا(٢).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ

(١) متفق عليه: البخاري (٣٦٠٢)، ومسلم (٢٨٨٦).

(٢) «الدر المنثور» (٨/ ٣٠١).

ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأنعام: ١٢٨].

فَاسْتِمْتَاعُ الْإِنْسِيِّ بِالْجِنِّي فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِ وَامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، أَوْ إِخْبَارِهِ بِشَيْءٍ مِنَ الْمُغَيَّبَاتِ، وَاسْتِمْتَاعُ الْجِنِّي بِالْإِنْسِيِّ تَعْظِيمُهُ إِيَّاهُ، وَاسْتِعَاذَتُهُ بِهِ، وَاسْتِغَاثَتُهُ وَخُضُوعُهُ لَهُ.

وَعَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ السُّلَمِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **قَالَتْ**: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّىٰ يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**»(١).

قَوْلُهُ: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ**». هَذَا مَا شَرَعَهُ اللهُ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ أَنْ يَسْتَعِيذُوا بِهِ بَدَلًا عَمَّا يَفْعَلُهُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الِاسْتِعَاذَةِ بِالْجِنِّ، فَشَرَعَ اللهُ لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَسْتَعِيذُوا بِهِ أَوْ بِصِفَاتِهِ. قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي «الْمُفْهِمِ»: قِيلَ: مَعْنَاهُ الْكَامِلَاتُ الَّتِي لَا يَلْحَقُهَا نَقْصٌ وَلَا عَيْبٌ، كَمَا يَلْحَقُ كَلَامَ الْبَشَرِ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ الشَّافِيَةُ الْكَافِيَةُ، وَقِيلَ: الْكَلِمَاتُ هُنَا: هِيَ الْقُرْآنُ، فَإِنَّ اللهَ أَخْبَرَ عَنْهُ بِأَنَّهُ ﴿هُدًى وَشِفَآءٌ﴾، وَهَذَا الْأَمْرُ عَلَىٰ جِهَةِ الْإِرْشَادِ إِلَىٰ مَا يُدْفَعُ بِهِ(٢).

* **قَوْلُهُ**: «**دُعَاءُ غَيْرِ اللهِ**».

١- **تَعْرِيفُ الدُّعَاءِ: فَالدُّعَاءُ لُغَةً**: الطَّلَبُ وَالِابْتِهَالُ، يُقَالُ: دَعَوْتُ اللهَ أَدْعُوهُ دُعَاءً: ابْتَهَلْتُ إِلَيْهِ بِالسُّؤَالِ وَرَغِبْتُ فِيمَا عِنْدَهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَدَعَا اللهَ: طَلَبَ مِنْهُ الْخَيْرَ وَرَجَاهُ مِنْهُ، وَدَعَا لِفُلَانٍ: طَلَبَ الْخَيْرَ لَهُ، وَدَعَا عَلَىٰ فُلَانٍ: طَلَبَ الشَّرَّ لَهُ(٣).

وَالدُّعَاءُ فِي الِاصْطِلَاحِ: هُوَ: الِاتِّجَاهُ إِلَىٰ اللهِ ﷻ بِطَلَبِ نَفْعٍ أَوْ دَفْعِ ضَرٍّ،

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٠٨).

(٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (١/ ١٧٣)

(٣) «المصباح المنير» (ص٧٤)، و«المعجم الوسيط» (١/ ٢٨٦).

أَوْ رَفْعِ بَلَاءٍ، أَوِ النَّصْرِ عَلَىٰ عَدُوٍّ.

٢- الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ، وَقَدْ دَلَّ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ عَلَىٰ ذَلِكَ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾ [الزمر: ٨]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الزمر: ٤٩-٥١].

فَالْآيَةُ الْأُولَىٰ: وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ الْآيَةُ يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهَا عَنْ كَرَمِهِ وَإِحْسَانِهِ وَبِرِّهِ بِعَبْدِهِ وَقِلَّةِ شُكْرِ عَبْدِهِ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ حِينَ يَمَسُّهُ الضُّرُّ مِنَ الْمَرَضِ، أَوِ الْفَقْرِ، أَوِ الْوُقُوعِ فِي الْكُرُبَاتِ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُنَجِّيهِ وَلَا يُنْقِذُهُ مِنْهَا إِلَّا اللهُ فَيَدْعُوهُ مُلِحًّا مُتَضَرِّعًا مُنِيبًا، وَيَسْتَغِيثُ بِهِ فِي كَشْفِ مَا نَزَلَ بِهِ، وَيُلِحُّ فِي ذَلِكَ، فَإِذَا مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ بِكَشْفِ مَا نَزَلَ بِهِ مِنَ الضُّرِّ وَالْكَرْبِ نَسِيَ ذَلِكَ الَّذِي دَعَا اللهَ مِنْ أَجْلِهِ وَمَرَّ كَأَنَّهُ لَمْ يُصِبْهُ شَيْءٌ فَرَجَعَ إِلَىٰ الشِّرْكِ بِأَنْ جَعَلَ للهِ الْأَنْدَادَ وَهُمُ الشُّرَكَاءُ وَالْأَمْثَالُ وَالْأَشْبَاهُ، فَضَلَّ بِنَفْسِهِ وَأَضَلَّ غَيْرَهُ؛ لِأَنَّ إِضْلَالَهُ لِغَيْرِهِ مُتَوَلِّدٌ وَنَاتِجٌ عَنْ ضَلَالِهِ. ثُمَّ أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ بِأَنْ يَقُولَ لِمَنِ اشْتَهَرَ بِهَذَا الْعُتُوِّ، وَهُوَ تَبْدِيلُ نِعْمَةِ اللهِ كُفْرًا ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾ [الزمر: ٨] فَلَا يَنْفَعُهُ مَا يَتَمَتَّعُ بِهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مِنَ الْأَمْوَالِ وَسَائِرِ النِّعَمِ إِذَا كَانَ الْمَآلُ هُوَ النَّارُ(١).

وَأَمَّا الْآيَةُ الثَّانِيَةُ: وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا

---

(١) «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» (٢٣/ ١٩٩ـ٢٠٠).

خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُخْبِرُ تَعَالَىٰ أَنَّ الْإِنْسَانَ فِي حَالِ الضُّرِّ يَضْرَعُ إِلَىٰ اللهِ وَيُنِيبُ إِلَيْهِ، وَيَدْعُوهُ، ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ طَغَىٰ وَبَغَىٰ وَقَالَ: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ لِعِلْمِ اللهِ بِي بِأَنَّنِي أَسْتَحِقُّ ذَلِكَ، وَلَوْلَا أَنِّي عِنْدَ اللهِ خَصِيصٌ لَمَا خَوَّلَنِي هَذَا. قَالَ قَتَادَةُ: عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي، قَالَ اللهُ عَجَّلَ: ﴿بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾؛ أَيْ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمَ بَلْ إِنَّمَا أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ لِنَخْتَبِرَهُ فِيمَا أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ أَيُطِيعُ أَمْ يَعْصِي؟ مَعَ عِلْمِ اللهِ الْمُتَقَدِّمِ بِذَلِكَ فَهِيَ فِتْنَةٌ؛ أَيِ: اخْتِبَارٌ: ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾، وَلِهَذَا يَدَّعُونَ مَا يَدَّعُونَ وَيَقُولُونَ مَا يَقُولُونَ». اهـ[1].

٣- أَنْوَاعُ الدُّعَاءِ: الدُّعَاءُ نَوْعَانِ:

١- دُعَاءُ عِبَادَةٍ. ٢- دُعَاءُ مَسْأَلَةٍ.

وَلَفْظُ الدُّعَاءِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يُرَادُ بِهِ هَذَا تَارَةً، وَهَذَا تَارَةً وَيُرَادُ بِهِ مَجْمُوعُهُمَا وَهُمَا مُتَلَازِمَانِ.

فَأَمَّا دُعَاءُ الْعِبَادَةِ: فَهُوَ التَّقَرُّبُ إِلَىٰ اللهِ عَجَّلَ بِأَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ مِنَ الصَّلَاةِ، وَالذَّبْحِ، وَالنَّذْرِ، وَالصِّيَامِ، وَالْحَجِّ وَغَيْرِهَا خَوْفًا مِنْ عِقَابِ اللهِ وَطَمَعًا فِي رَحْمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ صِيغَةُ سُؤَالٍ وَطَلَبٍ، فَالْعَابِدُ الَّذِي يَرْغَبُ فِي حُصُولِ مَطْلُوبِهِ وَيَخَافُ عَلَىٰ فَوَاتِهِ هُوَ سَائِلٌ لِمَا يَطْلُبُهُ بِامْتِثَالِ أَمْرِ اللهِ - تَعَالَىٰ -.

وَأَمَّا دُعَاءُ الْمَسْأَلَةِ: فَهُوَ طَلَبُ مَا يَنْفَعُ الدَّاعِيَ وَطَلَبُ كَشْفِ مَا يَضُرُّهُ أَوْ دَفْعِهِ، وَمَنْ يَمْلِكُ الضُّرَّ وَالنَّفْعَ هُوَ الْمَعْبُودُ حَقًّا، وَالْمَعْبُودُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَالِكًا

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٦/ ٩٩).

لِلنَّفْعِ وَالضُّرِّ(١). وَلَقَدْ أَنْكَرَ الْبَارِي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ غَيْرَهُ مِمَّنْ لَا يَمْلِكُونَ لِعَابِدِيهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، وَكَثُرَ أُسْلُوبُ الْإِنْكَارِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ أَجْلِ هَذَا. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ [المائدة: ٧٦].

فَهَذِهِ الْآيَةُ تَضَمَّنَتِ الْإِنْكَارَ الشَّدِيدَ عَلَىٰ عُبَّادِ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ وَالْأَوْثَانِ، وَبِدَايَةُ الْآيَةِ كَمَا هُوَ مُشَاهَدٌ أَمْرٌ مُوَجَّهٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ بِأَنْ يَقُولَ لِعُمُومِ الْعَابِدِينَ لِغَيْرِ اللهِ ﷻ مِنْ سَائِرِ بَنِي آدَمَ بِمَا فِيهِمُ النَّصَارَىٰ: ﴿أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾؛ أَيْ: لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ دَفْعِ ضُرٍّ عَنْكُمْ وَلَا إِيصَالِ نَفْعٍ إِلَيْكُمْ، أَمَّا اللهُ ﷻ فَإِنَّهُ يَسْمَعُ أَقْوَالَكُمْ وَيَعْلَمُ أَحْوَالَكُمْ فَلِمَ تَعْدِلُونَ عَنْهُ إِلَىٰ عِبَادَةِ جَمَادٍ لَا يَسْمَعُ، وَلَا يُبْصِرُ، وَلَا يَعْلَمُ شَيْئًا، وَلَا يَمْلِكُ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا لِغَيْرِهِ، وَلَا لِنَفْسِهِ؟(٢).

وَقَالَ تَعَالَىٰ زِيَادَةً فِي الْإِنْكَارِ عَلَىٰ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا. ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ [يونس: ١٨]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ [يونس: ١٠٦]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ۝٣﴾ [الفرقان: ٣]. وَغَيْرُهَا مِنَ الْآيَاتِ كَثِيرٌ كُلُّهَا تَنْفِي عَنِ الْمَعْبُودِينَ مِنْ دُونِ اللهِ النَّفْعَ وَالضَّرَّ الْقَاصِرَ وَالْمُتَعَدِّيَ، فَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ، وَلَا لِعَابِدِيهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا؛ فَالْمَعْبُودُ يُدْعَىٰ لِلنَّفْعِ وَالضَّرِّ دُعَاءَ الْمَسْأَلَةِ، وَيُدْعَىٰ عَلَىٰ طَرِيقِ الْخَوْفِ، وَالرَّجَاءِ دُعَاءَ

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٥/ ١٠)، «بدائع الفوائد» لابن القيم (٣/ ٢)، «تيسير العزيز الحميد» (ص١٨٠ ـ ١٩٢).

(٢) انظر «تفسير ابن كثير» (٢/ ٦١٧).

الْعِبَادَةِ، وَمِنْ هَذَا يُعْلَمُ أَنَّ النَّوْعَيْنِ مُتَلَازِمَانِ فَكُلُّ دُعَاءِ عِبَادَةٍ مُسْتَلْزِمٌ لِدُعَاءِ الْمَسْأَلَةِ، وَكُلُّ دُعَاءِ مَسْأَلَةٍ يَتَضَمَّنُ دُعَاءَ الْعِبَادَةِ.

وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

وَهَذِهِ الْآيَةُ أَيْضًا تَضَمَّنَتْ نَوْعَيِ الدُّعَاءِ مَعًا إِلَّا أَنَّهَا فِي دُعَاءِ الْعِبَادَةِ أَظْهَرُ؛ وَلِذَلِكَ جَاءَ التَّعْقِيبُ بَعْدَ الْأَمْرِ بِالدُّعَاءِ فِيهَا بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ: «إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ ثُمَّ قَرَأَ ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠]»(١).

فَهَذِهِ الْآيَاتُ الَّتِي قَدَّمْنَا ذِكْرَهَا دَلَّتْ دَلَالَةً صَرِيحَةً عَلَىٰ أَنَّ نَوْعَيِ الدُّعَاءِ بَيْنَهُمَا تَلَازُمٌ كَمَا قَدَّمْنَا ذَلِكَ قَرِيبًا، فَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ عَلَىٰ مَعْرِفَةٍ بِهَذَا وَأَنْ يُحَقِّقَهُ جَيِّدًا حَتَّىٰ يَسْتَطِيعَ الرَّدَّ عَلَىٰ الْقُبُورِيِّينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ أَهْلَ الْقُبُورِ مِنْ دُونِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَيَحْتَجُّونَ عَلَىٰ مَنْ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ فِعْلَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّ الدُّعَاءَ الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِأَنْ يَكُونَ خَالِصًا لَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ إِنَّمَا هُوَ دُعَاءُ الْعِبَادَةِ وَلَيْسَ الْمَسْأَلَةِ.

وَيَزْعُمُونَ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨]؛ أَيْ: لَا تَعْبُدُوا مَعَ اللهِ غَيْرَهُ، وَالرَّدُّ عَلَيْهِمْ سَهْلٌ وَيَسِيرٌ فَيُقَالُ لَهُمْ: سَلَّمْنَا لَكُمْ جَدَلًا أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ دُعَاءُ الْعِبَادَةِ لَكِنْ لَا يَمْنَعُ ذَلِكَ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ

---

(١) «سنن الترمذي» (٥/ ٥٢).

دُعَاءُ الْمَسْأَلَةِ؛ لِأَنَّ دُعَاءَ الْعِبَادَةِ مُسْتَلْزِمٌ لِدُعَاءِ الْمَسْأَلَةِ. وَيُقَالُ لَهُمْ أَيْضًا: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَمَرَ عِبَادَهُ بِأَنْ يَدْعُوهُ دُعَاءَ مَسْأَلَةٍ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ كِتَابِهِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]. فَهَذِهِ الْآيَةُ وَاضِحَةٌ فِي دُعَاءِ الْمَسْأَلَةِ، وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ سَبَبُ نُزُولِهَا وَهُوَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَدْعُو رَبَّهُ فَيَقُولُ مَرَّةً: «يَا أَللهُ»، وَمَرَّةً «يَا رَحْمَنُ» فَظَنَّ الْجَاهِلُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَنَّهُ يَدْعُو إِلَهَيْنِ فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الْآيَةَ.

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: سَمِعَ الْمُشْرِكُونَ النَّبِيَّ ﷺ يَدْعُو فِي سُجُودِهِ «يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ» فَقَالُوا: هَذَا يَزْعُمُ أَنَّهُ يَدْعُو وَاحِدًا وَهُوَ يَدْعُوهُ مَثْنَىٰ مَثْنَىٰ، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾(١). وَمَعْنَىٰ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: الْأَمْرُ لِلنَّبِيِّ ﷺ بِأَنْ يَقُولَ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ أَنْكَرُوا صِفَةَ الرَّحْمَةِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ الْمَانِعِينَ مِنْ تَسْمِيَتِهِ «بِالرَّحْمَنِ» ﴿ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾؛ أَيْ: لَا فَرْقَ بَيْنَ دُعَائِكُمْ لَهُ بِاسْمِ «اللهِ» أَوْ بِاسْمِ «الرَّحْمَنِ» فَإِنَّهُ ذُو الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ.

٤- حُكْمُ الِاعْتِدَاءِ فِي الدُّعَاءِ:

لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَتَعَدَّىٰ فِي الدُّعَاءِ لِنَهْيِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ عَنْ ذَلِكَ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٥٥﴾ [الأعراف: ٥٥]. وَهَذِهِ الْآيَةُ تَضَمَّنَتْ إِرْشَادًا مِنَ اللهِ لِعِبَادِهِ بِأَنْ يَدْعُوهُ تَضَرُّعًا وَتَذَلُّلًا؛ لِأَنَّ الدُّعَاءَ فِيهِ صَلَاحُ دُنْيَاهُمْ وَأُخْرَاهُمْ، كَمَا أَنَّهَا تَتَنَاوَلُ نَوْعَيِ الدُّعَاءِ لَكِنَّهَا ظَاهِرَةُ الدَّلَالَةِ فِي دُعَاءِ الْمَسْأَلَةِ الْمُتَضَمِّنِ دُعَاءَ الْعِبَادَةِ؛ وَلِهَذَا أَمَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بِإِخْفَائِهِ وَإِسْرَارِهِ(٢). وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٥/ ١٤)، «بدائع الفوائد» (٣/ ٥)، «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٥٩).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (١٥/ ١٥)، «بدائع الفوائد» لابن القيم (٣/ ٦).

﴿ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٥٥﴾ فَسَّرَ الِاعْتِدَاءَ بِتَفْسِيرَيْنِ:

١- قِيلَ: الْمُرَادُ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ فِي الدُّعَاءِ كَالسَّائِلِ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنْ مَنَازِلِ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سَمِعَ ابْنَهُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ عَنْ يَمِينِ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلْتُهَا، فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ سَلِ اللهَ الْجَنَّةَ وَتَعَوَّذْ بِهِ مِنَ النَّارِ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الطَّهُورِ وَالدُّعَاءِ**»(١).

وَعَلَىٰ هَذَا فَالِاعْتِدَاءُ فِي الدُّعَاءِ تَارَةً يَكُونُ بِسُؤَالِ اللهِ مَا لَا يَجُوزُ لَهُ سُؤْلُهُ كَسُؤَالِهِ الْعَوْنَ عَلَىٰ الْمَعْصِيَةِ، وَتَارَةً يَسْأَلُ اللهَ سُؤَالًا لَا يَفْعَلُهُ كَطَلَبِ الْخُلُودِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ يَدْفَعُ عَنْهُ لَوَازِمَ الْبَشَرِيَّةِ بِأَنْ يَرْفَعَ عَنْهُ الْحَاجَةَ إِلَىٰ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ أَوْ يُطْلِعُهُ عَلَىٰ الْغَيْبِ أَوْ يَجْعَلُهُ فِي الْمَعْصُومِينَ، أَوْ يَطْلُبُ مِنَ اللهِ الْوَلَدَ مِنْ غَيْرِ زَوْجَةٍ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا سُؤَالُهُ اعْتِدَاءٌ لَا يُحِبُّهُ اللهُ وَلَا يُحِبُّ سَائِلَهُ(٢).

التَّفْسِيرُ الثَّانِي لِلْآيَةِ: قِيلَ الِاعْتِدَاءُ بِرَفْعِ الصَّوْتِ فِي الدُّعَاءِ. وَقَدْ قَرَّرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ أَنَّ الْآيَةَ تَكُونُ أَعَمَّ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَإِنْ كَانَ الِاعْتِدَاءُ فِي الدُّعَاءِ هُوَ الْمَقْصُودُ بِهَا فَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْمُرَادِ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٥٥﴾ فِي كُلِّ شَيْءٍ دُعَاءً كَانَ أَوْ غَيْرَهُ. كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝١٩٠﴾ [البقرة: ١٩٠](٣).

وَعَلَىٰ الْقَوْلِ بِعُمُومِ الْآيَةِ فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الِاعْتِدَاءِ أَنْ يُدْعَىٰ غَيْرُ اللهِ تَعَالَىٰ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ سَوَاءٌ أَكَانَ الدُّعَاءُ يُوَجَّهُ إِلَيْهِ مُبَاشَرَةً أَوْ يَدْعُونَ اللهَ بِهِمْ كُلُّ ذَلِكَ

---

(١) صحيح: أبو داود (٩٦)، أحمد (١٦٣٥٤) وصححه الألباني.

(٢) مجموع الفتاوىٰ ١٥/ ٢٢، تفسير ابن كثير (٣/ ١٨٠).

(٣) «مجموع الفتاوىٰ» (١٥/ ٢٣).

اعْتِدَاءٌ لَا يُحِبُّهُ اللهُ تَعَالَىٰ؛ لِأَنَّهُ وَضْعٌ لِلْعِبَادَةِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا وَمِنَ الِاعْتِدَاءِ أَنْ يَدْعُوَ الْإِنْسَانُ رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَهُوَ غَيْرُ مُظْهِرٍ لِلتَّضَرُّعِ وَالتَّذَلُّلِ فَيَكُونُ دُعَاءُ هَذَا كَدُعَاءِ الْمُسْتَغْنِي الْمُدِلِّ عَلَىٰ رَبِّهِ، وَهَذَا مِنَ الِاعْتِدَاءِ الَّذِي لَا يُحِبُّهُ اللهُ لِمُنَافَاتِهِ دُعَاءَ الْعَبْدِ الْمُتَذَلِّلِ، فَمَنْ لَمْ يَسْأَلْ رَبَّهُ مَسْأَلَةَ مِسْكِينٍ مُتَضَرِّعٍ خَائِفٍ فَهُوَ مِنَ الْمُعْتَدِينَ. كَذَلِكَ مِنَ الِاعْتِدَاءِ عِبَادَةُ اللهِ بِمَا لَمْ يُشَرِّعْهُ وَلَا أَذِنَ فِيهِ، أَوْ يُثْنِي عَلَىٰ اللهِ بِمَا لَمْ يُثْنِ بِهِ عَلَىٰ نَفْسِهِ؛ فَذَلِكَ مِنَ الِاعْتِدَاءِ فِي دُعَاءِ الثَّنَاءِ وَالْعِبَادَةِ وَهُوَ شَبِيهُ الِاعْتِدَاءِ فِي دُعَاءِ الْمَسْأَلَةِ وَالطَّلَبِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: «وَعَلَىٰ هَذَا فَتَكُونُ الْآيَةُ دَالَّةً عَلَىٰ شَيْئَيْنِ: **أَحَدُهُمَا**: مَحْبُوبٌ لِلرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَهُوَ الدُّعَاءُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً. **الثَّانِي**: مَكْرُوهٌ لَهُ مَسْخُوطٌ وَهُوَ الِاعْتِدَاءُ، فَأَمَرَ بِمَا يُحِبُّهُ وَنَدَبَ إِلَيْهِ وَحَذَّرَ مِمَّا يُبْغِضُهُ وَزَجَرَ عَنْهُ بِمَا هُوَ أَبْلَغُ طُرُقِ الزَّجْرِ وَالتَّحْذِيرِ وَهُوَ لَا يُحِبُّ فَاعِلَهُ، وَمَنْ لَا يُحِبُّهُ اللهُ فَأَيُّ خَيْرٍ يَنَالُهُ... إِلَىٰ أَنْ قَالَ: فَقَسَّمَتِ الْآيَةُ النَّاسَ إِلَىٰ قِسْمَيْنِ: دَاعٍ للهِ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً، وَمُعْتَدٍ بِتَرْكِ ذَلِكَ». اهـ(١).

٥- أَنَّ دُعَاءَ غَيْرِ اللهِ شِرْكٌ:

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ دُعَاءَ غَيْرِ اللهِ ﷻ سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ دُعَاءَ عِبَادَةٍ أَوْ دُعَاءَ مَسْأَلَةٍ فَإِنَّهُ شِرْكٌ للهِ تَعَالَىٰ فِي عُبُودِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ، وَقَدِ اعْتَبَرَ الْقُرْآنُ دُعَاءَ غَيْرِ اللهِ ﷻ مِنْ أَبْلَغِ الضَّلَالِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف: ٥، ٦].

فَالْآيَةُ الْأُولَىٰ بَيَّنَتْ أَنَّهُ لَا أَضَلَّ مِمَّنْ يَدْعُو أَحَدًا مِنْ دُونِهِ كَائِنًا مَنْ كَانَ،

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٥/ ٢٣ ـ ٢٤).

وَأَنَّ الْمَدْعُوَّ لَيْسَ لَدَيْهِ اسْتِجَابَةٌ لِمَا طُلِبَ مِنْهُ مِنْ مَيِّتٍ أَوْ غَائِبٍ أَوْ صَنَمٍ أَوْ وَثَنٍ فَالدَّاعِي لِغَيْرِ اللهِ حَظُّهِ مِنْ ذَلِكَ الْخُسْرَانُ وَالْخَيْبَةُ.

وَأَمَّا الْآيَةُ الثَّانِيَةُ فَقَدْ بَيَّنَتْ أَنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ فَإِنَّ الْمَعْبُودَ مِنْ دُونِ اللهِ يَتَبَرَّأُ مِمَّنْ عَبَدَهُ وَمِنْ عِبَادَتِهِ بَلْ يَنْقَلِبُ لَهُ عَدُوًّا.

قَالَ الْعَلَّامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَنٍ آلُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللهُ: «فَدَلَّتْ أَيْضًا - أَيِ: الْآيَةُ - عَلَىٰ أَنَّ دُعَاءَ غَيْرِ اللهِ عِبَادَةٌ لَهُ، وَأَنَّ الدَّاعِيَ لَهُ فِي غَايَةِ الضَّلَالِ، وَقَدْ وَقَعَ مِنْ هَذَا الشِّرْكِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مَا طَمَّ وَعَمَّ حَتَّىٰ أَظْهَرَ اللهُ مَنْ يُبَيِّنُهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ مَجْهُولًا عِنْدَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي غَايَةِ الْبَيَانِ لَكِنَّ الْقُلُوبَ انْصَرَفَتْ إِلَىٰ مَا زَيَّنَ لَهَا الشَّيْطَانُ» اهـ[١]. وَهُوَ كَمَا قَالَ رَحِمَهُ اللهُ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ زَيَّنَ لِبَعْضِ الْمُسْلِمِينَ دُعَاءَ أَهْلِ الْقُبُورِ، وَاللُّجُوءَ إِلَيْهِمْ عِنْدَ الشَّدَائِدِ، وَالاسْتِغَاثَةَ بِهِمْ فِي الْمُلِمَّاتِ، وَالنَّاظِرُ بِعَيْنِ الْبَصِيرَةِ لِمَا عَلَيْهِ الْقُبُورِيُّونَ فِي أَغْلَبِ الْأَقْطَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ يَقْطَعُ يَقِينًا بِأَنَّهُمْ بَدَّلُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ؛ فَبَدَلًا مِنْ إِتْيَانِهِمُ الْقُبُورَ لِلدُّعَاءِ لِأَهْلِهَا بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَسُؤَالِ الْعَافِيَةِ لَهُمْ تَجِدُهُمْ يَدْعُونَهُمْ وَيَسْأَلُونَهُمْ مَطَالِبَ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ يَدْعُونَ اللهَ جَلَّ جَلَالُهُ بِهِمْ بِقَصْدِ الْقُرْبَىٰ، وَأَنَّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَنَسُوا أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ أَمْرَانِ:

الْأَمْرُ الْأَوَّلُ: تَذَكُّرُ الْآخِرَةِ وَالِاعْتِبَارُ وَالِاتِّعَاظُ، عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**إِنِّي كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ لُحُومِ الْأَضَاحِيِّ بَعْدَ ثَلَاثٍ، وَعَنِ النَّبِيذِ إِلَّا فِي سِقَاءٍ، وَعَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَكُلُوا مِنْ لُحُومِ الْأَضَاحِيِّ مَا بَدَا لَكُمْ،**

---

(١) «قرة عيون الموحدين» (ص١٠٤).

وَتَزَوَّدُوا وَادَّخِرُوا، وَمَنْ أَرَادَ زِيَارَةَ الْقُبُورِ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْآخِرَةَ»(١).

الْأَمْرُ الثَّانِي: الْإِحْسَانُ إِلَىٰ الْمَيِّتِ بِالدُّعَاءِ لَهُ بِالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ كَمَا كَانَ يَفْعَلُهُ ﷺ فَإِنَّهُ كَانَ إِذَا زَارَ أَهْلَ الْبَقِيعِ يَقُولُ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ غَدًا مُؤَجَّلُونَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَهْلِ بَقِيعِ الْغَرْقَدِ»(٢).

قَالَ الشَّيْخُ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رَحِمَهُ اللهُ -بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ دُعَاءَ الْعِبَادَةِ وَدُعَاءَ الْمَسْأَلَةِ -: «إِذَا تَبَيَّنَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ الْعُلَمَاءَ أَجْمَعُوا عَلَىٰ أَنَّ مَنْ صَرَفَ شَيْئًا مِنْ نَوْعَيِ الدُّعَاءِ لِغَيْرِ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ وَلَوْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَصَلَّىٰ وَصَامَ، إِذْ شَرْطُ الإِسْلَامِ مَعَ التَّلَفُّظِ بِالشَّهَادَتَيْنِ أَنْ لَا يَعْبُدَ إِلَّا اللهَ، فَمَنْ أَتَىٰ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَعَبَدَ غَيْرَ اللهِ فَمَا أَتَىٰ بِهِمَا حَقِيقَةً، وَإِنْ تَلَفَّظَ بِهِمَا كَالْيَهُودِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَهُمْ مُشْرِكُونَ. وَمُجَرَّدُ التَّلَفُّظِ بِهِمَا لَا يَكْفِي فِي الْإِسْلَامِ بِدُونِ الْعَمَلِ بِمَعْنَاهُمَا وَاعْتِقَادِهِمَا إِجْمَاعًا»(٣).

* قَوْلُهُ: «الِاعْتِقَادُ فِي النُّجُومِ وَالْأَنْوَاءِ».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ الِاعْتِقَادَ فِي النُّجُومِ مِنَ الْأَخْطَاءِ الَّتِي يَقَعُ فِيهَا كَثِيرٌ مِنْ عَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ ﷻ وَظِيفَةَ النُّجُومِ وَالْكَوَاكِبِ، فَبَيَّنَ أَنَّ لَهَا وَظَائِفَ ثَلَاثَةً هِيَ:

١- زِينَةً لِلسَّمَاءِ. ٢- رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ.

٣- هِدَايَةً لِلطَّرِيقِ وَلِمَعْرِفَةِ الْأَشْهُرِ وَالْأَيَّامِ.

---

(١) صحيح: «سنن الترمذي» (٢/ ٢٥٩)، النسائي (٤٤٣٠)، أحمد (٢٢٥٠٦)، وصححه الألباني.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٩٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) «تيسير العزيز الحميد» (ص ١٩٢).

يَقُولُ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾ [الملك: ٥]. وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنعام: ٩٧]. قَالَ **الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ**: قَالَ قَتَادَةُ: «خَلَقَ اللهُ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ: زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَىٰ بِهَا، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ أَخْطَأَ وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ»(١).

١- التَّنْجِيمُ:

أ- تَعْرِيفُهُ: **التَّنْجِيمُ - كَمَا يَزْعُمُ أَهْلُهُ -**: هُوَ الِاسْتِدْلَالُ عَلَىٰ الْحَوَادِثِ الْأَرْضِيَّةِ قَبْلَ حُدُوثِهَا بِالنَّظَرِ فِي الْأَحْوَالِ الْفَلَكِيَّةِ؛ فَيُخْبِرُ أَهْلُ هَذِهِ الصِّنَاعَةِ عَمَّا سَيَقَعُ فِي الْعَالَمِ مُسْتَقْبَلًا، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمُ اسْتَفَادُوا ذَلِكَ مِنَ النَّظَرِ فِي سَيْرِ الْكَوَاكِبِ فِي مَجَارِيهَا وَاجْتِمَاعِهَا وَاقْتِرَانِهَا زَاعِمِينَ أَنَّ لَهَا تَأْثِيرًا فِي الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ(٢). وَهُوَ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْكَهَانَةِ.

ب- حُكْمُ التَّنْجِيمِ:

قَبْلَ الْحَدِيثِ عَنْ حُكْمِ التَّنْجِيمِ تَجْدُرُ الْإِشَارَةُ إِلَىٰ أَنَّ التَّنْجِيمَ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: مُبَاحٌ، وَهُوَ مَا يُعْرَفُ بِعِلْمِ الْحِسَابِ أَوْ عِلْمِ التَّسْيِيرِ، كَمَعْرِفَةِ وَقْتِ الْكُسُوفِ، وَالْخُسُوفِ، وَالرَّصْدِ، وَهُبُوبِ الرِّيَاحِ، وَاتِّجَاهَاتِهَا، مَعَ الِاعْتِقَادِ الْجَازِمِ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَجْرِي فِي هَذَا الْكَوْنِ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ، وَعِنْدَ الْإِخْبَارِ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ يُقَيَّدُ الْكَلَامُ بِمَشِيئَةِ اللهِ، وَبِعِبَارَةِ التَّوَقُّعِ؛ فَهَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦/ ٢١١) معلقًا. ووصله عبد بن حميد من طريق شيبان عنه كما ذكر الحافظ.

(٢) المفيد في مهمات التوحيد (١/ ١٨٢).

بِجَوَازِهِ، وَلا يَدْخُلُ تَحْتَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ(١).

أَمَّا النَّوْعُ الثَّانِي: وَهُوَ الِاسْتِدْلالُ بِالأَحْوَالِ الْفَلَكِيَّةِ عَلَىٰ الْحَوَادِثِ الأَرْضِيَّةِ؛ فَيَدَّعِي الْمُنَجِّمُ أَنَّهُ مِنْ خِلالِ النَّظَرِ فِي النُّجُومِ يُمْكِنُ أَنْ يَعْرِفَ مَا سَيَقَعُ فِي الأَرْضِ؛ مِنْ نَصْرِ قَوْمٍ، أَوْ هَزِيمَةِ آخَرِينَ، أَوْ مَوْتٍ أَوْ حَيَاةٍ، أَوْ قِيَامٍ أَوْ زَوَالٍ، أَوْ خَسَارَةٍ لِرَجُلٍ، وَرِبْحٍ لآخَرَ. فَهَذَا النَّوْعُ هُوَ الْمُرَادُ بِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ، وَصَاحِبُهُ يُعْتَبَرُ كَافِرًا كُفْرًا بَوَاحًا إِذَا اعْتَقَدَ أَنَّ لِلنُّجُومِ تَأْثِيرًا ذَاتِيًّا فِي الْحَوَادِثِ الأَرْضِيَّةِ.

وَمِنَ الأَدِلَّةِ عَلَىٰ تَحْرِيمِ التَّنْجِيمِ: أَنَّ اللهَ ﷻ إِنَّمَا خَلَقَ النُّجُومَ زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلامَاتٍ يُهْتَدَىٰ بِهَا، لَمْ يَخْلُقْهَا سُبْحَانَهُ لِلاسْتِدْلالِ بِهَا عَلَىٰ مَا يَجْرِي عَلَىٰ الأَرْضِ. يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾ [الملك: ٥]. وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنعام: ٩٧].

وَقَدْ دَلَّتِ السُّنَّةُ عَلَىٰ تَحْرِيمِ التَّنْجِيمِ؛ فَمِنْ ذَلِكَ: قَوْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ»(٢).

وَقَوْلُهُ ﷺ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي فِي آخِرِ زَمَانِهَا: النُّجُومُ، وَتَكْذِيبٌ بِالْقَدَرِ، وَحَيْفُ السُّلْطَانِ»(٣).

---

(١) «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» (ص٤٤٨)، و«المجموع الثمين» (٢/ ١٤١-١٤٢)، و«التنجيم والمنجمون» للدكتور عبد المجيد المشعبي (ص١٦٠-١٦٢)، (٣٠٥-٣٢٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٩٠٥)، وابن ماجه (٣٧٢٦) وقد صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٧٩٣).

(٣) أخرجه الطبراني (١/ ٩٢/ ١)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠٣)، وقال الألباني: «الحديث له شواهد كثير يرتقي بها إلىٰ درجة الصحة في نقدي». «السلسلة الصحيحة» (٣/ ١١٩).

وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِنَّ التَّنْجِيمَ يَنْقَسِمُ إِلَىٰ ثَلاثَةِ أَقْسَامٍ: أَحَدُهَا: كُفْرٌ؛ وَهُوَ الِاعْتِقَادُ بِأَنَّ الْكَوَاكِبَ فَاعِلَةٌ مُخْتَارَةٌ، وَأَنَّ الْحَوَادِثَ مُرَكَّبَةٌ عَلَىٰ تَأْثِيرِهَا.

الثَّانِي: الاسْتِدْلالُ عَلَىٰ الْحَوَادِثِ بِمَسِيرِ الْكَوَاكِبِ وَاجْتِمَاعِهَا وَافْتِرَاقِهَا، وَيَقُولُونَ: إِنَّ ذَلِكَ بِتَقْدِيرِ اللهِ وَمَشِيئَتِهِ. فَلا رَيْبَ فِي تَحْرِيمِ ذَلِكَ، وَكَوْنِهِ نَوْعًا مِنَ الشِّرْكِ. الثَّالِثُ: عِلْمُ التَّسْيِيرِ، فَتَعْلَمُ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْهُ لِلاهْتِدَاءِ وَمَعْرِفَةِ الْقِبْلَةِ وَالطُّرُقِ وَالْوَقْتِ، وَهَذَا جَائِزٌ عِنْدَ الْجُمْهُورِ.

الاسْتِسْقَاءُ بِالأَنْوَاءِ:

مَعْنَىٰ الاسْتِسْقَاءِ فِي اللُّغَةِ: قَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ: «السُّقْيَا: اسْمُ السَّقْيِ، وَالسِّقَاءُ: الْقِرْبَةُ لِلْمَاءِ وَاللَّبَنِ، وَالسِّقَايَةُ: الْمَوْضِعُ يُتَّخَذُ فِيهِ الشَّرَابُ فِي الْمَوَاسِمِ وَغَيْرِهَا... وَالاسْتِقَاءُ الأَخْذُ مِنَ النَّهْرِ وَالْبِئْرِ»(١). وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: «وَسَقَاهُ اللهُ الْغَيْثَ وَأَسْقَاهُ.. السَّقِيُّ - عَلَىٰ فَعِيلٍ -: السَّحَابَةُ الْعَظِيمَةُ الْقَطْرِ، الشَّدِيدَةُ الْوَقْعِ»(٢). فَالاسْتِسْقَاءُ فِي اللُّغَةِ: طَلَبُ السُّقْيَا.

مَعْنَىٰ الأَنْوَاءِ فِي اللُّغَةِ:

قَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ: «النَّوْءُ - مَهْمُوزًا - مِنْ أَنْوَاءِ النُّجُومِ، وَذَلِكَ إِذَا سَقَطَ نَجْمٌ بِالْغَدَاةِ فَغَابَ مَعَ طُلُوعِ الْفَجْرِ، وَطَلَعَ فِي حِيَالِهِ نَجْمٌ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ، عَلَىٰ رَأْسِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ مَنْزِلًا مِنْ مَنَازِلِ الْقَمَرِ، سُمِّيَ بِذَلِكَ السُّقُوطِ وَالطُّلُوعِ نَوْءًا مِنْ أَنْوَاءِ الْمَطَرِ وَالْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَذَلِكَ مِنْ قَوْلِكَ نَاءَ يَنُوءُ... وَالشَّيْءُ إِذَا مَالَ إِلَىٰ السُّقُوطِ، تَقُولُ نَاءَ يَنُوءُ نَوْءًا، بِوَزْنِ نَاعَ، وَإِذَا نَهَضَ فِي تَثَاقُلٍ يُقَالُ نَاءَ يَنُوءُ بِهِ نَوْءًا إِذَا أَطَاقَهُ»(٣).

---

(١) «العين» (٥/ ١٨٩ - ١٩٠)، وانظر: معجم «مقاييس اللغة» (٣/ ٨٤ - ٨٥).

(٢) «الصحاح» (٦/ ٢٣٧٩)، وانظر: معجم «مقاييس اللغة» (٣/ ٨٤ - ٨٥).

(٣) «العين» (٨/ ٣٩١)، وانظر: «الصحاح» (١/ ٧٨ - ٧٩)، «لسان العرب» (١/ ١٧٥ - ١٧٦).

وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: «قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: وَلَمْ نَسْمَعْ فِي النَّوْءِ أَنَّهُ السُّقُوطُ إِلا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تُضِيفُ الأَمْطَارَ وَالرِّيَاحَ وَالْحَرَّ وَالْبَرْدَ إِلَىٰ السَّاقِطِ مِنْهَا، وَقَالَ الأَصْمَعِيُّ: إِلَىٰ الطَّالِعِ مِنْهَا فِي سُلْطَانِهِ، فَتَقُولُ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا. وَالْجَمْعُ: أَنْوَاءٌ وَنُوآنٌ أَيْضًا»(١). فَالنَّوْءُ يُطْلَقُ عَلَىٰ النَّجْمِ، وَعَلَىٰ السُّقُوطِ وَالنُّهُوضِ فِي تَثَاقُلٍ. وَالاسْتِسْقَاءُ بِالأَنْوَاءِ فِي اللُّغَةِ يَعْنِي: طَلَبَ أَوْ نِسْبَةَ السُّقْيَا إِلَىٰ النُّجُومِ بِسُقُوطِهَا وَطُلُوعِهَا.

٢- مَعْنَىٰ الاسْتِسْقَاءِ بِالأَنْوَاءِ فِي الشَّرْعِ:

لَفْظُ (الاسْتِسْقَاءِ بِالأَنْوَاءِ) بِهَذَا التَّرْكِيبِ لَمْ يَرِدْ فِي كِتَابِ اللهِ، وَلَكِنْ وَرَدَ فِي السُّنَّةِ لَفْظُ (الاسْتِسْقَاءِ بِالنُّجُومِ)، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالأَنْوَاءِ. عَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ وَالنِّيَاحَةُ»**. وَقَالَ: **«النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ»**(٢).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «خِلَالٌ مِنْ خِلَالِ الْجَاهِلِيَّةِ: الطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالنِّيَاحَةُ». وَنَسِيَ الثَّالِثَةَ. قَالَ سُفْيَانُ: «وَيَقُولُونَ: إِنَّهَا الاسْتِسْقَاءُ بِالأَنْوَاءِ»(٣). قَالَ فِي «تَيْسِيرِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ» فِي مَعْنَىٰ الاسْتِسْقَاءِ بِالأَنْوَاءِ: «وَالْمُرَادُ نِسْبَةُ السُّقْيَا وَمَجِيءُ الْمَطَرِ إِلَىٰ الأَنْوَاءِ - جَمْعِ نَوْءٍ - وَهِيَ مَنَازِلُ الْقَمَرِ»(٤).

٣- حُكْمُ الِاسْتِسْقَاءِ بِالأَنْوَاءِ: **الاسْتِسْقَاءُ بِالأَنْوَاءِ، وَهُوَ الِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ،**

---

(١) «الصحاح» (١/ ٧٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٩٣٤).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣٨٥٠).

(٤) «تيسير العزيز الحميد» (ص٤٥٧، ٤٥٩ - ٤٦٠).

نَوْعَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ الْمُنْزِلَ لِلْمَطَرِ هُوَ النَّجْمُ، فَهَذَا كُفْرٌ ظَاهِرٌ، إِذْ لا خَالِقَ إِلا اللهُ، وَمَا كَانَ الْمُشْرِكُونَ هَكَذَا، بَلْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْمُنْزِلُ لِلْمَطَرِ. كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [العنكبوت-٦٣]. وَلَيْسَ هَذَا مَعْنَىٰ الْحَدِيثِ؛ فَالنَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرَ أَنَّ هَذَا لا يَزَالُ فِي أُمَّتِهِ، وَمَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ النَّجْمَ يُنْزِلُ الْمَطَرَ فَهُوَ كَافِرٌ.

الثَّانِي: أَنْ يَنْسِبَ إِنْزَالَ الْمَطَرِ إِلَىٰ النَّجْمِ مَعَ اعْتِقَادِهِ أَنَّ اللهَ ﷻ هُوَ الْفَاعِلُ لِذَلِكَ الْمُنْزِلِ لَهُ، إِلا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَجْرَىٰ الْعَادَةَ بِوُجُودِ الْمَطَرِ عِنْدَ ظُهُورِ ذَلِكَ النَّجْمِ، وَفِيهِ خِلافٌ فِي مَذْهَبِ الإِمَامِ أَحْمَدَ فِي تَحْرِيمِهِ وَكَرَاهَتِهِ، وَصَرَّحَ أَصْحَابُ الشَّافِعِيِّ بِجَوَازِهِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ مُحَرَّمٌ لأَنَّهُ مِنَ الشِّرْكِ الْخَفِيِّ، وَهُوَ الَّذِي أَرَادَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَأَخْبَرَ أَنَّهُ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَنَفَاهُ، وَأَبْطَلَهُ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ يَزْعُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَلَمْ يَزَلْ مَوْجُودًا فِي هَذِهِ الأُمَّةِ إِلَىٰ الْيَوْمِ(١).

عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ: صَلَّىٰ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَىٰ إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَىٰ النَّاسِ، فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**». قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ**»(٢). **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ:** «**مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ بَرَكَةٍ إِلا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنَ النَّاسِ بِهَا كَافِرِينَ يُنْزِلُ اللهُ الْغَيْثَ فَيَقُولُونَ**

---

(١) «التمهيد لابن عبد البر» (١٦/ ٢٨٦)، «تيسير العزيز الحميد» (ص٤٦٠)، «شرح النووي علىٰ صحيح مسلم» (٢/ ٦٠ - ٦٢)، «الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية».

(٢) متفق عليه: البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١).

الْكَوْكَبُ كَذَا وَكَذَا». وَفِي حَدِيثِ الْمُرَادِيِّ: «بِكَوْكَبِ كَذَا وَكَذَا»(١).

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظُ آلُ حَكَمِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَأَمَّا النَّوْءُ فَهُوَ مِنَ الِاعْتِقَادِ فِي النُّجُومِ الَّذِي سَبَقَ بَسْطُ الْقَوْلِ فِي بَيَانِ بُطْلَانِهِ؛ فَإِنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ لِمَطَالِعِ الْكَوَاكِبِ وَمَغَارِبِهَا وَسَيْرِهَا وَانْتِقَالِهَا وَاقْتِرَانِهَا وَافْتِرَاقِهَا تَأْثِيرًا فِي هُبُوبِ الرِّيَاحِ وَسُكُونِهَا، وَفِي مَجِيءِ الْمَطَرِ وَتَأَخُّرِهِ، وَفِي رُخْصِ الْأَسْعَارِ وَغَلَائِهَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَإِذَا وَقَعَ شَيْءٌ مِنَ الْحَوَادِثِ نَسَبُوهُ إِلَى النُّجُومِ، فَقَالُوا: هَذَا بِنَوْءِ عُطَارِدَ أَوِ الْمُشْتَرِي أَوِ الْمِرِّيخِ أَوْ كَذَا أَوْ كَذَا. وَرَدَّ اللهُ تَعَالَى ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَأَكْذَبَهُمْ بِمَا أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الروم: ٤٨-٥٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان: ١٠-١١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة: ٧٥-٨٢].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مُطِرَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَمِنْهُمْ كَافِرٌ؛ قَالُوا: هَذِهِ رَحْمَةُ اللهِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٧٣).

نَوْءُ كَذَا وَكَذَا». قَالَ: فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾ حَتَّىٰ بَلَغَ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة: ٧٥-٨٢]»(١).

* قَوْلُهُ: «الِاعْتِقَادُ أَنَّ غَيْرَ اللهِ يَنْفَعُ أَوْ يَضُرُّ».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ شَيْخَنَا - حَفِظَهُ اللهُ - قَدْ خَتَمَ هَذَا الْبَابَ بِهَذِهِ الْقَاعِدَةِ الْعَظِيمَةِ لِيَجْمَعَ فِيهَا بَاقِيَ مَسَائِلِ أَبْوَابِ الشِّرْكِ فَإِنَّ مَنِ اعْتَقَدَ فِي شَجَرٍ أَوْ حَجَرٍ أَوْ مَلَكٍ أَوْ قَبْرٍ أَوْ وَثَنٍ أَوْ بَقَرٍ أَوْ حَيٍّ أَوْ مَيِّتٍ أَوْ نَارٍ أَوْ كَاهِنٍ أَوْ عَرَّافٍ أَوْ دَجَّالٍ أَوْ جِنٍّ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ فَهَذَا مِنَ الشِّرْكِ الَّذِي بَيَّنَّاهُ قَبْلَ ذَلِكَ، فَإِنِ اعْتَقَدَ أَنَّهُ يَنْفَعُ أَوْ يَضُرُّ بِذَاتِهِ فَهُوَ الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ وَإِنِ اعْتَقَدَ أَنَّهُ سَبَبٌ لِلنَّفْعِ أَوِ الضَّرِّ فَهُوَ شِرْكٌ أَصْغَرُ.

قَالَ الصَّنْعَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «قَدْ عَرَفْتَ مِنْ هَذَا كُلِّهِ أَنَّ مَنِ اعْتَقَدَ فِي شَجَرٍ أَوْ حَجَرٍ أَوْ قَبْرٍ أَوْ مَلَكٍ أَوْ جِنِّيٍّ أَوْ حَيٍّ أَوْ مَيِّتٍ أَنَّهُ يَنْفَعُ أَوْ يَضُرُّ، أَوْ أَنَّهُ يُقَرِّبُ إِلَىٰ اللهِ، أَوْ يَشْفَعُ عِنْدَهُ فِي حَاجَةٍ مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا بِمُجَرَّدِ التَّشَفُّعِ بِهِ وَالتَّوَسُّلِ بِهِ إِلَىٰ الرَّبِّ تَعَالَىٰ - إِلَّا مَا وَرَدَ فِي حَدِيثٍ فِيهِ مَقَالٌ فِي حَقِّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ - فَإِنَّهُ قَدْ أَشْرَكَ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ، وَاعْتَقَدَ مَا لَا يَحِلُّ اعْتِقَادُهُ، كَمَا اعْتَقَدَهُ الْمُشْرِكُونَ فِي الْأَوْثَانِ، فَضْلًا عَمَّنْ يَنْذِرُ بِمَالِهِ وَوَلَدِهِ لِمَيِّتٍ أَوْ حَيٍّ، أَوْ يَطْلُبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَيِّتِ مَا لا يُطْلَبُ إِلَّا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ مِنَ الْحَاجَاتِ، مِنْ عَافِيَةِ مَرِيضِهِ أَوْ قُدُومِ غَائِبِهِ أَوْ نَيْلِهِ لِأَيِّ مَطْلَبٍ مِنَ الْمَطَالِبِ، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الشِّرْكُ بِعَيْنِهِ الَّذِي كَانَ وَيَكُونُ عَلَيْهِ عُبَّادُ الْأَصْنَامِ، وَالنَّذْرُ بِالْمَالِ لِلْمَيِّتِ وَنَحْوِهِ، وَالنَّحْرُ عَلَىٰ الْقَبْرِ وَالتَّوَسُّلُ بِهِ وَطَلَبُ الْحَاجَاتِ مِنْهُ، هُوَ بِعَيْنِهِ الَّذِي كَانَتْ تَفْعَلُهُ الْجَاهِلِيَّةُ، وَإِنَّمَا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ لِمَا يُسَمُّونَهُ وَثَنًا وَصَنَمًا، وَفَعَلَهُ الْقُبُورِيُّونَ لِمَا يُسَمُّونَهُ وَلِيًّا وَقَبْرًا وَمَشْهَدًا، وَالْأَسْمَاءُ لَا أَثَرَ لَهَا وَلَا تُغَيِّرُ الْمَعَانِيَ ضَرُورَةٌ لُغَوِيَّةٌ وَعَقْلِيَّةٌ وَشَرْعِيَّةٌ،

(١) صحيح: رواه مسلم (٧٣)، «معارج القبول بشرح سلم الوصول إلىٰ علم الأصول» (٣/ ٩٨٠).

فَإِنَّ مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ وَسَمَّاهَا مَاءً، مَا شَرِبَ إِلَّا خَمْرًا، وَعِقَابُهُ عِقَابُ شَارِبِ الْخَمْرِ، وَلَعَلَّهُ يَزِيدُ عِقَابُهُ لِلتَّدْلِيسِ وَالْكَذِبِ فِي التَّسْمِيَةِ»(١).

فَإِنَّ الَّذِي بِيَدِهِ النَّفْعُ وَالضَّرُّ إِنَّمَا هُوَ اللهُ ﷻ وَقَدْ بَيَّنَ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَقَالَ حَاكِيًا عَنْ عُبَّادِ الْأَصْنَامِ وَالْقُبُورِ أَنَّهُمْ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا. فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ [المائدة: ٧٦].

وَذَكَرَ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَذَلِكَ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِنَّمَا أَمْرُهُ كُلُّهُ بِيَدِ اللهِ ﷻ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف: ١٨٨].

كَذَلِكَ بَيَّنَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّ الْمَدْعُوَّ مِنْ دُونِهِ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا فَضْلًا عَلَىٰ أَنْ يَمْلِكَ لِغَيْرِهِ وَلَكِنَّ أَهْلَ الشِّرْكِ لَا يُبْصِرُونَ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد: ١٦].

بَلْ بَيَّنَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّ الْآلِهَةَ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ ﷻ مَخْلُوقَةٌ وَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَخْلِقَ شَيْئًا وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا.

فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان: ٣]. وَغَيْرُهَا مِنَ الْآيَاتِ الْكَثِيرَةِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ ذَلِكَ وَقَدْ حَمَىٰ النَّبِيُّ ﷺ

(١) «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد» (ص٦٠).

جَنَابَ التَّوْحِيدِ فَنَهَىٰ وَحَذَّرَ مِنْ كُلِّ مَا يُنَافِيهِ وَبَيَّنَ أَنَّ بَعْضَهُ شِرْكٌ فَمِنْ ذَلِكَ:

فَعَنْ عَبَّادِ بْنِ تَمِيمٍ أَنَّ أَبَا بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ - قَالَ عَبْدُ اللهِ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: وَالنَّاسُ فِي مَبِيتِهِمْ - فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَسُولًا أَنْ «**لَا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ أَوْ قِلَادَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ**»(١). قَالَ مَالِكٌ: «أَرَىٰ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ الْعَيْنِ»(٢).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ الرُّقَىٰ وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ**»(٣).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُكَيْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ**»(٤). وَقَدْ نَهَىٰ عَنِ الْمُغَالَاةِ فِي شَخْصِهِ ﷺ وَكَانَ دَائِمًا يَقُولُ: «**إِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ** ﷺ». عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»(٥).

عَنْ مُطَرِّفٍ قَالَ: قَالَ أَبِي: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا. فَقَالَ: «**السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ**». قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا. فَقَالَ: «**قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**»(٦).

وَمِنْ ذَلِكَ نَهْيُهُ ﷺ عَنِ اتِّخَاذِ الْقُبُورِ مَسَاجِدَ أَوِ الْبِنَاءِ عَلَيْهَا. عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: «**لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ**

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٠٠٥)، ومسلم (٢١١٥).

(٢) «الموطأ» (١٧٤٥).

(٣) صحيح: أبو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠)، وأحمد (٣٦٠٤)، وصححه الألباني.

(٤) صحيح: الترمذي (٢٠٧٢)، وصححه الألباني.

(٥) متفق عليه: البخاري (٣٤٤٥)، ومسلم (١٦٩١).

(٦) صحيح: أبو داود (٤٨٠٦)، وأحمد (١٥٨٧٦).

اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا». قَالَتْ: «وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأَبْرَزُوا قَبْرَهُ غَيْرَ أَنِّي أَخْشَىٰ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا»(١). وَعَنْها أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ وَأُمَّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ذَكَرَتَا كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِالْحَبَشَةِ فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَذَكَرَتَا لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ بَنَوْا عَلَىٰ قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ فَأُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٢).

فَائِدَةٌ: ثَمَرَاتُ الْإِيمَانِ بِاللهِ تَعَالَىٰ:

١- اسْتِشْعَارُ الْإِنْسَانِ عَظَمَةَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَجَلَالَهِ وَكَمَالَهِ، مِمَّا يَدْفَعُ الْإِنْسَانَ إِلَىٰ الْخَوْفِ وَاللُّجُوءِ إِلَيْهِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ حُبًّا وَتَعْظِيمًا وَمَهَابَةً وَإِجْلَالًا، وَكُلُّ ذَلِكَ يُؤَثِّرُ فِي حَيَاةِ الْمُؤْمِنِ تَأْثِيرًا كَبِيرًا يَدْفَعُهُ إِلَىٰ السُّلُوكِ الْقَوِيمِ رَجَاءَ ثَوَابِ اللهِ تَعَالَىٰ وَخَوْفَ عِقَابِهِ، كَمَا أَنَّهُ يَمْلَأُ قَلْبَهُ حُبًّا لِلْخَيْرِ فَيَسْعَىٰ إِلَىٰ دَعْوَةِ غَيْرِهِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَشْتَرِكَ مَعَهُ فِي تَحْصِيلِ هَذَا الْخَيْرِ. لِذَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي وَصْفِ الرَّسُولِ ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

٢- اسْتِعْلَاءُ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ وَتَحَرُّرُهُ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَىٰ، فَلَا يَخَافُ إِلَّا إِيَّاهُ، وَلَا يَطْمَعُ إِلَّا فِي رِضَاهُ، وَهَذَا مَا يُرَبِّي فِيهِ الْخِصَالَ الْحَمِيدَةَ مِنَ الْعِزَّةِ وَالْكَرَامَةِ وَالصِّدْقِ وَالشَّجَاعَةِ وَالسَّخَاءِ؛ لِأَنَّهُ صَارَ عَبْدًا للهِ حَقًّا يَسْتَمِدُّ عِزَّهُ مِنْ عِزَّتِهِ. كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون: ٨]. وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ حِكَايَةً عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَيُّ

---

(١) متفق عليه: البخاري (١٣٣٠)، واللفظ له، مسلم (٥٣١).

(٢) متفق عليه: البخاري (٤٢٧)، واللفظ له، مسلم (٥٢٨).

ﭐلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ [الأنعام: ٨١].

٣- إِضْفَاءُ الْحَيَاةِ مَعْنًىٰ أَكْبَرَ وَأَبْعَدَ مِنَ الْمَعَانِي الْقَاصِرَةِ الْمُتَّصِفَةِ بِالذَّاتِيَّةِ وَالْأَنَانِيَّةِ، حَيْثُ إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَعْتَقِدُ جَازِمًا بِأَنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا مَزْرَعَةٌ لِلْآخِرَةِ، وَأَنَّ لَهُ بِكُلِّ مَا يَبْذُلُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم: ٣٩-٤٣].

٤- تَنْزِيهُ اللهِ تَعَالَىٰ عَنْ مُشَابَهَةِ خَلْقِهِ، وَبَيَانُ أَنَّهُ الْمُتَفَرِّدُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ، فَلَا يَتَطَرَّقُ إِلَىٰ قَلْبِ الْمُؤْمِنِ شَيْءٌ مِنْ أَوْهَامِ تَشْبِيهِ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ بِاللهِ ﷻ، أَوْ وَصْفِ ذَلِكَ الْمَخْلُوقِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ الْوَاجِبَةِ للهِ تَعَالَىٰ.

٥- يُثْمِرُ لِلْعَبْدِ مَحَبَّةَ اللهِ وَتَعْظِيمَهُ الْمُوجِبَيْنِ لِلْقِيامِ بِأَمْرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ، وَإِذَا قَامَ الْعَبْدُ بِذَلِكَ نَالَ بِهِمَا كَمَالَ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة: ٥٤].

٦- إِنَّ الْإِيمَانَ بِاللهِ يُنْشِئُ فِي النَّفْسِ الْأَنَفَةَ وَالْعِزَّةَ؛ لِأَنَّهُ يُعَلِّمُ أَنَّ اللهَ هُوَ الْمَالِكُ الْحَقِيقِيُّ لِكُلِّ مَا فِي هَذَا الْكَوْنِ، وَأَنَّهُ لَا نَافِعَ وَلَا ضَارَّ إِلَّا هُوَ، وَهَذَا الْعِلْمُ يُغْنِيهِ عَنْ غَيْرِ اللهِ، وَيَنْزِعُ مِنْ قَلْبِهِ خَوْفَ سِوَاهُ، فَلَا يَرْجُو إِلَّا اللهَ، وَلَا يَخَافُ سِوَاهُ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران١٧٣-١٧٥].

٧- إِنَّ الْإِيمَانَ بِاللهِ يُنْشِئُ فِي نَفْسِهِ التَّوَاضُعَ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ مَا بِهِ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ، فَلَا يَغُرُّهُ الشَّيْطَانُ، وَلَا يَبْطَرُ وَلَا يَتَكَبَّرُ، وَلَا يَزْهُو بِقُوَّتِهِ وَمَالِهِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣].

٨- إِنَّ الْمُؤْمِنَ بِاللهِ يَعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَىٰ الْفَلَاحِ وَالنَّجَاةِ إِلَّا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي يَرْضَاهُ اللهُ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سبأ: ٣٧]. فِي حِينِ يَعْتَقِدُ غَيْرُهُ اعْتِقَادَاتٍ بَاطِلَةً كَاعْتِقَادِ أَنَّ اللهَ أَمَرَ بِصَلْبِ ابْنِهِ تَكْفِيرًا عَنْ خَطَايَا الْبَشَرِ، أَوْ يُؤْمِنُ بِآلِهَةٍ، وَيَعْتَقِدُ أَنَّهَا تُحَقِّقُ لَهُ مَا يُرِيدُ، وَهِيَ فِي حَقِيقَتِهَا لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ، أَوْ يَكُونُ مُلْحِدًا فَلَا يُؤْمِنُ بِوُجُودِ خَالِقٍ... وَكُلُّ هَذِهِ أَمَانِيُّ.

٩- إِنَّ الْإِيمَانَ بِاللهِ يُرَبِّي فِي الْإِنْسَانِ قُوَّةً عَظِيمَةً مِنَ الْعَزْمِ وَالْإِقْدَامِ وَالصَّبْرِ وَالثَّبَاتِ وَالتَّوَكُّلِ، حِينَمَا يَتَطَلَّعُ لِمَعَالِي الْأُمُورِ فِي الدُّنْيَا ابْتِغَاءَ لِمَرْضَاةِ اللهِ، وَيَكُونُ عَلَىٰ يَقِينٍ تَامٍّ أَنَّهُ مُتَوَكِّلٌ عَلَىٰ مَلِكِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَأَنَّهُ يُؤَيِّدُهُ وَيَأْخُذُ بِيَدِهِ، فَيَكُونُ رَاسِخًا رُسُوخَ الْجِبَالِ فِي صَبْرِهِ وَثَبَاتِهِ وَتَوَكُّلِهِ.

١٠- **الْأَمْنُ التَّامُّ وَالِاهْتِدَاءُ التَّامُّ**: فَبِحَسَبِ الْإِيمَانِ يَحْصُلُ الْأَمْنُ وَالِاهْتِدَاءُ فِي الدُّنْيَا وَالْبَرْزَخِ وَالْآخِرَةِ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٢].

١١- **الِاسْتِخْلَافُ فِي الْأَرْضِ وَالتَّمْكِينُ وَالْعِزَّةُ**: قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ

أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥)﴾ [النور: ٥٥].

١٢- دُخُولُ الْجِنَانِ وَالنَّجَاةُ مِنَ النِّيرَانِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ (١٢)﴾ [محمد: ١٢].

١٣- الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ: فَالْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ الْحَافِلَةُ بِكُلِّ مَا هُوَ طَيِّبٌ إِنَّمَا هِيَ ثَمَرَةٌ مِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ بِاللهِ ﷻ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧)﴾ [النحل: ٩٧].

١٤- حُلُولُ الْخَيْرَاتِ وَنُزُولُ الْبَرَكَاتِ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦)﴾ [الأعراف: ٩٦].

١٥- الْهِدَايَةُ لِكُلِّ خَيْرٍ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١)﴾ [التغابن: ١١]. وَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٩)﴾ [يونس: ٩]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ (٢٤)﴾ [الحج: ٢٤].

١٦- السَّلَامَةُ مِنَ الْخَسَارَةِ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ [العصر: ١-٣].

١٧- الْإِيمَانُ بِاللهِ سَبَبٌ لِدِفَاعِ اللهِ عَنْ أَهْلِهِ: قَالَ ﷻ: ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ

عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ [الحج: ٣٨].

١٨- تَكْفِيرُ السَّيِّئَاتِ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ﴿٢﴾﴾ [محمد: ٢].

١٩- الرِّفْعَةُ وَالْعُلُوُّ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة: ١١].

٢٠- إِخْلَاصُ الْعَمَلِ: فَلَا يُمْكِنُ لِلْعَبْدِ أَنْ يَقُومَ بِالْإِخْلَاصِ للهِ، وَلِعِبَادِ اللهِ، وَنَصِيحَتِهِمْ عَلَىٰ وَجْهِ الْكَمَالِ إِلَّا بِالْإِيمَانِ الْحَقِيقِيِّ.

٢١- قُوَّةُ التَّوَكُّلِ: فَالْإِيمَانُ بِاللهِ يُوجِبُ لِلْعَبْدِ قُوَّةَ التَّوَكُّلِ عَلَىٰ اللهِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٣]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

٢٢- الشَّجَاعَةُ: فَالْإِيمَانُ بِاللهِ يَبْعَثُ عَلَىٰ الشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ؛ لِأَنَّهُ يَمْلَأُ قَلْبَ الْمُؤْمِنِ بِالْخَوْفِ مِنَ اللهِ، وَالْخَشْيَةِ لَهُ، وَتَعْظِيمِهِ، وَإِجْلَالِهِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣].

٢٣- حُسْنُ الْخُلُقِ: فَالْإِيمَانُ يَدْعُو إِلَىٰ حُسْنِ الْخُلُقِ مَعَ جَمِيعِ طَبَقَاتِ النَّاسِ، وَإِذَا ضَعُفَ الْإِيمَانُ أَوْ نَقُصَ أَوِ انْحَرَفَ أَثَّرَ ذَلِكَ فِي أَخْلَاقِ الْعَبْدِ انْحِرَافًا بِحَسَبِ بُعْدِهِ عَنِ الْإِيمَانِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ

﴿ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ [النحل: ٩٠].

٢٤- وِلَايَةُ اللهِ لِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٥٧﴾ [البقرة: ٢٥٧].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَبْدَ نَادَىٰ جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ. فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ. فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ»(١).

٢٥- اسْتِغْفَارُ الْمَلَائِكَةِ لَهُمْ: يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٩﴾ [غافر: ٧-٩].

٢٦- السَّعَادَةُ الَّتِي يَجِدُهَا الْمُسْلِمُ فِي لَذَّةِ الْعِبَادَةِ، وَهِيَ الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ الَّتِي وَعَدَ اللهُ بِهَا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ.

يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩٧﴾ [النحل: ٩٧].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٢٠٩)، مسلم (٦٨٧٣).

تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»(١).

وَقَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «فَإِنَّهُ لَا نَعِيمَ لَهُ وَلَا لَذَّةَ وَلَا ابْتِهَاجَ وَلَا كَمَالَ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ اللهِ وَمَحَبَّتِهِ وَالطُّمَأْنِينَةِ بِذِكْرِهِ وَالْفَرَحِ وَالِابْتِهَاجِ بِقُرْبِهِ وَالشَّوْقِ إِلَىٰ لِقَائِهِ، فَهَذِهِ جَنَّتُهُ الْعَاجِلَةُ، كَمَا أَنَّه لَا نَعِيمَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ وَلَا فَوْزَ إِلَّا بِجِوَارِهِ فِي دَارِ النَّعِيمِ فِي الْجَنَّةِ الْآجِلَةِ، فَلَهُ جَنَّتَانِ لَا يَدْخُلُ الثَّانِيَةَ مِنْهُمَا إِنْ لَمْ يَدْخُلِ الْأُولَىٰ. وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ - يَقُولُ: إِنَّ فِي الدُّنْيَا جَنَّةً مَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا لَمْ يَدْخُلْ جَنَّةَ الْآخِرَةِ. وَقَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: إِنَّهُ لَيَمُرُّ بِالْقَلْبِ أَوْقَاتٌ أَقُولُ: إِنْ كَانَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مِثْلِ هَذَا إِنَّهُمْ لَفِي عَيْشٍ طَيِّبٍ. وَقَالَ بَعْضُ الْمُحِبِّينَ: مَسَاكِينُ أَهلُ الدُّنْيَا خَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا ذَاقُوا أَطْيَبَ مَا فِيهَا. قَالُوا: وَمَا أَطْيَبُ مَا فِيهَا؟ قَالَ: مَحَبَّةُ اللهِ وَالْأُنْسُ بِهِ، وَالشَّوْقُ إِلَىٰ لِقَائِهِ وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهِ، وَالْإِعْرَاضُ عَمَّا سِوَاهُ. أَوْ نَحْوَ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ، وَكُلُّ مَنْ لَهُ قَلْبٌ حَيٌّ يَشْهَدُ هَذَا وَيَعْرِفُهُ ذَوْقًا...»(٢).

٢٧- يُمِدُّ الْإِنْسَانَ بِقُدْرَةٍ كَبِيرَةٍ عَلَىٰ تَحَمُّلِ الْمَصَائِبِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦﴾ [آل عمران: ١٤٦].

وَعَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»(٣)(٤).

تَمَّ بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَىٰ الْبَابُ الْأَوَّلُ

---

(١) متفق عليه: البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٦٩٨١).

(٢) «مدارج السالكين» (ج ٣/ ص٧).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٧٦٩٢).

(٤) «أركان الإيمان» (ص٤٤-٥٠) بتصرف.

الْبَابُ الثَّانِي: الإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ

وَفِيهِ ثَلَاثَةُ ضَوَابِطَ:

الضَّابِطُ الْأَوَّلُ: الْإِيمَانُ بِوُجُودِ الْمَلَائِكَةِ، وَأَنَّهُمْ كَثِيرٌ لَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إِلَّا اللهُ.

الضَّابِطُ الثَّانِي: الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ جُبِلُوا عَلَى الطَّاعَةِ، وَأَنَّهُمْ مُتَفَاوِتُونَ فِي الْفَضَائِلِ وَالْمَنَازِلِ.

الضَّابِطُ الثَّالِثُ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ وَكَّلَهُمْ بِوَظَائِفَ عَظِيمَةٍ، وَأَعْطَاهُمُ الْقُدْرَةَ عَلَى تَأْدِيَتِهَا.

الْبَابُ الثَّانِي: الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ

وَفِيهِ ثَلَاثَةُ ضَوَابِطَ:
الضَّابِطُ الْأَوَّلُ: الْإِيمَانُ بِوُجُودِ الْمَلَائِكَةِ، وَأَنَّهُمْ كَثِيرٌ لَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إِلَّا اللهُ.

* قَوْلُهُ: «الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ».

تَعْرِيفُ الْمَلَائِكَةِ: الْمَلَائِكَةُ: جَمْعُ مَلَكٍ. أُخِذَ مِنَ (الأَلُوكِ) وَهِيَ: الرِّسَالَةُ.

وَهُمْ: خَلْقٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللهِ، لَهُمْ أَجْسَامٌ نُورَانِيَّةٌ لَطِيفَةٌ قَادِرَةٌ عَلَىٰ التَّشَكُّلِ وَالتَّمَثُّلِ وَالتَّصَوُّرِ بِالصُّوَرِ الْكَرِيمَةِ، وَلَهُمْ قُوَىٰ عَظِيمَةٌ، وَقُدْرَةٌ كَبِيرَةٌ عَلَىٰ التَّنَقُّلِ، وَهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ لَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إِلَّا اللهُ، قَدِ اخْتَارَهُمُ اللهُ وَاصْطَفَاهُمْ لِعِبَادَتِهِ وَالْقِيَامِ بِأَمْرِهِ، فَلَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ، وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ.

أَوَّلًا: صِفَاتُ وَخَصَائِصُ الْمَلَائِكَةِ:

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ لِلْمَلَائِكَةِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - خَصَائِصَ وَصِفَاتٍ قَدِ اخْتَصَّهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ بِهَا، وَامْتَازُوا بِهَا عَنِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَسَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ.

فَمِنْهَا: ١- أَصْلُ خَلْقِهِمْ: خَلَقَ اللهُ ﷻ الْمَلَائِكَةَ مِنَ النُّورِ. عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ**»(١). **وَالْمَارِجُ هُوَ**: اللَّهَبُ الْمُخْتَلِطُ بِسَوَادِ النَّارِ.

٢- أَنَّهُمْ خُلِقُوا قَبْلَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَلَّتِ النُّصُوصُ عَلَىٰ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ خُلِقُوا قَبْلَ

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٩٩٦).

آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَكِنْ لَمْ يُعْلِمْنَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَتَىٰ خُلِقُوا؛ لِذَا لَا يَنْبَغِي الْخَوْضُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠] دَلَّتِ الْآيَةُ عَلَىٰ سَبْقِ خَلْقِ الْمَلَائِكَةِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر: ٢٨، ٢٩].

٣- أَنَّهُمْ مَوْصُوفُونَ بِالْقُوَّةِ وَالشِّدَّةِ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم: ٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي وَصْفِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [النجم: ٥].

٤- أَنَّهُمْ مَوْصُوفُونَ بِعِظَمِ الْأَجْسَامِ وَالْخَلْقِ: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَقَدْ سَأَلَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ [التكوير: ٢٣] فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ لَمْ أَرَهُ عَلَىٰ صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الْأَرْضِ»(١).

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَأَيْتُ جِبْرِيلَ عَلَىٰ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ وَلَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ». قَالَ: سَأَلْتُ عَاصِمًا عَنِ الْأَجْنِحَةِ فَأَبَىٰ أَنْ يُخْبِرَنِي. قَالَ: فَأَخْبَرَنِي بَعْضُ أَصْحَابِهِ أَنَّ الْجَنَاحَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ(٢).

---

(١) صحيح: مسلم برقم (١٧٧).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (١/ ٣٩٥)، (٦/ ٢٩٤)، وقال الحافظ ابن كثير: «إسناده جيد».

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النبي ﷺ قَالَ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ: إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَىٰ عَاتِقِهِ مَسِيرَةَ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ»(١).

٥- مِنْ صِفَاتِهِمْ أَنَّهُمْ يَتَفَاوَتُونَ فِي الْخَلْقِ وَالْمِقْدَارِ:

فَهُمْ لَيْسُوا عَلَىٰ دَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ، فَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ جَنَاحَانِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ ثَلَاثَةٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ أَرْبَعَةٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ سَتُّمِائَةِ جَنَاحٍ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ﴾ [فاطر: ١]. عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رَأَيْتُ جِبْرِيلَ عَلَىٰ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ وَلَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ».

٦- مِنْ صِفَاتِهِمُ الْحُسْنُ وَالْجَمَالُ:

فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ عَلَىٰ دَرَجَةٍ عَالِيَةٍ مِنَ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ. وَقَالَ تَعَالَىٰ مُخْبِرًا عَنِ النِّسْوَةِ عِنْدَ رُؤْيَتِهِنَّ لِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [يوسف: ٣١]. وَإِنَّمَا قُلْنَ ذَلِكَ لِمَا هُوَ مُقَرَّرٌ عِنْدَ النَّاسِ مِنْ وَصْفِ الْمَلَائِكَةِ بِالْجَمَالِ الْبَاهِرِ.

قَالَ تَعَالَىٰ فِي حَقِّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾﴾ [النجم: ٥-٦]. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «ذُو مِرَّةٍ: ذُو مَنْظَرٍ حَسَنٍ». وَقَالَ قَتَادَةُ: «ذُو خَلْقٍ طَوِيلٍ حَسَنٍ».

٧- مِنْ صِفَاتِهِمْ أَنَّهُمْ كِرَامٌ أَبْرَارٌ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس: ١٥-١٦]. وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنَّ

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٢٩)، وصححه الألباني.

عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١﴾ [الانفطار: ١٠-١١].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيْ: خَلْقُهُمْ كَرِيمٌ حَسَنٌ شَرِيفٌ، وَأَخْلاقُهُمْ وَأَفْعَالُهُمْ بَارَّةٌ طَاهِرَةٌ كَامِلَةٌ، وَمِنْ هَاهُنَا يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ عَلَىٰ السَّدَادِ وَالرَّشَادِ»(١).

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَؤُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ**»(٢).

٨- مِنْ صِفَاتِهِمُ الْحَيَاءُ:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ أَوْ سَاقَيْهِ فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَىٰ تِلْكَ الْحَالِ فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ كَذَلِكَ فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَسَوَّىٰ ثِيَابَهُ، فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ، فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ فَقَالَ: «**أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ**»(٣).

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَفِيهِ فَضِيلَةٌ ظَاهِرَةٌ لِعُثْمَانَ، وَجَلَالَتُهُ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ، وَأَنَّ الْحَيَاءَ صِفَةٌ جَمِيلَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْمَلَائِكَةِ»(٤).

٩- مِنْ صِفَاتِهِمْ أَيْضًا الْعِلْمُ:

قَالَ تَعَالَىٰ فِي خِطَابِهِ لِلْمَلَائِكَةِ: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٢١).

(٢) متفق عليه: البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٨).

(٣) صحيح: مسلم برقم (٢٤٠١).

(٤) «شرح مسلم» للنووي (١٥/ ١٦٩).

[البقرة: ٣٠]؛ فَأَثْبَتَ اللهُ ﷻ لِلْمَلَائِكَةِ عِلْمًا، وَأَثْبَتَ لِنَفْسِهِ عِلْمًا لَا يَعْلَمُونَهُ. وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي حَقِّ جِبْرِيلَ ﷺ: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النجم: ٥].

قَالَ الطَّبَرِيُّ: «عَلَّمَ مُحَمَّدًا ﷺ هَذَا الْقُرْآنَ جِبْرِيلُ ﷺ». ا.هـ. وَهَذَا مُتَضَمِّنٌ وَصْفَ جِبْرِيلَ بِالْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا ثَبَتَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

١٠- مِنْ صِفَاتِهِمِ أَنَّهُمْ لا يُوصَفُونَ بِالأُنُوثَةِ:

قَالَ تَعَالَىٰ مُنْكِرًا عَلَىٰ الْكُفَّارِ ذَلِكَ: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ۝١٩﴾ [الزخرف: ١٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢٧﴾ [النجم: ٢٧].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «وَقَوْلُهُ: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ﴾؛ أَيِ: اعْتَقَدُوا فِيهِمْ ذَلِكَ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِمْ تَعَالَىٰ قَوْلَهُمْ ذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ﴾؛ أَيْ: شَاهَدُوهُ وَقَدْ خَلَقَهُمُ اللهُ إِنَاثًا، ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ﴾؛ أَيْ: بِذَلِكَ، ﴿وَيُسْـَٔلُونَ﴾ عَنْ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَذَا تَهْدِيدٌ شَدِيدٌ، وَوَعِيدٌ أَكِيدٌ»(١).

١١- أَنَّ مَسَاكِنَهُمْ فِي السَّمَاءِ:

وَإِنَّمَا يَهْبِطُونَ إِلَىٰ الأَرْضِ تَنْفِيذًا لِأَمْرِ اللهِ فِي الْخَلْقِ وَمَا أَسْنَدَ إِلَيْهِمْ مِنْ تَصْرِيفِ شُئُونِهِمْ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ [النحل: ٢]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ﴾ [الزمر: ٧٥].

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٢٢٣).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ - وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ -: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»(١).

١٢- أَنَّهُمْ لا يَعْصُونَ اللهَ فِي شَيْءٍ: وَلَا تَصْدُرُ مِنْهُمُ الذُّنُوبُ، بَلْ طَبَعَهُمُ اللهُ عَلَىٰ طَاعَتِهِ، وَالْقِيَامِ بِأَمْرِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ فِي وَصْفِهِمْ: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم: ٦]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧﴾ [الأنبياء: ٢٧].

١٣- أَيْضًا أَنَّهُمْ لا يَفْتُرُونَ عَنِ الْعِبَادَةِ وَلا يَسْأَمُونَ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾ [الأنبياء: ١٩-٢٠]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨]. هَذِهِ بَعْضُ خَصَائِصِ وَصِفَاتِ الْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ، وَهُنَاكَ صِفَاتٌ وَخَصَائِصُ وَوَظَائِفُ سَوْفَ نَذْكُرُهَا تِبَاعًا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي أَثْنَاءِ شَرْحِ ضَوَابِطِ الْبَابِ.

* قَوْلُهُ: «وَفِيهِ ثَلَاثَةُ ضَوَابِطَ». أَيْ: قَدْ جَمَعَ شَيْخُنَا - حَفِظَهُ اللهُ - هَذَا الْبَابَ فِي ثَلَاثَةِ ضَوَابِطَ قَدْ شَمِلَتِ الْأَحْكَامَ وَالْمَسَائِلَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِالْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ.

* قَوْلُهُ: «الْإِيمَانُ بِوُجُودِ الْمَلَائِكَةِ».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ فِي الْإِقْرَارِ بِوُجُودِ الْمَلَائِكَةِ،

(١) متفق عليه: البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢).

وَأَنَّ اللهَ ﷻ قَدْ خَلَقَهُمْ قَبْلَ الإِنْسِ - كَمَا سَبَقَ -، فَمَنْ جَحَدَ ذَلِكَ فَهُوَ كَافِرٌ خَارِجٌ عَنْ مِلَّةِ الإِسْلَامِ بِاتِّفَاقِ السَّلَفِ رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ؛ لأَنَّهُ مُكَذِّبٌ بِصَرِيحِ الْقُرْآنِ وَصَحِيحِ السُّنَّةِ.

الأَدِلَّةُ عَلَىٰ وُجُودِ الْمَلَائِكَةِ:

أَوَّلًا: الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾ [النساء: ١٧٢]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩﴾ [الأعراف: ٢٠٦]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [فاطر: ١]. وَغَيْرُهَا مِنَ الآيَاتِ الْكَثِيرَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ وُجُودِ الْمَلَائِكَةِ.

ثَانِيًا: السُّنَّةُ الْمُطَهَّرَةُ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «**الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَبِلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ**». قَالَ: مَا الإِسْلَامُ؟ قَالَ: «**الإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ**». قَالَ: مَا الإِحْسَانُ؟

قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». قَالَ: مَتَىٰ السَّاعَةُ؟ قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الإِبِلِ الْبُهْمُ فِي الْبُنْيَانِ فِي خَمْسٍ لا يَعْلَمُهُنَّ إِلا اللهُ». ثُمَّ تَلا النَّبِيُّ ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ الآيَةَ، ثُمَّ أَدْبَرَ فَقَالَ: «رُدُّوهُ». فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا فَقَالَ: «هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ». قَالَ أَبُو عَبْد اللهِ: «جَعَلَ ذَلِك كُلَّهُ مِنَ الإِيمَانِ»(١).

وعَنْ حَنْظَلَةَ الأُسَيِّدِيِّ قَالَ - وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ- قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ. قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ! مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّىٰ كَأَنَّا رَأْيَ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللهِ إِنَّا لَنَلْقَىٰ مِثْلَ هَذَا. فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّىٰ دَخَلْنَا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَمَا ذَاكَ؟». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّىٰ كَأَنَّا رَأْيَ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ تَدُومُونَ عَلَىٰ مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَىٰ فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ -»(٢). وَغَيْرُهَا مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ تَرَكْنَاهَا خَشْيَةَ الإِطَالَةِ، وَلأَنَّ غَالِبَهَا يَأْتِي تَبْعًا فِي شَرْحِ الضَّوَابِطِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ.

---

(١) متفق عليه: البخاري (٥٠)، ومسلم (٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧٥٠).

* قَوْلُهُ: «وَأَنَّهُمْ كَثِيرٌ لا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إِلا اللهُ».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ عَدَدَ الْمَلائِكَةِ كَثِيرٌ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلا اللهُ ﷻ الَّذِي خَلَقَهُمْ مِنْهُمْ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، وَخَزَنَةُ الْجَنَّةِ، وَخَزَنَةُ النَّارِ، وَالْحَفَظَةُ، وَالْكَتَبَةُ وَغَيْرُهُمْ، يُصَلِّي مِنْهُمْ كُلَّ يَوْمٍ فِي الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، فَإِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ.

وَمِنَ الأَدِلَّةِ عَلَىٰ أَنَّ عَدَدَهُمْ كَثِيرٌ:

١- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

٢- عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «إِنِّي أَرَىٰ مَا لا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لا تَسْمَعُونَ، إِنَّ السَّمَاءَ أَطَّتْ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا - أَوْ مَا مِنْهَا - مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدٌ للهِ تَعَالَىٰ، وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَىٰ الْفُرُشَاتِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَىٰ الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَىٰ اللهِ، وَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ»(١). وَجْهُ الدَّلالَةِ قَوْلُهُ ﷺ «إِنَّ السَّمَاءَ أَطَّتْ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا - أَوْ مَا مِنْهَا - مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدٌ للهِ تَعَالَىٰ». فَلَا يَعْلَمُ عِظَمَ سَعَةِ السَّمَاءِ غَيْرُ اللهِ ﷻ، وَمَعَ ذَلِكَ مَا مِنْ مَوْضِعِ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ سَاجِدٌ للهِ ﷻ.

٣- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «يُؤْتَىٰ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا»(٢).

٤- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - فِي الإِسْرَاءِ - وَفِيهِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «فَرُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ

---

(١) صحيح: الترمذي (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠)، وأحمد (٢١٥١٦)، وصححه الألباني.

(٢) صحيح: مسلم (٢٨٤٢).

يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ»(١).

الضَّابِطُ الثَّانِي: الإِيمَانُ بِأَنَّ الْمَلائِكَةَ جُبِلُوا عَلَى الطَّاعَةِ، وَأَنَّهُمْ مُتَفَاوِتُونَ فِي الْفَضَائِلِ وَالْمَنَازِلِ.

* قَوْلُهُ: «الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ جُبِلُوا عَلَىٰ الطَّاعَةِ».

فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ جُبِلُوا عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ ﷻ، فَلَا يَعْصُونَهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦، ٢٧]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس: ١٥، ١٦]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنبياء: ١٩]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾ [النساء: ١٧٢].

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، إِنَّ السَّمَاءَ أَطَّتْ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا - أَوْ مَا مِنْهَا - مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدٌ للهِ تَعَالَىٰ، وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَىٰ الْفُرُشَاتِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَىٰ الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَىٰ اللهِ، وَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ»(٢).

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (٢٥٩).

(٢) صحيح: الترمذي (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠)، وأحمد (٢١٥١٦) وصححه الألباني.

وَعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَ أَصْحَابِهِ إِذْ قَالَ لَهُمْ: «**هَلْ تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ؟**». قَالُوا: مَا نَسْمَعُ مِنْ شَيْءٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَسْمَعُ أَطِيطَ السَّمَاءِ وَمَا تُلَامُ أَنْ تَئِطَّ؛ مَا فِيهَا مَوْضِعُ شِبْرٍ إِلا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ**»(١).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا فِي السَّمَوَاتِ السَّبْعِ مَوْضِعُ قَدَمٍ وَلا شِبْرٍ وَلا كَفٍّ إِلا وَفِيهِ مَلَكٌ قَائِمٌ، أَوْ مَلَكٌ رَاكِعٌ، أَوْ مَلَكٌ سَاجِدٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ قَالُوا جَمِيعًا: سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، إِلا أَنَّا لَمْ نُشْرِكْ بِكَ شَيْئًا**»(٢).

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا مَوْضِعُ قَدَمٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ قَائِمٌ، وَذَلِكَ قَوْلُ الْمَلَائِكَةِ:** ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الصافات: ١٦٤-١٦٦]»(٣).

* **قَوْلُهُ: «وَأَنَّهُمْ مُتَفَاوِتُونَ فِي الْفَضَائِلِ وَالْمَنَازِلِ».**

جُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْمَلَائِكَةَ مُتَفَاوِتُونَ فِي الْفَضْلِ وَالْمَنَازِلِ وَلِكُلٍّ مِنْهُمْ وَظِيفَةٌ كَلَّفَهُ اللهُ بِهَا فَأَفْضَلُهُمْ وَأَعْظَمُهُمْ مَنْزِلَةً هُوَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِسْرَافِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَحَمَلَةُ الْعَرْشِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾ [النساء: ١٧٢].

---

(١) إسناده صحيح: أخرجه ابن نصر في الصلاة - ابن كثير (٤/ ٤٧٤)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (ح١٠٦٠) بإسناد صحيح.

(٢) «جمع الجوامع» للسيوطي برقم (١٨٩٢٧).

(٣) «تعظيم قدر الصلاة» برقم (٢٥٣).

قَالَ الْفَوْزَانُ - حَفِظَهُ اللهُ -: «الْمَلَكُ الْمُقَرَّبُ هُوَ أَفْضَلُ الْمَلَائِكَةِ، مِثْلُ: جِبْرِيلَ عليه السلام، وَحَمَلَةِ الْعَرْشِ وَمَنْ حَوْلَهُ، وَالْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ مِنَ اللهِ سبحانه وتعالى، فَمَعَ قُرْبِ الْمَكَانِ مِنَ اللهِ عز وجل، وَقُرْبِ الْعِبَادَةِ وَالْمَكَانَةِ عِنْدَ اللهِ، لَوْ أَشْرَكَهُمْ أَحَدٌ مَعَ اللهِ فِي الْعِبَادَةِ فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضَىٰ بِأَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ كَمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم»(١).

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها: كَانَ نَبِيُّ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ، قَالَتْ: كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»(٢).

وَسَوْفَ يَأْتِي الْحَدِيثُ عَنْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي الضَّابِطِ التَّالِي.

الضَّابِطُ الثَّالِثُ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ وَكَّلَهُمْ بِوَظَائِفَ عَظِيمَةٍ، وَأَعْطَاهُمُ الْقُدْرَةَ عَلَىٰ تَأْدِيَتِهَا.

* قَوْلُهُ: «الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ وَكَّلَهُمْ بِوَظَائِفَ عَظِيمَةٍ».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ اللهَ عز وجل قَدْ خَلَقَ الْمَلَائِكَةَ لِعِبَادَتِهِ وَلِوَظَائِفَ وَكَّلَهُمْ بِهَا، وَأَعْطَاهُمُ الْقُدْرَةَ عَلَىٰ أَدَائِهَا؛ فَكُلُّ مَلَكٍ وُكِّلَ بِشَيْءٍ قَامَ بِهِ كَمَا أُمِرَ، وَوَظَائِفُ الْمَلَائِكَةِ كَثِيرَةٌ جِدًّا نَذْكُرُ مِنْهَا.

١- جِبْرِيلُ عليه السلام مُوَكَّلٌ بِالْوَحْيِ: فَكَانَ الْوَاسِطَةَ بَيْنَ اللهِ عز وجل وَبَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ،

---

(١) «شرح الأصول الثلاثة» للفوزان (ص٥٥).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٧٧١).

فَكَانَ يَنْزِلُ بِالْوَحْيِ عَلَىٰ الرُّسُلِ وَالأَنْبِيَاءِ. فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [البقرة: ٩٧]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل: ١٠٢]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: ٣-١٠].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا نَزَلَ جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَهُ وَشَفَتَيْهِ فَيَشْتَدُّ عَلَيْهِ وَكَانَ يُعْرَفُ مِنْهُ فَأَنْزَلَ اللهُ الآيَةَ الَّتِي فِي ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾﴾: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ قَالَ: عَلَيْنَا أَنْ نَجْمَعَهُ فِي صَدْرِكَ وَقُرْآنَهُ، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾. فَإِذَا أَنْزَلْنَاهُ فَاسْتَمِعْ، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ عَلَيْنَا أَنْ نُبَيِّنَهُ بِلِسَانِكَ قَالَ: فَكَانَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ أَطْرَقَ فَإِذَا ذَهَبَ قَرَأَهُ كَمَا وَعَدَهُ اللهُ»(١).

٢- حَمَلَةُ الْعَرْشِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر: ٧]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحاقة: ١٧]. وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أُذِنَ لِي أَنْ

---

(١) متفق عليه: البخاري (٥)، ومسلم (٤٤٨).

أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ: إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَىٰ عَاتِقِهِ مَسِيرَةَ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ»(١).

٣- مِيكَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَهُوَ الْمُوَكَّلُ بِالْقَطْرِ وَالنَّبَاتِ وَقَدْ وَرَدَ ذِكْرُهُ فِي الْقُرْآنِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة: ٩٨]. وَهُوَ ذُو مُكَانَةٍ عَالِيَةٍ، وَمَنْزِلَةٍ رَفِيعَةٍ عِنْدَ رَبِّهِ؛ وَلِذَا خَصَّهُ اللهُ هُنَا بِالذِّكْرِ مَعَ جِبْرِيلَ، وَعَطَفَهُمَا عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ مَعَ أَنَّهُمَا مِنْ جِنْسِهِمْ لِشَرَفِهِمَا، مِنْ قَبِيلِ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَىٰ الْعَامِّ. وَكَذَا وَرَدَ ذِكْرُهُ فِي السُّنَّةِ.

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»(٢).

٤- إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَهُوَ الْمُوَكَّلُ بِالصُّورِ، وَهُوَ ثَالِثُ الْمَلَائِكَةِ الْمُفَضَّلِينَ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهُمْ، وَهُوَ أَحَدُ حَمَلَةِ الْعَرْشِ.

وَالصُّورُ: قَرْنٌ عَظِيمٌ يُنْفَخُ فِيهِ. عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: مَا الصُّورُ؟ فَقَالَ: «قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ»(٣).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كَيْفَ أَنْعَمُ، وَقَدِ الْتَقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ وَحَنَىٰ جَبْهَتَهُ وَأَصْغَىٰ سَمْعَهُ يَنْظُرُ مَتَىٰ يُؤْمَرُ». قَالَ الْمُسْلِمُونَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا نَقُولُ؟ قَالَ: «قُولُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

---

(١) صحيح: أبو داود (٤٧٢٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٥١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٧٧٠).

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٢٤٣٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٨٠).

عَلَىٰ اللهِ تَوَكَّلْنَا»(١).

٥- مَلَكُ الْمَوْتِ عليه السلام: وَهُوَ الْمُوَكَّلُ بِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [السجدة: ١١].

وَلِمَلَكِ الْمَوْتِ أَعْوَانٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، يَأْتُونَ الْعَبْدَ بِحَسَبِ عَمَلِهِ، فَإِنْ كَانَ مُحْسِنًا فَفِي أَحْسَنِ هَيْئَةٍ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا فَفِي أَشْنَعِ هَيْئَةٍ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الأنعام: ٦١].

وَسَوْفَ يَأْتِي الْحَدِيثُ عَنْ ذَلِكَ مُفَصَّلًا فِي الْبَابِ الْخَامِسِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ.

٦- مَلَكُ الْجِبَالِ عليه السلام: وَهُوَ الْمُوَكَّلُ بِالْجِبَالِ.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ هَلْ أَتَىٰ عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمُ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَىٰ ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَىٰ مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَىٰ وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»(٢).

٧- الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِالرَّحِمِ عليه السلام:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ عز وجل وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا

(١) صحيح: الترمذي (٢٤٣١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٧٨ - ١٠٧٩).

(٢) متفق عليه: البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

يَقُولُ: يَا رَبِّ نُطْفَةٌ يَا رَبِّ عَلَقَةٌ يَا رَبِّ مُضْغَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهُ قَالَ: أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَىٰ؟ شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الرِّزْقُ وَالأَجَلُ؟ فَيُكْتَبُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ»(١).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ، قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»(٢).

٨- خَزَنَةُ الْجَنَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر: ٧٣]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الرعد: ٢٣].

٩- خَزَنَةُ النَّارِ وَعَلَىٰ رَأْسِهِمْ مَالِكٌ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: وَمِنْهُمْ خَزَنَةُ النَّارِ عِيَاذًا بِاللهِ مِنْهَا وَهُمُ الزَّبَانِيَةُ وَرُؤَسَاؤُهُمْ تِسْعَةَ عَشَرَ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾ [غافر: ٤٩]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ [العلق: ١٧-١٨]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [المدثر: ٣٠-٣١]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣١٨)، ومسلم (٢٦٤٦).

(٢) متفق عليه: البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

مَٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف: ٧٧].

وَقَدْ جَاءَ فِي السُّنَّةِ ذِكْرُ مَالِكٍ وَأَنَّهُ خَازِنُ النَّارِ وَرُؤْيَةُ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ.

عَنْ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي قَالَا الَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ وَأَنَا جِبْرِيلُ وَهَذَا مِيكَائِيلُ**»(١).

١٠- زُوَّارُ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

وَمِنْهُمْ زُوَّارُ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ: يَدْخُلُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْهُمُ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - فِي الْإِسْرَاءِ - وَفِيهِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ... «**فَرُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ**»(٢).

١١- الْمَلَائِكَةُ السَّيَّاحُونَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

وَمِنْهُمْ مَلَائِكَةٌ سَيَّاحُونَ يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، وَأَنَّهُمْ يُبْلِغُونَ النَّبِيَّ ﷺ مِنْ أُمَّتِهِ السَّلَامَ. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَىٰ حَاجَتِكُمْ قَالَ فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ - وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ -: مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ. قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا وَاللهِ مَا رَأَوْكَ. قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا. قَالَ: يَقُولُ: فَمَا**

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٢٣٦).

(٢) متفق عليه: البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (٢٥٩).

يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ. قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً. قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ. قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً. قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ. قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَىٰ بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»(١).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ»(٢).

١٢- الْكِرَامُ الْكَاتِبُونَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: وَمِنْهُمُ الْكِرَامُ الْكَاتِبُونَ وَعَمَلُهُمْ كِتَابَةُ أَعْمَالِ الْخَلْقِ وَإِحْصَاؤُهَا عَلَيْهِمْ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ [الانفطار: ١٠-١٢]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [ق: ١٧-١٨]. قَالَ مُجَاهِدٌ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ: مَلَكٌ عَنْ يَمِينِهِ وَآخَرُ عَنْ يَسَارِهِ، فَأَمَّا الَّذِي عَنْ يَمِينِهِ فَيَكْتُبُ الْخَيْرَ، وَأَمَّا الَّذِي عَنْ شِمَالِهِ فَيَكْتُبُ الشَّرَّ.

١٣- الْحَفَظَةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: وَمِنْهُمُ الْحَفَظَةُ الَّذِينَ يَحْفَظُونَ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَمِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ.

أ- حَفَظَةُ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ: عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ

---

(١) متفق عليه: البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩).

(٢) صحيح: النسائي (١٢٨٣)، وأحمد (٣٦٥٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٨٥٣).

الْمَدِينَةَ رُعْبُ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ لَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ عَلَىٰ كُلِّ بَابٍ مَلَكَانِ»(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَلَىٰ أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ مَلَائِكَةٌ لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ وَلَا الدَّجَّالُ»(٢).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ فَيُخْرِجُ اللهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ»(٣).

ب- حَفَظَةُ الْمُسْلِمِينَ: كَذَلِكَ هُنَاكَ حَفَظَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد: ١١].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ أَبُو جَهْلٍ: لَئِنْ رَأَيْتُ مُحَمَّدًا يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ لَأَطَأَنَّ عَلَىٰ عُنُقِهِ فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «لَوْ فَعَلَهُ لَأَخَذَتْهُ الْمَلَائِكَةُ»(٤).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فَقَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَىٰ فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّىٰ تُصْبِحَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ

---

(١) صحيح: البخاري (١٨٧٩).

(٢) متفق عليه: البخاري (١٨٨٠)، ومسلم (١٣٧٩).

(٣) متفق عليه: البخاري (١٨٨١)، ومسلم (٢٩٤٣).

(٤) صحيح: رواه البخاري (٤٩٥٨).

ذَاكَ شَيْطَانٌ»(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»(٢).

١٤- مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: وَمِنْهُمُ الْمُوَكَّلُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَسُؤَالِ الْعِبَادِ فِي قُبُورِهِمْ وَهُمَا مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَىٰ مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوِ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ»(٣).

١٥- أَعْمَالٌ عَامَّةٌ أُخْرَىٰ لَمْ تَخُصَّ طَائِفَةً مِنْهُمْ بِعَيْنِهَا، إِنَّمَا هِيَ عَلَىٰ الْعُمُومِ، وَمِنْ ذَلِكَ:

أَوَّلًا: قِتَالُهُمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ فِي بَدْرٍ وَأُحُدٍ وَالْخَنْدَقِ وَحُنَيْنٍ:

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ كَانَ يُؤَيِّدُ الرَّسُولَ ﷺ بِالْمَلَائِكَةِ فِي الْقِتَالِ ضِدَّ

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٢٧٥).

(٢) متفق عليه: البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩).

(٣) متفق عليه: البخاري (١٣٧٤)، واللفظ له، ومسلم (٢٨٧٠).

الْمُشْرِكِينَ لِيُقَاتِلُوا مَعَهُمْ.

فَقَالَ فِي شَأْنِ غَزْوَةِ بَدْرٍ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال: ١٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عمران: ١٢٣-١٢٦].

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ لا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ». فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّىٰ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَىٰ مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ؛ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ. فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾، فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ. قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ: فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ. فَنَظَرَ إِلَىٰ الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ وَشُقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السَّوْطِ، فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ

الثَّالِثَةِ». فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ وَأَسَرُوا سَبْعِينَ(١).

وَأَمَّا غَزْوَةُ أُحُدٍ: فَقَدْ نَزَلَ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ لِيُدَافِعَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ بَابِ أَنَّ اللهَ ﷻ قَدْ عَصَمَهُ مِنَ النَّاسِ وَإِنْ لَمْ يُقَاتِلُوا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ. عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قَالَ «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ وَمَعَهُ رَجُلَانِ يُقَاتِلَانِ عَنْهُ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ كَأَشَدِّ الْقِتَالِ مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ»(٢).

وَلِمُسْلِمٍ «يَعْنِي جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ»(٣).

وَأَمَّا غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ: فَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ ﷻ أَنَّهُ أَرْسَلَ الْمَلَائِكَةَ وَجَاءَتِ السُّنَّةُ بِذَلِكَ. فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩﴾ [الأحزاب: ٩].

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا رَجَعَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، وَوَضَعَ السِّلَاحَ، وَاغْتَسَلَ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ وَقَدْ عَصَبَ رَأْسَهُ الْغُبَارُ فَقَالَ: وَضَعْتَ السِّلَاحَ؟ فَوَاللهِ مَا وَضَعْتُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَأَيْنَ؟». قَالَ: هَاهُنَا. وَأَوْمَأَ إِلَىٰ بَنِي قُرَيْظَةَ، قَالَتْ: فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ(٤).

وَأَمَّا يَوْمُ حُنَيْنٍ: فَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ ﷻ الْمَلَائِكَةَ بَعْدَمَا فَرَّ النَّاسُ وَانْهَزَمُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمُ اغْتَرُّوا بِالْكَثْرَةِ، فَقَالُوا: لَنْ نُغْلَبَ الْيَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ. فَكَانَتِ الْهَزِيمَةُ فِي بِدَايَةِ الْقِتَالِ، ثُمَّ جَاءَ النَّصْرُ بِفَضْلِ اللهِ ﷻ بَعْدَ ذَلِكَ.

---

(١) صحيح: مسلم (١٧٦٣).

(٢) متفق عليه: البخاري (٤٠٥٤)، ومسلم (٢٣٠٦).

(٣) صحيح: مسلم (٢٣٠٦).

(٤) متفق عليه: البخاري (٢٨١٣)، ومسلم (١٧٦٩).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [التوبة: ٢٥، ٢٦].

ثَانِيًا: الصَّلَاةُ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ (الدُّعَاءُ وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمْ): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَىٰ أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّىٰ فِيهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ»(١).

وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَىٰ أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ مَا لَمْ يُحْدِثْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ لا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَتِ الصَّلَاةُ تَحْبِسُهُ لا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْقَلِبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا الصَّلَاةُ»(٢).

وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «صَلَاةُ الْجَمِيعِ تَزِيدُ عَلَىٰ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَصَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً؛ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ، وَأَتَىٰ الْمَسْجِدَ لا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ لَمْ يَخْطُ خُطْوَةً إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْهُ خَطِيئَةً حَتَّىٰ يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ وَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَتْ تَحْبِسُهُ وَتُصَلِّي - يَعْنِي: عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ - مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ»(٣).

وَعَنْه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ،

---

(١) متفق عليه: البخاري (٤٤٥)، ومسلم (٦٤٩).

(٢) متفق عليه: البخاري (٦٥٩)، ومسلم (٦٤٩).

(٣) متفق عليه: البخاري (٤٧٧)، ومسلم (٦٤٩).

فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»(١).

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الْمُقَدَّمِ»(٢).

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «دعوةُ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِين، وَلَكَ بِمِثْلٍ»(٣).

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ»(٤).

وَغَيْرُهَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي فِيهَا دُعَاءٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ.

ثَالِثًا: الشَّفَاعَةُ: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيهِ: «... فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ...»(٥).

* قَوْلُهُ: «وَأَعْطَاهُمُ الْقُدْرَةَ عَلَى تَأْدِيَتِهَا».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَعْطَى الْمَلَائِكَةَ الْكِرَامَ الْقُوَّةَ وَالْقُدْرَةَ عَلَى

---

(١) متفق عليه: البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).

(٢) صحيح: النسائي (٦٤٦)، وأحمد (١٨٠٣٦)، وصححه الألباني في الترغيب (٢٣٠).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٧٣٣).

(٤) صحيح: أبو داود (٣٠٩٨)، والترمذي (٩٦٩)، وابن ماجه (١٤٤٢)، وأحمد (٧٥٦)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٣٦٧).

(٥) صحيح: رواه مسلم (١٨٣).

تَأْدِيَةِ هَذِهِ الْوَظَائِفِ كَمَا أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بِذَلِكَ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَوْلُهُ: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾؛ أَيْ: طِبَاعُهُمْ غَلِيظَةٌ، قَدْ نُزِعَتْ مِنْ قُلُوبِهِمُ الرَّحْمَةُ بِالْكَافِرِينَ بِاللهِ، ﴿شِدَادٌ﴾؛ أَيْ: تَرْكِيبُهُمْ فِي غَايَةِ الشِّدَّةِ وَالْكَثَافَةِ وَالْمَنْظَرِ الْمُزْعِجِ». رَوَىٰ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: عَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّهُ قَالَ: إِذَا وَصَلَ أَوَّلُ أَهْلِ النَّارِ إِلَىٰ النَّارِ وَجَدوا عَلَىٰ الْبَابِ أَرْبَعَمِائَةِ أَلْفٍ مِنْ خَزَنَة جَهَنَّمَ، سُودٍ وُجُوهُهُمْ، كَالِحَةٍ أَنْيَابُهُمْ، قَدْ نَزَعَ اللهُ مِنْ قُلُوبِهِمُ الرَّحْمَةَ، لَيْسَ فِي قَلْبِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الرَّحْمَةِ، لَوْ طُيِّرَ الطَّيْرُ مِنْ مَنْكِبِ أَحَدِهِمْ لَطَارَ شَهْرَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ مَنْكِبَهُ الْآخَرَ، ثُمَّ يَجِدُونَ عَلَىٰ الْبَابِ التِّسْعَةَ عَشَرَ، عَرْضُ صَدْرِ أَحَدِهِمْ سَبْعُونَ خَرِيفًا، ثُمَّ يَهْوُونَ مِنْ بَابٍ إِلَىٰ بَابٍ خَمْسَمِائَةِ سَنَةٍ، ثُمَّ يَجِدُونَ عَلَىٰ كُلِّ بَابٍ مِنْهَا مِثْلَ مَا وَجَدُوا عَلَىٰ الْبَابِ الْأَوَّلِ، حَتَّىٰ يَنْتَهُوا إِلَىٰ آخِرِهَا. وَقَوْلُهُ: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾؛ أَيْ: مَهْمَا أَمَرَهُمْ بِهِ تَعَالَىٰ يُبَادِرُوا إِلَيْهِ، لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَىٰ فِعْلِهِ لَيْسَ بِهِمْ عَجْزٌ عَنْهُ. وَهَؤُلَاءِ هُمُ الزَّبَانِيَةُ عِيَاذًا بِاللهِ مِنْهُمْ[1]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: ٣-١٠].

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ١٦٨).

فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ قَالَ: إِنَّهُ رَأَىٰ جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ(١).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَىٰ رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ، وَلَكِنْ قَدْ رَأَىٰ جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ وَخَلْقُهُ سَادًّا مَا بَيْنَ الْأُفُقِ»(٢).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ: قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَىٰ عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمُ الْعَقَبَةِ؛ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَىٰ ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَىٰ مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَىٰ وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»(٣). وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَىٰ عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ»(٤).

فَائِدَةٌ: ثَمَرَاتُ الْإِيمَانِ بِالْمَلَائِكَةِ:

قَالَ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَالْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ يُثْمِرُ ثَمَرَاتٍ جَلِيلَةً مِنْهَا:

الْأُولَىٰ: الْعِلْمُ بِعَظَمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَقُوَّتِهِ، وَسُلْطَانِهِ؛ فَإِنَّ عَظَمَةَ الْمَخْلُوقِ مِنْ

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤).

(٢) متفق عليه: البخاري (٣٢٣٤)، ومسلم (١٧٧).

(٣) متفق عليه: البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

(٤) صحيح: أبو داود (٤٧٢٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٥١).

عَظَمَةِ الْخَالِقِ.

الثَّانِيَةُ: شُكْرُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ عِنَايَتِهِ بِبَنِي آدَمَ؛ حَيْثُ وَكَّلَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةِ مَنْ يَقُومُ بِحِفْظِهِمْ، وَكِتَابَةِ أَعْمَالِهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَصَالِحِهِمْ.

الثَّالِثَةُ: مَحَبَّةُ الْمَلَائِكَةِ عَلَىٰ مَا قَامُوا بِهِ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَىٰ(١).

قَالَ عَلَيُّ بْنُ نَايِفٍ الشَّحُّودُ: مِنْ ثَمَرَاتِ الإِيمَانِ بِالْمَلَائِكَةِ:

١- وُقُوفُ الْمُؤْمِنِ عَلَىٰ عَظِيمِ قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَذَلِكَ وَاضِحٌ فِي عِظَمِ خَلْقِ الْمَلَائِكَةِ.

٢- اطْمِئْنَانُ الْمُؤْمِنِ إِلَىٰ أَنَّهُ مُحَاطٌ بِرِعَايَةِ اللهِ تَعَالَىٰ لَهُ، بِهَؤُلَاءِ الْخَلْقِ الْعِظَامِ الَّذِينَ يَرْعُونَ شُئُونَهُ، وَيُسَيِّرُونَ كَثِيرًا مِنْ شُئُونِ الْكَوْنِ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَىٰ.

٣- حَثُّ الْمُؤْمِنِ عَلَىٰ الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَزَجْرُهُ عَنِ السَّيِّئَاتِ؛ حَيْثُ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَتَرَصَّدُونَ جَمِيعَ أَعْمَالِهِ وَيُسَجِّلُونَهَا عَلَيْهِ.

٤- إِغْلَاقُ بَابِ الْخُرَافَةِ وَالتَّخَيُّلَاتِ الْبَاطِلَةِ وَالِاعْتِقَادِ الزَّائِفِ فِي الْمَلَائِكَةِ، وَذَلِكَ بِبَيَانِ الْحَقِّ فِي شَأْنِهِمْ، وَتَوْضِيحِ مَا يَخُصُّ الْبَشَرَ وَيَنْفَعُهُمُ الْعِلْمُ بِهِ مِنْ أَمْرِ الْمَلَائِكَةِ.

٥- أَنْ تَتَطَهَّرَ عَقِيدَةُ الْمُسْلِمِ مِنْ شَوَائِبِ الشِّرْكِ وَأَدْرَانِهِ؛ لِأَنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا آمَنَ بِوُجُودِ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ كَلَّفَهُمُ اللهُ بِهَذِهِ الْأَعْمَالِ الْعَظِيمَةِ تَخَلَّصَ مِنَ الِاعْتِقَادِ بِوُجُودِ مَخْلُوقَاتٍ وَهْمِيَّةٍ تُسْهِمُ فِي تَسْيِيرِ أُمُورِ الْكَوْنِ.

٦- أَنْ يَعْلَمَ الْمُسْلِمُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا يَنْفَعُونَ وَلَا يَضُرُّونَ، وَإِنَّمَا هُمْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ، لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ، وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُوا

---

(١) «شرح ثلاثة الأصول» للعثيمين (ص٩٢).

ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦-٣٠]، فَلَا يَعْبُدُهُمْ وَلَا يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يَتَعَلَّقُ بِهِمْ.

٧- شُكْرُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ لُطْفِهِ وَعِنَايَتِهِ بِعِبَادِهِ؛ حَيْثُ وَكَّلَ بِهِمْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةِ مَنْ يَقُومُ بِحِفْظِهِمْ وَكِتَابَةِ أَعْمَالِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ، مِمَّا تَتَحَقَّقُ بِهِ مَصَالِحُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

٨- مَحَبَّةُ الْمَلَائِكَةِ عَلَىٰ مَا هَدَاهُمُ اللهُ إِلَيْهِ، مِنْ تَحْقِيقِ عِبَادَةِ اللهِ عَلَىٰ الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ وَنُصْرَتِهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَاسْتِغْفَارِهِمْ لَهُمْ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال: ١٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ [غافر: ٧-٩].

٩- الِاسْتِقَامَةُ عَلَىٰ أَمْرِ اللهِ ﷻ؛ فَإِنَّ مَنْ يَسْتَشْعِرُ وُجُودَ الْمَلَائِكَةِ مَعَهُ وَعَدَمَ مُفَارَقَتِهَا لَهُ، وَيُؤْمِنُ بِرِقَابَتِهِمْ لِأَعْمَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَشَهَادَتِهِمْ عَلَىٰ كُلِّ مَا يَصْدُرُ عَنْهُ، لَيَسْتَحِي مِنَ اللهِ وَمِنْ جُنُودِهِ، فَلَا يُخَالِفُهُ فِي أَمْرٍ وَلَا يَعْصِيهِ فِي الْعَلَانِيَةِ أَوْ فِي

السِّرِّ، فَكَيْفَ يَعْصِي اللهَ مَنْ عَلِمَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مَحْسُوبٌ وَمَكْتُوبٌ؟

١٠- **الطُّمَأْنِينَةُ:** فَالْمُسْلِمُ مُطْمَئِنٌّ إِلَىٰ حِمَايَةِ اللهِ لَهُ؛ فَقَدْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْهِ حَافِظًا يَحْفَظُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ وَمِنْ كُلِّ شَرٍّ؛ ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١].

١١- **حُبُّ اللهِ ﷻ:** فَالْمُسْلِمُ عِنْدَمَا يُؤْمِنُ بِالْمَلَائِكَةِ وَأَعْمَالِهِمْ وَيَرَىٰ كَيْفَ أَنَّ اللهَ ﷻ وَكَّلَ مَلَائِكَةً بِالسَّمَاءِ، وَمَلَائِكَةً بِالْأَرْضِ، وَمَلَائِكَةً بِالْجِبَالِ، وَمَلَائِكَةً بِالسَّحَابِ... إِلَخْ وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ الْإِنْسَانِ وَرَاحَتِهِ يَتَوَجَّهُ إِلَىٰ اللهِ بِالشُّكْرِ فَتَزْدَادُ مَحَبَّةُ اللهِ فِي قَلْبِهِ وَيَعْمَلُ عَلَىٰ طَاعَتِهِ. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ**»(١).

١٢- **الصَّبْرُ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ:** وَمِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ بِالْمَلَائِكَةِ الصَّبْرُ، وَمُوَاصَلَةُ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَعَدَمُ الْيَأْسِ وَالشُّعُورُ بِالْأُنْسِ وَالطُّمَأْنِينَةِ، فَعِنْدَمَا يُصْبِحُ الْمُؤْمِنُ غَرِيبًا فِي وَطَنِهِ وَبَيْنَ أَهْلِهِ وَقَوْمِهِ حِينَمَا يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ اللهِ وَيَجِدُ مِنْهُمُ الصَّدَّ وَالِاسْتِهْزَاءَ يَجِدُ الْمُؤْمِنُ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ أَنِيسًا وَرَفِيقًا يَصْحَبُهُ وَيُطَمْئِنُهُ وَيُشَجِّعُهُ عَلَىٰ مُوَاصَلَةِ السَّيْرِ فِي طَرِيقِ الْهُدَىٰ، لِأَنَّ جُنُودَ اللهِ مَعَهُ، يَعْبُدُونَ اللهَ كَمَا يَعْبُدُ الْمُؤْمِنُ رَبَّهُ، وَيَتَّجِهُونَ إِلَىٰ خَالِقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَمَا يَتَّجِهُ، فَيَشْعُرُ بِأَنَّهُ لَا يَسِيرُ وَحْدَهُ إِلَىٰ اللهِ دَائِمًا»(٢). هَذَا؛ وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

تَمَّ بَابُ الْإِيمَانِ بِالْمَلَائِكَةِ

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٢٢٣)، ومسلم (١٤٦٤).

(٢) أركان الإيمان (ص٦٢-٦٤).

الْبَابُ الثَّالِثُ: الإِيمَانُ بِالْكُتُبِ

وَفِيهِ خَمْسَةُ ضَوَابِطَ:

الضَّابِطُ الْأَوَّلُ: مَرَاتِبُ الْوَحْيِ أَرْبَعَةٌ:

١- الرُّؤْيَا الْمَنَامِيَّةُ. ٢- النَّفْثُ فِي الرُّوعِ.

٣- التَّكْلِيمُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ. ٤- الْوَحْيُ بِوَاسِطَةِ الْمَلَكِ.

الضَّابِطُ الثَّانِي: الإِيمَانُ بِالْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ عَلَى رُسُلِهِ إِجْمَالًا وَتَفْصِيلًا.

الضَّابِطُ الثَّالِثُ: الإِيمَانُ بِأَنَّ جَمِيعَ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ قَدْ دَخَلَهَا التَّحْرِيفُ أَوْ فُقِدَتْ.

الضَّابِطُ الرَّابِعُ: الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هُوَ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى الْمُنَزَّلُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ بِلَفْظِهِ الْعَرَبِيِّ، الْمُتَعَبَّدُ بِتِلَاوَتِهِ، الْمَنْقُولُ بِالتَّوَاتُرِ، الْمَكْتُوبُ فِي الْمَصَاحِفِ.

الضَّابِطُ الْخَامِسُ: الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هُوَ آخِرُ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ نُزُولًا وَهُوَ مُهَيْمِنٌ عَلَيْهَا نَاسِخٌ لَهَا.

الْبَابُ الثَّالِثُ: الإِيمَانُ بِالْكُتُبِ

وَفِيهِ خَمْسَةُ ضَوَابِطَ:
الضَّابِطُ الأَوَّلُ: مَرَاتِبُ الْوَحْيِ أَرْبَعَةٌ:
١- الرُّؤْيَا الْمَنَامِيَّةُ. ٢- النَّفْثُ فِي الرُّوعِ.
٣- التَّكْلِيمُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ. ٤- الْوَحْيُ بِوَاسِطَةِ الْمَلَكِ.

* قَوْلُهُ: «الإِيمَانُ بِالْكُتُبِ». الأَصْلُ الثَّالِثُ مِنْ أُصُولِ الإِيمَانِ وَأَرْكَانِهِ هُوَ الإِيمَانُ بِالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنْ قِبَلِ اللهِ ﷻ عَلَىٰ رُسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ مَا عَلِمْنَاهُ مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْهُ.

وَفِيهِ مَسَائِلُ: الْمَسْأَلَةُ الأُولَىٰ: تَعْرِيفُ الْكُتُبِ:

الْكُتُبُ فِي اللُّغَةِ: جَمْعُ كِتَابٍ بِمَعْنَىٰ مَكْتُوبٍ، مِثْلِ فِرَاشٍ بِمَعْنَىٰ مَفْرُوشٍ، وَإِلَهٍ بِمَعْنَىٰ مَأْلُوهٍ، وَغِرَاسٍ بِمَعْنَىٰ مَغْرُوسٍ. وَمَادَّةُ (كَتَبَ) تَدُورُ حَوْلَ الْجَمْعِ وَالضَّمِّ، وَسُمِّيَ الْكَاتِبُ كَاتِبًا؛ لأَنَّهُ يَجمَعُ الْحُرُوفَ وَيَضُمُّ بَعْضَهَا إِلَىٰ بَعْضٍ. وَمِنْهُ الْكَتِيبَةُ مِنَ الْجَيْشِ سُمِّيَتْ كَتِيبَةً؛ لِاجْتِمَاعِهَا، وَانْضِمَامِ بَعْضِهَا إِلَىٰ بَعْضٍ، وَمِنْهُ تَسْمِيَةُ الْخَيَّاطِ كَاتِبًا؛ لأَنَّهُ يَجْمَعُ أَطْرَافَ الثَّوْبِ إِلَىٰ بَعْضٍ، كَمَا فِي مَقَامَاتِ الْحَرِيرِيِّ[١].

أَمَّا فِي الشَّرْعِ: فَالْمُرَادُ بِهَا الْكُتُبُ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ رُسُلِهِ رَحْمَةً لِلْخَلْقِ، وَهِدَايَةً لَهُمْ؛ لِيَصِلُوا بِهَا إِلَىٰ سَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: وُجُوبُ الإِيمَانِ بِالْكُتُبِ:

مَعْنَىٰ الإِيمَانِ بِالْكُتُبِ: التَّصْدِيقُ الْجَازِمُ بِأَنَّ للهِ تَعَالَىٰ كُتُبًا أَنْزَلَهَا عَلَىٰ رُسُلِهِ

(١) مقامات الحريري، (ص٢٨٦)، دار صادر وانظر مادة كتب في لسان العرب.

إِلَىٰ عِبَادِهِ، وَأَنْ هَذِهِ الْكُتُبَ كَلَامُ اللهِ تَعَالَىٰ تَكَلَّم بِهَا حَقِيقَةً كَمَا يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ، وَأَنَّ هَذِهِ الْكُتُبَ فِيهَا الْحَقُّ وَالنُّورُ وَالْهُدَىٰ لِلنَّاسِ فِي الدَّارَيْنِ.

قَالَ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: «وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا: الْكُتُبُ الَّتِي أَنْزَلَهَا تَعَالَىٰ عَلَىٰ رُسُلِهِ رَحْمَةً لِلْخَلْقِ، وَهِدَايَةً لَهُمْ، لِيَصِلُوا بِهَا إِلَىٰ سَعَادَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

وَالْإِيمَانُ بِالْكُتُبِ يَتَضَمَّنُ أَرْبَعَةَ أُمُورٍ:

الْأَوَّلُ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ نُزُولَهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ حَقًّا.

الثَّانِي: الْإِيمَانُ بِمَا عَلِمْنَا اسْمَهُ مِنْهَا بِاسْمِهِ كَالْقُرْآنِ الَّذِي نَزَلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالتَّوْرَاةِ الَّتِي أُنْزِلَتْ عَلَىٰ مُوسَىٰ ﷺ، وَالْإِنْجِيلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَىٰ عِيسَىٰ ﷺ، وَالزَّبُورِ الَّذِي أُوتِيهِ دَاوُدُ ﷺ وَأَمَّا مَا لَمْ نَعْلَمِ اسْمَهُ فَنُؤْمِنُ بِهِ إِجْمَالًا.

الثَّالِثُ: تَصْدِيقُ مَا صَحَّ مِنْ أَخْبَارِهَا، كَأَخْبَارِ الْقُرْآنِ، وَأَخْبَارِ مَا لَمْ يُبَدَّلْ أَوْ يُحَرَّفْ مِنَ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ.

الرَّابِعُ: الْعَمَلُ بِأَحْكَامِ مَا لَمْ يُنْسَخْ مِنْهَا، وَالرِّضَا وَالتَّسْلِيمُ بِهِ سَوَاءٌ فَهِمْنَا حِكْمَتَهُ أَمْ لَمْ نَفْهَمْهَا، وَجَمِيعُ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ مَنْسُوخَةٌ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]. أَيْ «حَاكِمًا عَلَيْهِ» وَعَلَىٰ هَذَا فَلَا يَجُوزُ الْعَمَلُ بِأَيِّ حُكْمٍ مِنْ أَحْكَامِ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ إِلَّا مَا صَحَّ مِنْهَا وَأَقَرَّهُ الْقُرْآنُ(١).

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: الْأَدِلَّةُ عَلَىٰ وُجُوبِ الْإِيمَانِ بِالْكُتُبِ:

أَوَّلًا: الْأَدِلَّةُ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ

(١) «شرح ثلاثة الأصول» للعثيمين (ص٩٤-٩٤).

وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: ١٣٦]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ [آل عمران: ٨٤]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ﴾ [الشورى: ١٥]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ﴾ [التغابن: ٨]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [غافر: ٧٠]. الْآيَاتِ. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾ [الحديد: ٢٥].

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظُ آلُ حَكَمِي رَحِمَهُ اللهُ: «وَمَعْنَىٰ الْإِيمَانِ بِالْكُتُبِ التَّصْدِيقُ الْجَازِمُ بِأَنَّ كُلَّهَا مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ رُسُلِهِ إِلَىٰ عِبَادِهِ بِالْحَقِّ الْمُبِينِ وَالْهُدَىٰ الْمُسْتَبِينِ، وَأَنَّهَا كَلَامُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا كَلَامَ غَيْرِهِ، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ تَكَلَّمَ بِهَا حَقِيقَةً كَمَا شَاءَ وَعَلَىٰ الْوَجْهِ الَّذِي أَرَادَ، فَمِنْهَا الْمَسْمُوعُ مِنْهُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ بِدُونِ وَاسِطَةٍ، وَمِنْهَا مَا يَسْمَعُهُ الرَّسُولُ الْمَلَكِيُّ وَيَأْمُرُهُ بِتَبْلِيغِهِ مِنْهُ إِلَىٰ الرَّسُولِ الْبَشَرِيِّ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: ٥١]»[١]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. وَقَالَ تَعَالَىٰ:

---

(١) معارج القبول (٢/ ١٧٢).

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ [النجم: ١٠]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورىٰ: ٥٢]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ [النحل: ٢]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ۝١٠٦﴾ [الإسراء: ١٠٦]. وَمِنْهَا مَا خَطَّهُ بِيَدِهِ ﷻ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف: ١٤٥].

ثَانِيًا: الأَدِلَّةُ مِنَ السُّنَّةِ:

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَىٰ شِقِّكَ الأَيْمَنِ ثُمَّ قُلِ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لا مَلْجَأَ وَلا مَنْجَىٰ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ، قَالَ: فَرَدَّدْتُهَا عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا بَلَغْتُ اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ قُلْتُ: وَرَسُولِكَ قَالَ لا وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ**»(١). وَجْهُ الدَّلَالَةِ: أَمْرُهُ ﷺ أَنْ يَقُولَ: «**آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ**».

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَهَذَا الْيَوْمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ فَهَدَانَا اللهُ فَغَدًا لِلْيَهُودِ وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَىٰ**»(٢). وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ

---

(١) متفق عليه: البخاري (٢٤٧)، ومسلم (٢٧١٠).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٨٩٨).

يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ**...»(١).

الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: أَهَمِّيَّةُ الْإِيمَانِ بِالْكُتُبِ:

الْإِيمَانُ بِالْكُتُبِ أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ الْعَقِيدَةِ، وَرُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، وَلَا يَصِحُّ إِيمَانُ أَحَدٍ إِلَّا إِذَا آمَنَ بِالْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ عَلَىٰ رُسُلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وَقَدْ أَثْنَىٰ اللهُ ﷻ عَلَىٰ الرُّسُلِ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ عَنِ اللهِ رِسَالَاتِهِ فَقَالَ ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

كَمَا أَخْبَرَ ﷻ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنْ كُتُبٍ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ أَهَمِّيَّتِهِ أَنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يُؤْمِنُوا بِمَا أَنْزَلَهُ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: ١٣٦].

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ أَهَمِّيَّتِهِ أَنَّ اللهَ أَهْلَكَ الْأُمَمَ بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ بِرِسَالَاتِهِ، كَمَا أَخْبَرَ اللهُ عَنْ صَالِحٍ بِقَوْلِهِ: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأعراف: ٧٩].

كَذَلِكَ مَنْ أَنْكَرَ شَيْئًا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ فَهُوَ كَافِرٌ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

---

(١) متفق عليه: البخاري (٤٧٧٧)، ومسلم (٩)، واللفظ له.

الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ: الْغَايَةُ مِنْ إِنْزَالِ الْكُتُبِ:

أُنْزِلَتِ الْكُتُبُ السَّمَاوِيَّةُ كُلُّهَا لِغَايَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهَدَفٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ أَنْ يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلِتَكُونَ مَنْهَجَ حَيَاةٍ لِلْبَشَرِ الَّذِينَ يَعِيشُونَ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ، تَقُودُهُمْ بِمَا فِيهَا مِنْ هِدَايَةٍ إِلَىٰ كُلِّ خَيْرٍ، وَلِتَكُونَ رُوحًا وَنُورًا تُحْيِي نُفُوسَهُمْ، وَتَكْشِفُ ظُلُمَاتِهَا، وَتُنِيرُ لَهُمْ دُرُوبَ الْحَيَاةِ كُلَّهَا(١).

* قَوْلُهُ: «وَفِيهِ خَمْسَةُ ضَوَابِطَ».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ شَيْخَنَا - حَفِظَهُ اللهُ - قَدْ جَمَعَ هَذَا الْبَابَ فِي خَمْسَةِ ضَوَابِطَ جَمَعَتْ أَحْكَامَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْكُتُبِ السَّابِقَةِ وَقَدْ بَدَأَهَا بِمَرَاتِبِ الْوَحْيِ وَذَلِكَ لِأَنَّ هَذِهِ الْكُتُبَ إِنَّمَا أُنْزِلَتْ وَحْيًا عَلَىٰ الرُّسُلِ.

* قَوْلُهُ: «مَرَاتِبُ الْوَحْيِ أَرْبَعَةٌ».

وَالْوَحْيُ فِي اللُّغَةِ: الْإِعْلَامُ الْخَفِيُّ السَّرِيعُ مَهْمَا اخْتَلَفَتْ أَسْبَابُهُ(٢).

فَقَدْ يَكُونُ بِالْإِلْهَامِ كَوَحْيِ اللهِ إِلَىٰ الْحَوَارِيِّينَ: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى﴾ [المائدة: ١١١] وَكَوَحْيِ اللهِ لِأُمِّ مُوسَىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧].

وَيَأْتِي بِمَعْنَىٰ الْإِيمَاءِ وَالْإِشَارَةِ، فَقَدْ سَمَّىٰ الْقُرْآنُ إِشَارَةَ زَكَرِيَّا إِلَىٰ قَوْمِهِ وَحْيًا: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾ [مريم: ١١]. وَأَكْثَرُ مَا وَرَدَتْ كَلِمَةُ «وَحْيٍ» فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِمَعْنَىٰ إِخْبَارِ وَإِعْلَامِ اللهِ مَنِ اصْطَفَاهُ مِنْ عِبَادِهِ كُلَّ مَا أَرَادَ إِطْلَاعَهُ عَلَيْهِ مِنْ أَلْوَانِ الْهِدَايَةِ وَالْعِلْمِ، بِطَرِيقَةٍ سِرِّيَّةٍ خَفِيَّةٍ، غَيْرِ مُعْتَادَةٍ لِلْبَشَرِ.

---

(١) «الرسل والرسالات» (ص٢٣٥)، د. عمر الأشقر.

(٢) راجع» فتح الباري» (١/ ٩)، «المصباح المنير» (٦٥١، ٦٥٢).

التَّعْرِيفُ الشَّرْعِيُّ: «هُوَ إِعْلَامُ اللهِ أَنْبِيَاءَهُ بِمَا يُرِيدُ أَنْ يُبْلِغَهُ إِلَيْهِمْ مِنْ شَرْعٍ أَوْ كِتَابٍ بِوَاسِطَةٍ أَوْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ».

* قَوْلُهُ: «الرُّؤْيَا الْمَنَامِيَّةُ».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ حَقٌّ، وَأَنَّهَا جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ النُّبُوَّةِ، وَأَنَّهَا أَوَّلُ عَلَامَاتِ الْوَحْيِ، وَأَنَّهُ إِذَا رَأَىٰ نَبِيٌّ رُؤْيَا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**»(١).

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ**». قَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ**»(٢).

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: «أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَىٰ رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ»(٣).

قَالَ تَعَالَىٰ مُخْبِرًا عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات: ١٠٢]. وَقَدِ امْتَثَلَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَمْرِ رَبِّهِ فِي الرُّؤْيَا، وَكَذَلِكَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الصافات: ١٠٤، ١٠٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا خَاطَبَ أَبَاهُ فَقَالَ: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَىَّ

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٩٨٩)، ومسلم (٢٢٦٣) من حديث أبي هريرة.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٦٩٩٠).

(٣) متفق عليه: البخاري (٤)، ومسلم (١٦٠).

﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥﴾ [يوسف: ٤، ٥]. **فَلَمَّا تَحَقَّقَتِ الرُّؤْيَا أَخْبَرَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبَاهُ بِذَلِكَ فَقَالَ:** ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾ [يوسف: ١٠٠].

وَقَدْ رَأَىٰ نَبِيُّنَا ﷺ فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَأَخْبَرَ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِذَلِكَ، وَخَرَجُوا إِلَىٰ مَكَّةَ بِهَذِهِ الرُّؤْيَا حَتَّىٰ جَاءُوا مَكَّةَ فَكَانَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ۝٢٧﴾ [الفتح: ٢٧].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ أُرِيَ فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ دَخَلَ مَكَّةَ، وَطَافَ بِالْبَيْتِ، فَأَخْبَرَ أَصْحَابَهُ بِذَلِكَ وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ، فَلَمَّا سَارُوا عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ لَمْ يَشُكَّ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ أَنَّ هَذِهِ الرُّؤْيَا تَتَفَسَّرُ هَذَا الْعَامَ، فَلَمَّا وَقَعَ مَا وَقَعَ مِنْ قَضِيَّةِ الصُّلْحِ، وَرَجَعُوا عَامَهُمْ ذَلِكَ عَلَىٰ أَنْ يَعُودُوا مِنْ قَابِلٍ وَقَعَ فِي نُفُوسِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، حَتَّىٰ سَأَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ فِيمَا قَالَ: أَفَلَمْ تَكُنْ تُخْبِرُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: «**بَلَىٰ، أَفَأَخْبَرْتُكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ عَامَكَ هَذَا؟**». قَالَ: لَا. قَالَ: «**فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ**». وَبِهَذَا أَجَابَ الصِّدِّيقُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ. وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾. هَذَا لِتَحْقِيقِ الْخَبَرِ وَتَوْكِيدِهِ، وَلَيْسَ هَذَا مِنَ الِاسْتِثْنَاءِ فِي شَيْءٍ. وَقَوْلُهُ: ﴿ءَامِنِينَ﴾؛ أَيْ: فِي حَالِ دُخُولِكُمْ. وَقَوْلُهُ: ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ حَالٌ مُقَدَّرَةٌ؛ لِأَنَّهُمْ فِي حَالِ حَرَمِهِمْ لَمْ يَكُونُوا مُحَلِّقِينَ وَمُقَصِّرِينَ، وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا فِي ثَانِي الْحَالِ، كَانَ مِنْهُمْ

مَنْ حَلَقَ رَأْسَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَصَّرَهُ وَثَبَتَ»(١).

* قَوْلُهُ: «النَّفْثُ فِي الرُّوعِ». وَكَذَلِكَ النَّفْثُ فِي الرُّوعِ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الرُّؤْيَا.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ النَّارِ وَيُبَاعِدُكُمْ عَنِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَقَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، وَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ يُدْنِيكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا وَقَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَإِنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّىٰ يُسْتَوْفَىٰ رِزْقُهَا، فَاتَّقُوا اللهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَإِنَّهُ لَا يُدْرَكُ مَا عِنْدَ اللهِ إِلَّا بِطَاعَتِهِ**»(٢).

عَنِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَا تَرَكْتُ شَيْئًا مِمَّا أَمَرَكُمُ اللهُ بِهِ إِلا أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَمَا تَرَكْتُ شَيْئًا مِمَّا نَهَاكُمُ اللهُ عَنْهُ إِلَّا وَقَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، وَإِنَّ الرُّوحَ الأَمِينَ قَدْ أَلْقَىٰ فِي رُوعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّىٰ تَسْتَوْعِبَ كُلَّ الَّذِي كَتَبَ اللهُ لَهَا، فَمَنْ أَبْطَأَ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ فَلْيُجْمِلْ فِي الطَّلَبِ؛ فَإِنَّكُمْ لَنْ تُدْرِكُوا مَا عِنْدَ اللهِ إِلا بِمِثْلِ طَاعَتِهِ**»(٣). مَعْنَىٰ (نَفَثَ): أَيْ: أَلْقَىٰ - كَمَا فِي الرِّوَايَةِ الثَّانِيَةِ -. مَعْنَىٰ (رُوعِي): أَيْ: نَفْسِي وَخَلَدِي(٤).

* قَوْلُهُ: «التَّكْلِيمُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ يُكَلِّمُ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - بِلَا وَاسِطَةٍ، لَكِنْ يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ؛ لِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُرَىٰ فِي الدُّنْيَا كَمَا

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٥٦).

(٢) صحيح: رواه ابن حبان في صحيحه. صححه الألباني في الصحيحة (٦/ ٨٦٥).

(٣) رواه الشافعي في «المسند» (ص٢٣٣).

(٤) «النهاية في غريب الحديث» (١/ ٧٠٢).

قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لِمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وَهَذَا فِي الدُّنْيَا، أَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَسَوْفَ يَرَىٰ الْمُؤْمِنُونَ رَبَّهُمْ فِي الْجَنَّةِ؛ كَمَا أَخْبَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

لَكِنْ قَدْ يُكَلِّمُهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا كَلَّمَ مُوسَىٰ وَآدَمَ وَمُحَمَّدًا ﷺ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤]. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. وَذَكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ طَرَفًا مِنْ هَذَا الْكَلَامِ بَيْنَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وَبَيْنَ نَبِيِّهِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ [القصص: ٣٠، ٣١].

وَكَلَّمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [البقرة: ٣٥]. وَغَيْرُهَا مِنَ الْآيَاتِ. وَثَبَتَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ فِي فَرْضِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ لَمَّا كَانَ يَرْجِعُ بَيْنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَبَيْنَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ

بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَفَرَضَ اللهُ ﷻ عَلَىٰ أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً، فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّىٰ مَرَرْتُ عَلَىٰ مُوسَىٰ، فَقَالَ: مَا فَرَضَ اللهُ لَكَ عَلَىٰ أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: فَرَضَ خَمْسِينَ صَلَاةً. قَالَ: فَارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ؛ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ. فَرَاجَعْتُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ قُلْتُ: وَضَعَ شَطْرَهَا. فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ؛ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ. فَرَاجَعْتُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ؛ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ. فَرَاجَعْتُهُ، فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ، وَهِيَ خَمْسُونَ لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ. فَرَجَعْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ. فَقُلْتُ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي»(١).

* قَوْلُهُ: «الْوَحْيُ بِوَاسِطَةِ الْمَلَكِ».

وَذَلِكَ أَنَّ جِبْرِيلَ ﵇ مَلَكُ الْوَحْيِ لِلْأَنْبِيَاءِ كَانَ يَأْتِيهِمْ بِالْوَحْيِ مِنْ عِنْدِ اللهِ ﷻ، وَكَانَ يَأْتِي لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَىٰ ثَلَاثِ صُوَرٍ:

الْأُولَىٰ: يَأْتِيهِ عَلَىٰ صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا:

وَقَدْ رَآهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ هَذِهِ الصُّورَةِ مَرَّتَيْنِ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [النجم: ٨-١٤].

عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ ﵂ فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ، ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَىٰ اللهِ الْفِرْيَةَ. قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَىٰ رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَىٰ اللهِ الْفِرْيَةَ. قَالَ: وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ: أَنْظِرِينِي وَلَا تُعْجِلِينِي؛ أَلَمْ يَقُلِ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ

(١) متفق عليه: البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣).

ﵟٱلۡمُبِينِ ٢٣ﵞ، ﵟوَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣ﵞ؟! فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ لَمْ أَرَهُ عَلَىٰ صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ: رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الْأَرْضِ». فَقَالَتْ: أَوَ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﵟلَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣ﵞ؟! أَوَ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﵟ۞وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ٥١ﵞ[1].

أَمَّا الْمَرَّةُ الْأُولَىٰ: فَكَانَتْ فِي الْأَرْضِ بَعْدَ أَنْ فَتَرَ الْوَحْيُ، وَعَيَّرَتْ قُرَيْشٌ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّ اللهَ ﷻ قَدْ قَلَاهُ. عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ: «فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي قِبَلَ السَّمَاءِ، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ قَاعِدٌ عَلَىٰ كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَجَئِثْتُ مِنْهُ حَتَّىٰ هَوَيْتُ إِلَىٰ الْأَرْضِ، فَجِئْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي. فَزَمَّلُونِي، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﵟيَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ﵞ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﵟفَٱهۡجُرۡ ٥ﵞ». قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: «وَالرُّجْزُ: الْأَوْثَانُ». ثُمَّ حَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ[2].

وَأَمَّا الْمَرَّةُ الثَّانِيَةُ: فَكَانَتْ فِي السَّمَاءِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ. عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رَأَيْتُ جِبْرِيلَ عَلَىٰ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ وَلَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ». قَالَ: «سَأَلْتُ عَاصِمًا عَنِ الْأَجْنِحَةِ، فَأَبَىٰ أَنْ يُخْبِرَنِي». قَالَ: «فَأَخْبَرَنِي بَعْضُ أَصْحَابِهِ أَنَّ الْجَنَاحَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»[3].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٧٧).

(٢) متفق عليه: البخاري (٤٩٢٦)، ومسلم (١٦١).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٣٨٥٢).

الثَّانِيَةُ: أَنْ يَأْتِيَهُ مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ: وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ.

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ**».

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيُفْصَمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا»(١).

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ نَكَسَ رَأْسَهُ، وَنَكَسَ أَصْحَابُهُ رُءُوسَهُمْ، فَلَمَّا أُتْلِيَ عَنْهُ رَفَعَ رَأْسَهُ»(٢).

عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمْلَى عَلَيْهِ: (لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ) قَالَ: فَجَاءَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَهُوَ يُمِلُّهَا عَلَيَّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَسْتَطِيعُ الْجِهَادَ لَجَاهَدْتُ. وَكَانَ رَجُلًا أَعْمَى، فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ ﷺ وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي، فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حَتَّى خِفْتُ أَنْ تَرُضَّ فَخِذِي، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾(٣).

الثَّالِثَةُ: أَنْ يَأْتِيَهُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ فَيُكَلِّمَهُ: وَهِيَ أَيْسَرُ الْأَنْوَاعِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ.

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ،**

---

(١) متفق عليه: البخاري (٢)، ومسلم (٢٣٣٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٣٣٥).

(٣) متفق عليه: البخاري (٢٨٣٢)، ومسلم (١٨٩٨).

وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا، فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ».

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيُفْصَمُ عَنْهُ، وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا»(١).

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنْ...» الْحَدِيثَ. قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟». قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»(٢).

الضَّابِطُ الثَّانِي: الْإِيمَانُ بِالْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ عَلَى رُسُلِهِ إِجْمَالًا وَتَفْصِيلًا.

* قَوْلُهُ: «الْإِيمَانُ بِالْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ عَلَىٰ رُسُلِهِ إِجْمَالًا وَتَفْصِيلًا».

فَنُؤْمِنُ بِجَمِيعِ الْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - مَا عَلِمْنَاهُ مِنْهَا، كَالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَصُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ، وَمَا لَمْ نَعْلَمْهُ مِنْهَا، وَأَنَّهَا مُنَزَّلَةٌ كُلَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنَّهَا كَلَامُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ حَافِظُ آلُ حَكَمِي رَحِمَهُ اللهُ: «وَمَعْنَىٰ الْإِيمَانِ بِالْكُتُبِ: التَّصْدِيقُ الْجَازِمُ بِأَنَّ كُلَّهَا مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ رُسُلِهِ إِلَىٰ عِبَادِهِ بِالْحَقِّ الْمُبِينِ وَالْهُدَىٰ الْمُسْتَبِينِ، وَأَنَّهَا كَلَامُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا كَلَامُ غَيْرِهِ، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ تَكَلَّمَ بِهَا حَقِيقَةً كَمَا شَاءَ، وَعَلَىٰ

(١) متفق عليه: البخاري (٢)، ومسلم (٢٣٣٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٨).

الْوَجْهِ الَّذِي أَرَادَ، فَمِنْهَا الْمَسْمُوعُ مِنْهُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ بِدُونِ وَاسِطَةٍ، وَمِنْهَا مَا يَسْمَعُهُ الرَّسُولُ الْمَلَكِيُّ، وَيَأْمُرُهُ بِتَبْلِيغِهِ مِنْهُ إِلَىٰ الرَّسُولِ الْبَشَرِيِّ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: ٥١]»[١].

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ٨٤]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ﴾ [النساء: ١٣٦]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ﴾ [الشورى: ١٥]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ﴾ [التغابن: ٨]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [غافر: ٧٠] الْآيَاتِ. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾ [الحديد: ٢٥].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَهَذَا الْيَوْمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ، فَهَدَانَا اللهُ، فَغَدًا لِلْيَهُودِ وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَىٰ...**»[٢].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَلِقَائِهِ**

---

(١) «معارج القبول» (٢/ ١٧٢).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٨٩٨).

وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ...»(١).

فَهَذِهِ الْأَدِلَّةُ تُبَيِّنُ وُجُوبَ الْإِيمَانِ بِالْكُتُبِ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا.

الضَّابِطُ الثَّالِثُ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ جَمِيعَ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ قَدْ دَخَلَهَا التَّحْرِيفُ أَوْ فُقِدَتْ.

* قَوْلُهُ: «الْإِيمَانُ بِأَنَّ جَمِيعَ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ قَدْ دَخَلَهَا التَّحْرِيفُ أَوْ فُقِدَتْ».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ كُلَّ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ الْمُنَزَّلَةِ مِنْ عِنْدِ اللهِ ﷻ قَدْ حَدَثَ لَهَا إِمَّا التَّحْرِيفُ وَإِمَّا الْفُقْدَانُ، فَمِمَّا حُرِّفَ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ؛ أَخْبَرَنَا بِذَلِكَ اللهُ ﷻ، وَمِمَّا فُقِدَ الزَّبُورُ وَصُحُفُ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ، فَقَدْ جَاءَ عَنِ الْيَهُودِ فِي تَحْرِيفِهِمْ لِلتَّوْرَاةِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة: ٧٥]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾ [النساء: ٤٦]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [المائدة: ١٣]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ۛ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ

(١) متفق عليه: البخاري (٤٧٧٧)، ومسلم (٩)، واللفظ له.

لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [المائدة: ٤١].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي شَأْنِ النَّصَارَىٰ فِي تَحْرِيفِهِمْ لِلْإِنْجِيلِ سَوَاءً بِالْإِضَافَةِ أَوْ بِالنَّقْصِ أَوْ بِالتَّغْيِيرِ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران: ٧٨-٨٠].

الضَّابِطُ الرَّابِعُ: الْقُرْآنُ الْكَرِيمِ: هُوَ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى، الْمُنَزَّلُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، بِلَفْظِهِ الْعَرَبِيِّ، الْمُتَعَبَّدُ بِتِلَاوَتِهِ، الْمَنْقُولُ بِالتَّوَاتُرِ، الْمَكْتُوبُ فِي الْمَصَاحِفِ.

* قَوْلُهُ: «الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ». الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ: اسْمٌ لِلْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ الْمُنَزَّلِ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ مُحَمَّدٍ ﷺ الْمُبْتَدَأِ بِالْبَسْمَلَةِ فَسُورَةِ الْفَاتِحَةِ، وَالْمُخْتَتَمِ بِسُورَةِ النَّاسِ.

أَوَّلًا: أَسْمَاءُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

١- الْفُرْقَانُ: وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ نَزَلَ مُتَفَرِّقًا؛ أَنْزَلَهُ اللهُ ﷻ فِي نَيِّفٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً. وَقِيلَ: سُمِّيَ فُرْقَانًا؛ لِأَنَّهُ فَرَّقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَبَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَبَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَبَيْنَ الْمُجْمَلِ وَالْمُبَيَّنِ، وَبَيْنَ الْهُدَىٰ وَالضَّلَالِ، وَبَيْنَ الْغَيِّ

وَالرَّشَادِ، وَبَيْنَ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ، وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: ١].

٢- الْبُرْهَانُ: فَقَدْ سَمَّىٰ اللهُ ﷻ الْقُرْآنَ بُرْهَانًا فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ، وَمَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّ الْقُرْآنَ حُجَّةٌ وَبُرْهَانٌ لِلْأُمَمِ السَّابِقَةِ عَلَىٰ صِدْقِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي دَعْوَتِهِ وَرِسَالَتِهِ؛ فَالْقُرْآنُ بُرْهَانٌ مِنَ اللهِ لِعِبَادِهِ، أَقَامَ بِهِ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ۝١٧٤﴾ [النساء: ١٧٤].

٣- الْحَقُّ: سُمِّيَ الْقُرْآنُ حَقًّا فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ؛ منها: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ۝٦٦﴾ [الأنعام: ٦٦]. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٧﴾ [هود: ١٧].

٤- النَّبَأُ الْعَظِيمُ: فَلَا شَكَّ فِي أَنَّ الْقُرْآنَ نبأٌ عَظِيمٌ فِي أُسْلُوبِهِ، وَعَظِيمٌ فِي رَوْعَتِهِ، وَعَظِيمٌ فِي مَعْنَاهُ، وَعَظِيمٌ فِي جَمَالِ تَرْكِيبِهِ، وَعَظِيمٌ فِي وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢﴾ [النبأ: ١، ٢].

٥- أَحْسَنُ الْحَدِيثِ: فَالْقُرْآنُ أَحْسَنُ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنْ كَلَامِ اللهِ، وَأَلْفَاظُهُ أَوْضَحُ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

* قَوْلُهُ: «هُوَ كَلَامُ اللهِ تَعَالَىٰ».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ كَلَامُ اللهِ ﷻ، لَا يُشْبِهُ كَلَامَ الْبَشَرِ، وَأَنَّ اللهَ ﷻ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً، وَتَكَلَّمَ مَتَىٰ شَاءَ، وَكَيْفَ شَاءَ ﷻ.

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظُ آلُ حَكَمِي رَحِمَهُ اللهُ:

كَلَامُهُ جَلَّ عَنِ الْإِحْصَاءِ ... وَالْحَصْرِ وَالنَّفَادِ وَالْفَنَاءِ

لَـوْ صَـارَ أَقْلَامًـا جَمِيـعُ الـشَّجَرِ وَالْبَحْـرُ تُلْقَـىٰ فِيـهِ سَـبْعَةُ أَبْحُـرِ
وَالْخَلْـــقُ تَكْتُبُـــهُ بِكُـــلِّ آنِ فَنَـــتْ وَلَـــيْسَ الْقَـــوْلُ مِنْـــهُ فَـــانِ

قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: ١٠٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان: ٢٧].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ مُخْبِرًا عَنْ عَظَمَتِهِ وَكِبْرِيَائِهِ وَجَلَالِهِ، وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ وَصِفَاتِهِ الْعُلَىٰ، وَكَلِمَاتِهِ التَّامَّةِ الَّتِي لَا يُحِيطُ بِهَا أَحَدٌ، وَلَا اطِّلَاعَ لِبَشَرٍ عَلَىٰ كُنْهِهَا وَإِحْصَائِهَا، كَمَا قَالَ سَيِّدُ الْبَشَرِ وَخَاتَمُ الرُّسُلِ: «**لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ**»(١)، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ﴾؛ أَيْ: وَلَوْ أَنَّ جَمِيعَ أَشْجَارِ الْأَرْضِ جُعِلَتْ أَقْلَامًا، وَجُعِلَ الْبَحْرُ مِدَادًا، وَأَمَدَّهُ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَعَهُ، فَكُتِبَتْ بِهَا كَلِمَاتُ اللهِ تَعَالَىٰ الدَّالَّةُ عَلَىٰ عَظْمَتِهِ وَصِفَاتِهِ وَجَلَالِهِ - لَتَكَسَّرَتِ الْأَقْلَامُ، وَنَفِدَ مَاءُ الْبَحْرِ، وَلَوْ جَاءَ أَمْثَالُهَا مَدَدًا، وَإِنَّمَا ذُكِرَتِ السَّبْعَةُ عَلَىٰ وَجْهِ الْمُبَالَغَةِ، وَلَمْ يُرِدِ الْحَصْرَ، وَلَا أَنَّ ثَمَّ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ مَوْجُودَةً مُحِيطَةً بِالْعَالَمِ كَمَا يَقُولُهُ مَنْ تَلَقَّاهُ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ الَّتِي لَا تُصَدَّقُ، وَلَا تُكَذَّبُ، بَلْ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ فِي الْآيَاتِ الْأُخْرَىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾، فَلَيْسَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿بِمِثْلِهِۦ﴾ آخَرَ فَقَطْ، بَلْ بِمِثْلِهِ، ثُمَّ بِمِثْلِهِ، ثُمَّ بِمِثْلِهِ، ثُمَّ هَلُمَّ جَرًّا؛ لِأَنَّهُ لَا حَصْرَ لِآيَاتِ اللهِ وَكَلِمَاتِهِ.

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: «لَوْ جُعِلَ شَجَرُ الْأَرْضِ أَقْلَامًا، وَجُعِلَ الْبَحْرُ مِدَادًا،

---

(١) صحيح: مسلم (٤٨٦).

وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: إِنَّ مِنْ أَمْرِي كَذَا وَمِنْ أَمْرِي كَذَا، لِنَفِدَ مَاءُ الْبَحْرِ وَتَكَسَّرَتِ الْأَقْلَامُ». وَقَالَ قَتَادَةُ: «قَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّمَا هَذَا كَلَامٌ يُوشِكُ أَنْ يَنْفَدَ. فَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾؛ أَيْ: لَوْ كَانَ شَجَرُ الْأَرْضِ أَقْلَامًا، وَمَعَ الْبَحْرِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا كَانَتْ لِتَنْفَدَ عَجَائِبُ رَبِّي وَحِكْمَتُهُ وَخَلْقُهُ وَعِلْمُهُ».

وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ مَثَلَ عِلْمِ الْعِبَادِ كُلِّهِمْ فِي عِلْمِ اللهِ كَقَطْرَةٍ مِنْ مَاءِ الْبُحُورِ كُلِّهَا، وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ ذلك: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ الْآيَةَ، يَقُولُ: لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ اللهِ، وَالْأَشْجَارُ كُلُّهَا أَقْلَامًا لَانْكَسَرَتِ الْأَقْلَامُ وَفَنِيَ مَاءُ الْبَحْرِ، وَبَقِيَتْ كَلِمَاتُ اللهِ قَائِمَةً لَا يُفْنِيهَا شَيْءٌ؛ لِأَنَّ أَحَدًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْدِرَهُ قَدْرَهُ، وَلَا يُثْنِي عَلَيْهِ كَمَا يَنْبَغِي، حَتَّىٰ يَكُونَ هُوَ الَّذِي يُثْنِي عَلَىٰ نَفْسِهِ». قَالَ: «وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ جَوَابًا لِلْيَهُودِ». اهـ[1].

وَعَنْ جُوَيْرِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَىٰ وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «**مَا زِلْتِ عَلَىٰ الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟**». قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ**»[2][3].

كَذَلِكَ نُؤْمِنُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ تَعَالَىٰ حَقِيقَةً حُرُوفَهُ وَمَعَانِيَهِ، لَيْسَ كَلَامُهُ الْحُرُوفَ دُونَ الْمَعَانِي، وَلَا الْمَعَانِيَ دُونَ الْحُرُوفِ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]. وَقَالَ تَعَالَىٰ:

---

(١) ابن كثير «تفسيره» (٣/ ٤٦٠-٤٦١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧٢٦).

(٣) «معارج القبول» (١/ ٢٦١-٢٦٢).

﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [الفتح: ١٥]. وَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُقَبِّلُ الْمُصْحَفَ وَيَقُولُ: «كَلَامُ رَبِّي، كَلَامُ رَبِّي»(١). وَقَالَ خَبَّابٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «تَقَرَّبْ إِلَىٰ اللهِ مَا اسْتَطَعْتَ، فَإِنَّكَ لَنْ تَقَرَّبَ إِلَىٰ اللهِ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كَلَامِهِ»(٢). وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ، فَمَنْ رَدَّ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنَّمَا يَرُدُّ عَلَىٰ اللهِ»(٣). وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّ أَحْسَنَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللهِ»(٤). وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا أُحِبُّ أَنْ يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ وَلَا أَنْظُرُ فِي كَلَامِ اللهِ»(٥). يَعْنِي: الْقِرَاءَةَ فِي الْمُصْحَفِ. وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ يُحِبُّ اللهَ فَلْيَعْرِضْ نَفْسَهُ عَلَىٰ الْقُرْآنِ؛ فَإِنْ أَحَبَّ الْقُرْآنَ فَهُوَ يُحِبُّ اللهَ؛ فَإِنَّمَا الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ»(٦).

* قَوْلُهُ: «الْمُنَزَّلُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ».

فَتَخْرُجُ الْكُتُبُ الَّتِي أُنْزِلَتْ عَلَىٰ غَيْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ، كَالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَزَبُورِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَيْسَتْ قُرْآنًا. وَقَوْلُهُ: «الْمُنَزَّلُ»؛ أَيْ: مِنْ عِنْدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ. قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ

---

(١) رواه عبد الله في «السنة» (ح١١٠)، ورجاله ثقات.
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٠/ ٥١٠)، وعبد الله في «السنة» (ح٩٦ و١١١) والآجري في الشريعة (ص٧٧).
(٣) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ح٣٦٠) وعبد الله في «السنة» (ح١١٩).
(٤) أخرجه عبد الله في «السنة» (ح١٢١) والبيهقي عنه في «الأسماء والصفات» (ص٢٤١)، وسنده صحيح.
(٥) أخرجه عبد الله في «السنة» (ح١٢٢).
(٦) أخرجه عبد الله في «السنة» (ح١٢٥).

إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: ١٣٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾ [آل عمران: ٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ﴾ [النساء: ١٠٥]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ [النساء: ٦٠]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [البقرة: ٩٧]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ﴾ [النساء: ١٦٢]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء: ١٦٦]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ﴾ [المائدة: ٤٨]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ [المائدة: ٦٧]. وَقَالَ

تَعَالَىٰ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: ٩٢]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف: ١-٣]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ [إبراهيم: ١]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [النحل: ٦٤]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: ١]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الواقعة: ٧٥-٨٠].

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظُ آلُ حَكَمِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالْآيَاتُ فِي هَذَا الْبَابِ كَثِيرَةٌ جِدًّا، بَلِ الْقُرْآنُ كُلُّهُ فَاتِحَتُهُ إِلَىٰ خَاتِمَتِهِ يَشْهَدُ بِأَنَّهُ كَلَامُ اللهِ، وَتَنْزِيلُهُ وَقَصَصُهُ وَتَعْلِيمُهُ وَأَلْفَاظُهُ وَمَعَانِيهِ وَإِيجَازُهُ وَإِعْجَازُهُ - يُرْشِدُ إِلَىٰ أَنَّهُ كَلَامُ الْخَالِقِ ﷻ وَصِفَتُهُ، وَأَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ الْبَشَرُ الْإِتْيَانَ بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، وَقَدْ أَقَرَّ بِذَلِكَ كُلُّ عَاقِلٍ، حَتَّىٰ الْمُشْرِكُونَ؛ كَمَا قَالَ أَكْفَرُ قُرَيْشٍ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ لَمَّا قَرَأَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْقُرْآنَ، فَرَجَعَ إِلَىٰ قَوْمِهِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: قُلْ فِيهِ قَوْلًا يُبْلِغُ قَوْمَكَ أَنَّكَ مُنْكِرٌ لَهُ. قَالَ: وَمَاذَا أَقُولُ فِيهِ؟! فَوَاللهِ مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ أَعْرَفُ بِالْأَشْعَارِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمُ بِرَجَزِهِ وَلَا بِقَصِيدِهِ مِنِّي، وَلَا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ. وَاللهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا، وَوَاللهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُهُ حَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطُلَاوَةً، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ، مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَلَا يُعْلَىٰ، وَإِنَّهُ لَيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ. قَالَ: لَا يَرْضَىٰ عَنْكَ

قَوْمُكَ حَتَّىٰ تَقُولَ فِيهِ. قَالَ: قِفْ حَتَّىٰ أُفَكِّرَ فِيهِ. فَلَمَّا فَكَّرَ قَالَ: إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ، يَأْثِرُهُ عَنْ غَيْرِهِ فَنَزَلَتْ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾﴾ [المدثر: ١١-١٣](١).

وَنَحْنُ وَجَمِيعُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ نُشْهِدُ اللهَ الَّذِي أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَشَهِدَ بِهِ، وَنُشْهِدُ مَلَائِكَتَهُ الَّذِينَ شَهِدُوا بِذَلِكَ، وَنُشْهِدُ رَسُولَهُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ، وَبَلَّغَهُ إِلَىٰ الْأُمَّةِ، وَنُشْهِدُ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ صَدَّقُوهُ وَآمَنُوا بِهِ أَنَّا مُؤْمِنُونَ مُصَدِّقُونَ شَاهِدُونَ بِأَنَّهُ كَلَامُ اللهِ ﷻ وَتَنْزِيلُهُ، وَأَنَّهُ تَكَلَّمَ بِهِ قَوْلًا، وَأَنْزَلَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَحْيًا، وَلَا نَقُولُ: إِنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلَامِ اللهِ ﷻ أَوْ عِبَارَةٌ. بَلْ هُوَ عَيْنُ كَلَامِ اللهِ حُرُوفُهُ وَمَعَانِيهِ، نَزَلَ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ خَاتَمِ الْمُرْسَلِينَ»(٢).

* قَوْلُهُ: «بِلَفْظِهِ العَرَبِيِّ».

أَيْ: أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِلَفْظٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، وَهُوَ لِسَانُ قُرَيْشٍ الَّذِينَ كَانَتْ عِنْدَهُمْ فَصَاحَةُ اللِّسَانِ وَالْأَشْعَارِ، فَنَزَلَ الْقُرْآنُ بِلُغَتِهِمْ مُتَحَدِّيًا لَهُمْ بِهِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يوسف: ١، ٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠٣]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد: ٣٧]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ [فصلت: ١-٣]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾ [طه: ١١٣]. وَقَالَ

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٠٦)، وقال: «حديث صحيح الإسناد علىٰ شرط البخاري ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي، وهو كما قال.

(٢) «معارج القبول» (١/ ١٦٥-١٦٦).

تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥].

وَكَذَلِكَ خَرَجَتْ تَرْجَمَةُ مَعَانِيهِ إِلَىٰ غَيْرِ لُغَةِ الْعَرَبِ، فَلَا تُسَمَّىٰ (قُرْآنًا)، وَلَا يُتَعَبَّدُ بِتِلَاوَتِهِ.

* قَوْلُهُ: «الْمُتَعَبَّدُ بِتِلَاوَتِهِ». فَخَرَجَتِ الْأَحَادِيثُ الْقُدْسِيَّةُ فَلَا تُسَمَّىٰ (قُرْآنًا)، وَخَرَجَ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ؛ فَهُوَ كَلَامُ مَنْ قَالَهُ. أَمَّا الْقُرْآنُ فَإِنَّهُ يُتَعَبَّدُ بِتِلَاوَتِهِ، وَأَنَّ مَنْ قَرَأَ مِنْهُ حَرْفًا كُتِبَ لَهُ بِهِ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَأَنَّ الْمَاهِرَ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَمِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَىٰ فَضْلِ التَّعَبُّدِ بِالْقُرْآنِ:

١- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ**»(١).

٢- عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْأُتْرُجَّةِ؛ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَالَّذِي لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالتَّمْرَةِ؛ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ؛ طَعْمُهَا مُرٌّ وَلا رِيحَ لَهَا**»(٢).

٣- عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلهِ تَمْلَآنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ**

(١) متفق عليه: البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٨).

(٢) متفق عليه: البخاري (٥٠٢٠)، ومسلم (٧٩٧).

حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا»(١).

٤- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لا أَقُولُ: ﴿الٓمٓ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»(٢).

٥- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا»(٣).

٦- عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»(٤).

٧- عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ؛ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ؛ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ»(٥).

وَغَيْرُهَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الْكَثِيرَةِ فِي فَضْلِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

* قَوْلُهُ: «الْمَنْقُولُ بِالتَّوَاتُرِ». وَخَرَجَ بِتَوَاتُرِ الْقُرْآنِ: الْقِرَاءَاتُ غَيْرُ الْمُتَوَاتِرَةِ، فَلَا تُسَمَّىٰ (قُرْآنًا)، إِنَّمَا تَكُونُ مِنْ قَبِيلِ أَحَادِيثِ الْآحَادِ إِذَا ثَبَتَ إِسْنَادُهَا إِلَىٰ النَّبِيِّ

(١) صحيح: مسلم (٢٢٣).

(٢) صحيح: الترمذي (٢٩١٠)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٢١٣٧).

(٣) صحيح: أبو داود (١٤٦٤) الترمذي (٢٩١٤). وقال الألباني: «حسن صحيح». «الترغيب» (١٤٢٦).

(٤) صحيح: رواه البخاري (٥٠٢٧).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٨٠٤).

ﷺ، أَوْ مِنْ قَبِيلِ تَفْسِيرِ الصَّحَابِيِّ فَيَكُونُ لَهُ حُكْمُ مَذْهَبِ الصَّحَابِيِّ وَرَأْيِهِ، فَالْقِرَاءَةُ الْمَرْوِيَّةُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَغَيْرِهِ فِي كَفَّارَةِ الْيَمِينِ: «فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ» لَمْ يُنْقَلْ أَنَّهُ سَمِعَهَا مَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

* قَوْلُهُ: «الْمَكْتُوبُ فِي الْمَصَاحِفِ». أَيْ: الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا الْآنَ، الْمُفْتَتَحَةُ بِالْحَمْدِ، وَالْمُخْتَتَمَةُ بِالنَّاسِ. فَمَا بَيْنَ دَفَّتَيِ الْمُصْحَفِ هُوَ كَلَامُ رَبِّنَا جَلَّ وَعَلَا، الْمَحْفُوظُ فِي الصُّدُورِ، وَهُوَ كَغَيْرِهِ مِنَ الْكَلَامِ فِي أَقْسَامِهِ، فَمِنْهُ: (حَقِيقَةٌ)، وَهِيَ اللَّفْظُ الْمُسْتَعْمَلُ فِيمَا وُضِعَ لَهُ، وَ(مَجَازٌ) وَهُوَ اللَّفْظُ الْمُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ عَلَىٰ وَجْهٍ يَصِحُّ، كَـ﴿جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾، وَ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾. وَمِنْهُ مَا اسْتُعْمِلَ فِي لُغَةٍ أُخْرَىٰ، وَهُوَ الْمُعَرَّبُ، كَـ﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾، وَهِيَ حَبَشِيَّةٌ. وَالـ«مِشْكَاة» هِنْدِيَّةٌ، وَ﴿إِسْتَبْرَقٍ﴾ فَارِسِيَّةٌ، وَقَالَ الْقَاضِي: «الْكُلُّ عَرَبِيٌّ»(١).

الضَّابِطُ الْخَامِسُ: الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هُوَ آخِرُ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ نُزُولًا، وَهُوَ مُهَيْمِنٌ عَلَيْهَا نَاسِخٌ لَهَا.

* قَوْلُهُ: «الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هُوَ آخِرُ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ نُزُولًا».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ هُوَ آخِرُ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَىٰ الْأَنْبِيَاءِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ نَزَلَ عَلَىٰ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُوَ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ﴾ [المائدة: ٤٨]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ

(١) «تيسير الوصول إلىٰ قواعد الأصول» (ص٦٢).

وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ [آل عمران: ٣، ٤].

فَإِنَّ الْقُرْآنَ نَاسِخٌ لِمَا قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَّبِعَ غَيْرَ الْقُرْآنِ؛ بَلِ الْوَاجِبُ أَنْ يُصَدَّقَ بِكُلِّ خَبَرٍ فِي الْقُرْآنِ، وَأَنْ يُعْمَلَ بِكُلِّ أَمْرٍ وَنَهْيٍ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ، وَذَلِكَ بِامْتِثَالِ الْأَمْرِ وَانْتِهَاءِ النَّهْيِ، وَأَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ جَعَلَهُ اللهُ ﷻ مُهَيْمِنًا عَلَىٰ الْكُتُبِ وَشَاهِدًا عَلَيْهَا، كَمَا وَصَفَهُ بِذَلِكَ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ النَّاسَ وَاجِبٌ عَلَيْهِمْ أَلَّا يَلْتَفِتُوا عَنْ هَذَا الْقُرْآنِ إِلَىٰ غَيْرِهِ مَتَىٰ مَا سَمِعُوا هَذَا الْقُرْآنَ.

* قَوْلُهُ: «وَهُوَ مُهَيْمِنٌ عَلَيْهَا نَاسِخٌ لَهَا».

فَإِنَّ اللهَ ﷻ قَدْ أَرْسَلَ مُحَمَّدًا ﷺ إِلَىٰ النَّاسِ جَمِيعًا، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ لِيَبْقَىٰ فِي الْأَرْضِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ مِنَ السَّابِقِينَ يُرْسَلُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً، فَبُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً. **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. **وَقَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سبأ: ٢٨].

كَذَلِكَ لَمْ يَعُدْ يَقْبَلُ عَمَلًا مِمَّنْ تَمَسَّكَ بِغَيْرِ الْقُرْآنِ كَائِنًا مَنْ كَانَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالْقُرْآنِ وَبِالنَّبِيِّ ﷺ. **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٥]. **وَقَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ

مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [المائدة: ٤٨، ٤٩]. لِذَلِكَ كَانَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ نَاسِخًا لَهَا وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهَا.

ثَمَرَاتُ الْإِيمَانِ بِالْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ:

١- أَخْذُ كِتَابِ اللهِ بِقُوَّةٍ، وَالتَّمَسُّكُ بِهِ، وَتَعْظِيمُ أَوَامِرِهِ، وَالْعَمَلُ بِهَا، وَعَدَمُ ضَرْبِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ، وَالْإِيمَانُ بِمُتَشَابِهِهِ، وَرَدُّهُ إِلَىٰ مُحْكَمِهِ، عَلَىٰ طَرِيقَةِ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران: ٧].

٢- وَأَنَّهُ مَنْهَجُ حَيَاةٍ مُتَكَامِلٍ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ، وَلَا سَعَادَةَ لِلْبَشَرِيَّةِ إِلَّا بِهِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الإسراء: ٩، ١٠]. وَيَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ فِي عَالَمِ الْعِبَادَةِ بِالْمُوَازَنَةِ بَيْنَ التَّكَالِيفِ وَالطَّاقَةِ، فَلَا تَشُقُّ التَّكَالِيفُ عَلَىٰ النَّفْسِ حَتَّىٰ تَمَلَّ وَتَيْأَسَ مِنَ الْوَفَاءِ، وَلَا تَسْهُلُ وَتَتَرَخَّصُ حَتَّىٰ تَشِيعَ فِي النَّفْسِ الرَّخَاوَةُ وَالِاسْتِهْتَارُ، وَلَا تَتَجَاوَزُ الْقَصْدَ وَالِاعْتِدَالَ وَحُدُودَ الِاحْتِمَالِ.

٣- أَنْزَلَ اللهُ ﷻ كُتُبَهُ هِدَايَةً لِلْعِبَادِ، وَجَعَلَ لَهَا الْمَنْزِلَةَ السَّامِيَةَ، وَالْمَكَانَةَ الرَّفِيعَةَ، وَجَعَلَ الْإِيمَانَ بِهَا رُكْنًا مِنْ أَرْكَانِ دِينِهِ، لَا يَصِحُّ إِيمَانُ الْعَبْدِ إِلَّا بِالْإِيمَانِ بِهَا. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ

ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وَقَدْ رَتَّبَ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ الْإِيمَانِ بِكُتُبِهِ ثَمَرَاتٍ عَظِيمَةً، لَعَلَّ مِنْ أَهَمِّهَا السَّعَادَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْفَوْزَ فِي الْآخِرَةِ؛ ذَلِكَ أَنَّ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِتِلْكَ الْكُتُبِ فَقَدْ خَالَفَ أَمْرَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦]. فَقَدْ قَرَنَ سُبْحَانَهُ الْإِيمَانَ بِكُتُبِهِ بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَجَعَلَ عَاقِبَةَ الْكُفْرَانِ بِهَا كَعَاقِبَةِ الْكُفْرَانِ بِهِ سَوَاءً بِسَوَاءٍ.

٤- اسْتِشْعَارُ الْمُسْلِمِ لِنِعَمِ اللهِ عَلَيْهِ وَآلَائِهِ الَّتِي لَا تُعَدُّ، وَلَا تُحْصَىٰ؛ فَقَدْ جَعَلَ لَهُ كُتُبًا تَهْدِيهِ سُبُلَ الرَّشَادِ، فَلَمْ يَتْرُكْهُ سُبْحَانَهُ هَمَلًا تَتَخَطَّفُهُ الْأَهْوَاءُ وَالشَّهَوَاتُ، وَتَتَقَاذَفُهُ الْمُيُولُ وَالرَّغَبَاتُ، بَلْ هَيَّأَ لَهُ مِنَ الْأَسْبَابِ مَا يُصْلِحُ أَمْرَهُ وَيُسَدِّدُ وِجْهَتَهُ(١).

٥- ظُهُورُ حِكْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ حَيْثُ شَرَعَ فِي هَذِهِ الْكُتُبِ لِكُلِّ أُمَّةٍ مَا يُنَاسِبُهَا، وَكَانَ خَاتَمُ هَذِهِ الْكُتُبِ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ مُنَاسِبًا لِجَمِيعِ الْأُمَمِ.

٦- إِثْبَاتُ صِفَةِ الْكَلَامِ لِلهِ تَعَالَىٰ، وَأَنَّ كَلَامَهُ لَا يُشْبِهُ كَلَامَ الْمَخْلُوقِينَ، وَعَجْزِ الْمَخْلُوقِينَ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِ كَلَامِهِ.

٧- الْفَرَحُ بِذَلِكَ الْخَيْرِ الْعَظِيمِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٨].

تَمَّ بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَىٰ بَابُ الْكُتُبِ

---

(١) «أركان الإيمان» (ص٩٠).

الْبَابُ الرَّابِعُ: الْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ

وَفِيهِ تِسْعَةُ ضَوَابِطَ:

الضَّابِطُ الْأَوَّلُ: الْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ اللهُ مَنْ نَعْلَمُهُ مِنْهُمْ تَفْصِيلًا، وَمَنْ لَا نَعْلَمُهُ إِجْمَالًا.

الضَّابِطُ الثَّانِي: الْإِيمَانُ بِأَنَّ جَمِيعَ الرُّسُلِ بُعِثُوا بِتَوْحِيدِ اللهِ وَإِنِ اخْتَلَفَتْ شَرَائِعُهُمْ.

الضَّابِطُ الثَّالِثُ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ الرُّسُلَ بَشَرٌ مَخْلُوقُونَ أَكْرَمَهُمُ اللهُ بِالرِّسَالَةِ، وَأَنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ خَصَائِصِ الرُّبُوبِيَّةِ أَوِ الْأُلُوهِيَّةِ شَيْءٌ.

الضَّابِطُ الرَّابِعُ: الْإِيمَانُ بِتَفَاضُلِ الرُّسُلِ، وَأَنَّ أَفْضَلَهُمْ أُولُو الْعَزْمِ، وَسَيِّدُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ.

الضَّابِطُ الْخَامِسُ: مُعْجِزَاتُ الْأَنْبِيَاءِ أَشْهَرُهَا ثَمَانِيَةٌ:

١- السَّفِينَةُ: لِنُوحٍ عليه السلام. ٢- النَّاقَةُ: لِصَالِحٍ عليه السلام.

٣- إِلَانَةُ الْحَدِيدِ وَتَسْبِيحُ الْجِبَالِ وَالطَّيْرِ: مَعَ دَاوُدَ عليه السلام.

٤- تَسْخِيرُ الرِّيحِ وَالطَّيْرِ وَالْجِنِّ: لِسُلَيْمَانَ عليه السلام.

٥- عَدَمُ الِاحْتِرَاقِ بِالنَّارِ: لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٦- الْعَصَا وَالْيَدُ: لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٧- إِبْرَاءُ الْأَكْمَهِ وَالْأَبْرَصِ وَإِحْيَاءُ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ: لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٨- الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَالْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ وَانْشِقَاقُ الْقَمَرِ وَغَيْرُهَا: لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الضَّابِطُ السَّادِسُ: أَشْهَرُ خَصَائِصِ الْأَنْبِيَاءِ تِسْعَةٌ:

١- الْوَحْيُ.

٢- الْعِصْمَةُ فِي التَّحَمُّلِ وَالتَّبْلِيغِ، وَمِنَ الْكَبَائِرِ.

٣- تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ، وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ.

٤- يُخَيَّرُونَ عِنْدَ الْمَوْتِ.

٥- لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ.

٦- لَا يُقْبَرُونَ إِلَّا حَيْثُ يَمُوتُونَ.

٧- لَا تَأْكُلُ الْأَرْضُ أَجْسَادَهُمْ.

٨- هُمْ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ.

٩- لَا يُورَّثُونَ، وَمَا تَرَكُوهُ صَدَقَةٌ.

الضَّابِطُ السَّابِعُ: لَنْ يَكْمُلَ إِيمَانُ الْمُسْلِمِ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَّا إِذَا حَقَّقَ خَمْسَةَ أُمُورٍ:

١- تَصْدِيقَهُ فِيمَا أَخْبَرَ ﷺ.

٢- الِائْتِمَارَ بِمَا بِهِ أَمَرَ ﷺ.

٣- الِانْتِهَاءَ عَمَّا عَنْهُ نَهَى وَزَجَرَ ﷺ.

٤- التَّشَبُّهَ بِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ﷺ.

٥- الصَّلَاةَ عَلَيْهِ عِنْدَ ذِكْرِهِ ﷺ.

الضَّابِطُ الثَّامِنُ: كَرَامَاتُ الْأَوْلِيَاءِ ثَابِتَةٌ بِشَرْطَيْنِ:

١- أَلَّا يَدَّعِيَ النُّبُوَّةَ.

٢- أَنْ يَكُونَ ظَاهِرُهُ الصَّلَاحَ وَالتَّقْوَى.

الضَّابِطُ التَّاسِعُ: حُقُوقُ الصَّحَابَةِ ثَلَاثَةٌ:

١- اعْتِقَادُ فَضْلِهِمْ. ٢- مَحَبَّتُهُمْ وَمُوَالَاتُهُمْ.

٣- الْكَفُّ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَأَنَّهُمْ مُجْتَهِدُونَ يَدُورُونَ بَيْنَ الْأَجْرِ وَالْأَجْرَيْنِ.

الْبَابُ الرَّابِعُ: الْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ(١)

الضَّابِطُ الْأَوَّلُ: الْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ اللهُ، مَنْ نَعْلَمُهُ مِنْهُمْ تَفْصِيلًا، وَمَنْ لَا نَعْلَمُهُ إِجْمَالًا.

الرَّسُولُ فِي اللُّغَةِ: هُوَ الَّذِي أَمَرَهُ الْمُرْسِلُ بِأَدَاءِ الرِّسَالَةِ بِالتَّسْلِيمِ أَوِ الْقَبْضِ، وَالَّذِي يُتَابِعُ أَخْبَارَ الَّذِي بَعَثَهُ، أَخْذًا مِنْ قَوْلِهِمْ: جَاءَتِ الْإِبِلُ رَسَلًا؛ أَيْ: مُتَتَابِعَةً قَطِيعًا بَعْدَ قَطِيعٍ. وَسُمِّيَ الرَّسُولُ رَسُولًا؛ لِأَنَّهُ ذُو رِسَالَةٍ. وَهُوَ اسْمُ مَصْدَرٍ مِنْ أَرْسَلْتُ، وَأَرْسَلْتُ فُلَانًا فِي رِسَالَةٍ فَهُوَ مُرْسَلٌ وَرَسُولٌ.

وَيَجُوزُ اسْتِعْمَالُهُ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ لِلْمُذَكَّرِ وَالْمُؤَنَّثِ وَالْمُثَنَّىٰ وَالْجَمْعِ، كَمَا يَجُوزُ التَّثْنِيَةُ وَالْجَمْعُ، فَيُجْمَعُ عَلَىٰ رُسُلٍ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة١٢٨].

وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الشعراء١٦].

وَالرَّسُولُ فِي الِاصْطِلَاحِ: لَهُ مَعْنَيَانِ:

أَحَدُهُمَا: الشَّخْصُ الْمُرْسَلُ مِنْ إِنْسَانٍ إِلَىٰ آخَرَ بِمَالٍ أَوْ رِسَالَةٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ.

وَالثَّانِي: الْوَاحِدُ مِنْ رُسُلِ اللهِ، وَيُرَادُ بِرُسُلِ اللهِ تَارَةً الْمَلَائِكَةُ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ﴾ [هود: ٨١]. وَقَوْلِهِ: ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٨٠]. وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ﴾ [هود: ٧٧].

---

(١) «لسان العرب»، و«المصباح المنير»، و«التعريفات للجرجاني»، و«غريب القرآن» للأصفهاني (مادة: رسل)، «الموسوعة الفقهية» بتصرف.

وَتَارَةً يُرَادُ بِهِمُ الأَنْبِيَاءُ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. وَالرَّسُولُ مِنَ الْبَشَرِ هُوَ ذَكَرٌ حُرٌّ أَوْحَىٰ اللهُ إِلَيْهِ بِشَرْعٍ وَأَمَرَهُ بِتَبْلِيغِهِ، فَإِنْ لَمْ يُؤْمَرْ بِتَبْلِيغِهِ فَنَبِيٌّ فَحَسْبُ.

النَّبِيُّ لُغَةً: فَعِيلٌ مِنَ الإِنْبَاءِ، وَهُوَ الإِخْبَارُ، وَالنَّبِيءُ فَعِيلٌ مَهْمُوزٌ؛ لأَنَّهُ أَنْبَأَ عَنِ اللهِ؛ أَيْ: أَخْبَرَ، وَالإِبْدَالُ وَالإِدْغَامُ لُغَةٌ فَاشِيَةٌ، وَقُرِئَ بِهِمَا فِي السَّبْعَةِ(١).

وَالنَّبِيُّ فِي الاصْطِلَاحِ: قَالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ الْبَغْدَادِيُّ: «النَّبِيُّ كُلُّ مَنْ نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ لِسَانِ مَلَكٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ، وَكَانَ مُؤَيَّدًا بِنَوْعٍ مِنَ الْكَرَامَاتِ النَّاقِضَةِ لِلْعَادَاتِ»(٢).

وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ أَوْحَىٰ اللهُ إِلَيْهِ شَيْئًا يَكُونُ نَبِيًّا؛ لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧].

* قَوْلُهُ: «الْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ اللهُ».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ الْإِيمَانَ بِالرُّسُلِ أَحَدُ أُصُولِ الْإِيمَانِ؛ لأَنَّهُمُ الْوَاسِطَةُ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ فِي تَبْلِيغِ رِسَالَاتِهِ وَإِقَامَتِهِ حُجَّتَهُ عَلَىٰ خَلْقِهِ. **وَالْإِيمَانُ بِهِمْ يَعْنِي**: التَّصْدِيقَ بِرِسَالَتِهِمْ، وَالْإِقْرَارَ بِنُبُوَّتِهِمْ، وَأَنَّهُمْ صَادِقُونَ فِيمَا أَخْبَرُوا بِهِ عَنِ اللهِ ﷻ، وَقَدْ بَلَّغُوا الرِّسَالَاتِ، وَبَيَّنُوا لِلنَّاسِ مَا لَا يَسَعُ أَحَدًا جَهْلُهُ.

قَالَ الْفَوْزَانُ - حَفِظَهُ اللهُ -: «وَبَعْثُ الرُّسُلِ نِعْمَةٌ مِنَ اللهِ عَلَىٰ الْبَشَرِيَّةِ؛ لأَنَّ

---

(١) «لسان العرب»، و«المصباح المنير»، و«فتح الباري» (٦/ ٣٦١)، و«النبوات» لابن تيمية (ص٢٧١)، دار الكتاب العربي، بيروت ط ٢، ١٤١١ هـ.

(٢) تفسير القرطبي (١٢/ ٨٠)، وأعلام النبوة للماوردي (ص٣٨، ١٣٩١ هـ، والنبوات لابن تيمية (ص٣٠١)، وكشاف القناع ١/ ٦)، ونيل المآرب بشرح دليل الطالب (١/ ٣٥).

حَاجَةَ الْبَشَرِيَّةِ إِلَيْهِمْ ضَرُورِيَّةٌ؛ فَلَا تَنْتَظِمُ لَهُمْ حَالٌ، وَلَا يَسْتَقِيمُ لَهُمْ دِينٌ إِلَّا بِهِمْ؛ فَهُمْ يَحْتَاجُونَ إِلَىٰ الرُّسُلِ أَشَدَّ مِنْ حَاجَتِهِمْ إِلَىٰ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ؛ لِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الرُّسُلَ وَسَائِطَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ فِي تَعْرِيفِهِمْ بِاللهِ، وَبِمَا يَنْفَعُهُمْ وَمَا يَضُرُّهُمْ، وَفِي تَفْصِيلِ الشَّرَائِعِ وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْإِبَاحَةِ، وَبَيَانِ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَمَا يَكْرَهُهُ؛ فَلَا سَبِيلَ إِلَىٰ مَعْرِفَةِ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ جِهَةِ الرُّسُلِ؛ فَإِنَّ الْعَقْلَ لَا يَهْتَدِي إِلَىٰ تَفْصِيلِ هَذِهِ الْأُمُورِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ يُدْرِكُ وَجْهَ الضَّرُورَةِ إِلَيْهَا مِنْ حَيْثُ الْجُمْلَةِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة: ٢١٣]»(١).

الْأَدِلَّةُ عَلَىٰ وُجُوبِ الْإِيمَانِ بِالرُّسُلِ:

١- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

٢- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥].

٣- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ

---

(١) «الإرشاد إلىٰ صحيح الاعتقاد» (ص١٦٤).

يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء: ١٥٠-١٥٢].

٤- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

٥- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ [البقرة: ٩١].

٦- قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: ٨١].

٧- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: ١٣٦].

٨- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ يَمْشِي، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَلِقَائِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الآخِرِ»(١).

٩- عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ - فِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ -: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ

---

(١) صحيح: البخاري (٤٧٧٧).

بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». قَالَ: صَدَقْتَ(١).

* قَوْلُهُ: «مَنْ نَعْلَمُهُ مِنْهُمْ تَفْصِيلًا».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ اللهَ ﷻ قَدْ قَصَّ عَلَيْنَا بَعْضَ قَصَصِ الْأَنْبِيَاءِ، وَذَكَرَ لَنَا بَعْضَ أَسْمَائِهِمْ، وَالَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ ﷻ هُمْ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا وَرَسُولًا، ذَكَرَ مِنْهُمْ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ هُمْ عَلَىٰ تَرْتِيبِ الْآيَةِ:

١- إِبْرَاهِيمُ عليه السلام. ٢- إِسْحَاقُ عليه السلام.
٣- يَعْقُوبُ عليه السلام. ٤- نُوحٌ عليه السلام.
٥- دَاوُدُ عليه السلام. ٦- سُلَيْمَانُ عليه السلام.
٧- أَيُّوبُ عليه السلام. ٨- يُوسُفُ عليه السلام.
٩- مُوسَىٰ عليه السلام. ١٠- هَارُونُ عليه السلام.
١١- زَكَرِيَّا عليه السلام. ١٢- يَحْيَىٰ عليه السلام.
١٣- عِيسَىٰ عليه السلام. ١٤- إِلْيَاسُ عليه السلام.
١٥- إِسْمَاعِيلُ عليه السلام. ١٦- الْيَسَعُ عليه السلام.
١٧- يُونُسُ عليه السلام. ١٨- لُوطٌ عليه السلام.

فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: ٨٣-٨٦].

---

(١) مسلم (٨).

وَأَمَّا السَّبْعَةُ الْبَاقُونَ فَقَدْ ذُكِرُوا فِي آيَاتٍ مُتَفَرِّقَةٍ، وَهُمْ:

١٩- هُودٌ عليه السلام: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ [الأعراف: ٦٥].

٢٠- صَالِحٌ عليه السلام: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [الأعراف: ٧٣].

٢١- شُعَيْبٌ عليه السلام: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٨٥].

٢٢- آدَمُ عليه السلام: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا ﴾ [آل عمران: ٣٣].

٢٣- إِدْرِيسُ عليه السلام. ٢٤- ذُو الْكِفْلِ عليه السلام. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ (٨٥)﴾ [الأنبياء: ٨٥].

٢٥- مُحَمَّدٌ ﷺ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩].

فَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِهَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ إِيمَانًا مُفَصَّلًا، وَالْإِقْرَارُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِالنُّبُوَّةِ أَوِ الرِّسَالَةِ عَلَىٰ مَا أَخْبَرَ اللهُ وَرَسُولُهُ ﷺ عَنْهُمْ.

* قَوْلُهُ: «وَمَنْ لَا نَعْلَمُهُ إِجْمَالًا».

وَكَذَلِكَ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ اللهُ عز وجل، سَوَاءٌ عَلِمْنَا بِهِمْ أَوْ لَمْ نَعْلَمْ، فَلَا نُنْكِرُ رِسَالَةَ أَحَدٍ مِنْهُمْ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ بَعَثَ فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا مِنْهُمْ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَالْكُفْرِ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، وَأَنَّ جَمِيعَهُمْ صَادِقُونَ مُصَدَّقُونَ، بَارُّونَ رَاشِدُونَ، كِرَامٌ بَرَرَةٌ، أَتْقِيَاءُ أُمَنَاءُ، هُدَاةٌ مُهْتَدُونَ، وَأَنَّهُمْ بَلَّغُوا جَمِيعَ مَا أَرْسَلَهُمُ اللهُ بِهِ، لَمْ يَكْتُمُوا، وَلَمْ يُغَيِّرُوا، وَلَمْ يَزِيدُوا فِيهِ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ حَرْفًا وَلَمْ يُنْقِصُوهُ، وَأَنَّنَا لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ كَمَا فَعَلَ أَهْلُ الْكِتَابِ مِنَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ، وَالْأَدِلَّةُ عَلَىٰ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ مِنْهَا:

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ

وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [غافر: ٧٨].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ ﴾ [النساء: ١٥٠-١٥٢].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٦].

الضَّابِطُ الثَّانِي: الإِيمَانُ بِأَنَّ جَمِيعَ الرُّسُلِ بُعِثُوا بِتَوْحِيدِ اللهِ، وَإِنِ اخْتَلَفَتْ شَرَائِعُهُمْ.

* قَوْلُهُ: «الإِيمَانُ بِأَنَّ جَمِيعَ الرُّسُلِ بُعِثُوا بِتَوْحِيدِ اللهِ».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ اللهَ ﷻ قَدْ بَعَثَ الرُّسُلَ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - جَمِيعَهُمْ بِرِسَالَةٍ وَاحِدَةٍ، هِيَ تَوْحِيدُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَدَعْوَةُ النَّاسِ إِلَىٰ ذَلِكَ؛ لأَنَّ هَذِهِ هِيَ وَظِيفَةُ الرُّسُلِ: دَعْوَةُ النَّاسِ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ ﷻ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ ﴾ [النحل: ٣٦]. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا

أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٥].

لِذَا كَانَ كُلُّ رَسُولٍ يَدْعُو قَوْمَهُ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ أَوَّلًا: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف: ٥٩]. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٣]. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأعراف: ٦٥]. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ﴾ [الأعراف: ٨٥].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧]. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ لِسَانِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ [طه: ٩٨]. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ لِسَانِ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

* قَوْلُهُ: «وَإِنِ اخْتَلَفَتْ شَرَائِعُهُمْ».

وَذَلِكَ لِأَنَّ دِينَ الْأَنْبِيَاءِ وَاحِدٌ هُوَ الْإِسْلَامُ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ

ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾ [آل عمران: ١٩].

وَلَكِنْ كَانَ كُلُّ رَسُولٍ يُبْعَثُ بِشَرِيعَةٍ خَاصَّةٍ بِقَوْمِهِ بِمَا يُنَاسِبُهُمْ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [المائدة: ٤٨]. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾: سَبِيلًا وَسُنَّةً». وَمِثْلُهُ قَالَ مُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ وَالسُّدِّيُّ وَأَبُو إِسْحَاقَ السَّبِيعِيُّ. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**أَنَا أَوْلَىٰ النَّاسِ بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّىٰ وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**»(١).

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظُ آلُ حَكَمِي رَحِمَهُ اللَّهُ:

«مَعْنَىٰ الْإِيمَانِ بِالرُّسُلِ: هُوَ التَّصْدِيقُ الْجَازِمُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ بَعَثَ فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَالْكُفْرِ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، وَأَنَّ جَمِيعَهُمْ صَادِقُونَ مُصَدَّقُونَ بَارُّونَ رَاشِدُونَ، كِرَامٌ بَرَرَةٌ، أَتْقِيَاءُ أُمَنَاءُ، هُدَاةٌ مُهْتَدُونَ، وَبِالْبَرَاهِينِ الظَّاهِرَةِ، وَالْآيَاتِ الْبَاهِرَةِ مِنْ رَبِّهِمْ مُؤَيَّدُونَ، وَأَنَّهُمْ بَلَّغُوا جَمِيعَ مَا أَرْسَلَهُمُ اللهُ بِهِ، لَمْ يَكْتُمُوا مِنْهُ حَرْفًا، وَلَمْ يُغَيِّرُوهُ، وَلَمْ يَزِيدُوا فِيهِ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ حَرْفًا وَلَمْ يَنْقُصُوهُ، فَهَلْ عَلَىٰ الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ؟!

وَأَنَّهُمْ كُلَّهُمْ كَانُوا عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ، وَالْهُدَىٰ الْمُسْتَبِينِ، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَاتَّخَذَ مُحَمَّدًا ﷺ خَلِيلًا، وَكَلَّمَ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا، وَرَفَعَ

(١) متفق عليه البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (١٤٣).

إِدْرِيسَ مَكَانًا عَلِيًّا، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ فَضَّلَ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ. وَقَدِ اتَّفَقَتْ دَعْوَتُهُمْ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَىٰ آخِرِهِمْ فِي أَصْلِ الدِّينِ، وَهُوَ تَوْحِيدُ اللهِ ﷻ، بِإِلَهِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَنَفْيُ مَا يُضَادُّ ذَلِكَ أَوْ يُنَافِي كَمَالَهُ كَمَا تَقَدَّمَ ذَلِكَ فِي تَقْرِيرِ تَوْحِيدِ الطَّلَبِ وَالْقَصْدِ.

وَأَمَّا فُرُوعُ الشَّرَائِعِ مِنَ الْفَرَائِضِ وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ فَقَدْ تَخْتَلِفُ؛ فَيَفْرِضُ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ مَا لَا يَفْرِضُ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ، وَيُخَفِّفُ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ مَا شَدَّدَ عَلَىٰ أُولَئِكَ، وَيُحَرِّمُ عَلَىٰ أُمَّةٍ مَا يُحِلُّ لِلْأُخْرَىٰ، وَبِالْعَكْسِ؛ لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ، وَغَايَةٍ مَحْمُودَةٍ قَضَاهَا رَبُّنَا ﷻ؛ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ، ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[1]».

الضَّابِطُ الثَّالِثُ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ الرُّسُلَ بَشَرٌ مَخْلُوقُونَ أَكْرَمَهُمُ اللهُ بِالرِّسَالَةِ، وَأَنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ خَصَائِصِ الرُّبُوبِيَّةِ أَوِ الْأُلُوهِيَّةِ شَيْءٌ.

* قَوْلُهُ: «الْإِيمَانُ بِأَنَّ الرُّسُلَ بَشَرٌ مَخْلُوقُونَ أَكْرَمَهُمُ اللهُ بِالرِّسَالَةِ».

قَالَ الْعُثَيْمِينُ ﵀: «وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ جَمِيعَ الرُّسُلِ بَشَرٌ مَخْلُوقُونَ، لَيْسَ لَهُمْ مِنْ خَصَائِصِ الرُّبُوبِيَّةِ شَيْءٌ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْ نُوحٍ - وَهُوَ أَوَّلُهُمْ -: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠]. **وَأَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ مُحَمَّدًا** ﷺ **- وَهُوَ آخِرُهُمْ - أَنْ يَقُولَ:** ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى

---

(١) «معارج القبول» (ج٢/ ٦٧٥).

مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ٣١]. وَأَنْ يَقُولَ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٨]. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [إبراهيم: ١١]».

* قَوْلُهُ: «وَأَنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ خَصَائِصِ الرُّبُوبِيَّةِ أَوِ الْأُلُوهِيَّةِ شَيْءٌ».

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: «وَنُؤْمِنُ بِأَنَّهُمْ عَبِيدٌ مِنْ عِبَادِ اللهِ، أَكْرَمَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ بِالرِّسَالَةِ، وَوَصَفَهُمْ بِالْعُبُودِيَّةِ فِي أَعْلَىٰ مَقَامَاتِهِمْ، وَفِي سِيَاقِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ فِي أَوَّلِهِمْ نُوحٍ: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء: ٣]. وَقَالَ فِي آخِرِهِمْ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١]. وَقَالَ فِي رُسُلٍ آخَرِينَ: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [ص: ٤٥]. ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧]. ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠]. وَقَالَ فِي عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزخرف: ٥٩][1]. وَقَالَ عَنْهُ أَيْضًا: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [المائدة: ١١٦]».

---

(١) «عقيدة أهل السنة والجماعة» (ص٢٠).

الضَّابِطُ الرَّابِعُ: الْإِيمَانُ بِتَفَاضُلِ الرُّسُلِ، وَأَنَّ أَفْضَلَهُمْ أُولُو الْعَزْمِ، وَسَيِّدَهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ.

* قَوْلُهُ: «الْإِيمَانُ بِتَفَاضُلِ الرُّسُلِ».

أَجْمَعَ عُلَمَاءُ السَّلَفِ عَلَىٰ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ مُتَفَاضِلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، كَمَا أَخْبَرَ رَبُّ الْعِزَّةِ ﷻ. فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة: ٢٥٣]. وَقَالَ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [الإسراء: ٥٥].

يَقُولُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَفْضَلُ أَوْلِيَاءِ اللهِ هُمْ أَنْبِيَاؤُهُ، وَأَفْضَلُ أَنْبِيَائِهِ هُمُ الْمُرْسَلُونَ مِنْهُمْ، وَأَفْضَلُ الْمُرْسَلِينَ أُولُو الْعَزْمِ»(١).

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا خِلَافَ أَنَّ الرُّسُلَ أَفْضَلُ مِنْ بَقِيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنَّ أُولِي الْعَزْمِ مِنْهُمْ أَفْضَلُهُمْ»(٢).

* قَوْلُهُ: «وَأَنَّ أَفْضَلَهُمْ أُولُو الْعَزْمِ».

أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ذَكَرَهُمُ اللهُ ﷻ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

---

(١) «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» (ص٧).

(٢) «التفسير» (٣/ ٤٧).

اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْمُرَادِ بِأُولِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا. **وَأَشْهُرُ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ خَمْسَةٌ**، وَهُمْ: نُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَىٰ، وَعِيسَىٰ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ، وَعَلَىٰ هَذَا الْقَوْلِ فَالرُّسُلُ الَّذِينَ أُمِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَصْبِرَ كَمَا صَبَرُوا أَرْبَعَةٌ، فَصَارَ هُوَ ﷺ خَامِسَهُمْ. وَقَالَ أَيْضًا: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ۝٧﴾ [الأحزاب: ٧]. ذَكَرَ جَلَّ وَعَلَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّهُ أَخَذَ مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ، ثُمَّ خَصَّ مِنْهُمْ بِذَلِكَ خَمْسَةً هُمْ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، وَهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَنُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَىٰ، وَعِيسَىٰ(١).

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظُ آلُ حَكَمِي رَحِمَهُ اللهُ:

«(وَخَمْسَةٌ مِنْهُمْ)؛ أَيْ: مِنَ الرُّسُلِ، (أُولُو)؛ أَيْ: أَصْحَابُ (الْعَزْمِ)؛ يَعْنِي: الْجَزْمَ وَالْجِدَّ وَالصَّبْرَ وَكَمَالَ الْعَقْلِ، وَلَمْ يُرْسِلِ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا وَهَذِهِ الصِّفَاتُ فِيهِ مُجْتَمِعَةٌ، غَيْرَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْخَمْسَةَ أَصْحَابَ الشَّرَائِعِ الْمَشْهُورَةِ كَانَتْ هَذِهِ الصِّفَاتُ فِيهِمْ أَكْمَلَ وَأَعْظَمَ مِنْ غَيْرِهِمْ؛ لِذَا خُصُّوا بِالذِّكْرِ (فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ)؛ يَعْنِي: قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ۝٧﴾ [الأحزاب: ٧].

فَذَكَرَ تَعَالَىٰ أَخْذَهُ الْمِيثَاقَ عَلَىٰ جَمِيعِ النَّبِيِّينَ جُمْلَةً، وَنَصَّ مِنْهُمْ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْخَمْسَةِ: مُحَمَّدٍ ﷺ - وَهُوَ خَاتَمُهُمْ -، وَنُوحٍ - وَهُوَ فَاتِحُهُمْ -، وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ - وَهُمْ بَيْنَهُمَا -، (وَ) كَذَا ذَكَرَهُمْ عَلَىٰ وَجْهِ التَّخْصِيصِ فِي سُورَةِ (الشُّورَىٰ)؛ إِذْ يَقُولُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِيٓ

(١) «المجموعة البهية للعقيدة السلفية التي ذكرها العلامة الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان» (ج٢/ ٤٤١).

أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٣]. وَهَؤُلَاءِ الْخَمْسَةُ هُمُ الَّذِينَ يَتَرَاجَعُونَ الشَّفَاعَةَ بَعْدَ أَبِيهِمْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَقُولُ: «**أَنَا لَهَا**»(١).

* قَوْلُهُ: «وَسَيِّدُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ:

أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا ﷺ هُوَ أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ؛ لِوُرُودِ أَدِلَّةٍ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا:

١- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَىٰ النَّاسِ عَامَّةً**»(٢).

٢- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**فُضِّلْتُ عَلَىٰ الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَىٰ الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ**»(٣).

٣- حَدِيثُ الشَّفَاعَةِ بَعْدَ أَنْ يَتْرُكَهَا الْأَنْبِيَاءُ، فَيَأْتِي النَّاسُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَيَقُولَ: «**أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا...**» الْحَدِيث(٤).

٤- **أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ الْبَشَرِ**: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ

---

(١) «معارج القبول» (ج٢/ ٦٧٥).

(٢) صحيح: البخاري (٣٣٥).

(٣) صحيح: مسلم (٥٢٣).

(٤) متفق عليه: البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (٣٢٦).

رَسُولُ اللهِ ﷺ: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»(١).

٥- أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا»(٢).

وَعنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ»(٣).

وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ، لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ، وَإِنَّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيًّا مَا يُصَدِّقُهُ مِنْ أُمَّتِهِ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ»(٤).

٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»(٥). فَمُحَمَّدٌ ﷺ هُوَ أَفْضَلُ أُولِي الْعَزْمِ بِلَا خِلَافٍ.

يَقُولُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «لَا خِلَافَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ أَفْضَلُهُمْ، ثُمَّ بَعْدَهُ إِبْرَاهِيمُ، ثُمَّ مُوسَىٰ، ثُمَّ عِيسَىٰ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَلَىٰ الْمَشْهُورِ»(٦).

قَالَ فِي «الْمَوْسُوعَةِ الْعَقَدِيَّةِ»: «وَقَوْلُهُ: «عَلَىٰ الْمَشْهُورِ» كَأَنَّهُ إِشَارَةٌ إِلَىٰ وُجُودِ خِلَافٍ فِي تَرْتِيبِهِمْ فِي الْفَضْلِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَقَدْ قَطَعَ بِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ بَعْدَهُ فِي الْفَضْلِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، فَقَالَ فِي إِبْرَاهِيمَ: «هُوَ أَشْرَفُ أُولِي الْعَزْمِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ﷺ»(٧).

---

(١) صحيح: مسلم (١٩٦).

(٢) صحيح: مسلم (١٩٦).

(٣) صحيح: مسلم (١٩٦).

(٤) صحيح: مسلم (١٩٦).

(٥) صحيح: مسلم (٢٢٧٩).

(٦) «تفسير ابن كثير» (٥/ ٨٨).

(٧) «البداية والنهاية» (١/ ١٧٠).

وَقَدْ نَصَّ السَّفَارِينِيُّ عَلَىٰ اخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ فِي مَنْ يَلِي النَّبِيَّ ﷺ فِي الْفَضِيلَةِ مِنْهُمْ، وَذَكَرَ أَنَّ الْمَشْهُورَ أَنَّهُ إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: «وَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي مَنْ يَلِي النَّبِيَّ ﷺ فِي الْفَضِيلَةِ مِنْهُمْ، وَالْمَشْهُورُ - وَاخْتَارَهُ ابْنُ حَجَرٍ فِي شَرْحِ الْبُخَارِيِّ - أَنَّهُ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ؛ لِمَا وَرَدَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ، خَصَّ مِنْهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِإِجْمَاعٍ، فَيَكُونُ أَفْضَلَ مِنْ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَنُوحٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَالثَّلَاثَةُ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ أَفْضَلُ مِنْ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ».

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: «وَلَمْ أَقِفْ عَلَىٰ نَقْلِ أَيِّهِمْ أَفْضَلُ، وَالَّذِي يَنْقَدِحُ فِي النَّفْسِ تَفْضِيلُ مُوسَىٰ فَعِيسَىٰ فَنُوحٌ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ»(١).

وَذَكَرَ السُّيُوطِيُّ أَنَّ الْإِجْمَاعَ مَنْقُولٌ عَلَىٰ تَقْدِيمِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَبَعْدَ أَنْ ذَكَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَفْضَلُ خَلْقِ اللهِ عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ قَالَ: «فَخَلِيلُهُ إِبْرَاهِيمُ يَلِيهِ فِي التَّفْضِيلِ، فَهُوَ أَفْضَلُ الْخَلْقِ بَعْدَهُ، نَقَلَ بَعْضُهُمُ الْإِجْمَاعَ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَفِي الصَّحِيحِ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ إِبْرَاهِيمُ خَصَّ مِنْهُ النَّبِيَّ ﷺ فَبَقِيَ عَلَىٰ عُمُومِهِ».

قَالَ السُّيُوطِيُّ: «فَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَنُوحٌ الثَّلَاثَةُ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ أَفْضَلُ مِنْ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَمْ أَقِفْ عَلَىٰ نَقْلِ أَيِّهِمْ أَفْضَلُ»(٢)(٣).

فَائِدَةٌ (١): بَعْضُ خَصَائِصِ أُولِي الْعَزْمِ:

أَوَّلًا: إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَمِنْ فَضَائِلِهِ وَخَصَائِصِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

١- أَنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، لَمْ يُشَارِكْهُ فِي الْخُلَّةِ إِلَّا مُحَمَّدٌ ﷺ؛ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ

---

(١) «اللوامع» (٢/ ٣٠٠).

(٢) «إتمام الدراية» (١٧) بهامش «مفتاح العلوم».

(٣) «الموسوعة العقدية - الدرر السنية».

﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء: ١٢٥].

٢- قَدْ جَعَلَهُ اللهُ ﷻ إِمَامًا لِلنَّاسِ يَقْتَدُونَ بِهِ وَيَهْتَدُونَ بِهَدْيِهِ؛ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة: ١٢٤].

٣- قَدْ أَجْرَىٰ اللهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ بِنَاءَ بَيْتِهِ الَّذِي جَعَلَهُ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَمَثَابَةً وَأَمْنًا، وَعَهِدَ اللهُ إِلَيْهِ - وَلِابْنِهِ تَبَعًا لَهُ - تَطْهِيرَ الْبَيْتِ لِلطَّائِفِينَ، وَالْعَاكِفِينَ، وَالرُّكَّعِ، وَالسُّجُودِ.

٤- وَأَمَرَ سُبْحَانَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِاتِّخَاذِ مَقَامِهِ مُصَلًّى؛ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة: ١٢٥].

٥- قَدْ حَصَرَ اللهُ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِ فِي ذُرِّيَّتِهِ ﷺ؛ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [العنكبوت: ٢٧]. فَلَمْ يَأْتِ نَبِيٌّ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ.

٦- وَهُوَ ﷺ أَوَّلُ مَنْ يُكْسَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، **وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ**»(١).

٧- وَقَدْ جَمَعَ اللهُ لَهُ مَنْزِلَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ: قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٦٠).

إِبْرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ [مريم: ٤١] فَجَمَعَ لَهُ بَيْنَ الصِّدِّيقِيَّةِ وَالنُّبُوَّةِ.

ثَانِيًا: نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

فَقَدْ جَاهَدَ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَهُوَ أَوَّلُ رَسُولٍ بُعِثَ فِي النَّاسِ بَعْدَ اخْتِلَافِهِمْ عَلَىٰ دِينِهِمْ، وَاجْتِيَالِ الشَّيْطَانِ لَهُمْ، وَقَدْ لَبِثَ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا بَاذِلًا وُسْعَهُ فِي الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ لَيْلًا وَنَهَارًا، سِرًّا وَجِهَارًا، صَابِرًا عَلَىٰ أَذَىٰ قَوْمِهِ، لَا تُثْنِيهِ عَنِ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ رَبِّهِ سَفَاهَاتُهُمْ وَتَعَدِّيَاتُهُمْ.

قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [العنكبوت: ١٤].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ فِي نُوحٍ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ [نوح: ٥-١٠].

ثَالِثًا: مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

فَهُوَ كَلِيمُ اللهِ، اشْتُهِرَ مِنْ بَيْنِ الْأَنْبِيَاءِ. قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وَمِنْ فَضَائِلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَدْ آتَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ،

ظَهَرَتْ بِهِنَّ حُجَّتُهُ، وَقَامَتْ بَيِّنَتُهُ، أَيَّدَهُ اللهُ بِهِنَّ؛ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ ﴾ [الإسراء: ١٠١]. وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [النمل: ١٢].

رَابِعًا: عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

١- فَاخْتَصَّ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْخَلْقِ بِأَنَّهُ وُلِدَ لِأُمٍّ مِنْ غَيْرِ أَبٍ، وَإِنَّمَا نَفَخَ جِبْرِيلُ فِي دِرْعِ جَيْبِ مَرْيَمَ، فَحَمَلَتْ بِعِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٢- وَتَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ، وَآتَاهُ اللهُ مِنَ الْبَيِّنَاتِ مَا فَضَّلَهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

٣- وَقَدْ حَكَىٰ اللهُ كَلَامَ عِيسَىٰ فِي الْمَهْدِ، فَكَانَ مِمَّا قَالَهُ وَتَظْهَرُ فِيهِ مِنْ فَضَائِلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ غُرَرٌ: ﴿ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ ﴾.

٤- أَعْطَاهُ اللهُ ﷻ بَعْضَ الْآيَاتِ كَمَا ذَكَرَهُ سُبْحَانَهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ [المائدة: ١١٠].

٥- وَقَدْ رَفَعَهُ اللهُ ﷻ إِلَيْهِ، فَهُوَ حَيٌّ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ فِي الثَّانِيَةِ كَمَا فِي أَحَادِيثِ الْإِسْرَاءِ. قَالَ سُبْحَانَهُ فِي تَكْذِيبِ الْيَهُودِ فِي دَعْوَاهُمْ قَتْلَهُ عليه السلام: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨].

٦- وَهَذَا مِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ؛ إِذْ لَيْسَ فِي الْأَنْبِيَاءِ حَيٌّ إِلَّا هُوَ. وَسَيَنْزِلُ عليه السلام فِي آخِرِ الزَّمَانِ، وَسَوْفَ نَتَنَاوَلُ ذَلِكَ فِي الْبَابِ الْخَامِسِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ(١).

فَائِدَةٌ (٢): النَّهْيُ عَنِ الْمُفَاضَلَةِ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ:

قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللهِ شَاكِرٌ - حَفِظَهُ اللهُ -:

«دَلَّ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ فَضَّلَ بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وَمَعَ هَذَا وَرَدَتْ أَحَادِيثُ صَحِيحَةٌ تَنْهَىٰ عَنْ تَفْضِيلِ بَعْضِ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ، كَمَا جَاءَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَعْرِضُ سِلْعَتَهُ، أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا كَرِهَهُ، فَقَالَ: لَا وَالَّذِي اصْطَفَىٰ مُوسَىٰ عَلَىٰ الْبَشَرِ. فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَامَ فَلَطَمَ وَجْهَهُ، وَقَالَ: تَقُولُ: وَالَّذِي اصْطَفَىٰ مُوسَىٰ عَلَىٰ الْبَشَرِ. وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟! فَذَهَبَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَبَا الْقَاسِمِ، إِنَّ لِي ذِمَّةً وَعَهْدًا، فَمَا بَالُ فُلَانٍ لَطَمَ وَجْهِي؟! فَقَالَ: «لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟» فَذَكَرَهُ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّىٰ رُئِيَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: «لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللهِ؛ فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَيُصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي

---

(١) «مباحث المفاضلة في العقيدة» (ص١٤١).

الأَرْضِ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَىٰ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، فَإِذَا مُوسَىٰ آخِذٌ بِالعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَحُوسِبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ، أَمْ بُعِثَ قَبْلِي»(١).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّىٰ». وَنَسَبَهُ إِلَىٰ أَبِيهِ(٢). وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ لَا تُعَارِضُ آيَةَ التَّفْضِيلِ الْمَذْكُورَةِ آنِفًا، وَيَنْبَغِي أَنْ يُحْمَلَ النَّهْيُ الْوَارِدُ فِيهَا عَنِ التَّفْضِيلِ إِذَا كَانَ عَلَىٰ وَجْهِ الْحَمِيَّةِ وَالْعَصَبِيَّةِ؛ سَدًّا لِذَرِيعَةِ الِانْتِقَاصِ مِنَ الْمَفْضُولِ.

قَالَ النَّوَوِيُّ: «قَالَ الْعُلَمَاءُ: هَذِهِ الْأَحَادِيثُ تَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ ﷺ قَالَ هَذَا قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ يُونُسَ، فَلَمَّا عَلِمَ ذَلِكَ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ...».

وَالثَّانِي: أَنَّهُ ﷺ قَالَ هَذَا زَجْرًا عَنْ أَنْ يَتَخَيَّلَ أَحَدٌ مِنَ الْجَاهِلِينَ شَيْئًا مِنْ حَطِّ مَرْتَبَةِ يُونُسَ ﷺ»(٣).

وَقَدْ ذَكَرَ الْقُرْطُبِيُّ أَقْوَالًا كَثِيرَةً لِأَهْلِ الْعِلْمِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ مِنْهَا: «إِنَّمَا نَهَىٰ عَنِ الْخَوْضِ فِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْخَوْضَ فِي ذَلِكَ ذَرِيعَةٌ إِلَىٰ الْجِدَالِ؛ وَذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَىٰ أَنْ يَذْكُرَ مِنْهُمْ مَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يُذْكَرَ، وَيَقِلَّ احْتِرَامُهُمْ عِنْدَ الْمُمَارَاةِ»(٤).

وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ: «قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّمَا قَالَ ﷺ ذَلِكَ تَوَاضُعًا إِنْ كَانَ قَالَهُ بَعْدَ أَنْ أَعْلَمَ أَنَّهُ أَفْضَلُ الْخَلْقِ، وَإِنْ كَانَ قَالَهُ قَبْلَ عِلْمِهِ بِذَلِكَ فَلَا إِشْكَالَ»(٥).

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٤١٤)، ومسلم (٢٣٧٣).

(٢) متفق عليه: البخاري (٣٣٩٥)، ومسلم (٢٣٧٧).

(٣) «شرح النووي علىٰ مسلم» (جـ١٥/ ١٣٢).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (جـ٢/ ١٠٧٠).

(٥) «فتح الباري» (جـ٦/ ٤٥٢).

الضَّابِطُ الْخَامِسُ: مُعْجِزَاتُ الْأَنْبِيَاءِ أَشْهَرُهَا ثَمَانِيَةٌ:

١- السَّفِينَةُ: لِنُوحٍ عليه السلام. ٢- النَّاقَةُ: لِصَالِحٍ عليه السلام.

٣- إِلَانَةُ الْحَدِيدِ وَتَسْبِيحُ الْجِبَالِ وَالطَّيْرِ: مَعَ دَاوُدَ عليه السلام.

٤- تَسْخِيرُ الرِّيحِ وَالطَّيْرِ وَالْجِنِّ: لِسُلَيْمَانَ عليه السلام.

٥- عَدَمُ الِاحْتِرَاقِ بِالنَّارِ: لِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام.

٦- الْعَصَا وَالْيَدُ: لِمُوسَى عليه السلام.

٧- إِبْرَاءُ الْأَكْمَهِ وَالْأَبْرَصِ، وَإِحْيَاءُ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ لِعِيسَى عليه السلام.

٨- الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، وَالْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ، وَانْشِقَاقُ الْقَمَرِ، وَغَيْرُهَا: لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم.

* قَوْلُهُ: «مُعْجِزَاتُ الْأَنْبِيَاءِ أَشْهَرُهَا ثَمَانِيَةٌ».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ اللهَ عز وجل قَدْ أَيَّدَ الرُّسُلَ وَالْأَنْبِيَاءَ بِالْمُعْجِزَاتِ الَّتِي تُؤَيِّدُ رِسَالَاتِهِمْ وَدَعْوَتَهُمْ إِلَىٰ أَقْوَامِهِمْ. **فَالْمُعْجِزَةُ**: هِيَ أَمْرٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ مَقْرُونٌ بِالتَّحَدِّي سَالِمٌ عَنِ الْمُعَارَضَةِ يُظْهِرُهُ اللهُ عَلَىٰ يَدِ رُسُلِهِ، وَلَا تَخْضَعُ لِلْأَسْبَابِ أَوِ الْمُسَبَّبَاتِ، وَلَا يُمْكِنُ الْوُصُولُ إِلَيْهَا بِالْجُهْدِ الشَّخْصِيِّ أَوِ الْكَسْبِ الذَّاتِيِّ، بَلْ هِيَ مِنَّةٌ مِنَ اللهِ عز وجل لِلْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ.

وَأَمَّا الْكَرَامَةُ: فَهِيَ مَا يُؤَيِّدُ اللهُ بِهِ أَوْلِيَاءَهُ مِنَ الْكَرَامَاتِ وَالْأُمُورِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَاتِ، وَيَنَالُهَا الْعَبْدُ بِفِعْلِهِ وَعِبَادَتِهِ، وَلَا عَلَاقَةَ لَهَا بِالنُّبُوَّةِ بِخِلَافِ الْمُعْجِزَةِ.

وَأَمَّا الْخَارِقَةُ: فَهِيَ الْخَوَارِقُ الَّتِي تَجْرِي عَلَىٰ أَلْسِنَةِ السَّحَرَةِ وَالْكُهَّانِ وَالْمُشَعْوِذِينَ، وَتَكُونُ مِنْ تَلْبِيسِ إِبْلِيسَ عَلَىٰ النَّاسِ، وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنَ الْكَرَامَةِ؛ لِذَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ رحمه الله: «إِذَا رَأَيْتُمْ مِنَ الرَّجُلِ مَا تُنْكِرُونَ فَاعْرِضُوا عَمَلَهُ عَلَىٰ

الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانَ صَالِحًا فَهِيَ كَرَامَةٌ، وَإِلَّا فَهِيَ مِنَ الْخَوَارِقِ، وَمِنْ تَلْبِيسِ إِبْلِيسَ».

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ، وَمَا يُجْرِي اللهُ عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْمُكَاشَفَاتِ، وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ، وَالْمَأْثُورُ عَنْ سَالِفِ الْأُمَمِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ وَغَيْرِهَا، وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَسَائِرِ فِرَقِ الْأُمَّةِ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(١).

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظُ آلُ حَكَمِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهِيَ إِمَّا حِسِّيَّةٌ تُشَاهَدُ بِالْبَصَرِ أَوْ تُسْمَعُ كَخُرُوجِ النَّاقَةِ مِنَ الصَّخْرَةِ، وَانْقِلَابِ الْعَصَا حَيَّةً، وَكَلَامِ الْجَمَادَاتِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَإِمَّا مَعْنَوِيَّةٌ تُشَاهَدُ بِالْبَصِيرَةِ كَمُعْجِزَةِ الْقُرْآنِ، وَقَدْ أُوتِيَ نَبِيُّنَا ﷺ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ، فَمَا مِنْ مُعْجِزَةٍ كَانَتْ لِنَبِيٍّ إِلَّا وَلَهُ ﷺ أَعْظَمُ مِنْهَا فِي بَابِهَا.

فَمِنَ الْمَحْسُوسَاتِ: انْشِقَاقُ الْقَمَرِ، وَحَنِينُ الْجِذْعِ، وَنَبْعُ الْمَاءِ مِنْ بَيْنَ أَصَابِعِهِ الشَّرِيفَةِ، وَكَلَامُ الذِّرَاعِ، وَتَسْبِيحُ الطَّعَامِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا تَوَاتَرَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ، وَلَكِنَّهَا كَغَيْرِهَا مِنْ مُعْجِزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ الَّتِي انْقَرَضَتْ بِانْقِرَاضِ أَعْصَارِهِمْ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ذِكْرُهَا، وَإِنَّمَا الْمُعْجِزَةُ الْبَاقِيَةُ الْخَالِدَةُ هِيَ هَذَا الْقُرْآنُ الَّذِي لَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَ ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت: ٤٢]».

* قَوْلُهُ: «السَّفِينَةُ: لِنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ مَكَثَ يَدْعُو قَوْمَهُ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِدَعْوَتِهِ إِلَّا نَفَرٌ قَلِيلٌ، وَظَلَّ يَدْعُوهُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ، حَتَّىٰ أَيِسَ

---

(١) «أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة» (١/ ١٢٦).

مِنْهُمْ كَمَا صَوَّرَ ذَلِكَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ. فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٩-٦٤].

وَظَلَّ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدْعُوهُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ، وَلَمْ يَيْأَسْ مِنْ دَعْوَتِهِمْ كَمَا يُصَوِّرُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ ذَلِكَ فَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ لِسَانِهِ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ [نوح: ٥-١٠].

فَلَمَّا أَصَرُّوا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ أَخْبَرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِذَلِكَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَصْنَعَ الْفُلْكَ (السَّفِينَةَ) وَأَنْ يَنْتَظِرَ الْعَلَامَةَ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهِيَ أَنْ يَفُورَ التَّنُّورُ بِالْمَاءِ، فَشَرَعَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي بِنَاءِ السَّفِينَةِ، وَكَانُوا يَسْخَرُونَ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ يَصْنَعُ سَفِينَةً عَلَىٰ الرِّمَالِ فِي الصَّحْرَاءِ، فَلَمَّا اكْتَمَلَتْ أَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَحْمِلَ فِيهَا أَهْلَ الْإِيمَانِ، وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ زَوْجَيْنِ، فَفَعَلَ، فَفَتَحَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ، وَفَجَّرَ الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَىٰ الْمَاءُ، وَأَغْرَقَ اللهُ قَوْمَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ، فَكَانَتْ مُعْجِزَةً لِنُوحٍ نَجَّاهُ اللهُ بِهَا مِنَ الْغَرَقِ.

وَيُصَوِّرُ الْقُرْآنُ ذَلِكَ فَيَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا

مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [هود: ٣٦-٤٤].

* قَوْلُهُ: «النَّاقَةُ: لِصَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ».

أَرْسَلَ اللهُ عَجَلَّ إِلَىٰ قَوْمِ ثَمُودٍ نَبِيَّهُ صَالِحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَيَّدَهُ بِمُعْجِزَةِ النَّاقَةِ كَمَا صَوَّرَهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، أَنَّهُ أَخْرَجَهَا لَهُمْ مِنَ الصَّخْرَةِ الَّتِي عَيَّنُوهَا لَهُ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ، فَعَقَرُوا النَّاقَةَ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًاۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ

ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأعراف: ٧٣-٧٨].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ عُلَمَاءُ التَّفْسِيرِ وَالنَّسَبِ: ثَمُودُ بْنُ عَاثِرِ بْنِ إِرَمَ بْنِ سَامَ بْنِ نُوحٍ، أَحْيَاءٌ مِنَ الْعَرَبِ الْعَارِبَةِ قَبْلَ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَتْ ثَمُودُ بَعْدَ عَادٍ، وَمَسَاكِنُهُمْ مَشْهُورَةٌ بَيْنَ الْحِجَازِ وَالشَّامِ إِلَىٰ وَادِي الْقُرَىٰ وَمَا حَوْلَهُ، وَقَدْ مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ دِيَارِهِمْ وَمَسَاكِنِهِمْ وَهُوَ ذَاهِبٌ إِلَىٰ تَبُوكَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ.

رَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالنَّاسِ عَلَىٰ تَبُوكَ نَزَلَ بِهِمُ الْحِجْرَ عِنْدَ بُيُوتِ ثَمُودَ، فَاسْتَقَىٰ النَّاسُ مِنَ الْآبَارِ الَّتِي كَانَتْ تَشْرَبُ مِنْهَا ثَمُودُ، فَعَجَنُوا مِنْهَا، وَنَصَبُوا لَهَا الْقُدُورَ، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ فَأَهْرَقُوا الْقُدُورَ، وَعَلَفُوا الْعَجِينَ الْإِبِلَ، ثُمَّ ارْتَحَلَ بِهِمْ حَتَّىٰ نَزَلَ بِهِمْ عَلَىٰ الْبِئْرِ الَّتِي كَانَتْ تَشْرَبُ مِنْهَا النَّاقَةُ، وَنَهَاهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا عَلَىٰ الْقَوْمِ الَّذِينَ عُذِّبُوا، وَقَالَ: «**إِنِّي أَخْشَىٰ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ؛ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ**».

وَقَالَ أَحْمَدُ أَيْضًا: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِالْحِجْرِ: «**لَا تَدْخُلُوا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُعَذَّبِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ؛ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ**».

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ﴾؛ أَيْ: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَبِيلَةِ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا، ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾، فَجَمِيعُ الرُّسُلِ يَدْعُونَ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةًۖ﴾؛ أَيْ: قَدْ جَاءَتْكُمْ حُجَّةٌ مِنَ اللهِ عَلَىٰ صِدْقِ مَا جِئْتُكُمْ بِهِ، وَكَانُوا هُمُ الَّذِينَ

سَأَلُوا صَالِحًا أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ، وَاقْتَرَحُوا عَلَيْهِ بِأَنْ تَخْرُجَ لَهُمْ مِنْ صَخْرَةٍ صَمَّاءَ عَيَّنُوهَا بِأَنْفُسِهِمْ، وَهِيَ صَخْرَةٌ مُنْفَرِدَةٌ فِي نَاحِيَةِ الْحِجْرِ يُقَالُ لَهَا الْكَاتِبَةُ، فَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يُخْرِجَ لَهُمْ مِنْهَا نَاقَةً عُشَرَاءَ تُمْخَضُ، فَأَخَذَ عَلَيْهِمْ صَالِحٌ الْعُهُودَ وَالْمَوَاثِيقَ، لَئِنْ أَجَابَهُمُ اللهُ إِلَىٰ طِلْبَتِهِمْ لَيُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَيَتَّبِعُنَّهُ، فَلَمَّا أَعْطَوْهُ عَلَىٰ ذَلِكَ عُهُودَهُمْ وَمَوَاثِيقَهُمْ قَامَ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَىٰ صَلَاتِهِ، وَدَعَا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَتَحَرَّكَتْ تِلْكَ الصَّخْرَةُ، ثُمَّ انْصَدَعَتْ عَنْ نَاقَةٍ جَوْفَاءَ وَبْرَاءَ، يَتَحَرَّكُ جَنِينُهَا بَيْنَ جَنْبَيْهَا - كَمَا سَأَلُوا -، فَعِنْدَ ذَلِكَ آمَنَ رَئِيسُهُمْ (جُنْدُعُ بْنُ عَمْرٍو) وَمَنْ كَانَ مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرِهِ، وَأَقَامَتِ النَّاقَةُ وَفَصِيلُهَا بَعْدَمَا وَضَعَتْهُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ مُدَّةً تَشْرَبُ مِنْ بِئْرِهَا يَوْمًا، وَتَدَعُهُ لَهُمْ يَوْمًا، وَكَانُوا يَشْرَبُونَ لَبَنَهَا يَوْمَ شِرْبِهَا، يَحْتَلِبُونَهَا، فَيَمْلَئُونَ مَا شَاءُوا مِنْ أَوْعِيَتِهِمْ وَأَوَانِيهِمْ. كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَةِ: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ (٢٨)﴾ [القمر: ٢٨]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (١٥٥)﴾ [الشعراء: ١٥٥].

وَكَانَتْ تَسْرَحُ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْأَوْدِيَةِ، تَرِدُ مِنْ فَجٍّ، وَتُصْدِرُ مِنْ غَيْرِهِ لِيَسَعَهَا؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَتَضَلَّعُ مِنَ الْمَاءِ، وَكَانَتْ - عَلَىٰ مَا ذُكِرَ - خَلْقًا هَائِلًا وَمَنْظَرًا رَائِعًا، إِذَا مَرَّتْ بِأَنْعَامِهِمْ نَفَرَتْ مِنْهَا. فَلَمَّا طَالَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، وَاشْتَدَّ تَكْذِيبُهُمْ لِصَالِحِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَزَمُوا عَلَىٰ قَتْلِهَا لِيَسْتَأْثِرُوا بِالْمَاءِ كُلَّ يَوْمٍ، فَيُقَالُ: إِنَّهُمُ اتَّفَقُوا كُلُّهُمْ عَلَىٰ قَتْلِهَا.

قَالَ قَتَادَةُ: «بَلَغَنِي أَنَّ الَّذِي قَتَلَهَا طَافَ عَلَيْهِمْ كُلِّهِمْ أَنَّهُمْ رَاضُونَ بِقَتْلِهَا، حَتَّىٰ عَلَىٰ النِّسَاءِ فِي خُدُورِهِنَّ وَعَلَىٰ الصِّبْيَانِ، قُلْتُ: وَهَذَا هُوَ الظَّاهِرُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤)﴾ [الشمس: ١٤]. وَقَالَ: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾ [الإسراء: ٥٩]. وَقَالَ: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾، فَأَسْنَدَ ذَلِكَ عَلَىٰ مَجْمُوعِ الْقَبِيلَةِ، فَدَلَّ عَلَىٰ رِضَىٰ جَمِيعِهِمْ

بِذَلِكَ، وَاللهُ أَعْلَمُ»(١).

* قَوْلُهُ: «إِلَانَةُ الْحَدِيدِ وَتَسْبِيحُ الْجِبَالِ وَالطَّيْرِ: مَعَ دَاوُدَ عليه السلام».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ اللهَ عز وجل قَدْ أَعْطَى نَبِيَّهُ دَاوُدَ عليه السلام آيَتَيْنِ: **الْأُولَى**: تَسْبِيحُ الطَّيْرِ وَالْجِبَالِ مَعَهُ، وَذَلِكَ لِجَمَالِ صَوْتِهِ.

الثَّانِيَةُ: أَلَانَ لَهُ الْحَدِيدَ. **فَقَالَ تَعَالَى**: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [سبأ: ١٠-١١]. **وَقَالَ تَعَالَى**: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ [ص: ١٧-٢٠].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رحمه الله: «يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا أَنْعَمَ بِهِ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ دَاوُدَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - مِمَّا آتَاهُ مِنَ الْفَضْلِ الْمُبِينِ، وَجَمَعَ لَهُ بَيْنَ النُّبُوَّةِ وَالْمُلْكِ الْمُتَمَكِّنِ، وَالْجُنُودِ ذَوِي الْعَدَدِ وَالْعِدَدِ، وَمَا أَعْطَاهُ وَمَنَحَهُ مِنَ الصَّوْتِ الْعَظِيمِ الَّذِي كَانَ إِذَا سَبَّحَ بِهِ تُسَبِّحُ مَعَهُ الْجِبَالُ الرَّاسِيَاتُ، الصُّمُّ الشَّامِخَاتُ، وَتَقِفُ لَهُ الطُّيُورُ السَّارِحَاتُ، وَالْغَادِيَاتُ وَالرَّائِحَاتُ، وَتُجَاوِبُهُ بِأَنْوَاعِ اللُّغَاتِ، وَفِي الصَّحِيحِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سَمِعَ صَوْتَ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ، فَوَقَفَ فَاسْتَمَعَ لِقِرَاءَتِهِ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**لَقَدْ أُوتِيَ هَذَا مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ**». **وَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى**: ﴿أَوِّبِى﴾؛ أَيْ: سَبِّحِي. **وَالتَّأْوِيبُ فِي اللُّغَةِ**: التَّرْجِيعُ. فَأُمِرَتِ الْجِبَالُ وَالطَّيْرُ أَنْ تُرَجِّعَ مَعَهُ بِأَصْوَاتِهَا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾: **قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَقَتَادَةُ**: «كَانَ

---

(١) «تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير» (١/ ٨٦٥).

لَا يَحْتَاجُ أَنْ يُدْخِلَهُ نَارًا، وَلَا يَضْرِبَهُ بِمِطْرَقَةٍ، بَلْ كَانَ يَفْتِلُهُ بِيَدِهِ مِثْلَ الْخُيُوطِ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾، وَهِيَ الدُّرُوعُ». قَالَ قَتَادَةُ: «وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ عَمِلَهَا مِنَ الْخَلْقِ، وَإِنَّمَا كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ صَفَائِحَ». وَقَالَ ابْنُ شَوْذَبٍ: «كَانَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَرْفَعُ فِي كُلِّ يَوْمٍ دِرْعًا فَيَبِيعُهَا بِسِتَّةِ آلَافِ دِرْهَمٍ: أَلْفَيْنِ لَهُ وَلِأَهْلِهِ، وَأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ يُطْعِمُ بِهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ خُبْزَ الْحَوَارِيِّ. ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ هَذَا إِرْشَادٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي تَعْلِيمِهِ صَنْعَةَ الدُّرُوعِ». قَالَ مُجَاهِدٌ: «﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ لَا تَدِقَّ الْمِسْمَارَ فَيَقْلَقَ فِي الْحَلْقَةِ، وَلَا تُغَلِّظْهُ فَيَقْصِمَهَا، وَاجْعَلْهُ بِقَدْرٍ». وَقَالَ الْحَكَمُ بْنُ عُيَيْنَةَ: «لَا تُغَلِّظْهُ فَيَقْصِمَ وَلَا تَدِقَّهُ فَيَقْلَقَ». وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «السَّرْدُ حَلَقُ الْحَدِيدِ». وَقَالَ بَعْضُهُمْ: يُقَالُ: دِرْعٌ مَسْرُودَةٌ. إِذَا كَانَتْ مَسْمُورَةَ الْحَلَقِ. وَقَدْ ذَكَرَ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ وَهَبِ بْنِ مُنَبِّهٍ: أَنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَخْرُجُ مُتَنَكِّرًا، فَيَسْأَلُ الرُّكْبَانَ عَنْهُ وَعَنْ سِيرَتِهِ، فَلَا يَسْأَلُ أَحَدًا إِلَّا أَثْنَىٰ عَلَيْهِ خَيْرًا فِي عِبَادَتِهِ وَسِيرَتِهِ وَعَدْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قَالَ وَهْبٌ: «حَتَّىٰ بَعَثَ اللهُ تَعَالَىٰ مَلَكًا فِي صُورَةِ رَجُلٍ فَلَقِيَهُ دَاوُدُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، فَسَأَلَهُ كَمَا كَانَ يَسْأَلُ غَيْرَهُ، فَقَالَ: هُوَ خَيْرُ النَّاسِ لِنَفْسِهِ وَلِأُمَّتِهِ، إِلَّا أَنَّ فِيهِ خَصْلَةً لَوْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ كَانَ كَامِلًا، قَالَ: مَا هِيَ؟ قَالَ: يَأْكُلُ وَيُطْعِمُ عِيَالَهُ مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِينَ - يَعْنِي: بَيْتَ الْمَالِ -، فَعِنْدَ ذَلِكَ نَصَبَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَىٰ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الدُّعَاءِ أَنْ يُعَلِّمَهُ عَمَلًا بِيَدِهِ يَسْتَغْنِي بِهِ، وَيُغْنِي بِهِ عِيَالَهُ، فَأَلَانَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ الْحَدِيدَ، وَعَلَّمَهُ صَنْعَةَ الدُّرُوعِ، فَعَمِلَ الدُّرُوعَ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ عَمِلَهَا؛ فَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ يَعْنِي: مَسَامِيرَ الْحَلَقِ».

قَالَ: «وَكَانَ يَعْمَلُ الدِّرْعَ فَإِذَا ارْتَفَعَ مِنْ عَمَلِهِ دِرْعًا بَاعَهَا، فَتَصَدَّقَ بِثُلُثِهَا، وَاشْتَرَىٰ بِثُلُثِهَا مَا يَكْفِيهِ وَعِيَالَهُ، وَأَمْسَكَ الثُّلُثَ يَتَصَدَّقُ بِهِ يَوْمًا بِيَوْمٍ إِلَىٰ أَنْ يَعْمَلَ غَيْرَهَا».

وَقَالَ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَعْطَىٰ دَاوُدَ شَيْئًا لَمْ يُعْطِهِ غَيْرَهُ مِنْ حُسْنِ الصَّوْتِ، إِنَّهُ كَانَ إِذَا قَرَأَ الزَّبُورَ تَجْتَمِعُ الْوُحُوشُ إِلَيْهِ حَتَّىٰ يُؤْخَذَ بِأَعْنَاقِهَا وَمَا تَنْفِرُ، وَمَا صَنَعَتِ الشَّيَاطِينُ الْمَزَامِيرَ وَالْبَرَابِطَ وَالصُّنُوجَ إِلَّا عَلَىٰ أَصْنَافِ صَوْتِهِ ﷺ، وَكَانَ شَدِيدَ الِاجْتِهَادِ، وَكَانَ إِذَا افْتَتَحَ الزَّبُورَ بِالْقِرَاءَةِ كَأَنَّمَا يَنْفُخُ فِي الْمَزَامِيرِ، وَكَانَ قَدْ أُعْطِيَ سَبْعِينَ مِزْمَارًا فِي حَلْقِهِ».

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا﴾؛ أَيْ: فِي الَّذِي أَعْطَاكُمُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنَ النِّعَمِ، ﴿إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾؛ أَيْ: مُرَاقِبٌ لَكُمْ، بَصِيرٌ بِأَعْمَالِكُمْ وَأَقْوَالِكُمْ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيَّ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ(١).

* قَوْلُهُ: «تَسْخِيرُ الرِّيحِ وَالطَّيْرِ وَالْجِنِّ: لِسُلَيْمَانَ ﷺ».

وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ ﷻ قَدْ أَعْطَىٰ سُلَيْمَانَ مُلْكًا لَمْ يُعْطِهِ أَحَدًا قَبْلَهُ، وَلَنْ يُؤْتِيَهُ أَحَدًا بَعْدَهُ، وَهُوَ تَسْخِيرُ الرِّيحِ وَالطَّيْرِ وَالْجِنِّ يَعْمَلُونَ بِأَمْرِهِ:

أَمَّا الرِّيحُ: فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَـٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الأنبياء: ٨١]. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [سبأ: ١٢].

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ ﵀: «قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۚ﴾؛ أَيْ: وَسَخَّرْنَا لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً؛ أَيْ: شَدِيدَةَ الْهُبُوبِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «إِنْ أَمَرَ الرِّيحَ أَنْ تَعْصِفَ عَصَفَتْ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ تُرْخِيَ أَرْخَتْ»».

وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٥٧-٥٩).

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أَيْ: تَجْرِي بِأَمْرِ سُلَيْمَانَ مِنِ اصْطَخْرَ إِلَىٰ الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكَ اللهُ فِيهَا بِالْمَاءِ وَالشَّجَرِ، وَهِيَ الْأَرْضُ الْمُقَدَّسَةُ، رُوِيَ أَنَّ الرِّيحَ كَانَتْ تَجْرِي بِسُلَيْمَانَ وَأَصْحَابِهِ إِلَىٰ حَيْثُ شَاءَ سُلَيْمَانُ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَىٰ مَنْزِلِهِ بِالشَّامِ.

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾؛ بِصِحَّةِ التَّدْبِيرِ فِيهِ، عَلِمْنَا أَنَّ مَا يُعْطَىٰ سُلَيْمَانُ مِنْ تَسْخِيرِ الرِّيحِ وَغَيْرِهِ يَدْعُوهُ إِلَىٰ الْخُضُوعِ لِرَبِّهِ»[1].

وَأَمَّا الطَّيْرُ: فَقَدْ قَصَّ اللهُ ﷻ عَلَيْنَا بَعْضَ قَصَصِ الطَّيْرِ مَعَ سُلَيْمَانَ، كَقِصَّةِ الْهُدْهُدِ. فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ

---

(١) «تفسير الطبري» (٢٠/ ٣٦٧١).

ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النمل: ١٦-٣١].

قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾؛ أَيْ: جُمِعَ لَهُ جُنُودُهُ الْكَثِيرَةُ الْهَائِلَةُ الْمُتَنَوِّعَةُ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَمِنَ الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ وَمِنَ الطُّيُورِ، ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ يُدَبَّرُونَ وَيُرَدُّ أَوَّلُهُمْ عَلَىٰ آخِرِهِمْ، وَيُنَظَّمُونَ غَايَةَ التَّنْظِيمِ فِي سَيْرِهِمْ وَنُزُولِهِمْ وَحِلِّهِمْ وَتَرْحَالِهِمْ، قَدِ اسْتَعَدَّ لِذَلِكَ وَأَعَدَّ لَهُ عُدَّتَهُ.

وَكُلُّ هَذِهِ الْجُنُودِ مُؤْتَمِرَةٌ بِأَمْرِهِ، لَا تَقْدِرُ عَلَىٰ عِصْيَانِهِ، وَلَا تَتَمَرَّدُ عَنْهُ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾؛ أَيْ: أَعْطِ بِغَيْرِ حِسَابٍ، فَسَارَ بِهَذِهِ الْجُنُودِ الضَّخْمَةِ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ مُنَبِّهَةً لِرُفْقَتِهَا، وَبَنِي جِنْسِهَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾؛ فَنَصَحَتْ هَذِهِ النَّمْلَةُ، وَأَسْمَعَتِ النَّمْلَ، إِمَّا بِنَفْسِهَا؛ وَيَكُونُ اللهُ قَدْ أَعْطَىٰ النَّمْلَ أَسْمَاعًا خَارِقَةً لِلْعَادَةِ؛ لِأَنَّ التَّنْبِيهَ لِلنَّمْلِ الَّذِي قَدْ مَلَأَ الْوَادِيَ بِصَوْتِ نَمْلَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَائِبِ، وَإِمَّا بِأَنَّهَا أَخْبَرَتْ مَنْ حَوْلَهَا مِنَ النَّمْلِ، ثُمَّ سَرَىٰ الْخَبَرُ مِنْ بَعْضِهِنَّ لِبَعْضٍ حَتَّىٰ بَلَغَ الْجَمِيعَ، وَأَمَرَتْهُنَّ بِالْحَذَرِ، وَالطَّرِيقِ فِي ذَلِكَ، وَهُوَ دُخُولُ مَسَاكِنِهِنَّ.

وَعَرَفَتْ حَالَةَ سُلَيْمَانَ وَجُنُودِهِ وَعَظَمَةَ سُلْطَانِهِ، وَاعْتَذَرَتْ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ حَطَمُوكُمْ فَلَيْسَ عَنْ قَصْدٍ مِنْهُمْ وَلَا شُعُورٍ، فَسَمِعَ سُلَيْمَانُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - قَوْلَهَا وَفَهِمَهُ، ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ إِعْجَابًا مِنْهُ بِفَصَاحَتِهَا وَنُصْحِهَا وَحُسْنِ تَعْبِيرِهَا؛ وَهَذَا حَالُ الْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - الْأَدَبُ الْكَامِلُ، وَالتَّعَجُّبُ فِي مَوْضِعِهِ وَأَلَّا يَبْلُغَ بِهِمُ الضَّحِكُ إِلَّا إِلَىٰ التَّبَسُّمِ، كَمَا كَانَ

الرَّسُولُ ﷺ جُلُّ ضَحِكِهِ التَّبَسُّمُ؛ فَإِنَّ الْقَهْقَهَةَ تَدُلُّ عَلَىٰ خِفَّةِ الْعَقْلِ، وَسُوءِ الْأَدَبِ، وَعَدَمَ التَّبَسُّمِ وَالْعَجَبِ مِمَّا يُتَعَجَّبُ مِنْهُ يَدُلُّ عَلَىٰ شَرَاسَةِ الْخُلُقِ وَالْجَبَرُوتِ، وَالرُّسُلُ مُنَزَّهُونَ عَنْ ذَلِكَ.

وَقَالَ شَاكِرًا لِلهِ الَّذِي أَوْصَلَهُ إِلَىٰ هَذِهِ الْحَالِ: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾؛ أَيْ: أَلْهِمْنِي وَوَفِّقْنِي ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾؛ فَإِنَّ النِّعْمَةَ عَلَىٰ الْوَالِدَيْنِ نِعْمَةٌ عَلَىٰ الْوَلَدِ؛ فَسَأَلَ رَبَّهُ التَّوْفِيقَ لِلْقِيَامِ بِشُكْرِ نِعْمَتِهِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ وَالِدَيْهِ. ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾؛ أَيْ: وَوَفِّقْنِي أَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ لِكَوْنِهِ مُوَافِقًا لِأَمْرِكَ مُخْلِصًا فِيهِ سَالِمًا مِنَ الْمُفْسِدَاتِ وَالْمُنْقِصَاتِ، ﴿وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ﴾ الَّتِي مِنْهَا الْجَنَّةُ ﴿فِى﴾ جُمْلَةِ ﴿عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾؛ فَإِنَّ الرَّحْمَةَ مَجْعُولَةٌ لِلصَّالِحِينَ عَلَىٰ اخْتِلَافِ دَرَجَاتِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ.

فَهَذَا نُمُوذَجٌ ذَكَرَهُ اللهُ مِنْ حَالَةِ سُلَيْمَانَ عِنْدَ سَمَاعِهِ خِطَابَ النَّمْلَةِ وَنِدَاءَهَا.

ثُمَّ ذَكَرَ نُمُوذَجًا آخَرَ مِنْ مُخَاطَبَتِهِ لِلطَّيْرِ، فَقَالَ: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾ دَلَّ هَذَا عَلَىٰ كَمَالِ عَزْمِهِ وَحَزْمِهِ وَحُسْنِ تَنْظِيمِهِ لِجُنُودِهِ وَتَدْبِيرِهِ بِنَفْسِهِ لِلْأُمُورِ الصِّغَارِ وَالْكِبَارِ، حَتَّىٰ إِنَّهُ لَمْ يُهْمِلْ هَذَا الْأَمْرَ، وَهُوَ تَفَقُّدُ الطُّيُورِ وَالنَّظَرُ: هَلْ هِيَ مَوْجُودَةٌ كُلُّهَا أَمْ مَفْقُودٌ مِنْهَا شَيْءٌ؟ وَهَذَا هُوَ الْمَعْنَىٰ لِلْآيَةِ، وَلَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا مَنْ قَالَ: إِنَّهُ تَفَقَّدَ الطَّيْرَ لِيَنْظُرَ أَيْنَ الْهُدْهُدُ مِنْهَا لِيَدُلَّهُ عَلَىٰ بُعْدِ الْمَاءِ وَقُرْبِهِ، كَمَا زَعَمُوا عَنِ الْهُدْهُدِ أَنَّهُ يُبْصِرُ الْمَاءَ تَحْتَ الْأَرْضِ الْكَثِيفَةِ؛ فَإِنَّ هَذَا الْقَوْلَ لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ دَلِيلٌ، بَلِ الدَّلِيلُ الْعَقْلِيُّ وَاللَّفْظِيُّ دَالٌّ عَلَىٰ بُطْلَانِهِ.

أَمَّا الْعَقْلِيُّ: فَإِنَّهُ قَدْ عُرِفَ بِالْعَادَةِ وَالتَّجَارِبِ وَالْمُشَاهَدَاتِ أَنَّ هَذِهِ الْحَيَوَانَاتِ كُلَّهَا لَيْسَ مِنْهَا شَيْءٌ يُبْصِرُ هَذَا الْبَصَرَ الْخَارِقَ لِلْعَادَةِ، يَنْظُرُ الْمَاءَ تَحْتَ الْأَرْضِ الْكَثِيفَةِ، وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَذَكَرَهُ اللهُ؛ لِأَنَّهُ مِنْ أَكْبَرِ الْآيَاتِ.

وَأَمَّا الدَّلِيلُ اللَّفْظِيُّ: فَلَوْ أُرِيدَ هَذَا الْمَعْنَىٰ لَقَالَ: «وَطَلَبَ الْهُدْهُدَ لِيَنْظُرَ لَهُ الْمَاءَ فَلَمَّا فَقَدَهُ قَالَ مَا قَالَ» أَوْ: «فَتَّشَ عَنِ الْهُدْهُدِ» أَوْ: «بَحَثَ عَنْهُ»، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْعِبَارَاتِ، وَإِنَّمَا تَفَقَّدَ الطَّيْرَ لِيَنْظُرَ الْحَاضِرَ مِنْهَا وَالْغَائِبَ، وَلُزُومَهَا لِلْمَرَاكِزِ وَالْمَوَاضِعِ الَّتِي عَيَّنَهَا لَهَا، وَأَيْضًا فَإِنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَحْتَاجُ وَلَا يَضْطَرُّ إِلَىٰ الْمَاءِ بِحَيْثُ يَحْتَاجُ لِهَنْدَسَةِ الْهُدْهُدِ؛ فَإِنَّ عِنْدَهُ مِنَ الشَّيَاطِينِ وَالْعَفَارِيتِ مَا يَحْفِرُونَ لَهُ الْمَاءَ، وَلَوْ بَلَغَ فِي الْعُمْقِ مَا بَلَغَ، وَسَخَّرَ اللهُ لَهُ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ، فَكَيْفَ - مَعَ ذَلِكَ - يَحْتَاجُ إِلَىٰ الْهُدْهُدِ؟!».

وَهَذِهِ التَّفَاسِيرُ الَّتِي تُوجَدُ وَتُشْتَهَرُ بِهَا أَقْوَالٌ لَا يُعْرَفُ غَيْرُهَا، تُنْقَلُ هَذِهِ الْأَقْوَالُ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُجَرَّدَةً، وَيَغْفُلُ النَّاقِلُ عَنْ مُنَاقَضَتِهَا لِلْمَعَانِي الصَّحِيحَةِ وَتَطْبِيقِهَا عَلَىٰ الْأَقْوَالِ، ثُمَّ لَا تَزَالُ تَتَنَاقَلُ وَيَنْقُلُهَا الْمُتَأَخِّرُ مُسَلِّمًا لِلْمُتَقَدِّمِ حَتَّىٰ يَظُنَّ أَنَّهَا الْحَقُّ، فَيَقَعُ مِنَ الْأَقْوَالِ الرَّدِيَّةِ فِي التَّفَاسِيرِ مَا يَقَعُ، وَاللَّبِيبُ الْفَطِنُ يَعْرِفُ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ الْعَرَبِيَّ الْمُبِينَ الَّذِي خَاطَبَ اللهُ بِهِ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ عَالِمَهُمْ وَجَاهِلَهُمْ، وَأَمَرَهُمْ بِالتَّفَكُّرِ فِي مَعَانِيهِ، وَتَطْبِيقِهَا عَلَىٰ أَلْفَاظِهِ الْعَرَبِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ الْمَعَانِي الَّتِي لَا تَجْهَلُهَا الْعَرَبُ الْعُرَبَاءُ، وَإِذَا وَجَدَ أَقْوَالًا مَنْقُولَةً عَنْ غَيْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَدَّهَا إِلَىٰ هَذَا الْأَصْلِ، فَإِنْ وَافَقَتْهُ قَبِلَهَا لِكَوْنِ اللَّفْظِ دَالًّا عَلَيْهَا، وَإِنْ خَالَفَتْهُ لَفْظًا وَمَعْنًىٰ أَوْ لَفْظًا أَوْ مَعْنًىٰ رَدَّهَا، وَجَزَمَ بِبُطْلَانِهَا؛ لِأَنَّ عِنْدَهُ أَصْلًا مَعْلُومًا مُنَاقِضًا لَهَا، وَهُوَ مَا يَعْرِفُهُ مِنْ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ وَدَلَالَتِهِ.

وَالشَّاهِدُ أَنَّ تَفَقُّدَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلطَّيْرِ، وَفَقْدَهُ الْهُدْهُدَ يَدُلُّ عَلَىٰ كَمَالِ حَزْمِهِ وَتَدْبِيرِهِ لِلْمُلْكِ بِنَفْسِهِ، وَكَمَالِ فِطْنَتِهِ حَتَّىٰ فَقَدَ هَذَا الطَّائِرَ الصَّغِيرَ ﴿فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾﴾؛ أَيْ: هَلْ عَدَمُ رُؤْيَتِي إِيَّاهُ لِقِلَّةِ فِطْنَتِي بِهِ؛ لِكَوْنِهِ خَفِيًّا بَيْنَ هَذِهِ الْأُمَمِ الْكَثِيرَةِ؟ أَمْ عَلَىٰ بَابِهَا بِأَنْ كَانَ غَائِبًا مِنْ غَيْرِ إِذْنِي وَلَا أَمْرِي؟

فَحِينَئِذٍ تَغَيَّظَ عَلَيْهِ وَتَوَعَّدَهُ، فَقَالَ: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ دُونَ الْقَتْلِ، ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٢١﴾؛ أَيْ: حُجَّةٍ وَاضِحَةٍ عَلَىٰ تَخَلُّفِهِ، وَهَذَا مِنْ كَمَالِ وَرَعِهِ وَإِنْصَافِهِ أَنَّهُ لَمْ يُقْسِمْ عَلَىٰ مُجَرَّدِ عُقُوبَتِهِ بِالْعَذَابِ أَوِ الْقَتْلِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ ذَنْبٍ، وَغَيْبَتُهُ قَدْ تَحْتَمِلُ أَنَّهَا لِعُذْرٍ وَاضِحٍ؛ فَلِذَلِكَ اسْتَثْنَاهُ لِوَرَعِهِ وَفِطْنَتِهِ.

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾، ثُمَّ جَاءَ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ هَيْبَةِ جُنُودِهِ مِنْهُ، وَشِدَّةِ ائْتِمَارِهِمْ لِأَمْرِهِ، حَتَّىٰ إِنَّ هَذَا الْهُدْهُدَ الَّذِي خَلَّفَهُ الْعُذْرُ الْوَاضِحُ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى التَّخَلُّفِ زَمَنًا كَثِيرًا، ﴿فَقَالَ﴾ لِسُلَيْمَانَ: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾؛ أَيْ: عِنْدِي الْعِلْمُ، عِلْمُ مَا أَحَطْتَ بِهِ عَلَىٰ عِلْمِكَ الْوَاسِعِ وَعَلَىٰ دَرَجَتِكَ فِيهِ، ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ﴾ الْقَبِيلَةِ الْمَعْرُوفَةِ فِي الْيَمَنِ ﴿بِنَبَإٍ يَقِينٍ ۝٢٢﴾؛ أَيْ: خَبَرٍ مُتَيَقَّنٍ»(١).

وَأَمَّا الْجِنُّ: فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٢ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ۝١٣﴾ [سبأ: ١٢-١٣]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ۝٨٢﴾ [الأنبياء: ٨٢]. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ۝٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ۝٣٨ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٩﴾ [ص: ٣٧-٣٩].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَوْلُهُ: ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾؛ أَيْ: وَسَخَّرْنَا لَهُ الْجِنَّ يَعْمَلُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ اللهِ؛ أَيْ: بِقَدَرِهِ، وَتَسْخِيرِهِ لَهُمْ

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (١/ ٦٠٢).

بِمَشِيئَتِهِ مَا يَشَاءُ مِنَ الْبِنَايَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾؛ أَيْ: وَمَنْ يَعْدِلْ وَيَخْرُجْ مِنْهُمْ عَنِ الطَّاعَةِ ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ١٢﴾، وَهُوَ الْحَرِيقُ. وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ هَاهُنَا حَدِيثًا غَرِيبًا، عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الْجِنُّ عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ: صِنْفٍ لَهُمْ أَجْنِحَةٌ يَطِيرُونَ فِي الْهَوَاءِ، وَصِنْفٍ حَيَّاتٍ وَكِلَابٍ، وَصِنْفٍ يَحِلُّونَ وَيَظْعَنُونَ». رَفْعُهُ غَرِيبٌ جِدًّا».

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: «وَقَوْلُهُ: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ﴾، أَمَّا الْمَحَارِيبُ: فَهِيَ الْبِنَاءُ الْحَسَنُ، وَهُوَ أَشْرَفُ شَيْءٍ فِي الْمَسْكَنِ وَصَدْرُهِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: «الْمَحَارِيبُ: بُنْيَانٌ دُونَ الْقُصُورِ». وَقَالَ الضَّحَّاكُ: «هِيَ الْمَسَاجِدُ». وَقَالَ قَتَادَةُ: «هِيَ الْمَسَاجِدُ وَالْقُصُورُ». وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: «هِيَ الْمَسَاكِنُ».

وَأَمَّا التَّمَاثِيلُ: فَقَالَ عَطِيَّةُ الْعُوفِيُّ، وَالضَّحَّاكُ، وَالسُّدِّيُّ: «التَّمَاثِيلُ: الصُّوَرُ».

قَالَ مُجَاهِدٌ: «وَكَانَتْ مِنْ نُحَاسٍ». وَقَالَ قَتَادَةُ: «مِنْ طِينٍ وَزُجَاجٍ». وَقَوْلُهُ: ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾ الْجَوَابُ: جَمْعُ جَابِيَةٍ، وَهِيَ الْحَوْضُ الَّذِي يُجْبَىٰ فِيهِ الْمَاءُ. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «﴿كَالْجَوَابِ﴾؛ أَيْ: كَالْجَوْبَةِ مِنَ الْأَرْضِ». وَقَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنْهُ: «كَالْحِيَاضِ». وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ وَغَيْرُهُمْ.

وَالْقُدُورُ الرَّاسِيَاتُ: أَيِ: الثَّابِتَاتُ، فِي أَمَاكِنِهَا لَا تَتَحَوَّلُ، وَلَا تَتَحَرَّكُ عَنْ أَمَاكِنِهَا لِعِظَمِهَا. كَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَالضَّحَّاكُ، وَغَيْرُهُمَا. وَقَالَ عِكْرِمَةُ: «أَثَافِيهَا مِنْهَا»(١).

* قَوْلُهُ: «عَدَمُ الِاحْتِرَاقِ بِالنَّارِ: لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا دَعَا قَوْمَهُ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ وَعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥٠٠).

لَمْ يُجِيبُوهُ، فَكَسَرَ الْأَصْنَامَ، وَنَكَّلَ بِهِمْ، فَجَمَعُوا لَهُ الْحَطَبَ، وَأَرَادُوا أَنْ يَحْرِقُوهُ، فَنَجَّاهُ اللهُ ﷻ، فَجَعَلَ النَّارَ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيْهِ، فَلَمْ تُصِبْهُ بِمَكْرُوهٍ. فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء: ٥١-٧٠].

قَالَ الشَّيْخُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «لَمَّا دُحِضَتْ حُجَّتُهُمْ، وَبَانَ عَجْزُهُمْ، وَظَهَرَ الْحَقُّ، وَانْدَفَعَ الْبَاطِلُ عَدَلُوا إِلَىٰ اسْتِعْمَالِ جَاهِ مُلْكِهِمْ، فَقَالُوا: ﴿حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾، فَجَمَعُوا حَطَبًا كَثِيرًا جِدًّا؛ قَالَ السُّدِّيُّ: «حَتَّىٰ إِنْ كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَمْرَضُ، فَتَنْذِرُ إِنْ عُوفِيَتْ أَنْ تَحْمِلَ حَطَبًا لِحَرِيقِ إِبْرَاهِيمَ». ثُمَّ جَعَلُوهُ فِي جَوْبَةٍ مِنَ الْأَرْضِ، وَأَضْرَمُوهَا نَارًا، فَكَانَ لَهَا شَرَرٌ عَظِيمٌ، وَلَهَبٌ مُرْتَفِعٌ، لَمْ تُوقَدْ قَطُّ نَارٌ مِثْلُهَا، وَجَعَلُوا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي كِفَّةِ

الْمِنْجَنِيقِ بِإِشَارَةِ رَجُلٍ مِنْ أَعْرَابِ فَارِسٍ، مِنَ الْأَكْرَادِ، قَالَ شُعَيْبٌ الْجُبَّائِيُّ: «اسْمُهُ هَيْزَنُ». فَخَسَفَ اللهُ بِهِ الْأَرْضَ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلَمَّا أَلْقَوْهُ قَالَ: «حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ». كَمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: «حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ». قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾(١).

وَرَوَىٰ الْحَافِظُ أَبُو يَعْلَىٰ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَمَّا أُلْقِيَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي النَّارِ قَالَ: اللَّهُمَّ، إِنَّكَ فِي السَّمَاءِ وَاحِدٌ، وَأَنَا فِي الْأَرْضِ وَاحِدٌ أَعْبُدُكَ»**.

وَيُرْوَىٰ أَنَّهُ لَمَّا جَعَلُوا يُوثِقُونَهُ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ، لَكَ الْحَمْدُ، وَلَكَ الْمُلْكُ، لَا شَرِيكَ لَكَ». **وَقَالَ شُعَيْبٌ الْجُبَّائِيِّ**: «كَانَ عُمْرُهُ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً». فَاللهُ أَعْلَمُ. وَذَكَرَ بَعْضُ السَّلَفِ أَنَّهُ عَرَضَ لَهُ جِبْرِيلُ وَهُوَ فِي الْهَوَاءِ، فَقَالَ: أَلَكَ حَاجَةٌ؟ فَقَالَ: أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا، وَأَمَّا مِنَ اللهِ فَلِي.

وَيُرْوَىٰ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «لَمَّا أُلْقِيَ إِبْرَاهِيمُ جَعَلَ خَازِنُ الْمَطَرِ يَقُولُ: مَتَىٰ أُومَرُ بِالْمَطَرِ فَأُرْسِلَهُ؟ قَالَ: فَكَانَ أَمْرُ اللهِ أَسْرَعَ مِنْ أَمْرِهِ؛ قَالَ اللهُ: ﴿يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ قَالَ: لَمْ يَبْقَ نَارٌ فِي الْأَرْضِ إِلَّا طُفِئَتْ».

وَقَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ: «لَمْ تَحْرِقِ النَّارُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ سِوَىٰ وَثَاقِهِ». **وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**: «لَوْلَا أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: ﴿وَسَلَـٰمًا﴾ لَآذَىٰ إِبْرَاهِيمَ بَرْدُهَا». **وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ**: «إِنَّ أَحْسَنَ شَيْءٍ قَالَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ لَمَّا رُفِعَ عَنْهُ الطَّبَقُ وَهُوَ فِي النَّارِ وَجَدَهُ يَرْشَحُ جَبِينُهُ قَالَ عِنْدَ ذَلِكَ: نِعْمَ الرَّبُّ رَبُّكَ يَا إِبْرَاهِيمُ». **وَقَالَ قَتَادَةُ**: «لَمْ يَأْتِ يَوْمَئِذٍ

---

(١) صحيح: البخاري (٤١٩٧).

دَابَّةٌ إِلَّا أَطْفَأَتْ عَنْهُ النَّارَ إِلَّا الوَزَغَ». وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: «أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقَتْلِهِ وَسَمَّاهُ فُوَيْسِقًا». وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ لَمْ يَكُنْ فِي الأَرْضِ دَابَّةٌ إِلَّا تُطْفِئُ النَّارَ غَيْرَ الْوَزَغِ فَإِنَّهُ كَانَ يَنْفُخُ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ». فَأَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَتْلِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾؛ أَيِ: الْمَغْلُوبِينَ الْأَسْفَلِينَ؛ لأَنَّهُمْ أَرَادُوا بِنَبِيِّ اللهِ كَيْدًا، فَكَادَهُمُ اللهُ، وَنَجَّاهُ مِنَ النَّارِ، فَغُلِبُوا هُنَالِكَ. وَقَالَ عَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ: «لَمَّا أُلْقِيَ إِبْرَاهِيمُ فِي النَّارِ جَاءَ مَلِكُهُمْ لِيَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَطَارَتْ شَرَارَةٌ فَوَقَعَتْ عَلَىٰ إِبْهَامِهِ فَأَحْرَقَتْهُ مِثْلَ الصُّوفَةِ»(١).

* قَوْلُهُ: «الْعَصَا وَالْيَدُ: لِمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ».

إِنَّ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ لَاقَىٰ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ أَشَدَّ أَنْوَاعِ التَّعْذِيبِ وَالتَّنْكِيلِ، حَتَّىٰ وَصَلَ الْأَمْرُ إِلَىٰ ذَبْحِ الْأَبْنَاءِ وَاسْتِحْيَاءِ النِّسَاءِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ فِرْعَوْنَ قَدْ بَلَغَ فِي طُغْيَانِهِ الْقِمَّةَ، فَكَانَ يَقُولُ لِلنَّاسِ: أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ. وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا صَوَّرَهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، وَقَدْ بَرَعَ عُلَمَاءُ فِرْعَوْنَ فِي السِّحْرِ، حَتَّىٰ إِنَّهُمْ كَانُوا يَسْحَرُونَ أَعْيُنَ النَّاسِ، فَيُخَيَّلُ لَهُمْ أَنَّ الْحِبَالَ تَسْعَىٰ، فَلَمَّا أَرَادَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُرْسِلَ لَهُمْ نَبِيَّهُ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ لَابُدَّ أَنْ تَكُونَ مُعْجِزَتُهُ مِنْ نَفْسِ جِنْسِ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ فُنُونِ السِّحْرِ، فَأَيَّدَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بِالْعَصَا، فَكَانَتْ هِيَ مُعْجِزَةَ التَّحَدِّي الْأُولَىٰ لِفِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، وَيُصَوِّرُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ ذَلِكَ. فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ

---

(١) «تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير» (١/ ١٦٤٦).

غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾ [طه: ١٧-٢٣].

قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾.

لَمَّا بَيَّنَ اللهُ لِمُوسَىٰ أَصْلَ الْإِيمَانِ أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُ وَيُرِيَهُ مِنْ آيَاتِهِ مَا يَطْمَئِنُّ بِهِ قَلْبُهُ، وَتَقَرُّ بِهِ عَيْنُهُ، وَيُقَوِّي إِيمَانَهُ، بِتَأْيِيدِ اللهِ لَهُ عَلَىٰ عَدُوِّهِ فَقَالَ: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ هَذَا مَعَ عِلْمِهِ تَعَالَىٰ، وَلَكِنْ لِزِيَادَةِ الِاهْتِمَامِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، أَخْرَجَ الْكَلَامَ بِطَرِيقِ الِاسْتِفْهَامِ.

فَقَالَ مُوسَىٰ: ﴿هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى﴾ ذَكَرَ فِيهَا هَاتَيْنِ الْمَنْفَعَتَيْنِ: مَنْفَعَةً لِجِنْسِ الْآدَمِيِّ، وَهُوَ أَنَّهُ يَعْتَمِدُ عَلَيْهَا فِي قِيَامِهِ وَمَشْيِهِ، فَيَحْصُلُ فِيهَا مَعُونَةٌ، وَمَنْفَعَةً لِلْبَهَائِمِ، وَهُوَ أَنَّهُ كَانَ يَرْعَىٰ الْغَنَمَ، فَإِذَا رَعَاهَا فِي شَجَرِ الْخَبْطِ وَنَحْوِهِ، هَشَّ بِهَا؛ أَيْ: ضَرَبَ الشَّجَرَ، لِيَتَسَاقَطَ وَرَقُهُ، فَيَرْعَاهُ الْغَنَمُ.

هَذَا الْخُلُقُ الْحَسَنُ مِنْ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّذِي مِنْ آثَارِهِ حُسْنُ رِعَايَةِ الْحَيَوَانِ الْبَهِيمِ، وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِ دَلَّ عَلَىٰ عِنَايَةٍ مِنَ اللهِ لَهُ وَاصْطِفَاءٍ، وَتَخْصِيصٍ تَقْتَضِيهِ رَحْمَةُ اللهِ وَحِكْمَتُهُ. ﴿وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ﴾؛ أَيْ: مَقَاصِدُ ﴿أُخْرَىٰ﴾ غَيْرَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ، وَمِنْ أَدَبِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ اللهَ لَمَّا سَأَلَهُ عَمَّا فِي يَمِينِهِ، وَكَانَ السُّؤَالُ مُحْتَمَلًا عَنِ السُّؤَالِ عَنْ عَيْنِهَا، أَوْ مَنْفَعَتِهَا أَجَابَهُ بِعَيْنِهَا، وَمَنْفَعَتِهَا، فَقَالَ اللهُ لَهُ: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾. انْقَلَبَتْ بِإِذْنِ اللهِ ثُعْبَانًا عَظِيمًا فَوَلَّىٰ مُوسَىٰ هَارِبًا خَائِفًا، وَلَمْ يُعَقِّبْ وَفِي وَصْفِهَا بِأَنَّهَا تَسْعَىٰ إِزَالَةٌ لِوَهْمٍ يُمْكِنُ

وُجُودُهُ، وَهُوَ أَنْ يَظُنَّ أَنَّهَا تَخْيِيلٌ لَا حَقِيقَةٌ، فَكَوْنُهَا تَسْعَىٰ يُزِيلُ هَذَا الْوَهْمَ. فَقَالَ اللهُ لِمُوسَىٰ: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾؛ أَيْ: لَيْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا بَأْسٌ، ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾؛ أَيْ: هَيْئَتَهَا وَصِفَتَهَا إِذْ كَانَتْ عَصًا، فَامْتَثَلَ مُوسَىٰ أَمْرَ اللهِ إِيمَانًا بِهِ وَتَسْلِيمًا، فَأَخَذَهَا، فَعَادَتْ عَصَاهُ الَّتِي كَانَ يَعْرِفُهَا، هَذِهِ آيَةٌ.

ثُمَّ ذَكَرَ الْآيَةَ الْأُخْرَىٰ، فَقَالَ: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾؛ أَيْ: أَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ، وَضُمَّ عَلَيْكَ عَضُدَكَ الَّذِي هُوَ جَنَاحُ الْإِنْسَانِ ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾؛ أَيْ: بَيَاضًا سَاطِعًا مِنْ غَيْرِ عَيْبٍ وَلَا بَرَصٍ ﴿ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾﴾.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾؛ أَيْ: فَعَلْنَا مَا ذَكَرْنَا مِنَ انْقِلَابِ الْعَصَا حَيَّةً تَسْعَىٰ، وَمِنْ خُرُوجِ الْيَدِ بَيْضَاءَ لِلنَّاظِرِينَ؛ لِأَجْلِ أَنْ نُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ الدَّالَّةِ عَلَىٰ صِحَّةِ رِسَالَتِكَ وَحَقِيقَةِ مَا جِئْتَ بِهِ، فَيَطْمَئِنُّ قَلْبُكَ، وَيَزْدَادُ عِلْمُكَ، وَتَثِقُ بِوَعْدِ اللهِ لَكَ بِالْحِفْظِ وَالنُّصْرَةِ، وَلِتَكُونَ حُجَّةً وَبُرْهَانًا لِمَنْ أُرْسِلْتَ إِلَيْهِمْ»[1].

فَأَرْسَلَ اللهُ ﷻ مُوسَىٰ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ مُتَحَدِّيًا لَهُ وَلِسَحَرَتِهِ، وَيَقُصُّ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ ذَلِكَ؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ

(١) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (١/ ٥٠٣).

عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأعراف: ١٠٣-١٢٦].

قَالَ الشِّنْقِيطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُواْ بِهَا﴾ الْآيَةَ. بَيَّنَ تَعَالَىٰ هُنَا أَنَّ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ ظَلَمُوا بِالْآيَاتِ الَّتِي جَاءَهُمْ بِهَا مُوسَىٰ، وَصَرَّحَ فِي النَّمْلِ بِأَنَّهُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ جَاحِدِينَ لَهَا، مَعَ أَنَّهُمْ مُسْتَيْقِنُونَ أَنَّهَا حَقٌّ لِأَجْلِ ظُلْمِهِمْ وَعُلُوِّهِمْ؛ وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾.

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾. ذَكَرَ تَعَالَىٰ هُنَا أَنَّ مُوسَىٰ نَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ، وَلَمْ يُبَيِّنْ أَنَّ ذَلِكَ الْبَيَاضَ خَالٍ مِنَ الْبَرَصِ، وَلَكِنَّهُ بَيَّنَ ذَلِكَ فِي سُورَةِ النَّمْلِ وَالْقَصَصِ فِي قَوْلِهِ فِيهِمَا: ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾؛ أَيْ: مِنْ غَيْرِ بَرَصٍ.

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾﴾. بَيَّنَ

هُنَا أَنَّ مُوسَىٰ لَمَّا جَاءَ بِآيَةِ الْعَصَا وَالْيَدِ قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ: إِنَّهُ سَاحِرٌ، وَلَمْ يُبَيِّنْ مَاذَا قَالَ فِرْعَوْنُ: وَلَكِنَّهُ بَيَّنَ فِي الشُّعَرَاءِ أَنَّ فِرْعَوْنَ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾.

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾. لَمْ يُبَيِّنْ هُنَا هَذَا السِّحْرَ الْعَظِيمَ مَا هُوَ؟ وَلَمْ يُبَيِّنْ هَلْ أَوْجَسَ مُوسَىٰ فِي نَفْسِهِ الْخَوْفَ مِنْهُ؟ وَلَكِنَّهُ بَيَّنَ كُلَّ ذَلِكَ فِي طَهَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾، وَلَمْ يُبَيِّنْ هُنَا أَنَّهُمْ تَوَاعَدُوا مَعَ مُوسَىٰ مَوْعِدًا لِوَقْتِ مُغَالَبَتِهِ مَعَ السَّحَرَةِ، وَأَوْضَحَ ذَلِكَ فِي سُورَةِ طَهَ فِي قَوْلِهِ عَنْهُمْ: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ [طه: ٥٨، ٥٩].

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾﴾. لَمْ يُبَيِّنْ هُنَا الشَّيْءَ الَّذِي تَوَعَّدَهُمْ بِأَنَّهُمْ يَصْلِبُهُمْ فِيهِ، وَلَكِنَّهُ بَيَّنَهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، كَقَوْلِهِ فِي طَهَ: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ الْآيَةَ»(١).

* قَوْلُهُ: «إِبْرَاءُ الْأَكْمَهِ وَالْأَبْرَصِ، وَإِحْيَاءُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللهِ: لِعِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ».

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ

(١) «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (٢/ ٣٨-٣٩).

تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾ [المائدة: ١١٠]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾

[آل عمران: ٤٩-٥١].

قَالَ الْجَزَائِرِيُّ - حَفِظَهُ اللهُ -: «﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾؛ أَيِ: اذْكُرْ يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ وَذَلِكَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ. ﴿ٱلْغُيُوبِ﴾: جَمْعُ غَيْبٍ: وَهُوَ مَا غَابَ عَنِ الْعُيُونِ، فَلَا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ. ﴿أَيَّدتُّكَ﴾: قَوَّيْتُكَ وَنَصَرْتُكَ. ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾: جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿ٱلْمَهْدِ﴾: سَرِيرُ الطِّفْلِ الرَّضِيعِ. الْكَهْلُ: مَنْ تَجَاوَزَ سِنَّ الشَّبَابِ؛ أَيْ: ثَلَاثِينَ سَنَةً. الْكِتَابُ: الْخَطُّ وَالْكِتَابَةُ. وَالْحِكْمَةُ: فَهْمُ أَسْرَارِ الشَّرْعِ، وَالْإِصَابَةُ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا. ﴿تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾: أَيْ تُوجِدُ وَتُقَدِّرُ هَيْئَةً كَصُوَرِ الطَّيْرِ. ﴿ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ﴾: الْأَكْمَهُ: مَنْ وُلِدَ أَعْمَىٰ. وَالْأَبْرَصُ: مَنْ بِهِ مَرَضُ الْبَرَصِ. ﴿تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾؛ أَيْ: أَحْيَاءً مِنْ قُبُورِهِمْ. ﴿كَفَفْتُ﴾؛ أَيْ: مَنَعْتُ. ﴿ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾: جَمْعُ حَوَارِيٍّ: وَهُوَ صَادِقُ الْحُبِّ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ.

مَعْنَىٰ الْآيَاتِ: يُحَذِّرُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْوَالِ الْبَعْثِ الْآخِرِ يَوْمَ يَجْمَعُ الرُّسُلَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: ﴿فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ﴾ أَطَاعَتْكُمْ أُمَمُكُمْ أَمْ عَصَتْكُمْ؟ فَيُرْتَجُّ عَلَيْهِمْ وَيَذْهَلُونَ وَيُفَوِّضُونَ الْأَمْرَ

إِلَيْهِ تَعَالَىٰ وَيَقُولُونَ: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾، إِذَا كَانَ هَٰذَا حَالُ الرُّسُلِ فَكَيْفَ بِمَنْ دُونَهُمْ مِنَ النَّاسِ وَيَخُصُّ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ بَيْنِ الرُّسُلِ بِالْكَلَامِ فِي هَٰذَا الْمَوْقِفِ الْعَظِيمِ، لِأَنَّ أُمَّتَيْنِ كَبِيرَتَيْنِ غَوَتْ فِيهِ وَضَلَّتِ: الْيَهُودُ ادَّعَوْا أَنَّهُ سَاحِرٌ وَابْنُ زِنَا، وَالنَّصَارَىٰ ادَّعَوْا أَنَّهُ اللهُ وَابْنُ اللهِ، فَخَاطَبَهُ اللهُ تَعَالَىٰ وَهُمْ يَسْمَعُونَ: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾ فَأَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي وَأُمُّكَ أَمَتِي، وَذَكَرَ لَهُ أَنْوَاعَ نِعَمِهِ عَلَيْهِ فَقَالَ: ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾، جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ﴾ وَأَنْتَ طِفْلٌ. إِذْ قَالَ وَهُوَ فِي مَهْدِهِ ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾، وَقَوْلُه: ﴿وَكَهْلًا﴾؛ أَيْ: وَتُكَلِّمُهُمْ وَأَنْتَ كَهْلٌ أَيْضًا وَفِيهِ بُشْرَىٰ لِمَرْيَمَ أَنَّ وَلَدَهَا يَكْبُرُ وَلَا يَمُوتُ صَغِيرًا وَقَدْ كَلَّمَ النَّاسَ وَهُوَ شَابٌّ وَسَيَعُودُ إِلَىٰ الْأَرْضِ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ وَهُوَ كَهْلٌ. وَيُعَدِّدُ نِعَمَهُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ: ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾، فَكُنْتَ تَكْتُبُ الْخَطَّ وَتَقُولُ وَتَعْمَلُ بِالْحِكْمَةِ، وَعَلَّمْتُكَ التَّوْرَاةَ كِتَابَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْإِنْجِيلَ الَّذِي أَوْحَاهُ إِلَيْهِ ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي﴾؛ أَيِ: اذْكُرْ لَمَّا طَالَبَكَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِآيَةٍ عَلَىٰ نُبُوَّتِكَ فَقَالُوا لَكَ اخْلُقْ لَنَا طَيْرًا فَأَخَذْتَ طِينًا وَجَعَلْتَهُ عَلَىٰ صُورَةِ طَائِرٍ وَذَلِكَ بِإِذْنِي لَكَ وَنَفَخْتَ فِيهِ بِإِذْنِي فَكَانَ طَائِرًا، وَاذْكُرْ أَيْضًا إِذْ تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَهُوَ الْأَعْمَىٰ الَّذِي لَا عَيْنَيْنِ لَهُ، ﴿وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي﴾؛ أَيْ: بِعَوْنِي لَكَ وَإِقْدَارِي لَكَ عَلَىٰ ذَلِكَ ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ مِنْ قُبُورِهِمْ أَحْيَاءً فَقَدْ أَحْيَا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَدَدًا مِنَ الْأَمْوَاتِ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَىٰ ثُمَّ قَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَحْيِي لَنَا سَامَ بْنَ نُوحٍ فَوَقَفَ عَلَىٰ قَبْرِهِ وَنَادَاهُ فَقَامَ حَيًّا مِنْ قَبْرِهِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ، وَاذْكُرْ إِذ ﴿كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ

جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ فَكَذَّبُوكَ وَهَمُّوا بِقَتْلِكَ وَصَلْبِكَ، ﴿فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾، وَاذْكُرْ إِذْ ﴿أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾ عَلَىٰ لِسَانِكَ ﴿أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى﴾ أَيْ بِكَ يَا عِيسَىٰ ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ أَيْ مُنْقَادُونَ مُطِيعُونَ لِمَا تَأْمُرُنَا بِهِ مِنْ طَاعَةِ رَبِّنَا وَطَاعَتِكَ»(١).

* قَوْلُهُ: «الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ».

الْقُرْآنُ: هُوَ كَلَامُ اللهِ تَعَالَىٰ الْمُنَزَّلُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ بِلَفْظِهِ الْعَرَبِيِّ، الْمُتَعَبَّدُ بِتِلَاوَتِهِ، الْمَنْقُولُ بِالتَّوَاتُرِ، الْمَكْتُوبُ فِي الْمَصَاحِفِ.

الْقُرْآنُ: اسْمٌ لِلْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ الْمُنَزَّلِ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، الْمُبْتَدَأِ بِالْبَسْمَلَةِ فَسُورَةِ الْفَاتِحَةِ، وَالْمُخْتَتَمِ بِسُورَةِ النَّاسِ. **الْمُنَزَّلِ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ**: فَتَخْرُجُ الْكُتُبُ الَّتِي أُنْزِلَتْ عَلَىٰ غَيْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ، كَالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ؛ فَلَيْسَتْ قُرْآنًا. **بِلَفْظِهِ الْعَرَبِيِّ**: كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ [فصلت: ٣]. وَقَالَ: ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠٣]؛ فَخَرَجَتْ تَرْجَمَةُ مَعَانِيهِ إِلَىٰ غَيْرِ لُغَةِ الْعَرَبِ، فَلَا تُسَمَّىٰ (قُرْآنًا).

الْمُتَعَبَّدُ بِتِلَاوَتِهِ: خَرَجَتِ الْأَحَادِيثُ الْقُدْسِيَّةُ؛ فَلَا تُسَمَّىٰ (قُرْآنًا)، وَخَرَجَ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ فَهُوَ كَلَامُ مَنْ قَالَهُ.

الْمَنْقُولُ بِالتَّوَاتُرِ: وَخَرَجَ بِتَوَاتُرِ الْقُرْآنِ الْقِرَاءَاتُ غَيْرُ الْمُتَوَاتِرَةِ، فَلَا تُسَمَّىٰ (قُرْآنًا)، إِنَّمَا تَكُونُ مِنْ قَبِيلِ أَحَادِيثِ الْآحَادِ إِذَا ثَبَتَ إِسْنَادُهَا إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، أَوْ مِنْ قَبِيلِ تَفْسِيرِ الصَّحَابِيِّ، فَيَكُونُ لَهُ حُكْمُ مَذْهَبِ الصَّحَابِيِّ وَرَأْيِهِ، فَالْقِرَاءَةُ الْمَرْوِيَّةُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَغَيْرِهِ فِي كَفَّارَةِ الْيَمِينِ: «فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ» لَمْ يُنْقَلْ أَنَّهُ سَمِعَهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ. **الْمَكْتُوبُ فِي الْمَصَاحِفِ**: الْمَحْفُوظُ فِي

---

(١) «أيسر التفاسير» (١/ ٣٨٤).

الصُّدُورِ، الْمَوْجُودُ بَيْنَ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ.

فَقَدْ تَحَدَّىٰ اللهُ ﷻ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ بِهِ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٨]. بَلْ تَحَدَّاهُمْ أَنْ يَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِنْهُ. فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [فصلت: ١٣]. بَلْ تَحَدَّاهُمُ اللهُ ﷻ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ؛ وَذَلِكَ لِبَيَانِ عَجْزِهِمْ عَنْ ذَلِكَ. فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣].

وَلِأَنَّ الْعَرَبَ قَدْ بَرَعُوا فِي الشِّعْرِ وَالْأَدَبِ وَلُغَةِ الْعَرَبِ، وَكَانَتْ تُقَامُ الْأَسْوَاقُ مِنْ أَجْلِ التَّفَاخُرِ بَيْنَ الْقَبَائِلِ بِالشِّعْرِ وَالشُّعَرَاءِ، مِثْلُ سُوقِ عُكَاظٍ وَذِي الْمَجَازِ وَغَيْرِهِمَا، فَنَزَلَ الْقُرْآنُ بِلُغَتِهِمْ لِيَتَحَدَّاهُمْ؛ وَلِذَا قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ: وَاللهِ لَقَدْ سَمِعْتُ مُحَمَّدًا آنِفًا يَقُولُ كَلَامًا مَا هُوَ مِنْ كَلَامِ الْإِنْسِ، وَلَا مِنْ كَلَامِ الْجِنِّ، إِنَّ لَهُ لَحَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطُلَاوَةً، وَإِنَّ أَعْلَاهُ لَمُثْمِرٌ، وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمُغْدِقٌ، وَإِنَّهُ يَعْلُو، وَمَا يُعْلَىٰ عَلَيْهِ(١). وَقَدْ سَبَقَ الْحَدِيثُ عَنِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِالتَّفْصِيلِ فِي بَابِ الْإِيمَانِ بِالْكُتُبِ؛ فَلْيُرَاجَعْ.

* قَوْلُهُ: «وَالْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ الْإِسْرَاءَ ثَابِتٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ لِرَسُولِنَا ﷺ، فَمَنْ أَنْكَرَهُ فَهُوَ كَافِرٌ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ مُكَذِّبًا بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، وَهِيَ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ الَّتِي أَيَّدَ اللهُ ﷻ بِهَا نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بَعْدَ مَا لَاقَىٰ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي مَكَّةَ

---

(١) «أيسر التفاسير».

بَعْدَ وَفَاةِ زَوْجِهِ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، فَكَانَتْ رِحْلَةُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ تَسْلِيَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَتَحَدِّيًا لِلْمُشْرِكِينَ، وَامْتِحَانًا لِلْمُؤْمِنِينَ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: ١].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ - وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَىٰ طَرْفِهِ - قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّىٰ أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، قَالَ: فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ، قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ، فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ جِبْرِيلُ ﷺ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ. ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِابْنَيِ الْخَالَةِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَىٰ بْنِ زَكَرِيَّاءَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِي إِلَىٰ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ ﷺ

فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ﷺ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَىٰ ﷺ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَىٰ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَىٰ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَىٰ اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَىٰ فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ ﷺ فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَىٰ أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً. قَالَ: ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ؛ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ؛ فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَخَبَرْتُهُمْ. قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَىٰ رَبِّي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، خَفِّفْ عَلَىٰ أُمَّتِي. فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ، فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا. قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ؛ فَارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَبَيْنَ مُوسَىٰ ﷺ حَتَّىٰ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً. وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً. قَالَ: فَنَزَلْتُ حَتَّىٰ انْتَهَيْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. فقال: رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَىٰ رَبِّي حَتَّىٰ اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ»(١).

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (٤٢٩).

* قَوْلُهُ: «وَانْشِقَاقُ الْقَمَرِ».

لَمَّا طَلَبَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ آيَةً، فَأَشَارَ إِلَىٰ الْقَمَرِ، فَصَارَ فَلْقَتَيْنِ، وَرَآهُ جَمِيعُ النَّاسِ حَتَّىٰ الْغَائِبُ مِنْهُمْ، وَمَعَ ذَٰلِكَ لَمْ يُصَدِّقُوا النَّبِيَّ ﷺ وَقَالُوا: سَحَرَنَا مُحَمَّدٌ، فَنَزَلَ الْقُرْآنُ بِفَضْحِ مَكْرِهِمْ وَجُحُودِهِمْ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣﴾ [القمر: ١-٣].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ شِقَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اشْهَدُوا»(١).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ قَالَ: وَقَدْ كَانَ ذَٰلِكَ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ انْشَقَّ فِلْقَتَيْنِ: فِلْقَةً مِنْ دُونِ الْجَبَلِ، وَفِلْقَةً مِنْ خَلْفِ الْجَبَلِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ»(٢).

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «قَدْ ثَبَتَ بِنَقْلِ الْآحَادِ الْعُدُولِ أَنَّ الْقَمَرَ انْشَقَّ بِمَكَّةَ، وَهُوَ ظَاهِرُ التَّنْزِيلِ، وَلَا يَلْزَمُ أَنْ يَسْتَوِيَ النَّاسُ فِيهَا؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ آيَةً لَيْلِيَّةً، وَأَنَّهَا كَانَتْ بِاسْتِدْعَاءِ النَّبِيِّ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ عِنْدَ التَّحَدِّي. فَرُوِيَ أَنَّ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ حِينَ أَسْلَمَ غَضَبًا مِنْ سَبِّ أَبِي جَهْلٍ الرَّسُولَ طَلَبَ أَنْ يُرِيَهُ آيَةً يَزْدَادُ بِهَا يَقِينًا فِي إِيمَانِهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ هُمُ الَّذِينَ سَأَلُوا وَطَلَبُوا أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً، فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ فِلْقَتَيْنِ»(٣).

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٦٣٦)، ومسلم (٧٢٤٩).

(٢) «دلائل النبوة» للبيهقي (٢/ ٢٦٧).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ١٢٦).

* قَوْلُهُ: «وَغَيْرُهَا: لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ».

أَيْ: مِنَ الْمُعْجِزَاتِ الَّتِي أَيَّدَ اللهُ ﷻ بِهَا عَبْدَهُ وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ مِنْهَا:

١- نَبْعُ الْمَاءِ بَيْنَ يَدَيْهِ:

عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَا بِمَاءٍ، فَأُتِيَ بِقَدَحٍ رَحْرَاحٍ، فَجَعَلَ الْقَوْمُ يَتَوَضَّئُونَ، فَحَزَرْتُ مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَىٰ الثَّمَانِينَ، قَالَ: فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَىٰ الْمَاءِ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ(١).

وعَنْه أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَحَانَتْ صَلَاةُ الْعَصْرِ فَالْتَمَسَ النَّاسُ الْوَضُوءَ، فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِوَضُوءٍ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي ذَلِكَ الإِنَاءِ يَدَهُ، وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَوَضَّئُوا مِنْهُ، قَالَ: فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ النَّاسُ، حَتَّىٰ تَوَضَّئُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ(٢).

وعنه أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ بِالزَّوْرَاءِ - قَالَ: وَالزَّوْرَاءُ بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ السُّوقِ وَالْمَسْجِدُ فِيمَا ثَمَّهْ - دَعَا بِقَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ، فَوَضَعَ كَفَّهُ فِيهِ، فَجَعَلَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ جَمِيعُ أَصْحَابِهِ. قَالَ: قُلْتُ: كَمْ كَانُوا يَا أَبَا حَمْزَةَ؟ قَالَ كَانُوا زُهَاءَ الثَّلَاثِمِائَةِ(٣).

٢- تَكَثُّرُ الطَّعَامِ بَيْنَ يَدَيْهِ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: مَرَّ بِنَا فِي مَسْجِدِ بَنِي رِفَاعَةَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا مَرَّ بِجَنَبَاتِ أُمِّ سُلَيْمٍ دَخَلَ عَلَيْهَا، فَسَلَّمَ عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ عَرُوسًا بِزَيْنَبَ، فَقَالَتْ لِي أُمُّ سُلَيْمٍ: لَوْ أَهْدَيْنَا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ هَدِيَّةً. فَقُلْتُ

---

(١) صحيح: مسلم (٦٠٨٠).

(٢) صحيح: مسلم (٦٠٨١).

(٣) صحيح: مسلم (٦٠٨٢).

لَهَا: افْعَلِي. فَعَمَدَتْ إِلَىٰ تَمْرٍ وَسَمْنٍ وَأَقِطٍ، فَاتَّخَذَتْ حَيْسَةً فِي بُرْمَةٍ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا مَعِي إِلَيْهِ، فَانْطَلَقْتُ بِهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لِي: «ضَعْهَا». ثُمَّ أَمَرَنِي، فَقَالَ: «ادْعُ لِي رِجَالًا - سَمَّاهُمْ - وَادْعُ لِي مَنْ لَقِيتَ». قَالَ: فَفَعَلْتُ الَّذِي أَمَرَنِي. فَرَجَعْتُ فَإِذَا الْبَيْتُ غَاصٌّ بِأَهْلِهِ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَىٰ تِلْكَ الْحَيْسَةِ، وَتَكَلَّمَ بِهَا مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ جَعَلَ يَدْعُو عَشَرَةً عَشَرَةً يَأْكُلُونَ مِنْهُ، وَيَقُولُ لَهُمْ: «اذْكُرُوا اسْمَ اللهِ، وَلْيَأْكُلْ كُلُّ رَجُلٍ مِمَّا يَلِيهِ». قَالَ: حَتَّىٰ تَصَدَّعُوا كُلُّهُمْ عَنْهَا، فَخَرَجَ مِنْهُمْ مَنْ خَرَجَ، وَبَقِيَ نَفَرٌ يَتَحَدَّثُونَ، قَالَ: وَجَعَلْتُ أَغْتَمُّ. ثُمَّ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ نَحْوَ الْحُجُرَاتِ وَخَرَجْتُ فِي إِثْرِهِ، فَقُلْتُ: إِنَّهُمْ قَدْ ذَهَبُوا. فَرَجَعَ فَدَخَلَ الْبَيْتَ وَأَرْخَىٰ السِّتْرَ، وَإِنِّي لَفِي الْحُجْرَةِ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾(١).

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا حُفِرَ الْخَنْدَقُ رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا، فَانْكَفَأْتُ إِلَىٰ امْرَأَتِي، فَقُلْتُ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا. فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ جِرَابًا فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ، فَذَبَحْتُهَا، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ، فَفَرَغَتْ إِلَىٰ فَرَاغِي، وَقَطَّعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا، ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: لَا تَفْضَحْنِي بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَبِمَنْ مَعَهُ. فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا، وَطَحَنَّا صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ كَانَ عِنْدَنَا، فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ، فَصَاحَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «يَا أَهْلَ الْخَنْدَقِ، إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ سُورًا فَحَيَّهَلًا بِكُمْ». فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «لَا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ، وَلَا تَخْبِزُنَّ

---

(١) صحيح: البخاري (٥١٦٣).

عَجِينكُمْ حَتَّىٰ أَجِيءَ». فَجِئْتُ وَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْدُمُ النَّاسَ، حَتَّىٰ جِئْتُ امْرَأَتِي، فَقَالَتْ: بِكَ وَبِكَ. فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتِ. فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَجِينًا فَبَصَقَ فِيهِ وَبَارَكَ، ثمَّ عَمَدَ إِلَىٰ بُرْمَتِنَا، فَبَصَقَ وَبَارَكَ، ثُمَّ قَالَ: «ادْعُ خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعِي وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ، وَلَا تُنْزِلُوهَا». وَهُمْ أَلْفٌ، فَأُقْسِمُ بِاللهِ لَقَدْ أَكَلُوا حَتَّىٰ تَرَكُوهُ، وَانْحَرَفُوا وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبَزُ كَمَا هُوَ(١).

٣- حَنِينُ الْجِذْعِ:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: كَانَ الْمَسْجِدُ مَسْقُوفًا عَلَىٰ جُذُوعٍ مِنْ نَخْلٍ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَىٰ جِذْعٍ مِنْهَا، فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ الْمِنْبَرُ، وَكَانَ عَلَيْهِ، فَسَمِعْنَا لِذَلِكَ الْجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ الْعِشَارِ، حَتَّىٰ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَسَكَنَتْ(٢).

٤- انْقِيَادُ الشَّجَرَةِ لَهُ ﷺ:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ نَزَلْنَا وَادِيًا أَفْيَحَ، فَذَهَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْضِي حَاجَتَهُ، فَاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتَتِرُ بِهِ، فَإِذَا شَجَرَتَانِ بِشَاطِئِ الْوَادِي، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ إِحْدَاهُمَا، فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، فَقَالَ: «انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ». فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدَهُ، حَتَّىٰ أَتَىٰ الشَّجَرَةَ الْأُخْرَىٰ، فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، فَقَالَ: «انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ». فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَذَلِكَ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ بِالْمَنْصَفِ مِمَّا بَيْنَهُمَا لَأَمَ بَيْنَهُمَا - يَعْنِي: جَمَعَهُمَا - فَقَالَ: «الْتَئِمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ». فَالْتَأَمَتَا، قَالَ جَابِرٌ: فَخَرَجْتُ أُحْضِرُ

---

(١) متفق عليه: البخاري (٤١٠٢)، ومسلم (٥٤٣٦).

(٢) صحيح: البخاري (٣٥٨٣).

مَخَافَةَ أَنْ يُحِسَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقُرْبِي فَيَبْتَعِدَ - وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ: فَيَتَبَعَّدَ - فَجَلَسْتُ أُحَدِّثُ نَفْسِي، فَحَانَتْ مِنِّي لَفْتَةٌ، فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مُقْبِلًا، وَإِذَا الشَّجَرَتَانِ قَدِ افْتَرَقَتَا، فَقَامَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَىٰ سَاقٍ(١).

٥- تَسْلِيمُ الْحَجَرِ عَلَيْهِ ﷺ:

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي لأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لأَعْرِفُهُ الآنَ**»(٢).

أَيِ: الْأُمُورُ الَّتِي اخْتَصَّ اللهُ ﷻ بِهَا الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ دُونَ سَائِرِ النَّاسِ؛ وَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ التَّمْكِينِ لِلرِّسَالَةِ وَالنُّبُوَّةِ.

الضَّابِطُ السَّادِسُ: أَشْهَرُ خَصَائِصِ الْأَنْبِيَاءِ تِسْعَةٌ:
١- الْوَحْيُ. ٢- الْعِصْمَةُ فِي التَّحَمُّلِ وَالتَّبْلِيغِ وَمِنَ الْكَبَائِرِ.
٣- تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ. ٤- يُخَيَّرُونَ عِنْدَ الْمَوْتِ.
٥- لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ.
٦- لَا يُقْبَرُونَ إِلَّا حَيْثُ يَمُوتُونَ. ٧- لَا تَأْكُلُ الْأَرْضُ أَجْسَادَهُمْ.
٨- هُمْ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ. ٩- لَا يُورَثُونَ وَمَا تَرَكُوهُ صَدَقَةٌ.

* قَوْلُهُ: «الْوَحْيُ».

أَوَّلًا: تَعْرِيفُ الْوَحْيِ لُغَةً وَشَرْعًا: **الْوَحْيُ فِي اللُّغَةِ**: هُوَ الْإِعْلَامُ السَّرِيعُ الْخَفِيُّ.

وَيُطْلَقُ الْوَحْيُ عَلَىٰ: الْإِشَارَةِ، وَالْكِتَابَةِ، وَالرِّسَالَةِ، وَالْإِلْهَامِ، وَكُلُّ مَا أَلْقَيْتَهُ

(١) صحيح: مسلم (٥٣٢٨).
(٢) صحيح: مسلم (٦٠٧٨).

عَلَىٰ غَيْرِكَ حَتَّىٰ عَلِمَهُ فَهُوَ وَحْيٌ كَيْفَ كَانَ وَهُوَ لَا يَخْتَصُّ بِالْأَنْبِيَاءِ وَلَا بِكَوْنِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَالْوَحْيُ بِمَعْنَاهُ اللُّغَوِيِّ يَتَنَاوَلُ:

١- الْإِلْهَامَ الْفِطْرِيَّ لِلْإِنْسَانِ، كَالْوَحْيِ لِأُمِّ مُوسَىٰ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧].

٢- الْإِلْهَامَ الْغَرِيزِيَّ لِلْحَيَوَانِ، كَالْوَحْيِ إِلَىٰ النَّحْلِ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [النحل: ٦٨].

٣- الْإِشَارَةَ السَّرِيعَةَ عَلَىٰ سَبِيلِ الرَّمْزِ وَالْإِيحَاءِ، كَإِيحَاءِ زَكَرِيَّا لِقَوْمِهِ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾ [مريم: ١١].

٤- وَسْوَسَةَ الشَّيْطَانِ وَتَزْيِينَ الشَّرِّ فِي نُفُوسِ أَوْلِيَائِهِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١].

٥- مَا يُلْقِيهِ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَىٰ مَلَائِكَتِهِ مِنْ أَمْرٍ لِيَفْعَلُوهُ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الأنفال: ١٢].

التَّعْرِيفُ الشَّرْعِيُّ: هُوَ إِعْلَامُ اللهِ أَنْبِيَاءَهُ بِمَا يُرِيدُ أَنْ يُبَلِّغَهُ إِلَيْهِمْ مِنْ شَرْعٍ أَوْ كِتَابٍ بِوَاسِطَةٍ أَوْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ[1].

ثَانِيًا: أَنْوَاعُ الْوَحْيِ: لِتَلَقِّي الْوَحْيِ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ طُرُقٌ بَيَّنَهَا اللهُ تَعَالَىٰ بِقَوْلِهِ فِي سُورَةِ الشُّورَىٰ: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: ٥١].

---

(١) «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة» (ص١٥٤).

فَأَخْبَرَ اللهُ تَعَالَىٰ أَنَّ تَكْلِيمَهُ وَوَحْيَهُ لِلْبَشَرِ يَقَعُ عَلَىٰ ثَلَاثِ مَرَاتِبَ:

الْأُولَىٰ: الإِلْقَاءُ فِي رُوعِ النَّبِيِّ الْمُوحَىٰ إِلَيْهِ؛ بِحَيْثُ لَا يَمْتَرِي النَّبِيُّ فِي أَنَّ هَذَا الَّذِي أُلْقِيَ فِي قَلْبِهِ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ، كَمَا جَاءَ فِي «صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ» عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّىٰ تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا وَأَجَلَهَا، فَاتَّقُوا اللهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ**»(١).

ثَانِيًا: الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ: فَإِنَّ رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ حَقٌّ؛ وَلِذَلِكَ فَإِنَّ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ إِبْرَاهِيمَ بَادَرَ إِلَىٰ ذَبْحِ وَلَدِهِ عِنْدَمَا رَأَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ يَذْبَحُهُ، وَعَدَّ هَذِهِ الرُّؤْيَا أَمْرًا إِلَهِيًّا. قَالَ تَعَالَىٰ فِي إِبْرَاهِيمَ وَابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الصافات: ١٠٢-١٠٥].

وَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: «أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَىٰ رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلَاءُ»(٢).

ثَالِثًا: تَكْلِيمُ اللهِ لِرُسُلِهِ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ: وَذَلِكَ كَمَا كَلَّمَ اللهُ تَعَالَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَذَكَرَ اللهُ ذَلِكَ فِي أَكْثَرَ مِنْ مَوْضِعٍ فِي كِتَابِهِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠

---

(١) حديث صحيح بشواهده: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٢٦، ٢٧)، من حديث أبي أمامة.

(٢) صحيح: البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠)، واللفظ للبخاري.

أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف: ١٤٣]. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه: ١١-١٤].

وَمِمَّنْ كَلَّمَهُ اللهُ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ [البقرة: ٣٣].

وَكَلَّمَ اللهُ عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ عِنْدَمَا عُرِجَ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، كَمَا سَبَقَ فِي الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ.

رَابِعًا: الْوَحْيُ إِلَىٰ الرَّسُولِ بِوَاسِطَةِ الْمَلَكِ: وَهَذَا هُوَ الَّذِي يُفْقَهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورىٰ: ٥١].

وَهَذَا الرَّسُولُ هُوَ جِبْرِيلُ، وَقَدْ يَكُونُ غَيْرُهُ، وَذَلِكَ فِي أَحْوَالٍ قَلِيلَةٍ.

بِالتَّأَمُّلِ فِي النُّصُوصِ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ نَجِدُ أَنَّ لِلْمَلَكِ ثَلَاثَةَ أَحْوَالٍ:

الْأَوَّلُ: أَنْ يَرَاهُ الرَّسُولُ ﷺ عَلَىٰ صُورَتِهِ الَّتِي خَلَقَهُ اللهُ عَلَيْهَا، وَلَمْ يَحْدُثْ هَذَا لِرَسُولِنَا ﷺ إِلَّا مَرَّتَيْنِ.

الثَّانِي: أَنْ يَأْتِيَهُ الْوَحْيُ فِي مِثْلِ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، فَيَذْهَبُ عَنْهُ وَقَدْ وَعَىٰ عَنْهُ الرَّسُولُ ﷺ مَا قَالَ.

الثَّالِثُ: أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الْمَلَكُ رَجُلًا، فَيُكَلِّمَهُ وَيُخَاطِبَهُ وَيَعِي عَنْهُ قَوْلَهُ، وَهَذِهِ أَخَفُّ الْأَحْوَالِ عَلَىٰ الرَّسُولِ ﷺ، وَقَدْ حَدَثَ هَذَا مِنْ جِبْرِيلَ فِي اللِّقَاءِ الْأَوَّلِ عِنْدَمَا فَجَأَهُ فِي غَارِ حِرَاءٍ[١]. وَقَدْ سَبَقَ ذَلِكَ فِي بَابِ الْكُتُبِ بِالتَّفْصِيلِ فَلْيُرَاجَعْ.

---

(١) «الرسل والرسالات» بتصرف (ص٣٦).

* قوله: «الْعِصْمَةُ فِي التَّحَمُّلِ وَالتَّبْلِيغِ وَمِنَ الْكَبَائِرِ».

تَعْرِيفُ الْعِصْمَةِ: الْعِصْمَةُ وَرَدَتْ فِي اللُّغَةِ لِعِدَّةِ مَعَانٍ مِنْهَا:

١- الْمَنْعُ: قَالَ صَاحِبُ «اللِّسَانِ»: «الْعِصْمَةُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْمَنْعُ، وَعِصْمَةُ اللهِ عَبْدَهُ: أَنْ يَعْصِمَهُ مِمَّا يُوبِقُهُ. عَصَمَهُ، يَعْصِمُهُ، عَصْمًا: مَنَعَهُ وَوَقَاهُ».

٢- الْحِفْظُ: قَالَ صَاحِبُ «اللِّسَانِ»: «وَالْعِصْمَةُ الْحِفْظُ، يُقَالُ: عَصَمْتُهُ فَانْعَصَمَ، وَاعْتَصَمْتُ بِاللهِ إِذَا امْتَنَعْتُ بِلُطْفِهِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ».

٣- الْقِلَادَةُ: قَالَ صَاحِبُ «اللِّسَانِ»: «الْعِصْمَةُ: الْقِلَادَةُ»، وَكَذَا فِي «الْقَامُوسِ الْمُحِيطِ»(١).

الْمَعْنَىٰ الشَّرْعِيُّ: أَمَّا عِصْمَةُ النَّبِيِّ ﷺ «لُطْفٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ يَحْمِلُ النَّبِيَّ عَلَىٰ فِعْلِ الْخَيْرِ، وَيَزْجُرُهُ عَنِ الشَّرِّ مَعَ بَقَاءِ الِاخْتِيَارِ تَحْقِيقًا لِلِابْتِلَاءِ»(٢).

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ اللهَ ﷻ قَدْ عَصَمَ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ جَمِيعًا مِنَ التَّخَاذُلِ أَوِ التَّقْصِيرِ فِي التَّبْلِيغِ أَوِ الْوُقُوعِ فِي الْكَبَائِرِ.

أَمَّا الْعِصْمَةُ فِي التَّحَمُّلِ: هِيَ أَنَّ اللهَ ﷻ عَصَمَ الْأَنْبِيَاءَ مِنَ النِّسْيَانِ أَوِ التَّبْدِيلِ أَوِ التَّغْيِيرِ، إِنَّمَا كَانَ يَعِي وَيَحْفَظُ مَا يُوحَىٰ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ثُمَّ يُبَلِّغُهُ إِلَىٰ قَوْمِهِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧﴾ [الأعلىٰ: ٦، ٧]. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾ [القيامة: ١٦-١٩].

قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا جَاءَهُ جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ، وَشَرَعَ فِي تِلَاوَتِهِ

---

(١) «لسان العرب» (١٢/ ٤٠٣) مادة: عصم.

(٢) «نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض» (٤/ ٣٩).

عَلَيْهِ، بَادَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْحِرْصِ قَبْلَ أَنْ يَفْرُغَ، وَتَلَاهُ مَعَ تِلَاوَةِ جِبْرِيلَ إِيَّاهُ، فَنَهَاهُ اللهُ عَنْ هَذَا، وَقَالَ: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾.

وَقَالَ هُنَا: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾، ثُمَّ ضَمِنَ لَهُ تَعَالَىٰ أَنَّهُ لَابُدَّ أَنْ يَحْفَظَهُ وَيَقْرَأَهُ، وَيَجْمَعَهُ اللهُ فِي صَدْرِهِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾، فَالْحِرْصُ الَّذِي فِي خَاطِرِكَ، إِنَّمَا الدَّاعِي لَهُ حَذَرُ الْفَوَاتِ وَالنِّسْيَانُ، فَإِذَا ضَمِنَهُ اللهُ لَكَ فَلَا مُوجِبَ لِذَلِكَ. ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾؛ أَيْ: إِذَا كَمَّلَ جِبْرِيلُ قِرَاءَةَ مَا أَوْحَىٰ اللهُ إِلَيْكَ، فَحِينَئِذٍ اتَّبِعْ مَا قَرَأَهُ وَاقْرَأْهُ. ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾؛ أَيْ: بَيَانَ مَعَانِيهِ، فَوَعَدَهُ بِحِفْظِ لَفْظِهِ وَحِفْظِ مَعَانِيهِ، وَهَذَا أَعْلَىٰ مَا يَكُونُ، فَامْتَثَلَ ﷺ لِأَدَبِ رَبِّهِ، فَكَانَ إِذَا تَلَا عَلَيْهِ جِبْرِيلُ الْقُرْآنَ بَعْدَ هَذَا، أَنْصَتَ لَهُ، فَإِذَا فَرَغَ قَرَأَهُ(١).

وَأَمَّا **الْعِصْمَةُ فِي التَّبْلِيغِ**: هِيَ أَنَّ اللهَ ﷻ يَعْصِمُهُ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَنَالُوا مِنْهُ أَوْ أَنْ يَمْنَعُوهُ عَنْ تَبْلِيغِ هَذَا الدِّينِ سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ بِالْقَتْلِ أَوِ الْحَبْسِ وَالسَّجْنِ أَوْ غَيْرِهِمَا، كَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ مَعْصُومُونَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَىٰ اللهِ أَوِ الزِّيَادَةِ أَوِ النُّقْصَانِ أَوِ الْخِيَانَةِ لِلْأَمَانَةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ اللهَ ﷻ قَدِ اصْطَفَىٰ رُسُلَهُ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ.

فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [آل عمران: ٣٣، ٣٤]. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [يوسف: ٦]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ

(١) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (١/ ٨٩٩).

ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ [المائدة: ٦٧].

وَأَمَّا الْعِصْمَةُ مِنَ الْكَبَائِرِ: فَقَدْ أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَىٰ أَنَّ الرُّسُلَ وَالْأَنْبِيَاءَ مَعْصُومُونَ مِنَ الْكَبَائِرِ، فَلَا يَقَعُونَ فِي كَبَائِرِ الذُّنُوبِ كَالسَّرِقَةِ وَالزِّنَا وَالْخِيَانَةُ وَغَيْرُهَا مِنْ كَبَائِرِ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ.

عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ أَمَّنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ إِلَّا أَرْبَعَةَ نَفَرٍ وَامْرَأَتَيْنِ، وَقَالَ: «**اقْتُلُوهُمْ وَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمْ مُتَعَلِّقِينَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ**». عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ خَطَلٍ وَمَقِيسُ بْنُ صُبَابَةَ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي السَّرْحِ، فَأَمَّا عَبْدُ اللهِ بْنُ خَطَلٍ فَأُدْرِكَ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ فَاسْتَبَقَ إِلَيْهِ سَعِيدُ بْنُ حُرَيْثٍ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ فَسَبَقَ سَعِيدٌ عَمَّارًا وَكَانَ أَشَبَّ الرَّجُلَيْنِ، فَقَتَلَهُ وَأَمَّا مَقِيسُ بْنُ صُبَابَةَ فَأَدْرَكَهُ النَّاسُ فِي السُّوقِ فَقَتَلُوهُ، وَأَمَّا عِكْرِمَةُ فَرَكِبَ الْبَحْرَ فَأَصَابَتْهُمْ عَاصِفٌ، فَقَالَ أَصْحَابُ السَّفِينَةِ أَخْلِصُوا فَإِنَّ آلِهَتَكُمْ لَا تُغْنِي عَنْكُمْ شَيْئًا هَاهُنَا، فَقَالَ عِكْرِمَةُ: وَاللهِ لَئِنْ لَمْ يُنَجِّنِي مِنَ الْبَحْرِ إِلَّا الْإِخْلَاصُ لَا يُنَجِّينِي فِي الْبَرِّ غَيْرُهُ اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ عَلَيَّ عَهْدًا إِنْ أَنْتَ عَافَيْتَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ أَنْ آتِيَ مُحَمَّدًا ﷺ حَتَّىٰ أَضَعَ يَدِيَ فِي يَدِهِ فَلَأَجِدَنَّهُ عَفُوًّا كَرِيمًا فَجَاءَ فَأَسْلَمَ وَأَمَّا عَبْدُ اللهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي السَّرْحِ فَإِنَّهُ اخْتَبَأَ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ فَلَمَّا دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ إِلَىٰ الْبَيْعَةِ جَاءَ بِهِ حَتَّىٰ أَوْقَفَهُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ بَايِعْ عَبْدَ اللهِ، قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثَلَاثًا كُلُّ ذَلِكَ يَأْبَىٰ فَبَايَعَهُ بَعْدَ ثَلَاثٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: «**أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَىٰ هَذَا حَيْثُ رَآنِي كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعَتِهِ فَيَقْتُلُهُ؟**». فَقَالُوا: وَمَا يُدْرِينَا يَا رَسُولَ اللهِ مَا فِي نَفْسِكَ؟ هَلَّا أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا بِعَيْنِكَ! قَالَ: «**إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ أَعْيُنٍ**»(١).

---

(١) صحيح: رواه النسائي (٤٠٦٧)، وصححه الألباني.

مَسْأَلَةٌ: هَلِ الْأَنْبِيَاءُ مَعْصُومُونَ قَبْلَ الْبَعْثَةِ وَبَعْدَهَا أَمْ بَعْدَهَا فَقَطْ؟

وَالْجَوَابُ: أَنَّ عُلَمَاءَ السَّلَفِ اخْتَلَفُوا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ عَلَىٰ قَوْلَيْنِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ مَعْصُومُونَ مِنَ الصَّغَائِرِ وَالْكَبَائِرِ قَبْلَ الْبَعْثَةِ وَبَعْدَهَا؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ قَدِ اصْطَفَاهُمْ عَلَىٰ الْبَشَرِ فَلَا يَنْبَغِي لَهُمُ الْوُقُوعُ فِي الرَّذَائِلِ لِأَنَّ السُّلُوكَ الشَّخْصِيَّ يُؤَثِّرُ فِي الدَّعْوَةِ وَكَذَلِكَ عَلَىٰ مُسْتَقْبَلِ النَّبِيِّ، وَيَسْتَدِلُّونَ لِذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ ﷻ قَدِ اخْتَارَ أَنْبِيَاءَهُ مِنْ صَفْوَةِ الْبَشَرِ وَرَعَاهُمْ مُنْذُ الصِّغَرِ.

كَمَا قَالَ لِمُوسَىٰ ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ۝٣٩﴾ [طه: ٣٩].

الْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ مَعْصُومُونَ مِنَ الصَّغَائِرِ وَالْكَبَائِرِ بَعْدَ الْبَعْثَةِ أَمَّا قَبْلَ الْبَعْثَةِ وَالنُّبُوَّةِ فَهُمْ مَعْصُومُونَ مِنَ الْكَبَائِرِ فَقَطْ دُونَ الصَّغَائِرِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا مَحْفُوظِينَ بِالْعِنَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَالصَّحِيحُ مِنْ أَقْوَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ هُوَ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ مَعْصُومُونَ عَنِ الْمَعَاصِي الصَّغَائِرِ وَالْكَبَائِرِ بَعْدَ النُّبُوَّةِ بِاتِّفَاقٍ، وَأَمَّا قَبْلَ النُّبُوَّةِ فَيُحْتَمَلُ أَنْ تَقَعَ مِنْهُمْ بَعْضُ الْمُخَالَفَاتِ الْيَسِيرَةِ الَّتِي لَا تُخِلُّ بِالْمُرُوءَةِ وَلَا تَقْدَحُ فِي الْكَرَامَةِ وَالشَّرَفِ(١).

* قَوْلُهُ: «تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ». عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، تَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ؟! قَالَ: «تَنَامُ عَيْنِي، وَلَا يَنَامُ قَلْبِي»(٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَنَامُ عَيْنِي وَلَا يَنَامُ قَلْبِي»(٣).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي رِحْلَةِ الْإِسْرَاءِ وَالنَّبِيُّ ﷺ نَائِمَةٌ عَيْنَاهُ، وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ، وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ، وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ فَتَوَلَّاهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ

---

(١) «موسوعة أركان الإيمان» (٢/ ٢٠٢).

(٢) صحيح: البخاري (٣٥٦٩).

(٣) رواه أحمد (٧٤١١)، وقال الأرنؤوط: إسناده قوي.

إِلَىٰ السَّمَاءِ[١].

* قَوْلُهُ: «يُخَيَّرُونَ عِنْدَ الْمَوْتِ».

عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ يَمْرَضُ إِلَّا خُيِّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ». وَكَانَ فِي شَكْوَاهُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ أَخَذَتْهُ بُحَّةٌ شَدِيدَةٌ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ خُيِّرَ[٢].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ فَرَجَعَ إِلَىٰ رَبِّهِ، فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَىٰ عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ. فَرَدَّ اللهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ، وَقَالَ: ارْجِعْ فَقُلْ لَهُ: يَضَعُ يَدَهُ عَلَىٰ مَتْنِ ثَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ. قَالَ: أَيْ رَبِّ، ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ. قَالَ: فَالآنَ فَسَأَلَ اللهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ». قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَلَوْ كُنْتُ ثَمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَىٰ جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ»[٣].

* قَوْلُهُ: «لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّىٰ يَرَىٰ مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ».

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ صَحِيحٌ: «إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ حَتَّىٰ يَرَىٰ مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ». فَلَمَّا نَزَلَ بِهِ وَرَأْسُهُ عَلَىٰ فَخِذِي غُشِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَىٰ سَقْفِ الْبَيْتِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَىٰ». فَقُلْتُ: إِذَنْ لَا يَخْتَارُنَا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَدِيثُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهُوَ صَحِيحٌ، قَالَتْ: فَكَانَتْ آخِرَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا: «اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَىٰ»[٤].

---

(١) صحيح: البخاري (٣٣٠٥).

(٢) صحيح: البخاري (٤٥٨٦).

(٣) صحيح: البخاري (١٣٣٩).

(٤) متفق عليه: البخاري (٤٤٣٧)، ومسلم (٦٤٥٠).

* قَوْلُهُ: «لا يُقْبَرُونَ إِلَّا حَيْثُ يَمُوتُونَ». عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «يَقُولُ لَمْ يُقْبَرْ نَبِيٌّ إِلَّا حَيْثُ يَمُوتُ»(١).

* قَوْلُهُ: «لا تَأْكُلُ الأَرْضُ أَجْسَادَهُمْ». عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ قُبِضَ وَفِيهِ النَّفْخَةُ وَفِيهِ الصَّعْقَةُ فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلاةِ فِيهِ فَإِنَّ صَلاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ». قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ؟ - يَقُولُونَ: بَلِيتَ - فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ»(٢).

* قَوْلُهُ: «هُمْ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ».

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى وَهُوَ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ». وَزَادَ فِي حَدِيثِ عِيسَى: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي»(٣).

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ»(٤).

* قَوْلُهُ: «لا يُورَثُونَ وَمَا تَرَكُوهُ صَدَقَةٌ».

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لا يَقْتَسِمُ وَرَثَتِي دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا، مَا تَرَكْتُ بَعْدَ نَفَقَةِ نِسَائِي وَمَئُونَةِ عَامِلِي فَهُوَ صَدَقَةٌ»(٥).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَرَدْنَ أَنْ يَبْعَثْنَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَيَسْأَلْنَهُ مِيرَاثَهُنَّ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ

---

(١) صحيح: صححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٢٠١)، وعزاه لأحمد (٢٧).

(٢) صحيح: أبو داود (١٠٤٩)، والنسائي (١٣٧٤)، وابن ماجه (١٠٨٥)، وأحمد (١٦٢٠٧)، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (١/ ٣٠٤).

(٣) صحيح: مسلم (٢٣٧٥).

(٤) صحيح: صححه الألباني في صحيح الجامع (٢٧٩٠).

(٥) متفق عليه: البخاري (٢٧٧٣)، ومسلم (١٧٦٠).

عَائِشَةُ لَهُنَّ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ**»(١).

قَالَ النَّوَوِيُّ: «قَالَ الْعُلَمَاء: وَالْحِكْمَة فِي أَنَّ الْأَنْبِيَاء صَلَوَات الله عَلَيْهِمْ لَا يُورَثُونَ أَنَّهُ لَا يُؤْمَنُ أَنْ يَكُونَ فِي الْوَرَثَةِ مَنْ يَتَمَنَّىٰ مَوْتَهُ فَيَهْلِكُ، وَلِئَلَّا يُظَنَّ بِهِمُ الرَّغْبَةُ فِي الدُّنْيَا لِوَارِثِهِ فَيَهْلِكَ الظَّانُّ، وَيَنْفِرَ النَّاسُ عَنْهُ»(٢).

الضَّابِطُ السَّابِعُ: لَنْ يَكْمُلَ إِيمَانُ الْمُسْلِمِ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَّا إِذَا حَقَّقَ خَمْسَةَ أُمُورٍ:

١- تَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ ﷺ.
٢- الِائْتِمَارُ بِمَا بِهِ أَمَرَ ﷺ.
٣- الِانْتِهَاءُ عَمَّا عَنْهُ نَهَى وَزَجَرَ ﷺ.
٤- التَّشَبُّهُ بِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ﷺ.
٥- الصَّلَاةُ عَلَيْهِ عِنْدَ ذِكْرِهِ ﷺ.

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ الْإِيمَانَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ وَاجِبٌ، وَكَمَا سَبَقَ أَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَأَنَّ الْمُسْلِمَ عَلَىٰ قَدْرِ اتِّبَاعِهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَكْمُلُ إِيمَانُهُ.

أَمَّا الْأَدِلَّةُ عَلَىٰ وُجُوبِ الْإِيمَانِ بِالنَّبِيِّ ﷺ فَهِيَ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ**»(٣).

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»(٤).

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٠٩٣)، ومسلم (١٧٥٨).

(٢) «شرح مسلم للنووي» (١٢/ ٧٤).

(٣) صحيح: البخاري (١٤).

(٤) متفق عليه: البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

قَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللهُ: «قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: كُلُّ مَنْ آمَنَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِيمَانًا صَحِيحًا لَا يَخْلُو عَنْ وِجْدَانِ شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الْمَحَبَّةِ الرَّاجِحَةِ، غَيْرَ أَنَّهُمْ مُتَفَاوِتُونَ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَ مِنْ تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ بِالْحَظِّ الْأَوْفَىٰ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَ مِنْهَا بِالْحَظِّ الْأَدْنَىٰ، كَمَنْ كَانَ مُسْتَغْرِقًا فِي الشَّهَوَاتِ مَحْجُوبًا فِي الْغَفَلَاتِ فِي أَكْثَرِ الْأَوْقَاتِ، لَكِنَّ الْكَثِيرَ مِنْهُمْ إِذَا ذُكِرَ النَّبِيُّ ﷺ اشْتَاقَ إِلَىٰ رُؤْيَتِهِ، بِحَيْثُ يُؤْثِرُهَا عَلَىٰ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ وَوَالِدِهِ، وَيَبْذُلُ نَفْسَهُ فِي الْأُمُورِ الْخَطِيرَةِ، وَيَجِدُ مَخْبَرَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِهِ وِجْدَانًا لَا تَرَدُّدَ فِيهِ. وَقَدْ شُوهِدَ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ مَنْ يُؤْثِرُ زِيَارَةَ قَبْرِهِ وَرُؤْيَةَ مَوَاضِعِ آثَارِهِ عَلَىٰ جَمِيعِ مَا ذُكِرَ؛ لِمَا وَقَرَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ مَحَبَّتِهِ. غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ سَرِيعَ الزَّوَالِ بِتَوَالِي الْغَفَلَاتِ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ». انْتَهَىٰ مُلَخَّصًا(١).

وَذَكَرَ شَيْخُنَا - حَفِظَهُ اللهُ - لِكَيْ يَكْمُلُ الإِيمَانُ لَابُدَّ مِنْ خَمْسَةِ أُمُورٍ:

* قَوْلُهُ: «تَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ ﷺ».

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣، ٤].

فَيَجِبُ تَصْدِيقُهُ ﷺ فِيمَا أَخْبَرَ عَنْ رَبِّهِ ﷻ، وَأَنَّهُ صَادِقٌ مُصَدَّقٌ، وَالتَّصْدِيقُ فِي ثُبُوتِ النُّبُوَّةِ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ: «يَتَعَلَّقُ بِهِ أَمْرَانِ عَظِيمَانِ: أَحَدُهُمَا: إِثْبَاتُ نُبُوَّتِهِ وَصِدْقِهِ فِيمَا بَلَّغَهُ عَنِ اللهِ، وَهَذَا مُخْتَصٌّ بِهِ. وَالثَّانِي: تَصْدِيقُهُ فِيمَا جَاءَ بِهِ، وَأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ حَقٌّ يَجِبُ اتِّبَاعُهُ، وَهَذَا يَجِبُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ كُلِّ أَحَدٍ»(٢).

وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ وَبَلَّغَ عَنْ رَبِّهِ ﷻ يَقْتَضِي عِدَّةَ أُمُورٍ:

١- الْإِيمَانُ بِعُمُومِ رِسَالَتِهِ إِلَىٰ كَافَّةِ الثَّقَلَيْنِ إِنْسِهِمْ وَجِنِّهِمْ.

---

(١) «فتح الباري» (١/ ٧٧).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (١٥/ ٩١).

٢- الْإِيمَانُ بِكَوْنِهِ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَرِسَالَتِهِ خَاتِمَةَ الرِّسَالَاتِ.

٣- الْإِيمَانُ بِكَوْنِ رِسَالَتِهِ نَاسِخَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الشَّرَائِعِ.

٤- الْإِيمَانُ بِأَنَّهُ ﷺ قَدْ بَلَّغَ الرِّسَالَةَ وَأَكْمَلَهَا، وَأَدَّىٰ الْأَمَانَةَ وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ، حَتَّىٰ تَرَكَهُمْ عَلَىٰ الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا.

٥- الْإِيمَانُ بِعِصْمَتِهِ ﷺ.

٦- الْإِيمَانُ بِمَا لَهُ مِنْ حُقُوقٍ خِلَافَ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ كَمَحَبَّتِهِ وَتَعْظِيمِهِ ﷺ.

الثَّانِي: تَصْدِيقُهُ فِيمَا جَاءَ بِهِ، وَأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ حَقٌّ يَجِبُ اتِّبَاعُهُ.

وَهَذَا يَجِبُ عَلَيْهِ ﷺ وَعَلَىٰ كُلِّ أَحَدٍ. فَيَجِبُ تَصْدِيقُ النَّبِيِّ ﷺ فِي جَمِيعِ مَا أَخْبَرَ بِهِ عَنِ اللهِ ﷻ، مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَأَخْبَارِ مَا سَيَأْتِي، وَفِيمَا أَحَلَّ مِنْ حَلَالٍ وَحَرَّمَ مِنْ حَرَامٍ، وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ ﷻ(١).

* قَوْلُهُ: «الِائْتِمَارُ بِمَا بِهِ أَمَرَ ﷺ».

وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مُبَلِّغٌ عَنْ رَبِّهِ ﷻ، وَقَدْ أَمَرَ ﷻ بِاتِّبَاعِهِ وَطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَ وَبَلَّغَ عَنْهُ سُبْحَانَهُ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٢﴾ [آل عمران: ٣٢]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣﴾ [النساء: ١٣]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء: ٦٩]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ

---

(١) «حقوق النبي ﷺ علىٰ أمته في ضوء الكتاب والسنة» (١/ ٣٤).

ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور: ٥٢]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧١]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [الفتح: ١٧]. فَفِي هَذِهِ الْآيَاتِ قَرَنَ اللهُ ﷻ بِحَرْفِ الْعَطْفِ (وَ) بَيْنَ طَاعَةِ اللهِ ﷻ وَطَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَجَعَلَ طَاعَتَهُ مِنْ طَاعَةِ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ؛ أَيْ: طَاعَةٌ مُطْلَقَةٌ، سَوَاءٌ وَافَقَ مَا أَمَرَ بِهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَوْ لَمْ يُوَافِقْهُ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩]. فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَمَرَ اللهُ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَقَدْ أَعَادَ اللهُ ﷻ الْفِعْلَ ﴿أَطِيعُواْ﴾ إِعْلَامًا بِأَنَّ طَاعَةَ الرَّسُولِ ﷺ تَجِبُ اسْتِقْلَالًا مِنْ غَيْرِ عَرْضِ مَا أَمَرَ بِهِ عَلَىٰ الْكِتَابِ، بَلْ طَاعَتُهُ مُطْلَقَةٌ، وَعَلَّقَ طَاعَةَ أُولِي الْأَمْرِ وَجَعَلَهَا مَشْرُوطَةً بِطَاعَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ﴾ [الحشر: ٧]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]. وَغَيْرُهَا مِنَ الْآيَاتِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي تَأْمُرُ بِطَاعَةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَأَنَّ طَاعَتَهُ وَاجِبَةٌ، فَيَنْبَغِي لِكُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَعْرِضَ نَفْسَهُ عَلَىٰ هَذِهِ الْآيَاتِ حَتَّىٰ يَعْلَمَ مِقْدَارَ مَحَبَّتِهِ وَاتِّبَاعِهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ.

وَأَمَّا السُّنَّةُ:

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ**

أَبَىٰ». قَالُوا: وَمَنْ يَأْبَىٰ؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَىٰ»(١).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا كَانَ مِنْ نَبِيٍّ إِلا كَانَ لَهُ حَوَارِيُّونَ يَهْدُونَ بِهَدْيِهِ، وَيَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِهِ، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ»(٢).

عَنْ أَنَس بْن مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قَالَ: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَىٰ بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا. وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ. وَقَالَ آخَرُ: وأَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا. فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»(٣).

عَنْ أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِي ﷺ: «إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَىٰ، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ، لا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَىٰ اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»(٤).

عَنْ عِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّىٰ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلاةَ الْفَجْرِ، ثُمَّ

---

(١) متفق عليه: البخاري (٧٢٨٠)، ومسلم (١٨٥٧).

(٢) صحيح: مسلم (٨٠).

(٣) متفق عليه: البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١١٦٣).

(٤) متفق عليه: البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢).

وَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَأَوْصِنَا. فَقَالَ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسَنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْمُحْدَثَاتِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ**».

وَقَالَ أَبُو عَاصِمٍ مَرَّةً: «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(١).

وَغَيْرُهَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ وُجُوبِ طَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَّ طَاعَتَهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ، وَأَنْ نَأْتَمِرَ بِمَا بِهِ أَمَرَ وَلَا نُخَالِفُهُ.

* قَوْلُهُ: «**الِانْتِهَاءُ عَمَّا عَنْهُ نَهَىٰ وَزَجَرَ ﷺ**».

فَقَدْ حَذَّرَ اللهُ ﷻ مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعْصِيَتِهِ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَقَدْ صَحِبَ هَذَا النَّهْيَ الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٤]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا بَلَـٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَـٰلَـٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن: ٢٣].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا**

---

(١) صحيح:الترمذي (٢٦٧٦)، وصححه الألباني (الصحيحة ٩٣٧).

مَنْ أَبَىٰ». قَالُوا: وَمَنْ يَأْبَىٰ؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَىٰ»(١). وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلافِهِمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَخُذُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَانْتَهُوا»(٢).

* قَوْلُهُ: «التَّشَبُّهُ بِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ﷺ».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّهُ يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَتَشَبَّهَ بِالنَّبِيِّ ﷺ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

ظَاهِرًا: أَيْ فِي هَدْيِهِ الظَّاهِرِ كَاللِّحْيَةِ وَتَقْصِيرِ الثِّيَابِ وَحَفِّ الشَّارِبِ، وَكَذَلِكَ فِي عِبَادَاتِهِ فِي الصَّلَاةِ، قَالَ ﷺ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»(٣). وَسَائِرِ عِبَادَاتِهِ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ، وَفِي الْحَجِّ قَالَ ﷺ: «لِتَأْخُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ»(٤). وَفِي الصِّيَامِ وَسَائِرِ سُنَنِهِ الثَّابِتَةِ عَنْهُ كَالِاسْتِئْذَانِ وَالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالنَّوْمِ وَالْمَشْيِ وَغَيْرِهَا.

وَبَاطِنًا: فِي أَخْلَاقِهِ؛ فَقَدْ زَكَّاهُ اللهُ ﷻ؛ فَقَالَ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤]، وَحِلْمِهِ وَصَبْرِهِ وَحَيَائِهِ وَشَجَاعَتِهِ وَخَوْفِهِ وَرَجَائِهِ وَكَرَمِهِ وَجُودِهِ، وَقَدْ أَمَرَنَا اللهُ ﷻ بِالتَّشَبُّهِ وَالِاقْتِدَاءِ بِهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾ [الأحزاب: ٢١].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَصْلٌ كَبِيرٌ فِي التَّأَسِّي بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ؛ وَلِهَذَا أُمِرَ النَّاسُ بِالتَّأَسِّي بِالنَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ

(١) متفق عليه: البخاري (٧٢٨٠)، ومسلم (١٨٥٧).
(٢) متفق عليه: البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧)
(٣) صحيح: البخاري (٦٣١).
(٤) صحيح: مسلم (١٢٩٧).

الْأَحْزَابِ، فِي صَبْرِهِ وَمُصَابَرَتِهِ وَمُرَابَطَتِهِ وَمُجَاهَدَتِهِ وَانْتِظَارِهِ الْفَرَجَ مِنْ رَبِّهِ، ﷻ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ دَائِمًا إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَىٰ لِلَّذِينَ تَقَلَّقُوا وَتَضَجَّرُوا وَتَزَلْزَلُوا وَاضْطَرَبُوا فِي أَمْرِهِمْ يَوْمَ الْأَحْزَابِ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾؛ أَيْ: هَلَّا اقْتَدَيْتُمْ بِهِ وَتَأَسَّيْتُمْ بِشَمَائِلِهِ؟ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾[1].

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أُسْوَةٌ﴾ الْأُسْوَةُ الْقُدْوَةُ. وَالْأُسْوَةُ مَا يُتَأَسَّىٰ بِهِ؛ أَيْ: يُتَعَزَّىٰ بِهِ. فَيُقْتَدَىٰ بِهِ فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ وَيُتَعَزَّىٰ بِهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ، فَلَقَدْ شُجَّ وَجْهُهُ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، وَقُتِلَ عَمُّهُ حَمْزَةُ، وَجَاعَ بَطْنُهُ، وَلَمْ يُلْفَ إِلَّا صَابِرًا مُحْتَسِبًا، وَشَاكِرًا رَاضِيًا. وَعَنْ أَنَسِ بن مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ أَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «شَكَوْنَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْجُوعَ وَرَفَعْنَا عَنْ بُطُونِنَا عَنْ حَجَرٍ حَجَرٍ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ حَجَرَيْنِ». خَرَّجَهُ أَبُو عِيسَىٰ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ فِيهِ: حَدِيثٌ غَرِيبٌ.

وَقَالَ ﷺ لَمَّا شُجَّ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ» وَقَدْ تَقَدَّمَ.

﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: «الْمَعْنَىٰ: لِمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللهِ بِإِيمَانِهِ، وَيُصَدِّقُ بِالْبَعْثِ الَّذِي فِيهِ جَزَاءُ الْأَفْعَالِ.

وَقِيلَ: أَيْ: لِمَنْ كَانَ يَرْجُو ثَوَابَ اللهِ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَا يَجُوزُ عِنْدَ الْحُذَّاقِ مِنَ النَّحْوِيِّينَ أَنْ يَكْتُبَ: (يَرْجُوا) إِلَّا بِغَيْرِ أَلِفٍ إِذَا كَانَ لِوَاحِدٍ، لِأَنَّ الْعِلَّةَ الَّتِي فِي الْجَمْعِ لَيْسَتْ فِي الْوَاحِدِ»[2].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٣٩١).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٤/ ١٥٥).

* قَوْلُهُ: «الصَّلَاةُ عَلَيْهِ عِنْدَ ذِكْرِهِ ﷺ».

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦]. فَقَدْ أَمَرَ اللهُ ﷻ بِالصَّلَاةِ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ

وَفِيهِ مَسَائِلُ: الْمَسْأَلَةُ الْأُولَىٰ: فِي فَضْلِ الصَّلَاةِ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ:

١- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ وَالْبُشْرَىٰ فِي وَجْهِهِ، فَقُلْنَا: إِنَّا لَنَرَىٰ الْبُشْرَىٰ فِي وَجْهِكَ! فَقَالَ: «إِنَّهُ أَتَانِي الْمَلَكُ فقال: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ: أَمَا يُرْضِيكَ أَنَّهُ لا يُصَلِّي عَلَيْكَ أَحَدٌ إِلَّا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا؟ وَلا يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ إِلَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا؟»(١).

٢- عَنْ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ»(٢).

٣- عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «أَكْثِرُوا عَلَيَّ الصَّلَاةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ يُصَلِّي عَلَيَّ أَحَدٌ إِلا عُرِضَتْ عَلَيَّ صَلَاتُهُ»(٣).

٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا»(٤).

٥- عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «أَكْثِرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ

(١) صحيح: النسائي (١٢٨٣)، وأبو داود (٥٠٨٧)، وأحمد (١٥٩٢٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧١).
(٢) صحيح: النسائي (١٢٨٢)، وأحمد (٣٦٥٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢١٧٤).
(٣) صحيح: البيهقي (١/ ٩٠/ ١١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٢٠٨).
(٤) صحيح: مسلم (٤٠٨).

الْجُمُعَةِ وَلَيْلَةَ الْجُمُعَةِ؛ فَمَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلاةً صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ عَشْرًا»(١).

٦- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ ثُمَّ لَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»(٢).

٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّىٰ أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ»(٣).

٨- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الكِبَرَ فَلَمْ يُدْخِلَاهُ الجَنَّةَ»(٤).

٩- عَنِ الطُّفَيْلِ بْنِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللهَ اذْكُرُوا اللهَ جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ». قَالَ أُبَيٌّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: «مَا شِئْتَ». قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ؟ قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». قُلْتُ: النِّصْفَ؟ قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا؟ قَالَ: «إِذًا تُكْفَىٰ هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ»(٥).

١٠- عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «إِنَّ الدُّعَاءَ مَوْقُوفٌ بَيْنَ السَّمَاءِ

(١) حسن: البيهقي (٥٩٩٤)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٢٠٩).
(٢) صحيح: الترمذي (٣٥٤٦)، وأحمد (١٧٣٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٨٧٨).
(٣) حسن: أبو داود (٢٠٤١)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٧٩).
(٤) صحيح: الترمذي (٣٥٤٥)، وصححه الألباني «صحيح سنن الترمذي».
(٥) صحيح: الترمذي (٢٤٥٧).

وَالأَرْضِ لَا يَصْعَدُ مِنْهُ شَيْءٌ، حَتَّىٰ تُصَلِّيَ عَلَىٰ نَبِيِّكَ ﷺ»(١).

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: فِي صِفَةِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: وَرَدَ عِدَّةُ صِفَاتٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي صِفَةِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ ﷺ كُلُّهَا صَحِيحَةٌ مِنْهَا:

١- عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه: أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»(٢).

٢- عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي مَجْلِسِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ: أَمَرَنَا اللهُ تَعَالَىٰ أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ تَمَنَّيْنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ**»(٣).

٣- عَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَىٰ، قَالَ: لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ رضي الله عنه، فَقَالَ: أَلَا أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً؟ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقُلْنَا: قَدْ عَرَفْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»(٤).

---

(١) حسن: الترمذي (٤٨٦)، وحسنه الألباني.

(٢) متفق عليه: البخاري (٣٣٦٩)، ومسلم (٤٠٧).

(٣) صحيح: مسلم (٤٠٥).

(٤) صحيح: مسلم (٤٠٦).

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: مَوَاطِنُ الصَّلَاةِ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ:

اتَّفَقَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَىٰ مَشْرُوعِيَّةِ الصَّلَاةِ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ اخْتَلَفُوا: هَلْ هِيَ وَاجِبَةٌ أَمْ مُسْتَحَبَّةٌ، فَتَجِبُ فِي مَوَاطِنَ وَتُسْتَحَبُّ فِي مَوَاطِنَ:

الْأَوَّلُ: فِي التَّشَهُّدِ الْأَخِيرِ: فَيَجِبُ الصَّلَاةُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فِي التَّشَهُّدِ الْأَخِيرِ عَلَىٰ الرَّاجِحِ مِنْ أَقْوَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ.

الدَّلِيلُ: عَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَىٰ قَالَ: لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَالَ: أَلَا أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً؟ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقُلْنَا: قَدْ عَرَفْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»(١).

الثَّانِي: فِي صَلَاةِ الْجَنَازَةِ: فَيَجِبُ كَذَلِكَ الصَّلَاةُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فِي صَلَاةِ الْجَنَازَةِ بَعْدَ التَّكْبِيرَةِ الثَّانِيَةِ كَمَا فِي التَّشَهُّدِ الْأَخِيرِ.

الدَّلِيلُ: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ السُّنَّةَ فِي الصَّلَاةِ عَلَىٰ الْجَنَازَةِ أَنْ يُكَبِّرَ الْإِمَامُ، ثُمَّ يَقْرَأَ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ بَعْدَ التَّكْبِيرَةِ الْأُولَىٰ سِرًّا فِي نَفْسِهِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ...»(٢).

صِيغَتُهَا: كَمَا فِي التَّشَهُّدِ أَوْ بِأَيِّ شَيْءٍ مِنَ الصِّيَغِ الْوَارِدَةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ:

«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»(٣).

---

(١) صحيح: مسلم (٤٠٦).

(٢) صحيح: النسائي (١٩٨٩).

(٣) متفق عليه: البخاري (٣٣٧٠)، ومسلم (٤٠٦).

الثَّالِثُ: بَعْدَ الْأَذَانِ: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ سَمِعَ النبيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّىٰ اللهُ بِهَا عَلَيْهِ عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»(١).

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ. حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٢).

الرَّابِعُ: عِنْدَ الدُّعَاءِ: عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «إِنَّ الدُّعَاءَ مَوْقُوفٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَصْعَدُ مِنْهُ شَيْءٌ حَتَّىٰ تُصَلِّيَ عَلَىٰ نَبِيِّكَ ﷺ(٣).

الْخَامِسُ: عِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ وَعِنْدَ الْخُرُوجِ مِنْهُ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَلِيَقُلِ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرجيم»(٤).

السَّادِسُ: يَوْمَ الْجُمُعَةِ:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَكْثِرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَةَ الْجُمُعَةِ؛ فَمَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ عَشْرًا»(٥).

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٣٨٤).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦١٤).

(٣) صحيح: ابن ماجه (٧٧٣).

(٤) صحيح: الترمذي (٣١٤)، وابن ماجه (٧٧١)، وأحمد (٢٥٧٨٨)، وصححه الألباني.

(٥) حسن: البيهقي (٥٩٩٤)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٢٠٩).

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَكْثِرُوا عَلَيَّ الصَّلَاةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ يُصَلِّي عَلَيَّ أَحَدٌ إِلَّا عُرِضَتْ عَلَيَّ صَلَاتُهُ**»(١).

سَابِعًا: أَوَّلَ النَّهَارِ وَآخِرَهُ: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ حِينَ يُصْبِحُ عَشْرًا وَحِينَ يُمْسِي عَشْرًا أَدْرَكَتْهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٢). وَغَيْرُهَا مِنَ الْمَوَاطِنِ الَّتِي ذَكَرَهَا ابْنُ الْقَيِّمِ فِي «جَلَاءِ الْأَفْهَامِ».

الضَّابِطُ الثَّامِنُ: كَرَامَاتُ الْأَوْلِيَاءِ ثَابِتَةٌ بِشَرْطَيْنِ:
١- أَلَّا يَدَّعِيَ النُّبُوَّةَ. ٢- أَنْ يَكُونَ ظَاهِرُهُ الصَّلَاحُ وَالتَّقْوَى.

* قوله: «كَرَامَاتُ الْأَوْلِيَاءِ ثَابِتَةٌ بِشَرْطَيْنِ».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ اللهَ ﷻ قَدْ أَيَّدَ الرُّسُلَ وَالْأَنْبِيَاءَ بِالْمُعْجِزَاتِ الَّتِي تُؤَيِّدُ رِسَالَاتِهِمْ وَدَعْوَتِهِمْ إِلَىٰ أَقْوَامِهِمْ وَقَدْ سَبَقَ أَنْ قُلْنَا أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ يُؤَيَّدُونَ بِالْمُعْجِزَاتِ وَالْأَوْلِيَاءَ يُؤَيَّدُونَ بِالْكَرَامَاتِ، وَأَتْبَاعَ الشَّيَاطِينِ يُؤَيَّدُونَ بِخَوَارِقِ الْعَادَاتِ.

فَالْمُعْجِزَةُ: هِيَ أَمْرٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ مَقْرُونٌ بِالتَّحَدِّي سَالِمٌ عَنِ الْمُعَارَضَةِ يُظْهِرُهُ اللهُ عَلَىٰ يَدِ رُسُلِهِ وَلَا تَخْضَعُ لِلْأَسْبَابِ أَوِ الْمُسَبَّبَاتِ وَلَا يُمْكِنُ الْوُصُولُ إِلَيْهَا بِالْجُهْدِ الشَّخْصِيِّ أَوِ الْكَسْبِ الذَّاتِيِّ بَلْ هِيَ مِنَّةٌ مِنَ اللهِ ﷻ لِلْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ.

وَأَمَّا الْكَرَامَةُ: فَهِيَ مَا يُؤَيِّدُ اللهُ بِهِ أَوْلِيَاءَهُ مِنَ الْكَرَامَاتِ وَالْأُمُورِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَاتِ وَيَنَالُهَا الْعَبْدُ بِفِعْلِهِ وَعِبَادَتِهِ وَلَا عَلَاقَةَ لَهَا بِالنُّبُوَّةِ بِخِلَافِ الْمُعْجِزَةِ.

وَأَمَّا الْخَارِقَةُ: فَهِيَ الْخَوَارِقُ الَّتِي تَجْرِي عَلَىٰ أَلْسِنَةِ السَّحَرَةِ وَالْكُهَّانِ

---

(١) البيهقي (١/ ٩٠/ ١١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٢٠٨).

(٢) حسن: رواه الطبراني، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٣٥٧).

وَالْمُشَعْوِذِينَ وَتَكُونُ مِنْ تَلْبِيسِ إِبْلِيسَ عَلَىٰ النَّاسِ وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنَ الْكَرَامَةِ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ: «وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ، وَمَا يُجْرِي اللهُ عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْمُكَاشَفَاتِ وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ وَالْمَأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الْأُمَمِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ وَغَيْرِهَا، وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ فِرَقِ الْأُمَّةِ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(١).

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظُ حَكَمِي رَحِمَهُ اللهُ: «الْمُعْجِزَاتُ: هِيَ أَمْرٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ مَقْرُونٌ بِالتَّحَدِّي سَالِمٌ عَنِ الْمُعَارَضَةِ.

وَهِيَ إِمَّا حِسِّيَّةٌ تُشَاهَدُ بِالْبَصَرِ أَوْ تُسْمَعُ كَخُرُوجِ النَّاقَةِ مِنَ الصَّخْرَةِ، وَانْقِلَابِ الْعَصَا حَيَّةً، وَكَلَامِ الْجَمَادَاتِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَإِمَّا مَعْنَوِيَّةٌ تُشَاهَدُ بِالْبَصِيرَةِ كَمُعْجِزَةِ الْقُرْآنِ، وَقَدْ أُوتِيَ نَبِيُّنَا ﷺ مِنْ (كُلِّ ذَلِكَ)، فَمَا مِنْ مُعْجِزَةٍ كَانَتْ لِنَبِيٍّ إِلَّا وَلَهُ ﷺ أَعْظَمُ مِنْهَا فِي بَابِهَا، فَمِنَ الْمَحْسُوسَاتِ: انْشِقَاقُ الْقَمَرِ، وَحَنِينُ الْجِذْعِ، وَنَبْعُ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ الشَّرِيفَةِ، وَكَلَامُ الذِّرَاعِ، وَتَسْبِيحُ الطَّعَامِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا تَوَاتَرَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ وَلَكِنَّهَا كَغَيْرِهَا مِنْ مُعْجِزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ الَّتِي انْقَرَضَتْ بِانْقِرَاضِ أَعْصَارِهِمْ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ذِكْرُهَا، وَإِنَّمَا الْمُعْجِزَةُ الْبَاقِيَةُ الْخَالِدَةُ هِيَ هَذَا الْقُرْآنُ الَّذِي لَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ وَ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾»(٢).

* قَوْلُهُ: «أَلَّا يَدَّعِيَ النُّبُوَّةَ».

لِأَنَّهُ لَوِ ادَّعَىٰ النُّبُوَّةَ كَانَ كَذَّابًا، مُكَذِّبًا لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْمُطَهَّرَةِ.

---

(١) «العقيدة الواسطية» (ص٢٨).

(٢) «أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة» (١/ ١٢٦).

فَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب: ٤٠].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ». قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ، أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ؛ فَإِنَّ اللهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ»(١).

عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّىٰ يَعْبُدُوا الأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي ثَلاثُونَ كَذَّابُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لا نَبِيَّ بَعْدِي»(٢). فَلَا نَبِيَّ بَعْدَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ.

* قَوْلُهُ: «أَنْ يَكُونَ ظَاهِرُهُ الصَّلَاحُ وَالتَّقْوَىٰ».

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ رَحِمَهُمُ اللهُ: «إِذَا رَأَيْتُمْ مِنَ الرَّجُلِ مَا تُنْكِرُونَ فَاعْرِضُوا عَمَلَهُ عَلَىٰ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانَ صَالِحًا فَهِيَ كَرَامَةٌ، وَإِلَّا فَهِيَ مِنَ الْخَوَارِقِ وَمِنْ تَلْبِيسِ إِبْلِيسَ». وَالْوَلِيُّ هُوَ مَنْ وُصِفَ بِالتَّقْوَىٰ وَالإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَىٰ لِي

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢).

(٢) صحيح: أبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢٢١٩)، وابن ماجه (٣٩٥٢)، وأحمد (٢٧٧٠٣)، وصححه الألباني.

وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»(١).

صُوَرٌ مِنْ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ:

ذَكَرَ اللهُ ﷻ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بَعْضَ هَذِهِ الْكَرَامَاتِ لِأَوْلِيَائِهِ مِنْهَا:

مَا حَدَثَ لِمَرْيَمَ ابْنَةِ عِمْرَانَ: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران: ٣٧].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «قَالَ مُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَأَبُو الشَّعْثَاءِ، وَإِبْرَاهِيمُ النخعيّ، وَالضَّحَّاكُ، وَقَتَادَةُ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَعَطِيَّةُ العَوْفِي، والسُّدِّي وَالشَّعْبِيُّ: يَعْنِي: وَجَدَ عِنْدَهَا فَاكِهَةَ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ، وَفَاكِهَةَ الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ»(٢).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾ [مريم: ٢٥].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾. قِيلَ: كَانَتْ يَابِسَةً، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَقِيلَ: مُثْمِرَةً. قَالَ مُجَاهِدٌ: كَانَتْ عَجْوَةً. وَقَالَ الثَّوْرِيُّ عَنْ أَبِي دَاوُدَ

---

(١) صحيح: البخاري (٦٥٠٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٦).

نُفَيْعِ الْأَعْمَىٰ: كَانَتْ صَرَفَانَة، وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا كَانَتْ شَجَرَةً، وَلَكِنْ لَمْ تَكُنْ فِي إِبَّانِ ثَمَرِهَا، قَالَهُ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ؛ وَلِهَذَا امْتَنَّ عَلَيْهَا بِذَلِكَ، أَنْ جَعَلَ عِنْدَهَا طَعَامًا وَشَرَابًا، فَقَالَ: ﴿تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾؛ أَيْ: طِيبِي نَفْسًا؛ وَلِهَذَا قَالَ عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ: مَا مِنْ شَيْءٍ خَيْرٌ لِلنُّفَسَاءِ مِنَ التَّمْرِ وَالرُّطَبِ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ»(١).

وَكَذَلِكَ أَصْحَابُ الْكَهْفِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف: ١٦، ١٧].

وَأَمَّا السُّنَّةُ فَكَثِيرَةٌ: مِنْهَا مَا كَانَ عَنِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ كَقِصَّةِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ دَخَلُوا الْغَارَ:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خَرَجَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ، فَأَصَابَهُمُ الْمَطَرُ، فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ، قَالَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ادْعُوا اللهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنِّي كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَرْعَىٰ ثُمَّ أَجِيءُ فَأَحْلُبُ فَأَجِيءُ بِالْحِلَابِ فَآتِي بِهِ أَبَوَيَّ فَيَشْرَبَانِ ثُمَّ أَسْقِي الصِّبْيَةَ وَأَهْلِي وَامْرَأَتِي، فَاحْتَبَسْتُ لَيْلَةً فَجِئْتُ فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ، قَالَ: فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمَا حَتَّىٰ طَلَعَ الْفَجْرُ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَىٰ مِنْهَا السَّمَاءَ. قَالَ: فَفُرِجَ عَنْهُمْ، وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ**

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٢٥).

تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أُحِبُّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ، فَقَالَتْ: لَا تَنَالُ ذَلِكَ مِنْهَا حَتَّىٰ تُعْطِيَهَا مِائَةَ دِينَارٍ، فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّىٰ جَمَعْتُهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً. قَالَ: فَفَرَجَ عَنْهُمُ الثُّلُثَيْنِ، وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقٍ مِنْ ذُرَةٍ، فَأَعْطَيْتُهُ وَأَبَىٰ ذَاكَ أَنْ يَأْخُذَ، فَعَمَدْتُ إِلَىٰ ذَلِكَ الْفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ حَتَّىٰ اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ، أَعْطِنِي حَقِّي، فَقُلْتُ: انْطَلِقْ إِلَىٰ تِلْكَ الْبَقَرِ وَرَاعِيهَا فَإِنَّهَا لَكَ. فَقَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ بِي؟! قَالَ: فَقُلْتُ: مَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، وَلَكِنَّهَا لَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا، فَكُشِفَ عَنْهُمْ»(١).

١- عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «اهْتَزَّ الْعَرْشُ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ». وَعَنِ الْأَعْمَشِ: حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ، عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَهُ، فَقَالَ رَجُلٌ لِجَابِرٍ: فَإِنَّ الْبَرَاءَ يَقُولُ: «اهْتَزَّ السَّرِيرُ»؟ فَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْحَيَّيْنِ ضَغَائِنُ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ»(٢).

٢- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلَيْنِ خَرَجَا مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ، وَإِذَا نُورٌ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا، حَتَّىٰ تَفَرَّقَا فَتَفَرَّقَ النُّورُ مَعَهُمَا. وَقَالَ مَعْمَرٌ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ: إِنَّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ وَرَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ. وَقَالَ حَمَّادٌ: أَخْبَرَنَا ثَابِتٌ عَنْ أَنَسٍ: كَانَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَعَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ(٣).

٣- عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «شَكَا أَهْلُ الْكُوفَةِ سَعْدًا إِلَىٰ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَعَزَلَهُ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا، فَشَكَوْا؛ حَتَّىٰ ذَكَرُوا أَنَّهُ لَا يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ

---

(١) متفق عليه: البخاري (٢٢١٥)، ومسلم (٢٧٤٣).

(٢) صحيح: البخاري (٣٨٠٣).

(٣) صحيح: البخاري (٣٨٠٥).

إِلَيْهِ فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ، إِنَّ هَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لَا تُحْسِنُ تُصَلِّي! قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَمَّا أَنَا وَاللهِ فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلَاةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا أَخْرِمُ عَنْهَا، أُصَلِّي صَلَاةَ الْعِشَاءِ فَأَرْكُدُ فِي الْأُولَيَيْنِ وَأُخِفُّ فِي الْأُخْرَيَيْنِ، قَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا - أَوْ رِجَالًا - إِلَىٰ الْكُوفَةِ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الْكُوفَةِ، وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّىٰ دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ، يُكْنَىٰ أَبَا سَعْدَةَ، قَالَ: أَمَا إِذْ نَشَدْتَنَا، فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لَا يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلَا يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلَا يَعْدِلُ فِي الْقَضِيَّةِ. قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللهِ لَأَدْعُوَنَّ بِثَلَاثٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالْفِتَنِ. وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ». قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَىٰ عَيْنَيْهِ مِنَ الْكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ[١].

> **الضَّابِطُ التَّاسِعُ: حُقُوقُ الصَّحَابَةِ ثَلَاثَةٌ:**
> ١- اعْتِقَادُ فَضْلِهِمْ.
> ٢- مَحَبَّتُهُمْ وَمُوَالَاتُهُمْ.
> ٣- الْكَفُّ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَأَنَّهُمْ مُجْتَهِدُونَ، يَدُورُونَ بَيْنَ الْأَجْرِ وَالْأَجْرَيْنِ.

* قوله: «حُقُوقُ الصَّحَابَةِ ثَلَاثَةٌ».

الصَّحَابِيُّ: هُوَ مَنْ لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ مُؤْمِنًا بِهِ وَمَاتَ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ.

فَيَدْخُلُ فِيمَنْ لَقِيَهُ مَنْ طَالَتْ مُجَالَسَتُهُ لَهُ أَوْ قَصُرَتْ، وَمَنْ رَوَىٰ عَنْهُ أَوْ لَمْ

---

(١) متفق عليه: البخاري (٧٥٥)، ومسلم (٤٥٣).

يَرْوِ، وَمَنْ غَزَا مَعَهُ أَوْ لَمْ يَغْزُ، وَمَنْ رَآهُ رُؤْيَةً وَلَوْ لَمْ يُجَالِسْهُ، وَمَنْ لَمْ يَرَهُ لِعَارِضٍ كَالْعَمَىٰ(١).

وَأَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ هُمْ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ، وَمَنَاقِبُهُمْ مَشْهُورَةٌ، وَلَهُمْ فَضْلٌ؛ لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ دَافَعُوا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَنَشَرُوا هَذَا الدِّينَ فِي رُبُوعِ الْأَرْضِ، وَضَحَّوْا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ فِي سَبِيلِ هَذَا الدِّينِ مَا يَعْجَزُ الْإِنْسَانُ عَنْ وَصْفِهِ، إِلَّا أَنْ يُقِرَّ لَهُمْ بِالْفَضْلِ وَالْحَقِّ الْوَاجِبِ لَهُمْ عَلَيْنَا، وَيَكْفِي قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ فِيهِمْ: **عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:** قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»(٢).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَمَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾، وَطَاعَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»».

* قَوْلُهُ: «**اعْتِقَادُ فَضْلِهِمْ**».

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ، وَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ - وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ - وَقَاتَلَ عَلَىٰ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلَ، وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَىٰ الْأَنْصَارِ، وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ قَالَ لِأَهْلِ بَدْرٍ - وَكَانُوا ثَلَاثَمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ -: «**اعْمَلُوا مَا**

---

(١) «الإصابة في معرفة الصحابة» (١/ ١٥٨).

(٢) متفق عليه: البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١).

شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»، وَبِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، بَلْ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، كَالْعَشَرَةِ، وَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بنِ شَمَّاسٍ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ. وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآثَارُ، وَكَمَا أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَىٰ تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ، مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدِ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَىٰ تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ - أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ، وَسَكَتُوا، أَوْ رَبَّعُوا بِعَلِيٍّ، وَقَدَّم قَوْمٌ عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا، لَكِنِ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَىٰ تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، ثُمَّ عَلِيٍّ، وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ - مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ - لَيْسَتْ مِنَ الْأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ، لَكِنِ الَّتِي يُضَلَّلُ فِيهَا: مَسْأَلَةُ الْخِلَافَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ، وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ»(١).

وَأَمَّا الْأَدِلَّةُ عَلَىٰ فَضْلِ الصَّحَابَةِ فَهِيَ:

أَمَّا الْكِتَابُ: فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩].

---

(١) «العقيدة الواسطية» (١/ ٤٨).

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الفتح: ١٨].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ۚ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٧٢].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر: ٨، ٩].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَأْتِي عَلَىٰ النَّاسِ زَمَانٌ فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ فَيَقُولُونَ: فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي عَلَىٰ النَّاسِ زَمَانٌ فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ فَيُقَالُ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي عَلَىٰ النَّاسِ زَمَانٌ فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ مَنْ صَاحَبَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ»(١).

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٦٤٩)، ومسلم (٢٥٣٢).

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ - قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا - ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ»(١).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ». قَالَ إِبْرَاهِيمُ: وَكَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَىٰ الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ أَنَّ الْأَنْصَارَ سَلَكُوا وَادِيًا أَوْ شِعْبًا لَسَلَكْتُ فِي وَادِي الْأَنْصَارِ، وَلَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ»(٣).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»(٤).

وَعَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتَّىٰ نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ. قَالَ: فَجَلَسْنَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا؟». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حَتَّىٰ نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ. قَالَ: «أَحْسَنْتُمْ - أَوْ: أَصَبْتُمْ -». قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَقَالَ: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَىٰ السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَىٰ أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي

(١) متفق عليه: البخاري (٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٥).

(٢) متفق عليه: البخاري (٣٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٣) صحيح: البخاري (٣٧٧٩).

(٤) متفق عليه: البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١).

أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَىٰ أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ»(١).

وَغَيْرُهَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي تُبَيِّنُ فَضَائِلَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَذَٰلِكَ فَهُمْ مُتَفَاضِلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ.

فَأَفْضَلُهُمْ: الْعَشَرَةُ؛ وَهُمْ:

١- أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ. ٢- عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ. ٣- عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ.

٤- عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. ٥- طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ. ٦- الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ.

٧- سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ. ٨- سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ.

٩- عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ. ١٠- أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ. رضي الله عنهم.

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ**»(٢). ثُمَّ بَاقِي مَنْ شَهِدَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِالْجَنَّةِ؛ كَعُكَّاشَةَ بْنِ مِحْصَنٍ، وَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَغَيْرِهِمَا.

ثُمَّ أَهْلُ بَدْرٍ: عن عَلِيٍّ رضي الله عنه قال: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ بْنَ الْأَسْوَدِ، قَالَ: «**انْطَلِقُوا حَتَّىٰ تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً وَمَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا**». فَانْطَلَقْنَا تَعَادَىٰ بِنَا خَيْلُنَا، حَتَّىٰ انْتَهَيْنَا إِلَىٰ الرَّوْضَةِ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، فَقُلْنَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ. فَقَالَتْ: مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ. فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ. فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللهِ

---

(١) صحيح: مسلم (٢٥٣١).

(٢) صحيح: الترمذي (٣٧٤٧)، أحمد (١٦٧٨)، وصححه الألباني.

ﷺ، فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَىٰ... أُنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا حَاطِبُ، مَا هَذَا؟!**». قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا، وَلَا رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ صَدَقَكُمْ**». قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ. قَالَ: «**إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»(١).

ثُمَّ أَهْلُ الْبَيْعَةِ - أَيْ: بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ -، وَهُمْ أَهْلُ الْحُدَيْبِيَةِ، وَهُمْ أَلْفٌ وَأَرْبَعُمِائَةِ نَفْسٍ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح: ١٨].

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: أَخْبَرَتْنِي أُمُّ مُبَشِّرٍ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ مِنَ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا**». قَالَتْ: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ. فَانْتَهَرَهَا، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**قَدْ قَالَ اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧٢]».

ثُمَّ بَاقِي الْمُهَاجِرِينَ، ثُمَّ بَاقِي الْأَنْصَارِ، ثُمَّ سَائِرُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ.

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤).

* قَوْلُهُ: «مَحَبَّتُهُمْ وَمُوَالاتُهُمْ».

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: «أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي». وَقَالَ أَيْضًا لِلْعَبَّاسِ عَمِّه - وَقَدِ اشْتَكَىٰ إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ - فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحِبُّوكُمْ؛ للهِ وَلِقَرَابَتِي».

وَقَالَ: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ».

وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الْآخِرَةِ، خُصُوصًا خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أُمَّ أَكْثَرِ أَوْلَادِهِ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاضَدَهُ عَلَىٰ أَمْرِهِ، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ.

وَالصِّدِّيقَةَ بِنْتَ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ: «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَىٰ النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَىٰ سَائِرِ الطَّعَامِ».

وَيَتَبَرَّءُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ، وَطَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ»(١). فَتَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ مَحَبَّةُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَمُوَالاتُهُمْ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنفال: ٧٢].

(١) «العقيدة الواسطية» (١/ ٤٨).

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٧١﴾ [التوبة: ٧١].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر: ١٠].

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ**»(١).

عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ - أَوْ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ -: «**الْأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ**»(٢).

* قَوْلُهُ: «الْكَفُّ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَأَنَّهُمْ مُجْتَهِدُونَ يَدُورُونَ بَيْنَ الْأَجْرِ وَالْأَجْرَيْنِ».

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الْآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ، وَالصَّحِيحُ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ: إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ. وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الْإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ؛ بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ، وَلَهُمْ مِنَ السَّوَابِقِ

(١) متفق عليه: البخاري (١٧)، ومسلم (٧٤).

(٢) متفق عليه: البخاري (٣٧٨٣)، ومسلم (٧٥).

وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ - إِنْ صَدَرَ -، حَتَّىٰ إِنَّهُمْ يُغْفَرُ لَهُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لِأَنَّ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ. وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ، وَأَنَّ الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّنْ بَعْدَهُمْ.

ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ مِنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَىٰ بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَوْ غُفِرَ لَهُ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَوِ ابْتُلِيَ بِبَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ.

فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ؛ فَكَيْفَ الْأُمُورُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ: إِنْ أَصَابُوا فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَئُوا فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ وَالْخَطَأُ مغْفُورٌ.

ثُمَّ إِنَّ الْقَدْرَ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزْرٌ مَغْفُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ؛ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ بِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ؛ لَا كَانَ وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنَّهُمُ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الْأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَىٰ اللهِ»(١).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»**(٢).

تَمَّ بِحَمْدِ اللهِ الْبَابُ الرَّابِعُ

---

(١) «العقيدة الواسطية» (١/ ٤٩).

(٢) متفق عليه: البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١).

الْبَابُ الْخَامِسُ: الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ

وَفِيهِ سِتَّةُ ضَوَابِطَ:

الضَّابِطُ الْأَوَّلُ: عَلَامَاتُ السَّاعَةِ الْكُبْرَى عَشْرٌ:

١- الدَّجَّالُ. ٢- نُزُولُ عِيسَى.

٣- خُرُوجُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ.

٤- خُرُوجُ الدَّابَّةِ. ٥- طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا.

٦- الدُّخَانُ. ٧- خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ.

٨- خَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ. ٩- خَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ.

١٠- نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَن بِالْيَمَنِ تَسُوقُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ.

الضَّابِطُ الثَّانِي: الْإِيمَانُ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ يَتَضَمَّنُ أَمْرَيْنِ:

١- الْإِيمَانَ بِسُؤَالِ الْمَلَكَيْنِ.

٢- الْإِيمَانَ بِنَعِيمِ الْقَبْرِ وَعَذَابِهِ.

الضَّابِطُ الثَّالِثُ: الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ يَتَضَمَّنُ سَبْعَةَ أَشْيَاءَ:

١- الْإِيمَانَ بِالْبَعْثِ. ٢- الْإِيمَانَ بِالْحَشْرِ.

٣- الْإِيمَانَ بِالْحَوْضِ. ٤- الْإِيمَانَ بِالْمِيزَانِ.

٥- الْإِيمَانَ بِالشَّفَاعَةِ. ٦- الْإِيمَانَ بِالصِّرَاطِ.

٧- الْإِيمَانَ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

الضَّابِطُ الرَّابِعُ: الَّذِي يُوزَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ:

١- الْأَعْمَالُ. ٢- الصُّحُفُ.

٣- الْعَبْدُ نَفْسُهُ.

الضَّابِطُ الْخَامِسُ: لَا تَصِحُّ الشَّفَاعَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا بِشَرْطَيْنِ:

١- إِذْنِ اللهِ لِلشَّافِعِ أَنْ يَشْفَعَ.

٢- رِضَا اللهِ لِلْمَشْفُوعِ لَهُ أَنْ يُشْفَعَ فِيهِ.

الضَّابِطُ السَّادِسُ: الَّذِي يَمُوتُ مُصِرًّا عَلَى مَعْصِيَةٍ أَمْرُهُ إِلَى اللهِ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ عَدْلًا، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ فَضْلًا وَكَرَمًا.

الْبَابُ الْخَامِسُ: الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ

وَفِيهِ سِتَّةُ ضَوَابِطَ:

الضَّابِطُ الْأَوَّلُ: عَلَامَاتُ السَّاعَةِ الْكُبْرَى عَشْرٌ:

١- الدَّجَّالُ. ٢- نُزُولُ عِيسَى.
٣- خُرُوجُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ. ٤- خُرُوجُ الدَّابَّةِ.
٥- طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا. ٦- الدُّخَانُ.
٧- خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ. ٨- خَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ.
٩- خَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ.
١٠- نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنٍ بِالْيَمَنِ تَسُوقُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ.

أَيْ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَسُمِّيَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ لِتَأَخُّرِهِ عَنِ الدُّنْيَا.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ»(١).

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا مَاتَ قَامَتْ قِيَامَتُهُ؛ فَإِنَّهُ لَا يَرْجِعُ إِلَى الدُّنْيَا، بَلْ يَنْتَظِرُ فِي قَبْرِهِ حَتَّى يَأْذَنَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِقِيَامِ السَّاعَةِ وَمَا بَعْدَهَا مِمَّا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا سَيَأْتِي مُفَصَّلًا.

وَمَعْنَى الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: هُوَ التَّصْدِيقُ الْجَازِمُ بِإِتْيَانِهِ، وَالْعَمَلُ بِمُوجِبِ ذَلِكَ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْإِيمَانُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَأَمَارَاتِهَا، وَبِالْمَوْتِ وَمَا بَعْدَهُ

(١) «شرح العقيدة الواسطية» (ص١٣٢-١٣٣).

مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِهِ وَنَعِيمِهِ، وَبِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ، وَخُرُوجِ الْخَلَائِقِ مِنَ الْقُبُورِ، وَتَفَاصِيلِ الْمَحْشَرِ، وَنَشْرِ الصُّحُفِ، وَنَصْبِ الْمَوَازِينِ، وَبِالصِّرَاطِ، وَالْحَوْضِ، وَالشَّفَاعَةِ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ»(١).

فَائِدَةٌ: أَسْمَاءُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ: قَالَ الْأَشْقَرُ رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): ١- يَوْمُ الْقِيَامَةِ:

سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِمَا يَقُومُ فِيهَا مِنَ الْأُمُورِ الْعِظَامِ الَّتِي بَيَّنَتْهَا النُّصُوصُ، وَمِنْ ذَلِكَ: قِيَامُ النَّاسِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [النساء: ٨٧].

٢- الْيَوْمُ الْآخِرُ: وَسُمِّيَ ذَلِكَ الْيَوْمُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ؛ لِأَنَّهُ الْيَوْمُ الَّذِي لَا يَوْمَ بَعْدَهُ.

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

٣- السَّاعَةُ: وَسُمِّيَتْ بِهِ الْقِيَامَةُ؛ إِمَّا لِقُرْبِهَا؛ فَإِنَّ كُلَّ آتٍ قَرِيبٌ، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ سُمِّيَتْ بِهَا تَنْبِيهًا عَلَىٰ مَا فِيهَا مِنَ الْكَائِنَاتِ الْعِظَامِ الَّتِي تُصْهِرُ الْجُلُودَ، وَقِيلَ: إِنَّمَا سُمِّيَتْ بِالسَّاعَةِ لِأَنَّهَا تَأْتِي بَغْتَةً فِي سَاعَةٍ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ۝٨٥﴾ [الحجر: ٨٥].

٤- يَوْمُ الْبَعْثِ: الْبَعْثُ: الْإِحْيَاءُ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ لِلْمَوْتَىٰ، وَبَعْثُ الْمَوْتَىٰ: نَشْرُهُمْ لِيَوْمِ الْبَعْثِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الحج: ٥].

---

(١) «نواقض الإيمان القولية والعملية» (ص٢٤٢).

(٢) «القيامة الكبرىٰ» (١ -٩) بتصرف.

٥- يَوْمُ الْخُرُوجِ: سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّ الْعِبَادَ يَخْرُجُونَ فِيهِ مِنْ قُبُورِهِمْ عِنْدَمَا يُنْفَخُ فِي الصُّورِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ۝٤٢﴾ [ق: ٤٢].

٦- الْقَارِعَةُ: قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: «سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَقْرَعُ الْقُلُوبَ بِأَهْوَالِهَا».

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣﴾ [القارعة: ١-٣].

٧- يَوْمُ الْفَصْلِ: سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّ اللهَ يَفْصِلُ فِيهِ بَيْنَ عِبَادِهِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢١﴾ [الصافات: ٢١].

٨- يَوْمُ الدِّينِ: وَالدِّينُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ: الْجَزَاءُ وَالْحِسَابُ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّ اللهَ يَجْزِي الْعِبَادَ وَيُحَاسِبُهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝١٥ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ۝١٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩﴾ [الانفطار: ١٤-١٩].

٩- الصَّاخَّةُ: قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: «قَالَ الْبَغَوِيُّ: الصَّاخَّةُ: يَعْنِي: صَيْحَةُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَصُخُّ الْأَسْمَاعَ؛ أَيْ: تُبَالِغُ فِي إِسْمَاعِهَا حَتَّىٰ تَكَادَ تُصِمُّهَا».

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣﴾ [عبس: ٣٣].

١٠- الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَطُمُّ عَلَىٰ كُلِّ أَمْرٍ هَائِلٍ مُفْظِعٍ.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: «الطَّامَّةُ: الْغَالِبَةُ. مِنْ قَوْلِكَ: طَمَّ الشَّيْءُ: إِذَا عَلَا وَغَلَبَ، وَلَمَّا كَانَتْ تَغْلِبُ كُلَّ شَيْءٍ كَانَ لَهَا هَذَا الِاسْمُ حَقِيقَةً دُونَ كُلِّ شَيْءٍ».

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ [النازعات: ٣٤].

١١- يَوْمُ الْحَسْرَةِ: سُمِّيَ بِذَلِكَ لِشِدَّةِ تَحَسُّرِ الْعِبَادِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَتَنَدُّمِهِمْ، أَمَّا الْكُفَّارُ فَلِعَدَمِ إِيمَانِهِمْ، وَيَتَحَسَّرُ الْمُؤْمِنُونَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بِسَبَبِ عَدَمِ اسْتِزَادَتِهِمْ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [مريم: ٣٩].

١٢- الْغَاشِيَةُ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَغْشَىٰ النَّاسَ بِأَفْزَاعِهَا وَتَغُمُّهُمْ، وَمِنْ مَعَانِيهَا أَنَّ الْكُفَّارَ تَغْشَاهُمُ النَّارُ، وَتُحِيطُ بِهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾﴾ [الغاشية: ١].

١٣- يَوْمُ الْخُلُودِ: سُمِّيَ ذَلِكَ الْيَوْمُ بِيَوْمِ الْخُلُودِ؛ لِأَنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ إِلَىٰ دَارِ الْخُلْدِ، فَالْكُفَّارُ مُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ، وَالْمُؤْمِنُونَ مُخَلَّدُونَ فِي الْجِنَانِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾﴾ [ق: ٣٤].

١٤- يَوْمُ الْحِسَابِ: سُمِّيَ ذَلِكَ الْيَوْمُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ؛ لِأَنَّ اللهَ يُحَاسِبُ فِيهِ عِبَادَهُ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص: ٢٦].

١٥- الْوَاقِعَةُ: قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: «سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِتَحَقُّقِ كَوْنِهَا وَوُجُودِهَا».

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾﴾ [الواقعة: ١].

١٦- يَوْمُ الْوَعِيدِ: لِأَنَّهُ الْيَوْمُ الَّذِي أَوْعَدَ بِهِ عِبَادَهُ. وَحَقِيقَةُ الْوَعِيدِ هُوَ الْخَبَرُ عَنِ الْعُقُوبَةِ عِنْدَ الْمُخَالَفَةِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾﴾ [ق: ٢٠].

١٧- يَوْمُ الْآزِفَةِ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِاقْتِرَابِهَا. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾ [غافر: ١٨].

١٨- يَوْمُ الْجَمْعِ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ اللهَ يَجْمَعُ فِيهِ النَّاسَ جَمِيعًا. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الشورى: ٧].

١٩- الْحَاقَّةُ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ - كَمَا يَقُولُ ابْنُ كَثِيرٍ - لِأَنَّ فِيهَا يَتَحَقَّقُ الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢﴾ [الحاقة: ١-٢].

٢٠- يَوْمُ التَّلَاقِ: قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: «قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَلْتَقِي فِيهِ آدَمُ وَآخِرُ وَلَدِهِ. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: يَلْتَقِي فِيهِ الْعِبَادُ. وَقَالَ قَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ وَبِلَالُ بْنُ سَعْدٍ وَسُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: يَلْتَقِي فِيهِ أَهْلُ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَالْخَالِقُ وَالْخَلْقُ».

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ۝١٥﴾ [غافر: ١٥].

٢١- يَوْمُ التَّنَادِ: سُمِّيَ بِذَلِكَ لِكَثْرَةِ مَا يَحْصُلُ مِنْ نِدَاءٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَكُلُّ إِنْسَانٍ يُدْعَىٰ بِاسْمِهِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ يُنَادُونَ أَصْحَابَ النَّارِ، وَأَصْحَابُ النَّارِ يُنَادُونَ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ الْأَعْرَافِ يُنَادُونَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ.

قَالَ تَعَالَىٰ قَاصًّا نَصِيحَةَ مُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ لِقَوْمِهِ: ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ۝٣٢﴾ [غافر: ٣٢].

٢٢- يَوْمُ التَّغَابُنِ: سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَغْبِنُونَ أَهْلَ النَّارِ؛ إِذْ يَدْخُلُ هَؤُلَاءِ الْجَنَّةَ فَيَأْخُذُونَ مَا أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ، وَيَرِثُونَ نَصِيبَ الْكُفَّارِ مِنَ الْجَنَّةِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩].

الْأَدِلَّةُ عَلَىٰ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ:

١- قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [البقرة: ٤].

٢- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

٣- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة: ٢٥٤].

٤- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾ [البقرة: ٢٦٤].

٥- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٨١].

٦- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾ [آل عمران: ٧-٩].

٧- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [آل عمران: ٢٥].

٨- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ﴾ [النساء: ٣٨، ٣٩].

٩- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء: ٨٧].

١٠- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ﴾ [الشورى: ٢٠].

١١- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾﴾ [النمل: ٤].

١٢- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾ [الحجر: ٨٥].

١٣- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [طه: ١٥، ١٦].

١٤- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج: ٧].

١٥- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [النمل: ٧١-٧٢].

١٦- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [السجدة: ٢٨-٣٠].

١٧- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [هود: ١٠٣، ١٠٤].

١٨- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان: ٣٣].

١٩- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾ [فاطر: ٥].

٢٠- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا

يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [غافر: ٥٩].

وَغَيْرُهَا مِنَ الْآيَاتِ الْكَثِيرَةِ فِي ذِكْرِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَوُجُوبِ الْإِيمَانِ بِهِ.

٢١- حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ: قَوْلُهُ عليه السلام لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**»(١) الْحَدِيثُ.

٢٢- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَفَاتِحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾(٢).

٢٣- حَدِيثُ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ فَنَادَاهُ بِصَوْتٍ جَهُورِيٍّ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَاؤُمُ**» عَلَىٰ نَحْوِ مَا صَوْتُهُ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَتَىٰ السَّاعَةُ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَيْحَكَ! إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ، فَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟**». قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صَلَاةٍ وَلَا صِيَامٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**»(٣).

فَمَا فَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِهَذَا الْحَدِيثِ، وَفِيهِ أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا سُئِلَ عَنْ هَذَا الَّذِي لَا يَحْتَاجُونَ إِلَىٰ عِلْمِهِ أَرْشَدَهُمْ إِلَىٰ مَا هُوَ الْأَهَمُّ فِي حَقِّهِمْ، وَهُوَ الِاسْتِعْدَادُ لِوُقُوعِ ذَلِكَ وَالتَّهَيُّؤُ لَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ وَإِنْ لَمْ يَعْرِفُوا تَعْيِينَ وَقْتِهِ.

٢٤- وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَتِ الْأَعْرَابُ إِذَا قَدِمُوا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ سَأَلُوهُ عَنِ السَّاعَةِ مَتَىٰ السَّاعَةُ، فَيَنْظُرُ إِلَىٰ أَحْدَثِ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ فَيَقُولُ: «**إِنْ يَعِشْ هَذَا لَمْ يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ قَامَتْ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ**»(٤)، يَعْنِي بِذَلِكَ مَوْتَهُمُ الَّذِي

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٨).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٨/ ٥١٣).

(٣) متفق عليه: البخاري (٦١٦٩)، ومسلم (٢٦٤١).

(٤) متفق عليه: البخاري (٦٥١١)، ومسلم (٢٩٥٢).

يُفْضِي بِهِمْ إِلَىٰ الْحُصُولِ فِي بَرْزَخِ الدَّارِ الْآخِرَةِ.

٢٥- وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنْ يَعِشْ هَذَا الْغُلَامُ فَعَسَىٰ أَنْ لَا يُدْرِكَهُ الْهَرَمُ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ»(١).

وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: مَتَىٰ السَّاعَةُ؟ فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُنَيْهَةً، ثُمَّ نَظَرَ إِلَىٰ غُلَامٍ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ أَزْدِ شَنُوءَةَ فَقَالَ: «إِنَّ عُمِّرَ هَذَا لَمْ يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ». قَالَ أَنَسٌ: ذَلِكَ الْغُلَامُ مِنْ أَتْرَابِي(٢).

٢٦- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَتَىٰ السَّاعَةُ قَائِمَةٌ؟ قَالَ: «وَيْلَكَ، وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟». قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ. قَالَ: «إِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». فَقُلْنَا: وَنَحْنُ كَذَلِكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ». فَفَرِحْنَا يَوْمَئِذٍ فَرَحًا شَدِيدًا، فَمَرَّ غُلَامٌ لِلْمُغِيرَةِ وَكَانَ مِنْ أَقْرَانِي، فَقَالَ: «إِنْ أُخِّرَ هَذَا فَلَنْ يُدْرِكَهُ الْهَرَمُ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ»(٣).

٢٧- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِشَهْرٍ: «تَسْأَلُونَ عَنِ السَّاعَةِ، وَإِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ». وَأَقْسَمَ بِاللهِ: مَا عَلَىٰ ظَهْرِ الْأَرْضِ الْيَوْمَ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ تَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ(٤). وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي الْحَدِيثِ عَنِ الْعَلَامَاتِ الْكُبْرَىٰ لِلسَّاعَةِ.

* قَوْلُهُ: «عَلَامَاتُ السَّاعَةِ الْكُبْرَىٰ عَشْرٌ».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ شَيْخَنَا - حَفِظَهُ اللهُ - بَدَأَ فِي بَيَانِ الْعَلَامَاتِ الْكُبْرَىٰ لِيَوْمِ

---

(١) صحيح: مسلم (٢٩٥٢).

(٢) صحيح: مسلم (٢٩٥٢).

(٣) صحيح: البخاري (٦٥١١).

(٤) صحيح: مسلم (٢٥٣٨).

الْقِيَامَةِ الَّتِي أَخْبَرَ عَنْهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَعَدَّهَا بِعَشْرِ عَلَامَاتٍ، هِيَ مَا ثَبَتَ عَلَيْهَا الدَّلِيلُ، لَكِنْ هُنَاكَ بَعْضُ الْعَلَامَاتِ الصُّغْرَىٰ الَّتِي أَخْبَرَ عَنْهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَأَخْبَرَتْ عَنْهَا السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ الْمُطَهَّرَةُ نَذْكُرُ بَعْضَهَا إِتْمَامًا لِلْفَائِدَةِ:

الْعَلَامَاتُ الصُّغْرَىٰ:

١- بَعْثَةُ النَّبِيِّ ﷺ: **عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ صَاحِبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُ:** قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَذِهِ مِنْ هَذِهِ - أَوْ: كَهَاتَيْنِ -**». وَقَرَنَ بَيْنَ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَىٰ(١).

٢- انْشِقَاقُ الْقَمَرِ: **قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:** ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾ [القمر: ١، ٢].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **قَالَ:** انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ شِقَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اشْهَدُوا**»(٢).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً، فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ(٣).

٣- نَارٌ بِالْحِجَازِ أَضَاءَتْ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَىٰ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَىٰ**»(٤).

قَالَ الْأَشْقَرُ رَحِمَهُ اللهُ: «وَقَدْ تَحَدَّثَ الْعَلَّامَةُ الْمُؤَرِّخُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي أَحْدَاثِ سَنَةِ

---

(١) متفق عليه: البخاري (٥٣٠١)، ومسلم (٢٠٤٢).

(٢) متفق عليه: البخاري (٣٦٣٦)، ومسلم (٧٢٥٤).

(٣) متفق عليه: البخاري (٣٦٣٧)، ومسلم (٧٢٥٤).

(٤) متفق عليه: البخاري (٧١١٨)، ومسلم (٧٤٧٣).

(٦٥٤) عَنْ هَذِهِ النَّارِ، فَقَالَ: فِيهَا كَانَ ظُهُورُ النَّارِ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ الَّتِي أَضَاءَتْ لَهَا أَعْنَاقُ الْإِبِلِ بِبُصْرَىٰ، كَمَا نَطَقَ بِذَلِكَ الْحَدِيثُ الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ، وَقَدْ بَسَطَ الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ الْحَافِظُ شِهَابُ الدِّينِ أَبُو شَامَةَ الْمَقْدِسِيُّ فِي كِتَابِهِ «الذَّيْلِ وَشَرْحُهُ»، وَاسْتَحْضَرَهُ مِنْ كُتُبٍ كَثِيرَةٍ وَرَدَتْ مُتَوَاتِرَةً إِلَىٰ دِمَشْقَ مِنَ الْحِجَازِ بِصِفَةِ أَمْرِ هَذِهِ النَّارِ الَّتِي شُوهِدَتْ مُعَايَنَةً، وَكَيْفِيَّةِ خُرُوجِهَا وَأَمْرِهَا»(١).

٤- تَوَقُّفُ الْجِزْيَةِ وَالْخَرَاجِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنَعَتِ الْعِرَاقُ دِرْهَمَهَا وَقَفِيزَهَا، وَمَنَعَتِ الشَّأْمُ مُدْيَهَا وَدِينَارَهَا، وَمَنَعَتْ مِصْرُ إِرْدَبَّهَا وَدِينَارَهَا، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ**». شَهِدَ عَلَىٰ ذَلِكَ لَحْمُ أَبِي هُرَيْرَةَ وَدَمُهُ(٢). وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ كُلُّهُ، فَلَمْ يَعُدْ أَحَدٌ مِنَ النَّصَارَىٰ يُعْطِي الْجِزْيَةَ، وَكَذَا لَمْ يَعُدْ أَحَدٌ يُعْطِي الْخَرَاجَ.

٥- خُرُوجُ الدَّجَّالِينَ أَدْعِيَاءِ النُّبُوَّةِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَقْتَتِلَ فِئَتَانِ فَيَكُونَ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ**»(٣).

٦- إِسْنَادُ الْأَمْرِ إِلَىٰ غَيْرِ أَهْلِهِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَىٰ السَّاعَةُ؟ فَمَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُ فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ. حَتَّىٰ إِذَا قَضَىٰ حَدِيثَهُ قَالَ: «**أَيْنَ - أُرَاهُ - السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ**». قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**فَإِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**». قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ:

---

(١) «القيامة الصغرىٰ» (ص١٤٨).

(٢) صحيح: مسلم (٧٤٥٩).

(٣) متفق عليه: البخاري (٣٦٠٩)، ومسلم (٧٥٢٦).

«إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَىٰ غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»(١).

٧- فَسَادُ الْمُسْلِمِينَ: عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ، قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ، حَدَّثَنَا «أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جِذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ، فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ». ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِ الأَمَانَةِ، قَالَ: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَىٰ رِجْلِكَ فَنَفِطَ فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ - ثُمَّ أَخَذَ حَصًىٰ فَدَحْرَجَهُ عَلَىٰ رِجْلِهِ -، فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ لا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ، حَتَّىٰ يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا. حَتَّىٰ يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجْلَدَهُ، مَا أَظْرَفَهُ، مَا أَعْقَلَهُ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ». وَلَقَدْ أَتَىٰ عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ دِينُهُ، وَلَئِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ لِأُبَايِعَ مِنْكُمْ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا(٢).

٨- وِلَادَةُ الأَمَةِ رَبَّتَهَا: حَدِيثُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ السَّابِقُ، وَفِيهِ:... قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا. قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَىٰ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ». قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ». قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»(٣).

٩- تَدَاعِي الأُمَمِ عَلَىٰ الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ: عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَىٰ عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَىٰ الأَكَلَةُ إِلَىٰ قَصْعَتِهَا». فَقَالَ قَائِلٌ:

---

(١) صحيح: البخاري (٥٩).

(٢) صحيح: مسلم (٣٨٥).

(٣) صحيح: مسلم (١٠٢).

وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ». فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوَهَنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»(١).

١٠- الْخَسْفُ وَالْقَذْفُ وَالْمَسْخُ الَّذِي يَقَعُ فِي الْأُمَّةِ: عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ مَسْخٌ وَخَسْفٌ وَقَذْفٌ»(٢).

١١- اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَكْثُرَ فِيكُمُ الْمَالُ فَيَفِيضَ، حَتَّىٰ يُهِمَّ رَبَّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّىٰ يَعْرِضَهُ فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لَا أَرَبَ لِي»(٣).

١٢- عَوْدَةُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ جَنَّاتٍ وَأَنْهَارًا: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ، حَتَّىٰ يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِزَكَاةِ مَالِهِ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا مِنْهُ، وَحَتَّىٰ تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا»(٤).

١٣- انْحِسَارُ الْفُرَاتِ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُوشِكُ الْفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ كَنْزٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَمَنْ حَضَرَهُ فَلَا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا»(٥). وَلِمُسْلِمٍ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَحْسِرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، يَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ: لَعَلِّي أَكُونُ أَنَا الَّذِي أَنْجُو»(٦).

---

(١) صحيح: أبو داود (٤٢٩٩)، قال الألباني: صحيح.

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٠٤٩)، وصححه الألباني. «الصحيحة» (١٧٨٧).

(٣) متفق عليه: البخاري (١٤١٢)، ومسلم (١٥٧).

(٤) صحيح: مسلم (١٥٧).

(٥) متفق عليه: البخاري (٧١١٩)، ومسلم (٢٨٩٤).

(٦) صحيح: مسلم (٢٨٩٤).

١٤- خُرُوجُ الْمَهْدِي: عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّىٰ يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي»(١). عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «الْمَهْدِيُّ مِنْ عِتْرَتِي مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ»(٢).

* قَوْلُهُ: «عَلَامَاتُ السَّاعَةِ الْكُبْرَىٰ».

وَجُمْلَتُهُ: أَنَّ لِلسَّاعَةِ عَلَامَاتٍ كُبْرَىٰ تَدُلُّ عَلَىٰ قُرْبِ قِيَامِ السَّاعَةِ، فَإِذَا ظَهَرَتْ كَانَتِ السَّاعَةُ عَلَىٰ إِثْرِهَا، فَإِذَا وَقَعَتْ وَاحِدَةٌ تَلَاهَا الْبَاقِي كَالْعِقْدِ إِذَا انْقَطَعَ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْآيَاتُ خَرَزَاتٌ مَنْظُومَاتٌ فِي سِلْكٍ، فَإِنْ يُقْطَعِ السِّلْكُ يَتْبَعْ بَعْضُهَا بَعْضًا»(٣).

* قَوْلُهُ: «عَشْرٌ». كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهَا عَشْرُ آيَاتٍ.

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي غُرْفَةٍ وَنَحْنُ أَسْفَلَ مِنْهُ، فَاطَّلَعَ إِلَيْنَا فَقَالَ: «مَا تَذْكُرُونَ؟». قُلْنَا: السَّاعَةَ. قَالَ: «إِنَّ السَّاعَةَ لا تَكُونُ حَتَّىٰ تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَالدُّخَانُ، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدَنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ». قَالَ شُعْبَةُ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ رُفَيْعٍ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، لَا يَذْكُرُ النَّبِيَّ ﷺ، وَقَالَ أَحَدُهُمَا فِي الْعَاشِرَةِ: «نُزُولُ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ». وَقَالَ الْآخَرُ: «وَرِيحٌ تُلْقِي النَّاسَ فِي الْبَحْرِ»(٤).

---

(١) صحيح: أبو داود (٤٢٨٢)، الترمذي (٢٢٣٠)، وصححه الألباني.

(٢) صحيح: أبو داود (٤٢٨٤)، ابن ماجه (٤٠٨٦)، وصححه الألباني.

(٣) صحيح: أحمد (٧٠٠٠)، والحاكم (٤/ ٤٧٣-٤٧٤)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٧٦٢).

(٤) صحيح: مسلم (٢٩٠١).

فَائِدَةٌ: لَمْ يَرِدْ حَدِيثٌ صَحِيحٌ فِي تَرْتِيبِ الْآيَاتِ نَعْلَمُهُ، وَلَا يَدُلُّ الْحَدِيثُ السَّابِقُ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّ الدَّجَّالَ أَوَّلُهَا، ثُمَّ نُزُولَ عِيسَىٰ، ثُمَّ خُرُوجَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، ثُمَّ لَا يُوجَدُ تَرْتِيبٌ بَيْنَ بَاقِي الْآيَاتِ، كَخُرُوجِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوْ خُرُوجِ الدَّابَّةِ، أَوِ الْخَسْفِ، وَإِنْ كَانَتِ النَّارُ هِيَ آخِرُ الْآيَاتِ كَمَا مَرَّ فِي حَدِيثِ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

* قَوْلُهُ: «الدَّجَّالُ».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ الدَّجَّالَ أَعْظَمُ فِتْنَةٍ يَرَاهَا الْبَشَرُ فِي الدُّنْيَا؛ لِذَا كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُحَذِّرُ قَوْمَهُ مِنْهُ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «بَابُ ذِكْرِ الدَّجَّالِ وَصِفَتِهِ وَمَا مَعَهُ: قَدْ سَبَقَ فِي شَرْحِ خُطْبَةِ الْكِتَابِ بَيَانُ اشْتِقَاقِهِ وَغَيْرِهِ، وَسَبَقَ فِي كِتَابِ الصَّلَاةِ بَيَانُ تَسْمِيَتِهِ الْمَسِيحَ وَاشْتِقَاقِهِ، وَالْخِلَافِ فِي ضَبْطِهِ. قَالَ الْقَاضِي: هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الَّتِي ذَكَرَهَا مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ فِي قِصَّةِ الدَّجَّالِ حُجَّةٌ لِمَذْهَبِ أَهْلِ الْحَقِّ فِي صِحَّةِ وُجُودِهِ، وَأَنَّهُ شَخْصٌ بِعَيْنِهِ، ابْتَلَىٰ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ، وَأَقْدَرَهُ عَلَىٰ أَشْيَاءَ مِنْ مَقْدُورَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ مِنْ إِحْيَاءِ الْمَيِّتِ الَّذِي يَقْتُلُهُ، وَمِنْ ظُهُورِ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَالْخِصْبِ مَعَهُ، وَجَنَّتِهِ وَنَارِهِ وَنَهَرَيْهِ، وَاتِّبَاعِ كُنُوزِ الْأَرْضِ لَهُ، وَأَمْرِهِ السَّمَاءَ أَنْ تُمْطِرَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فَتُنْبِتُ، فَيَقَعُ كُلُّ ذَلِكَ بِقُدْرَةِ اللهِ تَعَالَىٰ وَمَشِيئَتِهِ، ثُمَّ يُعْجِزُهُ اللهُ تَعَالَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ، فَلَا يَقْدِرُ عَلَىٰ قَتْلِ ذَلِكَ الرَّجُلِ وَلَا غَيْرِهِ، وَيُبْطِلُ أَمْرَهُ، وَيَقْتُلُهُ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا.

هَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَجَمِيعِ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ وَالنُّظَّارِ، خِلَافًا لِمَنْ أَنْكَرَهُ وَأَبْطَلَ أَمْرَهُ مِنَ الْخَوَارِجِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَبَعْضِ الْمُعْتَزِلَةِ»(١).

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ: إِنَّكُمْ لَتُجَاوِزُونِي إِلَىٰ رِجَالٍ مَا

---

(١) «شرح مسلم» نووي (ج١٨/ ٥٨).

كَانُوا بِأَحْضَرَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمَ بِحَدِيثِهِ مِنِّي، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ»(١).

لِذَا حَذَّرَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْهُ، وَكَذَا كُلُّ نَبِيٍّ كَانَ يُحَذِّرُ أُمَّتَهُ مِنْهُ، كَمَا فِي الْبُخَارِيِّ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّاسِ فَأَثْنَىٰ عَلَىٰ اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ فَقَالَ: «إِنِّي لَأُنْذِرُكُمُوهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ، تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»(٢).

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ: كَافِرٌ»(٣).

أَوَّلًا: صِفَاتُ الدَّجَّالِ:

وَصَفَ النَّبِيُّ ﷺ الدَّجَّالَ بِصِفَاتٍ مَعْرُوفَةٍ تُحَدِّدُ مَعَالِمَ جَسَدِهِ:

١- أَعْوَرُ الْعَيْنِ. ٢- مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ. ٣- لَيْسَ لَهُ عَقِبٌ.

قَالَ الْأَشْقَرُ رَحِمَهُ اللهُ: «يَدَّعِي الدَّجَّالُ الرُّبُوبِيَّةَ، وَيَأْتِي مِنَ الْأَعْمَالِ الْخَارِقَةِ مَا يُرَوِّجُ بِهِ بَاطِلَهُ، حَتَّىٰ إِنَّ الرَّجُلَ يَأْتِيهِ ظَانًّا أَنَّ أَمْرَهُ لَنْ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ، وَأَنَّ بَاطِلَهُ لَنْ يَرُوجَ عَلَيْهِ، فَعِنْدَمَا يَرَىٰ مَا عِنْدَهُ مِنْ مَخَارِيقَ يَتَّبِعُهُ»(٤).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ: أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ سَبْطُ الشَّعَرِ يَنْطُفُ - أَوْ: يُهَرَاقُ - رَأْسُهُ مَاءً، قُلْتُ: مَنْ

---

(١) صحيح: مسلم (٢٩٤٦).

(٢) متفق عليه: البخاري (٣٣٣٧)، ومسلم (١٦٩).

(٣) متفق عليه: البخاري (٧١٣١)، ومسلم (٢٩٣٣).

(٤) «القيامة الصغرىٰ» (ص٢٤٠).

هَذَا؟ قَالُوا: ابْنُ مَرْيَمَ. ثُمَّ ذَهَبْتُ أَلْتَفِتُ، فَإِذَا رَجُلٌ جَسِيمٌ أَحْمَرُ، جَعْدُ الرَّأْسِ، أَعْوَرُ الْعَيْنِ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، قَالُوا: هَذَا الدَّجَّالُ. أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا ابْنُ قَطَنٍ. رَجُلٌ مِنْ خُزَاعَةَ»(١).

وَعَنْ أَنَسٍ ﵁ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ: كَافِرٌ»(٢).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﵁ قَالَ: خَرَجْنَا حُجَّاجًا أَوْ عُمَّارًا وَمَعَنَا ابْنُ صَائِدٍ، قَالَ: فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ، وَبَقِيتُ أَنَا وَهُوَ، فَاسْتَوْحَشْتُ مِنْهُ وَحْشَةً شَدِيدَةً مِمَّا يُقَالُ عَلَيْهِ، قَالَ: وَجَاءَ بِمَتَاعِهِ فَوَضَعَهُ مَعَ مَتَاعِي، فَقُلْتُ: إِنَّ الْحَرَّ شَدِيدٌ، فَلَوْ وَضَعْتَهُ تَحْتَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ. قَالَ: فَفَعَلَ، قَالَ: فَرُفِعَتْ لَنَا غَنَمٌ، فَانْطَلَقَ فَجَاءَ بِعُسٍّ، فَقَالَ: اشْرَبْ أَبَا سَعِيدٍ. فَقُلْتُ: إِنَّ الْحَرَّ شَدِيدٌ وَاللَّبَنُ حَارٌّ. مَا بِي إِلَّا أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَشْرَبَ عَنْ يَدِهِ - أَوْ قَالَ: آخُذَ عَنْ يَدِهِ -. فَقَالَ: أَبَا سَعِيدٍ، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آخُذَ حَبْلًا فَأُعَلِّقَهُ بِشَجَرَةٍ ثُمَّ أَخْتَنِقَ مِمَّا يَقُولُ لِي النَّاسُ يَا أَبَا سَعِيدٍ، مَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ حَدِيثُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَسْتَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هُوَ كَافِرٌ». وَأَنَا مُسْلِمٌ؟ أَوَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَكُمْ: «هُوَ عَقِيمٌ لَا يُولَدُ لَهُ». وَقَدْ تَرَكْتُ وَلَدِي بِالْمَدِينَةِ؟ أَوَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ وَلَا مَكَّةَ». وَقَدْ أَقْبَلْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَنَا أُرِيدُ مَكَّةَ؟

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: حَتَّىٰ كِدْتُ أَنْ أَعْذِرَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ وَأَعْرِفُ مَوْلِدَهُ وَأَيْنَ هُوَ الْآنَ. قَالَ: قُلْتُ لَهُ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ(٣).

---

(١) متفق عليه: البخاري (٧١٢٨)، ومسلم (١٦٩).

(٢) متفق عليه: البخاري (٧١٣١)، ومسلم (٢٩٣٣).

(٣) صحيح: مسلم (٢٩٢٧).

ثَانِيًا: الْأُمُورُ الَّتِي يُعْطِيهَا اللهُ ﷻ لَهُ لِيَفْتِنَ النَّاسَ بِهَا:

١- سُرْعَةُ انْتِقَالِهِ فِي الْأَرْضِ: عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الْكِلَابِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ، حَتَّىٰ ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ؟». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ، حَتَّىٰ ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقَالَ: «غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّىٰ بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا؛ يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ»(١).

٢- اسْتِجَابَةُ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَالْحَيَوَانِ لَهُ: كَمَا فِي حَدِيثِ النَّوَّاسِ السَّابِقِ، وَفِيهِ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَيَأْتِي عَلَىٰ الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ»(٢).

---

(١) صحيح: مسلم (٢٩٣٧).

(٢) السابق.

٣- تَسَلُّطُهُ عَلَىٰ شَابٍّ فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ إِحْيَاؤُهُ إِيَّاهُ: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَدِيثًا طَوِيلًا عَنِ الدَّجَّالِ، فَكَانَ فِيمَا حَدَّثَنَا بِهِ أَنْ قَالَ: «يَأْتِي الدَّجَّالُ - وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ الْمَدِينَةِ - بَعْضَ السِّبَاخِ الَّتِي بِالْمَدِينَةِ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ هُوَ خَيْرُ النَّاسِ - أَوْ: مِنْ خَيْرِ النَّاسِ -، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنَا عَنْكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَدِيثَهُ. فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ هَلْ تَشُكُّونَ فِي الْأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لَا. فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ، فَيَقُولُ حِينَ يُحْيِيهِ: وَاللهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الْيَوْمَ. فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَقْتُلُهُ. فَلَا أُسَلَّطُ عَلَيْهِ»(١).

٤- مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ: عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الدَّجَّالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَىٰ، جُفَالُ الشَّعَرِ، مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ، فَنَارُهُ جَنَّةٌ، وَجَنَّتُهُ نَارٌ»(٢).

٥- مَعَهُ نَهْرَانِ: عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَّالِ مِنْهُ، مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ، أَحَدُهُمَا رَأْيَ الْعَيْنِ مَاءٌ أَبْيَضُ، وَالْآخَرُ رَأْيَ الْعَيْنِ نَارٌ تَأَجَّجُ، فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا، وَلْيُغَمِّضْ ثُمَّ لِيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ، وَإِنَّ الدَّجَّالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ، عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: كَافِرٌ. يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ؛ كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ»(٣).

٦- يَسْتَعِينُ بِالشَّيَاطِينِ: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي قِصَّةِ الدَّجَّالِ وَفِيهِ: «... وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَقُولَ لِأَعْرَابِيٍّ: أَرَأَيْتَ إِنْ بَعَثْتُ لَكَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَتَمَثَّلُ لَهُ شَيْطَانَانِ فِي صُورَةِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ، فَيَقُولَانِ: يَا بُنَيَّ اتَّبِعْهُ فَإِنَّهُ رَبُّكَ»(٤).

---

(١) متفق عليه: البخاري (١٨٨٢)، ومسلم (٢٩٣٨).

(٢) متفق عليه: البخاري (٧١٣٠)، ومسلم (٢٩٣٤).

(٣) السابق.

(٤) صحيح: مسلم (٢٩٣٤).

ثَالِثًا: مَكَانُ خُرُوجِهِ: يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي بِلَادِ فَارِسَ (خُرَاسَانَ)، كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ.

عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «**الدَّجَّالُ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بِالْمَشْرِقِ يُقَالُ لَهَا: خُرَاسَانُ، يَتْبَعُهُ أَقْوَامٌ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ**»(١).

وَفِي حَدِيثِ النَّوَّاسِ السَّابِقِ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا**»(٢).

رَابِعًا: **مُدَّةُ مُكْثِهِ فِي الْأَرْضِ**: أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْمُدَّةِ الَّتِي يَمْكُثُهَا فِي الْأَرْضِ عِنْدَمَا سَأَلَهُ الصَّحَابَةُ عَنْ ذَلِكَ، كَمَا فِي حَدِيثِ النَّوَّاسِ السَّابِقِ: وَفِيهِ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «**أَرْبَعُونَ يَوْمًا؛ يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ**». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ: أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «**لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ**». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «**كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ**»(٣).

خَامِسًا: كَيْفَ يَنْجُو الْمُسْلِمُ مِنْهُ:

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَكَفَّلَ بِهِ إِذَا كَانَ قَدْ خَرَجَ وَهُوَ فِيهِمْ بِأَنَّهُ حَجِيجُهُ، أَمَّا بَعْدَ وَفَاتِهِ فَكُلُّ وَاحِدٍ حَجِيجُ نَفْسِهِ، كَمَا فِي حَدِيثِ النَّوَّاسِ السَّابِقِ، وَفِيهِ: فَقَالَ ﷺ: «**غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**»(٤).

---

(١) **صحيح**: الترمذي (٢٢٣٧)، ابن ماجه (٤٠٧٢)، أحمد (١٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٥٩١).

(٢) **صحيح**: مسلم (٢٩٣٧).

(٣) السابق.

(٤) السابق.

الْأُمُورُ الَّتِي تُنْجِي مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ:

١- أَنَّ مَنْ سَمِعَ بِهِ لَا يَأْتِيهِ وَإِنْ كَانَ وَاثِقًا مِنْ نَفْسِهِ: عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُحَدِّثُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ؛ فَوَاللهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ - أَوْ لِمَا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ -**». هَكَذَا قَالَ(١).

٢- الْفِرَارُ مِنْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: أَخْبَرَتْنِي أُمُّ شَرِيكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لَيَفِرَّنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَّالِ فِي الْجِبَالِ**». قَالَتْ أُمُّ شَرِيكٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «**هُمْ قَلِيلٌ**»(٢).

٣- قِرَاءَةُ فَوَاتِحِ سُورَةِ الْكَهْفِ: لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ مَنْ يُدْرِكُهُ أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، كَمَا فِي حَدِيثِ النَّوَّاسِ السَّابِقِ، وَفِيهِ أَنَّهُ قَالَ: «**فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ**»(٣).

٤- أَنْ يَحْفَظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ الْكَهْفِ: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ**»(٤).

٥- الِاسْتِعَاذَةُ بِاللهِ مِنْهُ:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ**». فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ

---

(١) صحيح: أبو داود (٤٣١٩)، وأحمد (١٩٤٦٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٣٠١).

(٢) صحيح: مسلم (٢٩٤٥).

(٣) صحيح: مسلم (٢٩٣٧).

(٤) صحيح مسلم (٨٠٩).

الْمَغْرَمِ! فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ»(١).

عَنْ مُصْعَبٍ: كَانَ سَعْدٌ يَأْمُرُ بِخَمْسٍ، وَيَذْكُرُهُنَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ بِهِنَّ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا - يَعْنِي: فِتْنَةَ الدَّجَّالِ -، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»(٢). عَنْ عُرْوَةَ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَسْتَعِيذُ فِي صَلَاتِهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ»(٣).

٦- سُكْنَىٰ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ أَوِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ: فَمَنْ سَكَنَ فِيهِمَا عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ؛ لِأَنَّهُ لَنْ يَدْخُلَهُمَا، بَلْ يَعْصِمَهُمَا اللهُ مِنْهُ. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا، ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ فَيُخْرِجُ اللهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ»(٤). عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَأْتِي الْمَسِيحُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ هِمَّتُهُ الْمَدِينَةُ حَتَّىٰ يَنْزِلَ دُبُرَ أُحُدٍ، ثُمَّ تَصْرِفُ الْمَلَائِكَةُ وَجْهَهُ قِبَلَ الشَّامِ وَهُنَالِكَ يَهْلِكُ»(٥).

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ رُعْبُ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؛ لَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ عَلَىٰ كُلِّ بَابٍ مَلَكَانِ»(٦).

سَادِسًا: هَلَاكُ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ

---

(١) متفق عليه: البخاري (٨٣٣)، ومسلم (٥٨٩).

(٢) صحيح: البخاري (٦٣٦٥).

(٣) متفق عليه: البخاري (٧١٢٩)، ومسلم (٥٨٩).

(٤) متفق عليه: البخاري (١٨٨١)، ومسلم (٢٩٤٣).

(٥) صحيح: مسلم (١٣٨٠).

(٦) صحيح: البخاري (١٨٧٩).

قَالَ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَنزِلَ الرُّومُ بِالأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ. فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لا وَاللهِ، لا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا. فَيُقَاتِلُونَهُمْ، فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لا يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لا يُفْتَنُونَ أَبَدًا، فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ. فَيَخْرُجُونَ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاءُوا الشَّأْمَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَىٰ بْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لانْذَابَ حَتَّىٰ يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ»(١).

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ... وَفِيهِ: «وَيُدْعَىٰ ذَلِكَ الْيَوْمُ يَوْمَ الْخَلَاصِ». فَقَالَتْ أُمُّ شَرِيكٍ بِنْتُ أَبِي الْعَكَرِ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «هُمْ يَوْمَئِذٍ قَلِيلٌ، وَجُلُّهُمْ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَإِمَامُهُمْ رَجُلٌ صَالِحٌ، فَبَيْنَمَا إِمَامُهُمْ قَدْ تَقَدَّمَ يُصَلِّي بِهِمُ الصُّبْحَ إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِمْ عِيسَىٰ بْنُ مَرْيَمَ الصُّبْحَ، فَرَجَعَ ذَلِكَ الإِمَامُ يَنْكُصُ يَمْشِي الْقَهْقَرَىٰ لِيَتَقَدَّمَ عِيسَىٰ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَيَضَعُ عِيسَىٰ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: تَقَدَّمْ فَصَلِّ؛ فَإِنَّهَا لَكَ أُقِيمَتْ. فَيُصَلِّي بِهِمْ إِمَامُهُمْ، فَإِذَا انْصَرَفَ قَالَ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: افْتَحُوا الْبَابَ، فَيُفْتَحُ، وَوَرَاءَهُ الدَّجَّالُ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ يَهُودِيٍّ، كُلُّهُمْ ذُو سَيْفٍ مُحَلًّىٰ وَسَاجٍ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ الدَّجَّالُ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، وَيَنْطَلِقُ هَارِبًا، وَيَقُولُ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ لِي فِيكَ ضَرْبَةً لَنْ تَسْبِقَنِي بِهَا. فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ بَابِ اللُّدِّ الشَّرْقِيِّ، فَيَقْتُلُهُ، فَيَهْزِمُ اللهُ

---

(١) صحيح: مسلم (٢٨٩٧).

الْيَهُودَ، فَلَا يَبْقَىٰ شَيْءٌ مِمَّا خَلَقَ اللهُ يَتَوَارَىٰ بِهِ يَهُودِيٌّ إِلَّا أَنْطَقَ اللهُ ذَلِكَ الشَّيْءَ، لَا حَجَرَ وَلَا شَجَرَ، وَلَا حَائِطَ وَلَا دَابَّةَ - إِلَّا الْغَرْقَدَةَ؛ فَإِنَّهَا مِنْ شَجَرِهِمْ، لَا تَنْطِقُ - إِلَّا قَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ الْمُسْلِمَ، هَذَا يَهُودِيٌّ فَتَعَالَ اقْتُلْهُ»(١).

* قَوْلُهُ: «نُزُولُ عِيسَىٰ ﷺ». هَذِهِ هِيَ الْعَلَامَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ عَلَامَاتِ الْقِيَامَةِ الْكُبْرَىٰ، نُزُولُ عِيسَىٰ ﷺ، وَأَنَّهُ سَيَقْتُلُ الدَّجَّالَ، وَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيُصَلِّي خَلْفَ الْمَهْدِي، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يَأْتِي مُفَصَّلًا.

أَوَّلًا: عَقِيدَتُنَا فِي عِيسَىٰ ﷺ:

١- أَنَّهُ كَلِمَةُ اللهِ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﷺ: وَقَدْ خَلَقَهُ اللهُ ﷻ مِنْ غَيْرِ أَبٍ كَمَا خَلَقَ آدَمَ مِنْ غَيْرِ أَبٍ أَوْ أُمٍّ.

قَالَ الْبُخَارِيُّ ﵀: «بَابُ قَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾ [النساء: ١٧١]».

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: «كَلِمَتُهُ كُنْ فَكَانَ». وَقَالَ غَيْرُهُ: ﴿وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ﴾ أَحْيَاهُ فَجَعَلَهُ رُوحًا، ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ﴾(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ

---

(١) صحيح: ابن ماجه (٤٠٧٧)، أبو داود (٤٣٢١) مختصرًا. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٤٣٣).

(٢) «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (ج٥/ ٤٠٩).

أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾ [مريم: ١٦-٢٤].

٢- **أَنَّ عِيسَىٰ ﷺ عَبْدٌ للهِ: قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ [مريم: ٣٠، ٣١].

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ اللهِ وَابْنُ أَمَتِهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ؛ أَدْخَلَهُ اللهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ**»(١). وَفِي رِوَايَةٍ: «**أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ**».

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحَذِّرُ مِنْ ذَلِكَ. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا سَمِعَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»(٢).

٣- **أَنَّهُ لَمْ يُقْتَلْ وَلَمْ يُصْلَبْ:** كَمَا زَعَمَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ أَنَّ الْيَهُودَ قَتَلُوا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ، وَصَلَبُوهُ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ قَامَ فَصَعِدَ إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَقَدْ كَذَّبَهُمُ الْقُرْآنُ.

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

(٢) متفق عليه: البخاري (٣٤٤٥)، ومسلم (١٦٩١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨)﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨].

٤- أَنَّهُ مَوْجُودٌ فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ: وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي رِحْلَةِ الْإِسْرَاءِ أَنَّ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَوْجُودٌ فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «... **فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَىٰ عِيسَىٰ وَيَحْيَىٰ، فَقَالَا: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ**»(١).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ: «**ثُمَّ صَعِدَ حَتَّىٰ أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا يَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَهُمَا ابْنَا خَالَةٍ، قَالَ: هَذَا يَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا. فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا، ثُمَّ قَالَا: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ**»(٢).

ثَانِيًا: نُزُولُ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَإِذَا خَرَجَ الدَّجَّالُ أَذِنَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِنُزُولِ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْأَرْضِ، كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ؛ لِيَقْتُلَ الدَّجَّالَ. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ**»(٣).

عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤).

(٢) متفق عليه: البخاري (٣٤٣٠)، ومسلم (١٦٤).

(٣) متفق عليه: البخاري (٣٤٤٩)، ومسلم (١٥٥).

يَقُولُ: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَىٰ بْنُ مَرْيَمَ ﷺ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا. فَيَقُولُ: لا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الأُمَّةَ»(١).

ثَالِثًا: مَكَانُ نُزُولِ عِيسَىٰ عليه السلام: سَيَنْزِلُ عِيسَىٰ عليه السلام عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقَ دِمَشْقَ، كَمَا بَيَّنَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حَدِيثِ النَّوَّاسِ رضي الله عنه، وَفِيهِ: «... فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ بْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَىٰ أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ؛ حَتَّىٰ يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَىٰ بْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ، وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَىٰ اللهُ إِلَىٰ عِيسَىٰ: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَىٰ الطُّورِ»(٢).

رَابِعًا: قَضَاءُ عِيسَىٰ عليه السلام:

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ عِيسَىٰ عليه السلام سَيَنْزِلُ عَلَىٰ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ، وَعَلَىٰ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَيَقْضِي بِهَا بَيْنَ النَّاسِ، وَيُعَلِّمُهَا، وَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيُصَلِّي خَلْفَ الْمَهْدِي - أَوِ: الرَّجُلِ الصَّالِحِ -.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: ٨١].

---

(١) صحيح: مسلم (١٥٦).

(٢) صحيح: مسلم (٢٩٣٧).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّىٰ لا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ»(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّىٰ لا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّىٰ تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا». ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء: ١٥٩](٢).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَىٰ الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا. فَيَقُولُ: لا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الأُمَّةَ»(٣).

خَامِسًا: قَتْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلدَّجَّالِ: فَبَعْدَ أَنْ يَفْتِنَ الدَّجَّالُ النَّاسَ، وَيَتَّبِعَهُ فِئَامٌ مِنَ الْعَرَبِ، يَنْزِلُ الْمَسِيحُ وَيُصَلِّي بِالْمُؤْمِنِينَ، وَيَجِدُهُمْ يَصُفُّونَ صُفُوفَهُمْ لِقِتَالِ الْعَدُوِّ، فَيَأْمُرُهُمْ بِفَتْحِ الْبَابِ، فَيَجِدُ الدَّجَّالَ وَمَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْيَهُودِ، فَإِذَا رَأَىٰ الدَّجَّالُ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّهُ يَذُوبُ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ، ثُمَّ يَهْرُبُ، فَيَتْبَعُهُ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَلْحَقُ بِهِ عِنْدَ بَابِ لُدٍّ بِفِلَسْطِينَ، فَيَقْتُلُهُ بِحَرْبَتِهِ وَيُرِيهِمْ دَمَهُ عَلَيْهَا.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَنْزِلَ

---

(١) متفق عليه: البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥).

(٢) متفق عليه: البخاري (٣٤٤٨)، ومسلم (١٥٥).

(٣) صحيح: مسلم (١٥٦).

الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ. فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لا وَاللهِ، لا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا. فَيُقَاتِلُونَهُمْ، فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لا يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ: أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لا يُفْتَنُونَ أَبَدًا، فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ. فَيَخْرُجُونَ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاءُوا الشَّأْمَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَىٰ بْنُ مَرْيَمَ ﷺ، فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لانْذَابَ حَتَّىٰ يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ»[١].

وَعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ[٢] فِيهِ وَرَفَّعَ، حَتَّىٰ ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ؟». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ، حَتَّىٰ ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقَالَ: «غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ[٣] دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ[٤]، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ[٥]، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّىٰ بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ،

---

(١) صحيح: مسلم (٢٨٩٧).

(٢) فخفض: حقر من شأنه.

(٣) الحجيج: الخصم الغالب بالحجة والبرهان.

(٤) القطط: شديد جعودة الشعر.

(٥) طافية: ذهب نورها.

إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً(١) بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ(٢) يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا؛ يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ: أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ(٣) عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ(٤) أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا(٥)، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ(٦)، لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ. فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ(٧) النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ، فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ بْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ(٨)، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ(٩)، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ

---

(١) خلة: موضع حزن وصخور.

(٢) العيث: الإسراع في الفساد.

(٣) تروح: ترجع آخر النهار.

(٤) السارحة: الماشية والدواب التي ترعىٰ.

(٥) الذروة: أعلىٰ كل شيء، والمراد أعلىٰ السنام.

(٦) ممحلين: قد أصابهم الجدب والقحط.

(٧) العيسوب: أمير جماعة النحل؛ أي: ملكة النحل.

(٨) المهرود: الثوب المصبوغ بالزعفران ونحوه.

(٩) المراد: ينزل العرق علىٰ هيئة اللؤلؤ.

رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّىٰ يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَىٰ بْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ، وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَىٰ اللهُ إِلَىٰ عِيسَىٰ: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ[١] لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَىٰ الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَىٰ بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ، فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ! وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ، حَتَّىٰ يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ[٢] فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَىٰ[٣] كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ إِلَىٰ الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ[٤] وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ[٥] نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ إِلَىٰ اللهِ، فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ[٦]، فَتَحْمِلُهُمْ، فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ[٧] مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ[٨] وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ[٩]، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ. فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ

---

(١) لا يدان: لا قدرة ولا طاقة.

(٢) النغف: دود يكون في أنوف الإبل والغنم.

(٣) الفريس: القتيل.

(٤) زهمهم: دسمهم وروائحتهم الكريهة.

(٥) يرغب: يدعو ويتضرع.

(٦) البخت: جمال طويلة الأعناق.

(٧) يكن: يمنع من نزول المطر.

(٨) مدر: الطين اليابس.

(٩) الزلفة: المرآة، وهو كناية عن عموم الماء جميع الأرض.

بِقِحْفِهَا[١]، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ[٢]، حَتَّىٰ أَنَّ اللِّقْحَةَ[٣] مِنَ الإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ[٤] مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ[٥] مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَىٰ شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ[٦] فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»[٧].

سَادِسًا: مُدَّةُ بَقَاءِ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الأَرْضِ وَمَوْتُهُ:

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَوْفَ يَمْكُثُ فِي الأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَيَعُمُّ الْخَيْرُ وَالْبَرَكَةُ الأَرْضَ، وَتُرْفَعُ الشَّحْنَاءُ وَالْبَغْضَاءُ، وَيَتْرُكُ الصَّدَقَةَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ فَلَا يَقْبَلُهَا، فَيَكُونُ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَكَمًا عَدْلًا وَإِمَامًا مُقْسِطًا، فَيُؤْذَنُ لِلسَّمَاءِ بِالْقَطْرِ، وَالأَرْضِ فِي النَّبَاتِ. عَنْ حَنْظَلَةَ الأَسْلَمِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُهِلَّنَّ ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرَّوْحَاءِ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا أَوْ لَيَثْنِيَنَّهُمَا»[٨].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ - يَعْنِي عِيسَىٰ -، وَإِنَّهُ نَازِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ: رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَىٰ الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، بَيْنَ مُمَصَّرَتَيْنِ، كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ، وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ، فَيُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَىٰ الإِسْلَامِ، فَيَدُقُّ

---

(١) القحف: القشر.

(٢) الرسل: اللبن.

(٣) اللقحة: الناقة الحلوب والقريبة العهد بالولادة.

(٤) الفئام: الجماعة.

(٥) الفخذ: الجماعة من الأقارب.

(٦) يتهارجون: يجامع رجالهم نساءهم علانية.

(٧) صحيح: مسلم (٢٩٣٧).

(٨) صحيح: مسلم (١٢٥٢).

الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الإِسْلَامَ، وَيُهْلِكُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يُتَوَفَّىٰ، فَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ»(١).

* قَوْلُهُ: «خُرُوجُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِنْ نَسْلِ بَنِي آدَمَ، وَهُمْ قَوْمٌ كَانُوا يَعْثُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، حَتَّىٰ جَاءَ ذُو الْقَرْنَيْنِ فَبَنَىٰ عَلَيْهِمُ السَّدَّ، فَحَبَسَهُمْ عَنِ النَّاسِ.

١- قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ [الكهف: ٩٣-٩٨].

٢- وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّهُمْ مِنْ نَسْلِ آدَمَ عليه السلام: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: يَا آدَمُ. فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ. فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ. قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ. فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَىٰ النَّاسَ سُكَارَىٰ، وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَيُّنَا ذَلِكَ الْوَاحِدُ؟ قَالَ: «أَبْشِرُوا؛ فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا». ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ». فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ». فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ

---

(١) صحيح: أبو داود (٤٣٢٤)، قال الألباني: صحيح.

الْجَنَّةِ». فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعَرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ، أَوْ: كَشَعَرَةٍ بَيْضَاءَ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ»(١).

٣- وَقَدْ حَذَّرَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْهُمْ وَبَيَّنَ أَنَّهُمْ شَرٌّ: عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ -، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ: «لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ! فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ». وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا. قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ»(٢).

٤- مُحَاوَلَتُهُمْ حَفْرَ السَّدِّ فِي كُلِّ يَوْمٍ: فَهُمْ يَنْقُبُونَ فِي السَّدِّ كُلَّ يَوْمٍ، حَتَّىٰ إِذَا أَذِنَ اللهُ ﷻ فِي خُرُوجِهِمْ قَدَّمُوا الْمَشِيئَةَ، فَيَفْتَحُونَ السَّدَّ وَيَخْرُجُونَ، فَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ؛ فَيَشْرَبُونَ مَاءَهَا، وَيَأْكُلُونَ أَخْضَرَهَا، حَتَّىٰ يَأْتِيَ عِيسَىٰ عليه السلام فَيَدْعُوَ عَلَيْهِمْ، فَيُهْلِكَهُمُ اللهُ ﷻ، وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُمْ مِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ، وَكَانَ يُحَذِّرُ مِنْهُمْ ﷺ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ يَحْفِرُونَ كُلَّ يَوْمٍ، حَتَّىٰ إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا، فَسَنَحْفِرُهُ غَدًا. فَيُعِيدُهُ اللهُ أَشَدَّ مَا كَانَ، حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَتْ مُدَّتُهُمْ وَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْعَثَهُمْ عَلَىٰ النَّاسِ حَفَرُوا، حَتَّىٰ إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا، فَسَتَحْفِرُونَهُ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ. وَاسْتَثْنَوْا، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ، فَيَحْفِرُونَهُ، وَيَخْرُجُونَ عَلَىٰ النَّاسِ، فَيُنْشِفُونَ الْمَاءَ، وَيَتَحَصَّنُ النَّاسُ مِنْهُمْ فِي حُصُونِهِمْ، فَيَرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَتَرْجِعُ عَلَيْهَا الدَّمُ الَّذِي اجْفَظَّ، فَيَقُولُونَ: قَهَرْنَا أَهْلَ الْأَرْضِ وَعَلَوْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ. فَيَبْعَثُ اللهُ نَغَفًا فِي

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢).

(٢) متفق عليه: البخاري (٣٣٤٦)، ومسلم (٢٨٨٠).

أَقْفَائِهِمْ، فَيَقْتُلُهُمْ بِهَا». قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ دَوَابَّ الْأَرْضِ لَتَسْمَنُ وَتَشْكَرُ شَكَرًا مِنْ لُحُومِهِمْ»(١).

٥- إِذْنُ اللهِ ﷻ لَهُمْ بِالْخُرُوجِ وَإِهْلَاكُهُ لَهُمْ:

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٩٧﴾ [الأنبياء: ٩٦، ٩٧].

وَالْحَدِيثُ السَّابِقُ، وَفِيهِ: «... وَيَخْرُجُونَ عَلَىٰ النَّاسِ فَيُنْشِفُونَ الْمَاءَ، وَيَتَحَصَّنُ النَّاسُ مِنْهُمْ فِي حُصُونِهِمْ، فَيَرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ إِلَىٰ السَّمَاءِ فَتَرْجِعُ عَلَيْهَا الدَّمُ الَّذِي اجْفَظَّ، فَيَقُولُونَ: قَهَرْنَا أَهْلَ الْأَرْضِ وَعَلَوْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ. فَيَبْعَثُ اللهُ نَغَفًا فِي أَقْفَائِهِمْ، فَيَقْتُلُهُمْ بِهَا». قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ دَوَابَّ الْأَرْضِ لَتَسْمَنُ وَتَشْكَرُ شَكَرًا مِنْ لُحُومِهِمْ»(٢).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يُفْتَحُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، يَخْرُجُونَ عَلَىٰ النَّاسِ كَمَا قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦﴾ [الأنبياء: ٩٦]، فَيَغْشَوْنَ الْأَرْضَ، وَيَنْحَازُ الْمُسْلِمُونَ عَنْهُمْ إِلَىٰ مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ، وَيَضُمُّونَ إِلَيْهِمْ مَوَاشِيَهُمْ، وَيَشْرَبُونَ مِيَاهَ الْأَرْضِ، حَتَّىٰ إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَمُرُّ بِالنَّهَرِ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهِ حَتَّىٰ يَتْرُكُوهُ يَبَسًا، حَتَّىٰ إِنَّ مَنْ بَعْدَهُمْ لَيَمُرُّ بِذَلِكَ النَّهَرِ فَيَقُولُ: قَدْ كَانَ هَاهُنَا مَاءٌ مَرَّةً. حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَحَدٌ فِي حِصْنٍ أَوْ مَدِينَةٍ قَالَ قَائِلُهُمْ: هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْأَرْضِ قَدْ فَرَغْنَا مِنْهُمْ، بَقِيَ أَهْلُ السَّمَاءِ. قَالَ: ثُمَّ يَهُزُّ أَحَدُهُمْ حَرْبَتَهُ، ثُمَّ يَرْمِي بِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَتَرْجِعُ مُخْتَضِبَةً دَمًا لِلْبَلَاءِ وَالْفِتْنَةِ، فَبَيْنَا هُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ دُودًا فِي أَعْنَاقِهِمْ كَنَغَفِ الْجَرَادِ الَّذِي

---

(١) صحيح: ابن ماجه (٤٠٨٠)، واللفظ له، والترمذي (٣١٥٣)، وأحمد (١٠٢٥٤)، وصححه الألباني.

(٢) صحيح: ابن ماجه (٤٠٨٠)، واللفظ له، والترمذي (٣١٥٣)، وأحمد (١٠٢٥٤)، وصححه الألباني.

يَخْرُجُ فِي أَعْنَاقِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ مَوْتَىٰ لا يُسْمَعُ لَهُمْ حِسٌّ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: أَلا رَجُلٌ يَشْرِي نَفْسَهُ فَيَنْظُرَ مَا فَعَلَ هَذَا الْعَدُوُّ؟ قَالَ: فَيَتَجَرَّدُ رَجُلٌ مِنْهُمْ لِذَلِكَ مُحْتَسِبًا لِنَفْسِهِ، قَدْ أَظَنَّهَا عَلَىٰ أَنَّهُ مَقْتُولٌ، فَيَنْزِلُ، فَيَجِدُهُمْ مَوْتَىٰ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، فَيُنَادِي: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أَلا أَبْشِرُوا؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ كَفَاكُمْ عَدُوَّكُمْ. فَيَخْرُجُونَ مِنْ مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ، وَيُسَرِّحُونَ مَوَاشِيَهُمْ، فَمَا يَكُونُ لَهَا رَعْيٌ إِلَّا لُحُومُهُمْ، فَتَشْكَرُ عَنْهُ كَأَحْسَنِ مَا تَشْكَرُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ النَّبَاتِ أَصَابَتْهُ قَطُّ»(١).

وَفِي حَدِيثِ النَّوَّاسِ السَّابِقِ: «... وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَىٰ بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ، فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ! وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ، حَتَّىٰ يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ(٢) فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَىٰ(٣) كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ إِلَىٰ الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ(٤) وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ(٥) نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ إِلَىٰ اللهِ، فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ(٦)، فَتَحْمِلُهُمْ، فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لا يَكُنُّ(٧) مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ(٨) وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ

---

(١) حسن: ابن ماجه (٤٠٧٩)، وأحمد (١١٣٢٣)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (١٧٩٣).

(٢) النغف: دود يكون في أنوف الإبل والغنم.

(٣) الفريس: القتيل.

(٤) زهمهم: دسمهم ورائحتهم الكريهة.

(٥) يرغب: يدعو ويتضرع.

(٦) البخت: جمال طويلة الأعناق.

(٧) يكن: يمنع من نزول المطر.

(٨) مدر: الطين اليابس.

الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ(١)»(٢).

* قَوْلُهُ: «خُرُوجُ الدَّابَّةِ». هَذِهِ الدَّابَّةُ عَلَامَةٌ مِنَ الْعَلَامَاتِ الْكُبْرَىٰ لِلسَّاعَةِ، وَمِنْ آخِرِ الْعَلَامَاتِ عِنْدَمَا يَعُمُّ الْفَسَادُ وَيَنْتَشِرُ فِي الْأَرْضِ.

وَفِيهَا مَسَائِلُ: الْمَسْأَلَةُ الْأُولَىٰ: الْأَدِلَّةُ عَلَىٰ خُرُوجِهَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [النمل: ٨٢، ٨٣].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ مَعْنَىٰ تُكَلِّمُهُمْ: تَجْرَحُهُمْ، بِمَعْنَىٰ تَكْتُبُ عَلَىٰ جَبِينِ الْكَافِرِ كَافِرًا، وَعَلَىٰ جَبِينِ الْمُؤْمِنِ مُؤْمِنًا. وَرُوِيَ عَنْهُ أَيْضًا بِمَعْنَىٰ تَخَاطِبُهُمْ. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: «هَذِهِ الدَّابَّةُ تَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ عِنْدَ فَسَادِ النَّاسِ وَتَرْكِهِمْ أَوَامِرَ اللهِ وَتَبْدِيلِهِمُ الدِّينَ الْحَقَّ، يُخْرِجُ اللهُ لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ فَتُكَلِّمُ النَّاسَ عَلَىٰ ذَلِكَ»(٣).

وَأَمَّا السُّنَّةُ:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ يَرْفَعُهُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**تَخْرُجُ الدَّابَّةُ فَتَسِمُ النَّاسَ عَلَىٰ خَرَاطِيمِهِمْ، ثُمَّ يَغْمُرُونَ فِيكُمْ حَتَّىٰ يَشْتَرِيَ الرَّجُلُ الْبَعِيرَ، فَيَقُولُ: مِمَّنِ اشْتَرَيْتَهُ؟ فَيَقُولُ: اشْتَرَيْتُهُ مِنْ أَحَدِ الْمُخَطَّمِينَ**»(٤).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ**

(١) الزلفة: المرآة، وهو كناية عن عموم الماء جميع الأرض.

(٢) صحيح: مسلم (٢٩٣٧).

(٣) «تفسير ابن كثير» (ج ٦/ ١٩٠).

(٤) صحيح: أحمد (٢١٨٠٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة».

مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوِ الدُّخَانَ، أَوِ الدَّجَّالَ، أَوِ الدَّابَّةَ، أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ، أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ»(١).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثًا لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَىٰ النَّاسِ ضُحًى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالْأُخْرَىٰ عَلَىٰ إِثْرِهَا قَرِيبًا**»(٢).

وعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: «مَا تَذَاكَرُونَ؟». قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ. قَالَ: «**إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّىٰ تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ، فَذَكَرَ الدُّخَانَ وَالدَّجَّالَ وَالدَّابَّةَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَنُزُولَ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَىٰ مَحْشَرِهِمْ**»(٣).

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: صِفَةُ الدَّابَّةِ:

قَالَ عَبْدُ اللهِ الْغُفَيْلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي صِفَةِ الدَّابَّةِ إِلَىٰ عِدَّةِ أَقْوَالٍ:

الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: أَنَّهَا فَصِيلُ نَاقَةِ صَالِحٍ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: «أَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ أَنَّهَا فَصِيلُ نَاقَةِ صَالِحٍ، وَهُوَ أَصَحُّهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ».

الْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّهَا دَابَّةٌ جَمَعَتْ مِنْ خَلْقِ كُلِّ حَيَوَانٍ.

الْقَوْلُ الثَّالِثُ: أَنَّهَا إِنْسَانٌ مُتَكَلِّمٌ، يُنَاظِرُ أَهْلَ الْبِدَعِ وَالْكُفْرِ، وَيُجَادِلُهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ الصَّادِقُ مِنَ الْكَاذِبِ، فَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَيَهْلِكُ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ،

---

(١) صحيح: مسلم (٢٩٤٧).

(٢) صحيح: مسلم (٢٩٤١).

(٣) صحيح: مسلم (٢٩٠١).

وَقَدْ رَدَّ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَىٰ هَذَا الْقَوْلِ، وَبَيَّنَ أَنَّهُ قَوْلٌ فَاسِدٌ، مُخَالِفٌ لِظَاهِرِ الْآيَةِ وَالْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ، فقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا الْقَائِلُ الْأَقْرَبَ لِقَوْلِهِ تعَالَىٰ: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾، وَعَلَىٰ هَذَا فَلَا يَكُونُ فِي هَذِهِ الدَّابَّةِ آيَةٌ خَاصَّةٌ خَارِقَةٌ لِلْعَادَةِ، وَلَا تَكُونُ مِنَ الْعَشْرِ آيَاتِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْحَدِيثِ؛ لأَنَّ وُجُودَ الْمُنَاظِرِينَ وَالْمُحْتَجِّينَ عَلَىٰ أَهْلِ الْبِدَعِ كَثِيرٌ، فَلَا آيَةَ خَاصَّةً بِهَا»(١).

الْقَوْلُ الرَّابِعُ: أَنَّهَا الثُّعْبَانُ الْمُشْرِفُ عَلَىٰ جِدَارِ الْكَعْبَةِ الَّتِي اقْتَلَعَتْهَا الْعُقَابُ حِينَ أَرَادَتْ قُرَيْشٌ بِنَاءَ الْكَعْبَةِ(٢).

الْقَوْلُ الْخَامِسُ: أَنَّهَا دَابَّةٌ مُزْغِبَةٌ شَعْرَاءُ ذَاتُ قَوَائِمَ، طُولُهَا سِتُّونَ ذِرَاعًا، وَيُقَالُ: إِنَّهَا الْجَسَّاسَةُ(٣).

الْقَوْلُ السَّادِسُ: أَنَّهَا الدَّابَّةُ، اسْمُ جِنْسٍ لِكُلِّ مَا يَدُبُّ، وَلَيْسَتْ حَيَوَانًا مُشَخَّصًا مُعَيَّنًا يَحْوِي الْعَجَائِبَ وَالْغَرَائِبَ(٤).

فَالْوَاجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مُؤْمِنٍ الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ سَيُخْرِجُ لِلنَّاسِ دَابَّةً مُخَالِفَةً لِمَا يَعْتَادُهُ النَّاسُ، تُكَلِّمُهُمْ، وَتَخْتِمُ عَلَىٰ الْكَافِرِ بِالْكُفْرِ، وَعَلَىٰ الْمُؤْمِنِ بِالْإِيمَانِ، وَهَذَا مِنَ الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ الَّذِي مَدَحَ اللهُ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ(٥).

قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهَذِهِ الدَّابَّةُ هِيَ الدَّابَّةُ الْمَشْهُورَةُ الَّتِي تَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، وَتَكُونُ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، كَمَا تَكَاثَرَتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ، وَلَمْ يَذْكُرِ اللهُ

---

(١) «التذكرة» للقرطبي (٢/ ٢٣٦).

(٢) «فتح القدير» للشوكاني (٤/ ١٥١).

(٣) انظر: «التذكرة» (٢/ ٨١٩)، و«شرح النووي لمسلم» (١٨/ ٧٨)، و«فتح القدير للشوكاني» (٤/ ١٥١).

(٤) انظر: «إتحاف الجماعة» للتويجري (٣/ ١٨٢)، وما بعدها.

(٥) «أشراط الساعة» (ص٢١٢) عبد الله بن سليمان الغفيلي.

وَرَسُولُهُ كَيْفِيَّةَ هَذِهِ الدَّابَّةِ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ أَثَرَهَا وَالْمَقْصُودَ مِنْهَا، وَأَنَّهَا مِنْ آيَاتِ اللهِ تُكَلِّمُ النَّاسَ كَلَامًا خَارِقًا لِلْعَادَةِ حِينَ يَقَعُ الْقَوْلُ عَلَىٰ النَّاسِ، وَحِينَ يَمْتَرُونَ بِآيَاتِ اللهِ، فَتَكُونُ حُجَّةً وَبُرْهَانًا لِلْمُؤْمِنِينَ، وَحُجَّةً عَلَىٰ الْمُعَانِدِينَ»(١).

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: عَمَلُ الدَّابَّةِ:

عَمَلُ هَذِهِ الدَّابَّةِ كَمَا جَاءَتْ بِهِ الْأَحَادِيثُ أَنَّهَا تَسِمُ النَّاسَ الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ، حَتَّىٰ إِنَّهُ جَاءَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ: «فَتَلْقَىٰ الْمُؤْمِنَ فَتَسِمُهُ فِي وَجْهِهِ، وَيَشْتَرِكُ النَّاسُ فِي الْأَقْوَالِ وَيَصْطَحِبُونَ فِي الْأَمْصَارِ، يَعْرِفُ الْمُؤْمِنُ الْكَافِرَ وَبِالْعَكْسِ».

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: «وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: تُكَلِّمُهُمْ، تَجْرَحُهُمْ، يَعْنِي تَكْتُبُ عَلَىٰ جَبِينِ الْكَافِرِ كَافِرًا، وَعَلَىٰ جَبِينِ الْمُؤْمِنِ مُؤْمِنًا، وَمِنْهُ تُخَاطِبُهُمْ، وَتُخْرِجُهُمْ، وَهَذَا الْقَوْلُ يَنْتَظِمُ مِنْ مَذْهَبَيْنِ، وَهُوَ قَوِيٌّ حَسَنٌ جَامِعٌ، وَاللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَمُ»(٢).

وَيَتَلَخَّصُ عَمَلُ الدَّابَّةِ فِي الْأُمُورِ التَّالِيَةِ:

١- أَنَّهَا دَابَّةٌ تُكَلِّمُ النَّاسَ.

٢- أَنَّهَا تَسِمُ الْمُؤْمِنَ بِعَلَامَةٍ، وَتَجْلُو وَجْهَهُ حَتَّىٰ يُنِيرَ.

٣- أَنَّهَا تَسِمُ الْكَافِرَ بِعَلَامَةٍ قِيلَ: هِيَ خَطْمُ الْأَنْفِ.

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: «يَعْنِي: تُصِيبُهُ، فَتَجْعَلُ لَهُ أَثَرًا مِثْلَ أَثَرِ الْخِطَامِ»(٣).

* قَوْلُهُ: «طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ خُرُوجَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا أَوَّلُ الْآيَاتِ الْكُبْرَىٰ خُرُوجًا بَعْدَ

(١) «تفسير ابن سعدي» (٥/ ٦٠٣).

(٢) «النهاية في الفتن والملاحم» (١/ ٢٠٨).

(٣) «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٥٠)، وانظر «المنهاج في شعب الإيمان» للحليمي (١/ ٤٢٦، ٤٢٧).

مَا سَبَقَ مِنَ الدَّجَّالِ وَنُزُولِ عِيسَىٰ ﷺ وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، تَأْتِي الشَّمْسُ فَتَخْرُجُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَيُغْلَقُ بَابُ التَّوْبَةِ، نَسْأَلُ اللهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ لَنَا وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «الَّذِي يَتَرَجَّحُ مِنْ مَجْمُوعِ الْأَخْبَارِ أَنَّ خُرُوجَ الدَّجَّالِ أَوَّلُ الْآيَاتِ الْعِظَامِ الْمُؤْذِنَةِ بِتَغَيُّرِ الْأَحْوَالِ الْعَامَّةِ فِي مُعْظَمِ الْأَرْضِ، وَيَنْتَهِي ذَلِكَ بِمَوْتِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ، وَأَنَّ طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنَ الْمَغْرِبِ هُوَ أَوَّلُ الْآيَاتِ الْعِظَامِ الْمُؤْذِنَةِ بِتَغَيُّرِ أَحْوَالِ الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ، وَيَنْتَهِي ذَلِكَ بِقِيَامِ السَّاعَةِ، وَلَعَلَّ خُرُوجَ الدَّابَّةِ يَقَعُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ مِنَ الْمَغْرِبِ»(١).

وَقَدْ وَرَدَتْ أَدِلَّةٌ كَثِيرَةٌ عَلَىٰ ذَلِكَ مِنْهَا:

١- قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام، آية: ١٥٨].

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ - بَعْدَ ذِكْرِهِ لِأَقْوَالِ الْمُفَسِّرِينَ فِي الْآيَةِ -: «وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ مَا تَظَاهَرَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «ذَلِكَ حِينَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»»(٢).

٢- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوِ الدُّخَانَ، أَوِ الدَّجَّالَ، أَوِ الدَّابَّةَ، أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ، أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ»(٣).

٣- وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثًا لَمْ أَنْسَهُ

---

(١) «فتح الباري» (١١/ ٣٥٣).

(٢) «تفسير ابن جرير الطبري» (٨/ ١٠٣).

(٣) صحيح: مسلم (٢٩٤٧).

بَعْد: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَىٰ النَّاسِ ضُحًى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالْأُخْرَىٰ عَلَىٰ إِثْرِهَا قَرِيبًا»(١).

٤- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ فَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا، فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ فَلَا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يَلِيطُ(٢) حَوْضَهُ فَلَا يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أَحَدُكُمْ أُكْلَتَهُ إِلَىٰ فِيهِ فَلَا يَطْعَمُهَا»(٣).

٥- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَالدَّجَّالُ وَدَابَّةُ الْأَرْضِ»(٤).

٧- وَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»(٥).

فَائِدَةٌ: أَيْنَ تَذْهَبُ الشَّمْسُ كُلَّ لَيْلَةٍ؟

لَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهَا تَرْجِعُ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا، فَتَسْجُدُ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَظَلُّ

---

(١) صحيح: مسلم (٢٩٤١).

(٢) يليط: يطين ويصلح.

(٣) متفق عليه: البخاري (٦٥٠٦)، ومسلم (١٥٧).

(٤) صحيح: مسلم (١٥٨).

(٥) صحيح: مسلم (٢٧٥٩).

سَاجِدَةً حَتَّىٰ يَأْذَنَ لَهَا رَبُّ الْعِزَّةِ ﷻ فِي الرُّجُوعِ مِنْ حَيْثُ أَتَتْ، وَهَذَا السُّجُودُ لِلشَّمْسِ لَا نَدْرِي كَيْفِيَّتَهُ، وَلَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الَّذِي يَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج، آية: ١٨].

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمًا: «أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟». قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ. فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلَعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ. فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلَعِهَا. ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسُ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيُقَالُ لَهَا: ارْتَفِعِي، أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ. فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا». فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَتَىٰ ذَاكُمْ؟ ذَاكَ حِينَ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾»(١).

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾، قَالَ: «مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ»(٢).

* قَوْلُهُ: «الدُّخَانُ». مِنَ الْآيَاتِ الْكُبْرَىٰ الَّتِي تَقَعُ قُبَيْلَ السَّاعَةِ: الدُّخَانُ، وَهِيَ آيَةٌ عَظِيمَةٌ تَأْخُذُ الْمُؤْمِنَ كَالزَّكْمَةِ، وَالْكَافِرُ تَأْخُذُهُ فَيَنْتَفِخُ حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِنْ

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣١٩٩)، ومسلم (١٥٩)، واللفظ له.
(٢) متفق عليه: البخاري (٤٨٠٣)، ومسلم (١٥٩).

كُلِّ مَسْمَعٍ مِنْهُ.

١- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الدخان: ١٠، ١١].

٢- وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: «مَا تَذَاكَرُونَ؟». قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ. قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّىٰ تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ، فَذَكَرَ: الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَٰلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَىٰ مَحْشَرِهِمْ»(١).

٣- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوِ الدُّخَانَ، أَوِ الدَّجَّالَ، أَوِ الدَّابَّةَ، أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ، أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ»(٢).

مَسْأَلَةٌ: اخْتِلَافُ الْعُلَمَاءِ حَوْلَ الْمُرَادِ بِالدُّخَانِ وَمَتَىٰ يَحْدُثُ؟

اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ - رَحِمَهُمُ اللهُ - فِي الْمُرَادِ بِالدُّخَانِ الْوَارِدِ فِي الْآيَةِ وَالْأَحَادِيثِ الْمُتَقَدِّمَةِ عَلَىٰ قَوْلَيْنِ: **الْقَوْلُ الْأَوَّلُ:** أَنَّهُ قَدْ مَضَىٰ وَانْتَهَىٰ، وَهُوَ مَا أَصَابَ قُرَيْشًا. **الْقَائِلُونَ بِذَٰلِكَ:** عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ، وَرَجَّحَهُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ.

الْأَدِلَّةُ: عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: جَاءَ إِلَىٰ عَبْدِ اللهِ رَجُلٌ فَقَالَ: تَرَكْتُ فِي الْمَسْجِدِ رَجُلًا يُفَسِّرُ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ، يُفَسِّرُ هَٰذِهِ الْآيَةَ ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٠١).

(٢) صحيح: مسلم (٢٩٤٧).

[الدخان: ١٠]، قَالَ: يَأْتِي النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ دُخَانٌ، فَيَأْخُذُ بِأَنْفَاسِهِمْ، حَتَّىٰ يَأْخُذَهُمْ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكَامِ.

فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: مَنْ عَلِمَ عِلْمًا فَلْيَقُلْ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ: اللهُ أَعْلَمُ. مِنْ فِقْهِ الرَّجُلِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ: اللهُ أَعْلَمُ. إِنَّمَا كَانَ هَذَا أَنَّ قُرَيْشًا لَمَّا اسْتَعْصَتْ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ دَعَا عَلَيْهِمْ بِسِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ، فَأَصَابَهُمْ قَحْطٌ وَجَهْدٌ، حَتَّىٰ جَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَىٰ السَّمَاءِ فَيَرَىٰ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ مِنَ الْجَهْدِ، وَحَتَّىٰ أَكَلُوا الْعِظَامَ، فَأَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اسْتَغْفِرِ اللهَ لِمُضَرَ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا. فَقَالَ: «لِمُضَرَ؟! إِنَّكَ لَجَرِيءٌ». قَالَ: فَدَعَا اللهَ لَهُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾﴾ قَالَ: فَمُطِرُوا، فَلَمَّا أَصَابَتْهُمُ الرَّفَاهِيَةُ - قَالَ - عَادُوا إِلَىٰ مَا كَانُوا عَلَيْهِ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾، ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ قَالَ: يَعْنِي: يَوْمَ بَدْرٍ[(١)].

الْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّهَا لَمْ تَأْتِ بَعْدُ، وَأَنَّهَا مِنَ الْآيَاتِ الْعِظَامِ. الْقَائِلُونَ بِذَلِكَ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، رضي الله عنهم، وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ مِنَ التَّابِعِينَ وَغَيْرِهِمْ، وَرَجَّحَهُ ابْنُ كَثِيرٍ رحمه الله.

الْأَدِلَّةُ: كُلُّ الْأَدِلَّةِ فِي أَوَّلِ الْمَسْأَلَةِ. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رحمه الله بَعْدَ ذِكْرِهِ لِأَثَرِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِلَىٰ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما حَبْرِ وَتُرْجُمَانِ الْقُرْآنِ، وَهَكَذَا قَوْلُ مَنْ وَافَقَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ رضي الله عنهم، مَعَ الْأَحَادِيثِ الْمَرْفُوعَةِ مِنَ الصِّحَاحِ وَالْحِسَانِ وَغَيْرِهَا الَّتِي أَوْرَدُوهَا مِمَّا فِيهِ مَقْنَعٌ وَدَلَالَةٌ ظَاهِرَةٌ عَلَىٰ أَنَّ الدُّخَانَ مِنَ الْآيَاتِ الْمُنْتَظَرَةِ، مَعَ أَنَّهُ ظَاهِرُ الْقُرْآنِ.

---

(١) صحيح: مسلم (٢٧٩٨).

قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠﴾؛ أَيْ: بَيِّنٍ وَاضِحٍ، يَرَاهُ كُلُّ أَحَدٍ، وَعَلَىٰ مَا فَسَّرَ بِهِ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِنَّمَا هُوَ خَيَالٌ رَأَوْهُ فِي أَعْيُنِهِمْ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ وَالْجَهْدِ، وَهَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١١﴾؛ أَيْ: يُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ تَقْرِيعًا وَتَوْبِيخًا»(١). وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِلَىٰ الْجَمْعِ بَيْنَ هَذِهِ الْآثَارِ بِأَنْ قَالُوا: هُمَا دُخَانَانِ، ظَهَرَ أَحَدُهُمَا وَبَقِيَ الْآخَرُ الَّذِي سَيَقَعُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، فَأَمَّا الْآيَةُ الْأُولَىٰ الَّتِي ظَهَرَتْ فَهِيَ مَا كَانَتْ قُرَيْشٌ تَرَاهُ كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ، وَهَذَا الدُّخَانُ غَيْرُ الدُّخَانِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي يَكُونُ عِنْدَ ظُهُورِ الْآيَاتِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ(٢).

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «قَوْلُهُ ﷺ فِي أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: «لَنْ تَقُومَ حَتَّىٰ تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ، فَذَكَرَ الدُّخَانَ وَالدَّجَّالَ»، هَذَا الْحَدِيثُ يُؤَيِّدُ قَوْلَ مَنْ قَالَ: إِنَّ الدُّخَانَ دُخَانٌ يَأْخُذُ بِأَنْفَاسِ الْكُفَّارِ، وَيَأْخُذُ الْمُؤْمِنَ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكَامِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ، وَإِنَّمَا يَكُونُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَإِنْكَارُ ابْنِ مَسْعُودٍ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ قَالَ: إِنَّمَا هُوَ عِبَارَةٌ عَمَّا نَالَ قُرَيْشًا مِنَ الْقَحْطِ حَتَّىٰ كَانُوا يَرَوْنَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ، وَقَدْ وَافَقَ ابْنَ مَسْعُودٍ جَمَاعَةٌ، وَقَالَ بِالْقَوْلِ الْآخَرِ حُذَيْفَةُ وَابْنُ عُمَرَ وَالْحَسَنُ، وَرَوَاهُ حُذَيْفَةُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَّهُ يَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُمَا دُخَانَانِ لِلْجَمْعِ بَيْنَ هَذِهِ الْآثَارِ»(٣).

* قَوْلُهُ: «خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، خَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، خَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ».

مِنَ الْعَلَامَاتِ الْكُبْرَىٰ الَّتِي أَخْبَرَ الرَّسُولُ ﷺ بِحُدُوثِهَا فِي آخِرِ الزَّمَانِ الْخُسُوفَاتُ الثَّلَاثَةُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ وَقَعَ بَعْضُ الْخَسْفِ، وَلَكِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةُ مِنَ الْآيَاتِ

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٢٥ – ١٢٦).

(٢) «أشراط الساعة» (ص١٩١).

(٣) «المنهاج شرح صحيح مسلم» (١٨/ ٢٧).

الْعِظَامِ الَّتِي يُخْبِرُ عَنْهَا النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهَا تَقَعُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، وَقَدْ دَلَّ عَلَىٰ هَذَا:

حَدِيثُ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ **عَلَيْنَا وَنَحْنُ** نَتَذَاكَرُ فَقَالَ: «مَا تَذَاكَرُونَ؟». قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ. قَالَ: **«إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّىٰ تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ. فَذَكَرَ الدُّخَانَ وَالدَّجَّالَ وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ؛ خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَىٰ مَحْشَرِهِمْ»**(١).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَدْ وُجِدَ الْخَسْفُ فِي مَوَاضِعَ، وَلَكِنْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْخُسُوفِ الثَّلَاثَةِ قَدْرًا زَائِدًا عَلَىٰ مَا وُجِدَ، كَأَنْ يَكُونَ أَعْظَمَ مِنْهُ مَكَانًا أَوْ قَدْرًا»(٢).

* قَوْلُهُ: «نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنٍ بِالْيَمَنِ تَسُوقُ النَّاسَ إِلَىٰ مَحْشَرِهِمْ».

آخِرُ الْآيَاتِ خُرُوجُ النَّارِ تَكُونُ قُبَيْلَ السَّاعَةِ مُبَاشَرَةً، تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنٍ بِالْيَمَنِ تَسُوقُ النَّاسَ إِلَىٰ أَرْضِ الْمَحْشَرِ فِي بِلَادِ الشَّامِ، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

حَدِيثُ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ **عَلَيْنَا وَنَحْنُ** نَتَذَاكَرُ فَقَالَ: «مَا تَذَاكَرُونَ؟». قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ. قَالَ: **«إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّىٰ تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ. فَذَكَرَ الدُّخَانَ وَالدَّجَّالَ وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَىٰ مَحْشَرِهِمْ»**(٣).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٠١).

(٢) «فتح الباري» (١٣/ ٨٤).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٠١).

وَعَنْ أَنَسٍ ﵁ أَنَّهُ قَالَ: بَلَغَ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَلَامٍ مَقْدَمُ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ. قَالَ: مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَىٰ أَبِيهِ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ إِلَىٰ أَخْوَالِهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خَبَّرَنِي بِهِنَّ آنِفًا جِبْرِيلُ**». قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَىٰ الْمَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ، وَأَمَّا الشَّبَهُ فِي الْوَلَدِ: فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ الْمَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ، وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا**». قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ. ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهْتٌ، إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بَهَتُونِي عِنْدَكَ. فَجَاءَتِ الْيَهُودُ، وَدَخَلَ عَبْدُ اللهِ الْبَيْتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ**». قَالُوا: أَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا، وَأَخْيَرُنَا وَابْنُ أَخْيَرِنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللهِ**». قَالُوا: أَعَاذَهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ. فَخَرَجَ عَبْدُ اللهِ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ. فَقَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا. وَوَقَعُوا فِيهِ(١).

وَعَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِيهِ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَتَخْرُجُ نَارٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ، أَوْ مِنْ نَحْوِ بَحْرِ حَضْرَمَوْتَ، قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، تَحْشُرُ النَّاسَ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «**عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ**»(٢).

أَمَّا صِفَةُ حَشْرِ النَّاسِ: فَقَدْ بَيَّنَهَا النَّبِيُّ ﷺ: أَنَّهُمْ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ ثَلَاثِ طَبَقَاتٍ، آخِرُهُمْ مَنْ تَسُوقُهُ النَّارُ إِلَىٰ أَرْضِ الْمَحْشَرِ. فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، عَنِ

---

(١) صحيح: البخاري (٣٣٢٩).

(٢) صحيح: الترمذي (٢٢١٧)، وأحمد (٤٥٢٢)، وصححه الألباني.

النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَىٰ ثَلَاثِ طَرَائِقَ: رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلَىٰ بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةٌ عَلَىٰ بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةٌ عَلَىٰ بَعِيرٍ، وَعَشْرَةٌ عَلَىٰ بَعِيرٍ، وَيَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ، تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا»(١).

وَأَمَّا آخِرُ مَنْ يُحْشَرُ: فَهُمَا رَاعِيَانِ مِنْ مُزَيْنَةَ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَتْرُكُونَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ خَيْرِ مَا كَانَتْ، لَا يَغْشَاهَا إِلَّا الْعَوَافِ - يُرِيدُ عَوَافِيَ السِّبَاعِ وَالطَّيْرِ - وَآخِرُ مَنْ يُحْشَرُ رَاعِيَانِ مِنْ مُزَيْنَةَ، يُرِيدَانِ الْمَدِينَةَ، يَنْعِقَانِ بِغَنَمِهِمَا فَيَجِدَانِهَا وَحْشًا، حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَا ثَنِيَّةَ الْوَدَاعِ خَرَّا عَلَىٰ وُجُوهِهِمَا»(٢).

الضَّابِطُ الثَّانِي: الإِيمَانُ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ يَتَضَمَّنُ أَمْرَيْنِ:
١- الإِيمَانُ بِسُؤَالِ الْمَلَكَيْنِ. ٢- الإِيمَانُ بِنَعِيمِ الْقَبْرِ وَعَذَابِهِ.

* قَوْلُهُ: «الضَّابِطُ الثَّانِي: الإِيمَانُ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ يَتَضَمَّنُ أَمْرَيْنِ».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، وَقَدْ كَتَبَ اللهُ ﷻ عَلَىٰ بَنِي آدَمَ الدَّفْنَ إِكْرَامًا لَهُ، وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذَلِكَ عِنْدَمَا اقْتَتَلَ ابْنَا آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَتَلَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٣٠ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ۝٣١﴾ [المائدة: ٣٠، ٣١]. فَمِنْ ثَمَّ كَانَتْ سُنَّةً كَوْنِيَّةً أَنَّ مَنْ مَاتَ دُفِنَ فِي قَبْرٍ،

(١) متفق عليه: البخاري (٦٥٢٢)، ومسلم (٢٨٦١).

(٢) متفق عليه: البخاري (١٨٧٤)، ومسلم (١٣٨٩).

وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾﴾ [عبس: ٢١]. وَهَذَا الْأَمْرُ قَدِ اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ سَائِرُ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ وَالْأُمَمِ، وَسَائِرُ النَّاسِ، إِلَّا بَعْضَ الطَّوَائِفِ الْهِنْدُوسِيَّةِ (الْهِنْدِيَّةِ)، تَقُومُ بِحَرْقِ الْجَسَدِ بَعْدَ الْمَوْتِ، لَكِنْ كَثِيرٌ مِنَ الْأُمَمِ لَا تُؤْمِنُ بِمَا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ، سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ فِي الْقَبْرِ أَوْ بَعْدَ ذَلِكَ، مِنَ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، بَلْ هُنَاكَ بَعْضُ الْفِرَقِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُنْكِرُونَ عَذَابَ الْقَبْرِ وَسُؤَالَ الْمَلَكَيْنِ وَغَيْرَ ذَلِكَ كَالْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ، أَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَيُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ.

* قَوْلُهُ: «الْإِيمَانُ بِسُؤَالِ الْمَلَكَيْنِ».

فَقَدْ وَرَدَتْ أَدِلَّةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ تَدُلُّ عَلَىٰ ثُبُوتِ سُؤَالِ الْمَلَكَيْنِ فِي الْقَبْرِ، وَهُمَا مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ. عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَىٰ الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّمَا عَلَىٰ رُءُوسِنَا الطَّيْرُ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ». مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ هَاهُنَا: وَقَالَ: «وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ حِينَ يُقَالُ لَهُ: يَا هَذَا، مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟». قَالَ هَنَّادٌ: قَالَ: «وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. فَيَقُولَانِ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ. زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ: فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الْآيَةَ، ثُمَّ اتَّفَقَا، قَالَ: فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ. قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، قَالَ: وَيُفْتَحُ لَهُ فِيهَا مَدَّ بَصَرِهِ، قَالَ: وَإِنَّ الْكَافِرَ... فَذَكَرَ مَوْتَهُ، قَالَ: وَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟

فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ! لا أَدْرِي. فَيَقُولانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ! لا أَدْرِي. فَيَقُولانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ! لا أَدْرِي. فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ النَّارِ. قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا. قَالَ: وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّىٰ تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلاعُهُ. زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ: قَالَ: ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَىٰ أَبْكَمُ، مَعَهُ مِرْزَبَّةٌ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تُرَابًا، قَالَ: فَيَضْرِبُهُ بِهَا ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ، فَيَصِيرُ تُرَابًا، قَالَ: ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ الرُّوحُ»(١).

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ؛ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ، فَيَقُولانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ. فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَىٰ مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ». قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوِ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ: لا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ. فَيُقَالُ: لا دَرَيْتَ وَلا تَلَيْتَ. ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ»(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَالْآخَرُ: النَّكِيرُ، فَيَقُولانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. فَيَقُولانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا. ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ:

---

(١) صحيح: أبو داود (٤٧٥٣)، والنسائي (٢٠٠١)، وابن ماجه (١٥٤٩)، وأحمد (١٨٠٦٣)، وصححه الألباني.

(٢) متفق عليه: البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠).

نَمْ. فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَىٰ أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ. فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّىٰ يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ. وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ. فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ: الْتَئِمِي عَلَيْهِ. فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّىٰ يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»(١).

* قَوْلُهُ: «الْإِيمَانُ بِنَعِيمِ الْقَبْرِ وَعَذَابِهِ».

قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «بَابُ مَا جَاءَ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الأنعام: ٩٣]، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: الْهُونُ هُوَ الْهَوَانُ، وَالْهَوْنُ: الرِّفْقُ. وَقَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة: ١٠١]، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦]»(٢).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَمِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَيُؤْمِنُ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ، فَأَمَّا الْفِتْنَةُ: فَإِنَّ النَّاسَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَـ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: رَبِّيَ اللهُ، وَالْإِسْلَامُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ ﷺ نَبِيِّي. وَأَمَّا الْمُرْتَابُ فَيَقُولُ: هَاهْ

(١) صحيح: الترمذي (١٠٧١)، وصححه الألباني.

(٢) «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (٢/ ٤٦٠).

هَاهْ! لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ. فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَّةٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الْإِنْسَانُ لَصُعِقَ، ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ الْقِيَامَةُ الْكُبْرَىٰ»[1]. فَقَدْ ثَبَتَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَنَّ الْقَبْرَ إِمَّا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ.

أَمَّا الْكِتَابُ: فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦].

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْجُمْهُورُ عَلَىٰ أَنَّ هَذَا الْعَرْضَ فِي الْبَرْزَخِ. احْتَجَّ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي تَثْبِيتِ عَذَابِ الْقَبْرِ بِقَوْلِهِ: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ﴾، مَا دَامَتِ الدُّنْيَا. كَذَلِكَ قَالَ مُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ وَمُقَاتِلٌ وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ، كُلُّهُمْ قَالَ: هَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ عَذَابِ الْقَبْرِ فِي الدُّنْيَا، أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ عَنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾.

وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّ أَرْوَاحَ آلِ فِرْعَوْنَ وَمَنْ كَانَ مِثْلَهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ تُعْرَضُ عَلَىٰ النَّارِ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، فَيُقَالُ: هَذِهِ دَارُكُمْ»[2].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابٗا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الطور: ٤٧]. قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ الْقَتْلُ. وَعَنْهُ: عَذَابُ الْقَبْرِ. وَقَالَهُ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَـ(دُونَ) بِمَعْنَىٰ غَيْرَ. وَقِيلَ: عَذَابًا أَخَفَّ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ»[3].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ

---

(١) «شرح الواسطية» للبراك (١/ ٢١٠).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٥/ ٣١٠).

(٣) «تفسير القرطبي» (١٧/ ٧٨).

أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [السجدة: ٢٠]. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ: يَعْنِي بِهِ عَذَابَ الْقَبْرِ»(١).

وَأَمَّا السُّنَّةُ: فَكَثِيرَةٌ، نَذْكُرُ مِنْهَا: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**». ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ، فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «**لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**»(٢).

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ عَلَىٰ بَغْلَةٍ لَهُ وَنَحْنُ مَعَهُ إِذْ حَادَتْ بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ، وَإِذَا أَقْبُرٌ سِتَّةٌ أَوْ خَمْسَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ، قَالَ: كَذَا كَانَ. فَقَالَ: «**مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الأَقْبُرِ؟**». فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا. قَالَ: «**فَمَتَىٰ مَاتَ هَؤُلَاءِ؟**». قَالَ: مَاتُوا فِي الإِشْرَاكِ. فَقَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُبْتَلَىٰ فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلا أَنْ لا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ**». ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ**». قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ. فَقَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**». قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. قَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**». قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ. قَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ**». قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ(٣).

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٣٧٠).

(٢) متفق عليه: البخاري (٢١٨)، ومسلم (٢٩٢).

(٣) صحيح: مسلم (٢٨٧٦).

وَجَبَتِ الشَّمْسُ، فَسَمِعَ صَوْتًا، فَقَالَ: «يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا»(١).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ يَهُودِيَّةً دَخلَتْ عَلَيْهَا فَذَكَرَتْ عَذَابَ الْقَبْرِ، فَقَالَتْ لَهَا: أَعَاذَكِ اللهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ عَذَابِ الْقَبْرِ فَقَالَ: «نعَمْ، عَذَابُ الْقَبْرِ». قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعْدُ صَلَّىٰ صَلَاةً إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ(٢).

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ، حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ؛ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ. فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَىٰ مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ». قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوِ الْمُنَافِقُ، فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ. فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ. ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ»(٣).

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أُقْعِدَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أُتِيَ، ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾». وَزَادَ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ(٤).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ

---

(١) متفق عليه: البخاري (١٣٧٥)، ومسلم (٢٨٧٩).

(٢) صحيح: البخاري (١٣٧٢).

(٣) متفق عليه: البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠).

(٤) متفق عليه: البخاري (١٣٦٩)، ومسلم (٢٨٧١).

الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»(١).

وَعَنْ هَانِئٍ مَوْلَىٰ عُثْمَانَ قَالَ: كَانَ عُثْمَانُ إِذَا وَقَفَ عَلَىٰ قَبْرٍ بَكَىٰ حَتَّىٰ يَبُلَّ لِحْيَتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: تُذْكَرُ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَلَا تَبْكِي، وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟! فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ**»(٢).

وَغَيْرُهَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الْكَثِيرَةِ فِي ذِكْرِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ.

فَائِدَةٌ: بَعْضُ أَسْبَابِ عَذَابِ الْقَبْرِ:

١- الشِّرْكُ بِاللهِ وَالْكُفْرُ بِهِ: وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ عَذَابِ الْقَبْرِ. فَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام: ٩٣].

٢- النِّفَاقُ: فَالْمُنَافِقُ يُعَذَّبُ مَرَّتَيْنِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْقَبْرِ، ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ عَذَابِ الآخِرَةِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة: ١٠١].

٣- النَّمِيمَةُ وَعَدَمُ الِاسْتِتَارِ مِنَ الْبَوْلِ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ: أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا**

---

(١) متفق عليه: البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (٥٨٨).

(٢) صحيح: الترمذي (٢٣٠٨)، وابن ماجه (٤٢٦٧)، وأحمد (٤٥٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٢٣).

يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ». ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ، فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «**لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**»(١).

٤- الْغُلُولُ: عَنْ أَبِي رَافِعٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا صَلَّىٰ الْعَصْرَ ذَهَبَ إِلَىٰ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ فَيَتَحَدَّثُ عِنْدَهُمْ، حَتَّىٰ يَنْحَدِرَ لِلْمَغْرِبِ، قَالَ أَبُو رَافِعٍ: فَبَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ يُسْرِعُ إِلَىٰ الْمَغْرِبِ مَرَرْنَا بِالْبَقِيعِ، فَقَالَ: «**أُفٍّ لَكَ، أُفٍّ لَكَ**». قَالَ: فَكَبُرَ ذَلِكَ فِي ذَرْعِي، فَاسْتَأْخَرْتُ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُ يُرِيدُنِي، فَقَالَ: «**مَا لَكَ؟! امْشِ**». فَقُلْتُ: أَحْدَثْتَ حَدَثًا! قَالَ: «**مَا ذَاكَ؟**». قُلْتُ: أَفَّفْتَ بِي. قَالَ: «**لَا، وَلَكِنْ هَذَا فُلَانٌ، بَعَثْتُهُ سَاعِيًا عَلَىٰ بَنِي فُلَانٍ فَغَلَّ نَمِرَةً، فَدُرِّعَ الْآنَ مِثْلَهَا مِنْ نَارٍ**»(٢).

٥- جَرُّ الْإِزَارِ مِنَ الْخُيَلَاءِ: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنَ الْخُيَلَاءِ خُسِفَ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الْأَرْضِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(٣).

٦- الدَّيْنُ حَتَّىٰ يُقْضَىٰ: عَنْ سَعْدِ بْنِ الْأَطْوَلِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ أَخَاهُ مَاتَ وَتَرَكَ ثَلَاثَمِائَةِ دِرْهَمٍ، وَتَرَكَ عِيَالًا، فَأَرَدْتُ أَنْ أُنْفِقَهَا عَلَىٰ عِيَالِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ أَخَاكَ مُحْتَبَسٌ بِدَيْنِهِ فَاقْضِ عَنْهُ**». فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ أَدَّيْتُ عَنْهُ إِلَّا دِينَارَيْنِ ادَّعَتْهُمَا امْرَأَةٌ وَلَيْسَ لَهَا بَيِّنَةٌ. قَالَ: «**فَأَعْطِهَا؛ فَإِنَّهَا مُحِقَّةٌ**»(٤).

---

(١) متفق عليه: البخاري (٢١٨)، ومسلم (٢٩٢).

(٢) حسن لغيره: النسائي (٨٦٢)، وأحمد (٢٦٦٥١)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٥٠).

(٣) صحيح: البخاري (٣٤٨٥).

(٤) إسناده صحيح: ابن ماجه (٢٤٣٣)، وأحمد (١٦٧٧٦)، وقال الألباني في «الإرواء»: إسناده صحيح. (٦/ ١٠٩ح١٦٦٧).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: تُوُفِّيَ رَجُلٌ مِنَّا، فَغَسَّلْنَاهُ، ثُمَّ حَنَّطْنَاهُ، ثُمَّ كَفَّنَّاهُ، ثُمَّ أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَخَطَا خُطْوَةً، ثُمَّ قَالَ: «عَلَيْهِ دَيْنٌ؟». قُلْنَا: دِينَارَانِ، فَانْصَرَفَ، فَتَحَمَّلَهُمَا أَبُو قَتَادَةَ، وَقَالَ: عَلَيَّ الدِّينَارَانِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَيْكَ حَقُّ الْغَرِيمِ وَبَرِئَ الْمَيِّتُ مِنْهُ؟». فَقَالَ: نَعَمْ، فَصَلَّىٰ عَلَيْهِ، ثُمَّ إِنَّهُ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ بِيَوْمٍ: «مَا فَعَلَ الدِّينَارَانِ؟». فَقَالَ: إِنَّمَا مَاتَ أَمْسِ! ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ بِالْغَدِ فَقَالَ: قَدْ قَضَيْتُهُمَا. فَقَالَ: «الْآنَ بَرَّدْتَ عَلَيْهِ جِلْدَهُ»(١).

٧- عُقُوبَةُ الْكَذِبِ: كَمَا فِي حَدِيثِ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ الطَّوِيلِ، وَفِيهِ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَىٰ رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، وَمَنْخِرَهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، وَعَيْنَهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، قَالَ: وَرُبَّمَا قَالَ أَبُو رَجَاءٍ: فَيَشُقُّ، قَالَ: ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَىٰ الْجَانِبِ الْآخَرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّىٰ يَصِحَّ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَىٰ، قَالَ: قُلْتُ: سُبْحَانَ اللهِ! مَا هَذَانِ؟!... وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَىٰ قَفَاهُ وَمَنْخِرُهُ إِلَىٰ قَفَاهُ وَعَيْنُهُ إِلَىٰ قَفَاهُ: فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ»(٢).

٨- النَّوْمُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ وَرَفْضُ الْقُرْآنِ: كَمَا فِي حَدِيثِ سَمُرَةَ السَّابِقِ: وَفِيهِ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَيْنَا عَلَىٰ رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ فَيَثْلَغُ رَأْسَهُ، فَيَتَهَدْهَدُ الْحَجَرُ هَاهُنَا، فَيَتْبَعُ

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٣٣٠)، والحاكم (٢/ ٥٧ - ٥٨)، والبيهقي (٦/ ٧٤ و٧٥)، وقال الألباني: صحيح.

(٢) صحيح: البخاري (٧٠٤٧).

الْحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّىٰ يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَىٰ! قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: سُبْحَانَ اللهِ! مَا هَذَانِ؟!... أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ، وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ»(١).

٩- عُقُوبَةُ الزُّنَاةِ وَالزَّوَانِي: كَمَا فِي حَدِيثِ سَمُرَةَ السَّابِقِ: وَفِيهِ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَىٰ مِثْلِ التَّنُّورِ، قَالَ: فَأَحْسِبُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ، قَالَ: فَاطَّلَعْنَا فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَؤُلَاءِ؟!... وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ فَإِنَّهُمُ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي»(٢).

١٠- أَكْلُ الرِّبَا: كَمَا فِي حَدِيثِ سَمُرَةَ السَّابِقِ، وَفِيهِ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَىٰ نَهَرٍ - حَسِبْتُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ أَحْمَرَ - مِثْلِ الدَّمِ وَإِذَا فِي النَّهَرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ، وَإِذَا عَلَىٰ شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجَارَةَ، فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ، فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا فَيَنْطَلِقُ يَسْبَحُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ، كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَ لَهُ فَاهُ، فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَانِ؟!... وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهَرِ وَيُلْقَمُ الْحَجَرَ فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا»(٣). وَغَيْرُهَا مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي ذَكَرَهَا الدُّكْتُورُ الصَّلَابِيُّ فِي مَوْسُوعَةِ «أَرْكَانِ الْإِيمَانِ» (جـ/ ٢١٦-٢١٩).

---

(١) صحيح: البخاري (٧٠٤٧).

(٢) صحيح: البخاري (٧٠٤٧).

(٣) السابق.

الْأَسْبَابُ الْمُنْجِيَةُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ هِيَ:

١- التَّوْحِيدُ: فَمَنِ اسْتَقَامَ عَلَىٰ التَّوْحِيدِ فِي الدُّنْيَا كَانَ ذَلِكَ أَصْلَ وَأَسَاسَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي تُثَبِّتُ الْمُؤْمِنَ فِي الْقَبْرِ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وَالْقَوْلُ الثَّابِتُ: هُوَ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ، شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَلَا يَثْبُتُ فِي الْقَبْرِ إِلَّا الْمُوَحِّدُ.

٢- الِاسْتِقَامَةُ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ ﷻ: فَمَنْ عَاشَ عَلَىٰ شَيْءٍ مَاتَ عَلَيْهِ، وَمَنْ مَاتَ عَلَىٰ شَيْءٍ بُعِثَ عَلَيْهِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠].

٣- الصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ وَالصِّيَامُ وَفِعْلُ الْخَيْرَاتِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّ الْمَيِّتَ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ حِينَ يُوَلُّونَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَانَتِ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَكَانَ الصِّيَامُ عَنْ يَمِينِهِ، وَكَانَتِ الزَّكَاةُ عَنْ يَسَارِهِ، وَكَانَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ، وَالصِّلَةِ، وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَىٰ النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَيُؤْتَىٰ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: مَا مِنْ قِبَلِي مَدْخَلٌ. ثُمَّ يُؤْتَىٰ عَنْ يَمِينِهِ، فَيَقُولُ الصِّيَامُ: مَا مِنْ قِبَلِي مَدْخَلٌ. ثُمَّ يُؤْتَىٰ عَنْ يَسَارِهِ، فَتَقُولُ الزَّكَاةُ: مَا مِنْ قِبَلِي مَدْخَلٌ. وَيُؤْتَىٰ مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ، فَيَقُولُ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ - مِنَ الصَّدَقَةِ، وَالصِّلَةِ، وَالْمَعْرُوفِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَىٰ النَّاسِ -: مَا مِنْ قِبَلِي مَدْخَلٌ»(١).

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الأوسط»، وابن حبان في «صحيحه»، وصححه الألباني.

الضَّابِطُ الثَّالِثُ: الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ يَتَضَمَّنُ سَبْعَةَ أَشْيَاءَ:

١- الْإِيمَانُ بِالْبَعْثِ. ٢- الْإِيمَانُ بِالْحَشْرِ.

٣- الْإِيمَانُ بِالْحَوْضِ. ٤- الْإِيمَانُ بِالْمِيزَانِ.

٥- الْإِيمَانُ بِالشَّفَاعَةِ. ٦- الْإِيمَانُ بِالصِّرَاطِ.

٧- الْإِيمَانُ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

* قَوْلُهُ: «الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ يَتَضَمَّنُ سَبْعَةَ أَشْيَاءَ».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّهُ قَدْ سَبَقَ الْكَلَامُ عَنِ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَأَنَّهُ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، وَذَكَرْنَا الْأَدِلَّةَ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَأَسْمَاءَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَكِنْ فِي هَذَا الضَّابِطِ يَذْكُرُ شَيْخُنَا - حَفِظَهُ اللهُ - مُقْتَضَيَاتِ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَذَكَرَ سَبْعَةَ أُمُورٍ هِيَ أَهَمُّ أَعْمَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهِيَ:

* قَوْلُهُ: «١- الْإِيمَانُ بِالْبَعْثِ». فَإِذَا ظَهَرَتِ الْعَلَامَاتُ الْكُبْرَىٰ لِلْقِيَامَةِ الَّتِي سَبَقَ ذِكْرُهَا، وَأَذِنَ اللهُ ﷻ فِي قِيَامِ السَّاعَةِ - أَرْسَلَ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَقْبِضُ كُلَّ رُوحٍ مُؤْمِنَةٍ، فَلَا يَبْقَىٰ إِلَّا شِرَارُ الْخَلْقِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ.

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَىٰ أَمْرِ اللهِ قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ». فقال عَبْدُ اللهِ: أَجَلْ. «ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا كَرِيحِ الْمِسْكِ مَسُّهَا مَسُّ الْحَرِيرِ فَلَا تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَىٰ شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»(١). ثُمَّ يَأْمُرُ اللهُ ﷻ إِسْرَافِيلَ بِالنَّفْخِ فِي

(١) صحيح: مسلم (١٩٢٤).

الصُّورِ - النَّفْخَةَ الْأُولَىٰ -، فَيَفْزَعُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَيُصْعَقُونَ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ﷻ، وَهِيَ نَفْخَةُ الصَّعْقِ.

النَّفْخَةُ الْأُولَىٰ: عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**صَاحِبُ الصُّورِ وَاضِعٌ الصُّورَ عَلَىٰ فِيهِ مُنْذُ خُلِقَ يَنْتَظِرُ مَتَىٰ يُؤْمَرُ أَنْ يَنْفُخَ فِيهِ فَيَنْفُخَ**»(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا طَرَفَ صَاحِبُ الصُّورِ مُنْذُ وُكِّلَ بِهِ مُسْتَعِدًّا يَنْظُرُ نَحْوَ الْعَرْشِ مَخَافَةَ أَنْ يُؤْمَرَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيهِ طَرْفُهُ، كَأَنَّ عَيْنَيْهِ كَوْكَبَانِ دُرِّيَّانِ**»(٢).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَيفَ أَنْعَمُ وَقَدِ الْتَقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ، وَحَنَىٰ جَبْهَتَهُ، وَأَصْغَىٰ سَمْعَهُ، يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ أَنْ يَنْفُخَ فَيَنْفُخَ؟!**». قَالَ الْمُسْلِمُونَ: فَكَيفَ نَقُولُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**قُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، تَوَكَّلْنَا عَلَىٰ اللهِ رَبِّنَا**». وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ: «**عَلَىٰ اللهِ تَوَكَّلْنَا**»(٣).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [النمل: ٨٧]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [يس: ٤٩، ٥٠]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾﴾ [النازعات: ٦، ٧].

---

(١) «تاريخ بغداد» (٥٧١٤)، قال الألباني: «صحيح». «صحيح الجامع» (٣٧٥٢).

(٢) «مستدرك الحاكم» (٨٦٧٦) كتاب الأهوال، تعليق الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». تعليق الذهبي في «التلخيص»: «صحيح علىٰ شرط مسلم». تعليق الألباني: «صحيح». «الصحيحة» (١٠٧٨).

(٣) الترمذي (٣٢٤٣)، تعليق الألباني: «صحيح».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ فَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلانِ ثَوبَهُمَا بَيْنَهُمَا فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ وَلا يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ فَلَا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يَلِيطُ حَوْضَهُ فَلَا يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أَكْلَتَهُ إِلَىٰ فِيهِ فَلَا يَطْعَمُهَا»(١).

فَوَائِدُ:

١- تَقُومُ السَّاعَةُ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ: عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ؛ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ؛ فَإِنَّ صَلاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ - أَيْ: يَقُولُونَ: قَدْ بَلَيْتَ -؟! قَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ حَرَّمَ عَلَىٰ الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»(٢).

فَإِذَا صُعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ هَلَكَ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْإِنْسَانِ إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ»(٣). وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ فِي الإِنْسَانِ عَظْمًا لا تَأْكُلُهُ الْأَرْضُ أَبَدًا، فِيهِ يُرَكَّبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». قَالُوا: أَيُّ عَظْمٍ هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «عَجْبُ الذَّنَبِ»(٤).

---

(١) متفق عليه: البخاري (٦٥٠٦)، ومسلم (١٥٧).

(٢) صحيح: أبو داود (١٠٤٧)، والنسائي (١٣٧٤)، وابن ماجه (١٦٣٦)، وأحمد (١٥٧٢٩)، وصححه الألباني.

(٣) متفق عليه: البخاري (٤٦٥١)، ومسلم (٢٩٥٥)، واللفظ له.

(٤) صحيح: مسلم (٢٩٥٥).

٢- مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ». قَالَ: أَرْبَعُونَ يومًا؟ قَالَ: «أَبِيتُ». قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: «أَبِيتُ». قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: «أَبِيتُ». قَالَ: «ثُمَّ يُنَزِّلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنبُتُونَ كَمَا يَنبُتُ الْبَقلُ لَيسَ مِنَ الإنسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَىٰ إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنهُ يُرَكَّبُ الْخَلقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

٣- النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾ [الكهف: ٩٩]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠١]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [يس: ٥١]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [يس: ٥٣]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾ [ق: ٤٢].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَخرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَربَعِينَ، لا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا، فَيَبْعَثُ اللهُ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّأْمِ، فَلَا يَبْقَىٰ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ حَتَّىٰ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّىٰ تَقْبِضَهُ - قَالَ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: فَيَبْقَىٰ شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ لا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ

---

(١) متفق عليه: البخاري (٤٦٥١)، ومسلم (٢٩٥٥).

عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَىٰ لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا، قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ قَالَ: فَيَصْعَقُ وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ - أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللهُ - مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوِ الظِّلُّ - نُعْمَانُ الشَّاكُّ - فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، هَلُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ. قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ. فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ. قَالَ: فَذَاكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا، وَذَلِكَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ»(١).

وَالْبَعْثُ: هُوَ الْإِحْيَاءُ بَعْدَ الْمَوْتِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة: ٥٦]؛ أَيْ: أَحْيَيْنَاكُمْ.

فَيَبْعَثُ اللهُ ﷻ النَّاسَ مِنْ قُبُورِهِمْ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ بَعْدَ أَنْ يَنْبُتَ النَّاسُ فِي قُبُورِهِمْ كَمَا يُنْبِتُ السَّيْلُ الْحَبَّةَ، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ ﷻ الْبَعْثَ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، مِنْهَا:

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾ [الحج: ٥]. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [يس: ٧٨، ٧٩]. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا

---

(١) صحيح: مسلم (٢٩٤٠).

كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوۡ خَلۡقًا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾﴾ [الإسراء: ٤٩-٥١]. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧﴾﴾ [التغابن: ٧].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَعْرِضُ سِلْعَتَهُ أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا كَرِهَهُ فَقَالَ: لَا وَالَّذِي اصْطَفَىٰ مُوسَىٰ عَلَىٰ الْبَشَرِ. فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَامَ فَلَطَمَ وَجْهَهُ، وَقَالَ: تَقُولُ: وَالَّذِي اصْطَفَىٰ مُوسَىٰ عَلَىٰ الْبَشَرِ. وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟ فَذَهَبَ إِلَيْهِ فَقَالَ: أَبَا الْقَاسِمِ، إِنَّ لِي ذِمَّةً وَعَهْدًا، فَمَا بَالُ فُلَانٍ لَطَمَ وَجْهِي فَقَالَ: «لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟». فَذَكَرَهُ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّىٰ رُئِيَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللهِ، فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَىٰ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، فَإِذَا مُوسَىٰ آخِذٌ بِالْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي: أَحُوسِبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ، أَمْ بُعِثَ قَبْلِي؟ وَلَا أَقُولُ: إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّىٰ**»(١).

٤- صِفَةُ الْبَعْثِ: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْمَيِّتُ يُبْعَثُ فِي ثِيَابِهِ الَّتِي قُبِضَ فِيهَا**»(٢).

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا وُلِّيَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُحْسِنْ كَفَنَهُ؛ فَإِنَّهُمْ يُبْعَثُونَ فِي أَكْفَانِهِمْ، وَيَتَزَاوَرُونَ فِي أَكْفَانِهِمْ**»(٣).

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٤١٥)، ومسلم (٢٣٧٣).

(٢) ابن حبان (٧٢٧٢)، تعليق الألباني: «صحيح». تعليق شعيب الأرنؤوط: «إسناده علىٰ شرط مسلم».

(٣) «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (٩/ ٨٠) تعليق الألباني: «صحيح». «الصحيحة» (١٤٢٥).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا كَانَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَوَقَصَتْهُ نَاقَتُهُ وَهُوَ مُحْرِمٌ فَمَاتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْهِ، وَلَا تَمَسُّوهُ بِطِيبٍ، وَلَا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ؛ فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًا**»(١).

* قَوْلُهُ: «الْإِيمَانُ بِالْحَشْرِ».

الْحَشْرُ: هُوَ الْجَمْعُ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَبَعْدَ أَنْ يَبْعَثَ اللهُ ﷻ النَّاسَ يَجْمَعُهُمْ فِي أَرْضِ الْمَحْشَرِ مِنْ أَجْلِ الْحِسَابِ وَالْقَضَاءِ بَيْنَهُمْ وَالْمُجَازَاةِ بِأَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا.

وَفِيهِ مَسَائِلُ: الْأُولَىٰ: مَكَانُ الْحَشْرِ:

يُحْشَرُ النَّاسُ بِأَرْضِ الشَّامِ (سُورِيَّا، لُبْنَانَ، فِلَسْطِينَ). **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٢﴾﴾ [الحشر: ٢].

وَقَالَ قَتَادَةُ: «كَانَ هَذَا أَوَّلَ الْحَشْرِ، وَالْحَشْرُ الثَّانِي نَارٌ تَحْشُرُهُمْ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَىٰ الْمَغْرِبِ؛ تَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا»(٢).

عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ لَنَا: «إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ تَجْتَمِعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٣).

الثَّانِيَةُ: صِفَةُ أَرْضِ الْمَحْشَرِ: **عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ** ﷺ يَقُولُ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ**(٤) **كَقُرْصَةِ**

---

(١) متفق عليه: البخاري (١٨٥١)، ومسلم (١٢٠٦).

(٢) «إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة» (ج٣/ ٢٤٥).

(٣) رواه البزار، والطبراني، وإسناد الطبراني حسن.

(٤) عفراء: بيضاء إلىٰ حمرة.

النَّقِيِّ(١) لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ(٢) لأَحَدٍ»(٣).

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ ﷻ: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ فَأَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: «عَلَىٰ الصِّرَاطِ»(٤).

الثَّالِثَةُ: صِفَةُ الْحَشْرِ: يُحْشَرُ النَّاسُ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا - أَيْ: غَيْرَ مَخْتُونِينَ -.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾، «**وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ، وَإِنَّ أُنَاسًا مِنْ أَصْحَابِي يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي أَصْحَابِي. فَيَقُولُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ. فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ:** ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾»(٥).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**». قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ! فَقَالَ: «**الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَاكِ**»(٦).

الرَّابِعَةُ: أَحْوَالُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ١- خُشُوعُ الْأَبْصَارِ وَالْأَصْوَاتِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾

---

(١) قرصة النقي: هو الدقيق النقي من الغش والنخال.

(٢) ليس فيها معلم: ليس بها علامة يستدل بها.

(٣) متفق عليه: البخاري (٦٥٢١)، واللفظ له، ومسلم (٢٧٩)

(٤) صحيح: مسلم (٢٧٩١).

(٥) متفق عليه: البخاري (٣٣٤٩)، واللفظ له، ومسلم (٢٨٦٠).

(٦) متفق عليه: البخاري (٦٥٢٧)، واللفظ له، ومسلم (٢٨٥٩).

مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾ [القمر: ٧، ٨]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨].

٢- ذُهُولُ النَّاسِ وَخَوْفُهُمْ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج: ١، ٢]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣].

٣- الْعَرَقُ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا وَيُلْجِمَهُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ آذَانَهُمْ»(١).

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين: ٦] قَالَ: «يَقُومُ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَىٰ أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ»(٢).

عَنِ الْمِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «تُدْنَىٰ الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّىٰ تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ».

---

(١) متفق عليه: البخاري (٦٥٣٢)، واللفظ له، ومسلم (٢٨٦٣).

(٢) صحيح: البخاري (٤٩٣٨).

قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: «فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ: أَمَسَافَةَ الْأَرْضِ أَمِ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ».

قَالَ: «فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ: فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَىٰ كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَىٰ حِقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا». قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَىٰ فِيهِ(١).

الْخَامِسَةُ: الْمُنْجِيَاتُ مِنْ كَرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ:

١- إِنْظَارُ الْمُعْسِرِ، أَوْ يَضَعَ عَنْهُ: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ طَلَبَ غَرِيمًا لَهُ، فَتَوَارَىٰ عَنْهُ، ثُمَّ وَجَدَهُ، فَقَالَ: إِنِّي مُعْسِرٌ. فَقَالَ: آللهِ؟ قَالَ: اللهِ. قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ، أَوْ يَضَعْ عَنْهُ»(٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ عَلَىٰ مُسْلِمٍ سَتَرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»(٣).

عَنْ أَبِي الْيَسَرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أُشْهِدَ بَصَرُ عَيْنَيَّ هَاتَيْنِ - وَوَضَعَ إِصْبَعَيْهِ عَلَىٰ عَيْنَيْهِ - وَسَمْعُ أُذُنَيَّ هَاتَيْنِ، وَوَعَاهُ قَلْبِي هَذَا - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَىٰ مَنَاطِ قَلْبِهِ - رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظَلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ»(٤).

(١) صحيح: مسلم (٢٨٦٤).
(٢) صحيح: مسلم (١٥٦٣).
(٣) صحيح: مسلم (٢٦٦٩).
(٤) صحيح: مسلم (٣٠٠٦).

٢- الصَّدَقَةُ: عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ عَنْ أَهْلِهَا حَرَّ الْقُبُورِ، وَإِنَّمَا يَسْتَظِلُّ الْمُؤْمِنُ يَومَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ»(١).

وَعَنْه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ، حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بَيْنَ النَّاسِ». أَوْ قَالَ: «حَتَّىٰ يُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ»(٢).

٣- الْحُبُّ فِي اللهِ: عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: «الْمُتَحَابُّونَ فِي اللهِ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، يَغْبِطُهُمْ بِمَكَانِهِمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ»(٣).

٤- السَّبْعَةُ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ. وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَىٰ حَتَّىٰ لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»(٤).

٥- حِفْظُ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ:

عَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ؛ فَإِنَّهُمَا الزَّهْرَاوَانِ يُظِلَّانِ صَاحِبَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ غَيَايَتَانِ أَوْ فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍّ»(٥).

---

(١) صحيح: الطبراني (ج ١٧ص٢٨٦ ح٧٨٨)، انظر «الصحيحة» (٣٤٨٤).

(٢) صحيح: ابن حبان (٣٢٩٩)، تعليق الألباني «صحيح».

(٣) ابن حبان (٥٧٦)، تعليق الألباني «صحيح»، تعليق شعيب الأرنؤوط «إسناده جيد».

(٤) متفق عليه: البخاري (٦٦٠)، واللفظ له، مسلم (١٠٣١).

(٥) «مستدرك الحاكم» (٢٠٥٧)، تعليق الألباني: «حسن صحيح». «الترغيب والترهيب» (١٤٦٦).

* قَوْلُهُ: «الْإِيمَانُ بِالْحَوْضِ».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ الْإِيمَانَ بِالْحَوْضِ وَاجِبٌ، وَقَدْ جَمَعَ شَيْخُنَا - حَفِظَهُ اللهُ - رِسَالَةً جَامِعَةً فِي وَصْفِ الْحَوْضِ: «تَيْسِيرِ الْكَرِيمِ الْعَلِيِّ فِي وَصْفِ حَوْضِ النَّبِيِّ ﷺ» نَقَلْتُ مِنْهَا بَعْضَ الْمَطَالِبِ كَمَا هِيَ، وَفِيهَا الْغُنْيَةُ عَنِ الزِّيَادَةِ.

قَالَ - حَفِظَهُ اللهُ -: «قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ: «أَحَادِيثُ الْحَوْضِ صَحِيحَةٌ، وَالْإِيمَانُ بِهِ فَرْضٌ، وَالتَّصْدِيقُ بِهِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَهُوَ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، لَا يُتَأَوَّلُ وَلَا يُخْتَلَفُ فِيهِ»(١).

قَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللهُ - بَعْدَمَا ذَكَرَ أَسْمَاءَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ رَوَوْا أَحَادِيثَ الْحَوْضِ -: «فَجَمِيعُ مَنْ ذَكَرَهُمْ عِيَاضٌ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ نَفْسًا، وَزَادَ عَلَيْهِ النَّوَوِيُّ ثَلَاثَةً، وَزِدْتُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ قَدْرَ مَا ذَكَرُوهُ سَوَاءً، فَزَادَتِ الْعِدَّةُ عَلَىٰ الْخَمْسِينَ». قَالَ: «وَلِكَثِيرٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الصَّحَابَةِ فِي ذَلِكَ زِيَادَةٌ عَلَىٰ الْحَدِيثِ الْوَاحِدِ، كَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَنَسٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَبِي سَعِيدٍ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو».

قَالَ: «وَأَحَادِيثُهُمْ بَعْضُهَا فِي مُطْلَقِ ذِكْرِ الْحَوْضِ، وَفِي صِفَتِهِ بَعْضُهَا، وَفِيمَنْ يَرِدُ عَلَيْهِ بَعْضُهَا، وَفِيمَنْ يُدْفَعُ عَنْهُ بَعْضُهَا». اهـ(٢)(٣).

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَىٰ: سَعَةُ حَوْضِ النَّبِيِّ ﷺ: حَوْضُ النَّبِيِّ ﷺ مَسِيرَةُ شَهْرٍ بِالرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ فِي الشَّامِ وَصَنْعَاءَ فِي الْيَمَنِ، وَعَرْضُهُ كَطُولِهِ - يَعْنِي: مُرَبَّعًا -.

١- عَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ - وَذَكَرَ الْحَوْضَ - فَقَالَ:

---

(١) «الموسوعة العقدية» (ج٥/ ٤٧).

(٢) «فتح الباري» (١١/ ٤٦٩).

(٣) «تيسير الكريم العلي في وصف حوض النبي» (ص٥).

«كَمَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَصَنْعَاءَ»[1].

قُلْتُ: يَعْنِي: طَوْلُ الْحَوْضِ كَمَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ وَصَنْعَاءَ الَّتِي فِي الْيَمَنِ.

٢- عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَمَامَكُمْ حَوْضٌ كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ»[2]. قُلْتُ: وَجَرْبَاءُ وَأَذْرُحُ قَرْيَتَانِ بِالشَّامِ.

٣- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ»[3]. قُلْتُ: وَأَيْلَةُ مَدِينَةٌ كَانَتْ بِجِوَارِ الْعَقَبَةِ الْمَعْرُوفَةِ الْآنَ فِي الْأُرْدُنِ.

٤- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا»[4]. قُلْتُ: «مَسِيرَةُ شَهْرٍ». يَعْنِي: لِلْجَوَادِ الْمُسْرِعِ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا»[5]. قُلْتُ: وَمَعْنَى «زَوَايَاهُ سَوَاءٌ» يَعْنِي: عَرْضُهِ كَطُولِهِ (مُرَبَّعًا)، وَ«مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ» يَعْنِي: الْفِضَّةَ.

٥- عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ كَالْمُوَدِّعِ لِلْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، فقال: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَإِنَّ

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٥٩٢)، ومسلم (٢٢٩٨).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٦٥٧٧)، ومسلم (٢٢٩٩).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٦٥٨٠)، ومسلم (٢٣٠٣).

(٤) صحيح: رواه البخاري (٦٥٧٩).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٢٩٢).

عَرْضَهُ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَىٰ الْجُحْفَةِ، إِنِّي لَسْتُ أَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخْشَىٰ عَلَيْكُم الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا وَتَقْتَتِلُوا فَتَهْلِكُوا كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»(١). قَالَ عُقْبَةُ: «فَكَانَتْ آخِرَ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ»(٢).

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: لَوْنُ مَاءِ الْحَوْضِ وَرِيحُهُ:

١- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ»(٣). مَا أَجْمَلَ مَاءَهُ! وَمَا أَطْيَبَ رِيحَهُ! وَكَيْفَ لَا وَقَدْ أَعَدَّهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِحَبِيبِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟.

وَلَكِنْ مَا طَعْمُ هَذَا الْمَاءِ الَّذِي أَعَدَّهُ اللهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ؟

٢- عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ؟ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ آنِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَىٰ أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ»(٤).

٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ، لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ، وَلَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ»(٥).

٤- عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لِأَهْلِ

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٠٤٢)، ومسلم (٢٢٩٦)، واللفظ له.

(٢) تيسير الكريم العلي في وصف حوض النبي (ص٨ - ١٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٣٠٠).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٤٧).

الْيَمَنِ أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّىٰ يَرْفَضَّ عَلَيْهِمْ». فَسُئِلَ عَنْ عَرْضِهِ، فَقَالَ: «مِنْ مَقَامِي إِلَىٰ عَمَّانَ». وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ، فَقَالَ: «أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ، يَغُتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ وَالْآخَرُ مِنْ وَرِقٍ»(١).

وَلَكِنْ هَلْ هَذَا الْمَاءُ بَارِدٌ أَمْ سَاخِنٌ؟

٥- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «حَوْضِي كَمَا بَيْنَ عَدَنَ وَعَمَّانَ، أَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ، وَأَطْيَبُ رِيحًا مِنَ الْمِسْكِ»(٢)(٣).

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: أَبَارِيقُ الْحَوْضِ:

١- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا»(٤). «كِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ» يَعْنِي: فِي الْكَثْرَةِ، وَقِيلَ: فِي اللَّوْنِ. يَعْنِي: تُضِيءُ وَتَلْمَعُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ.

٢- عَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ - وَذَكَرَ الْحَوْضَ - فَقَالَ: «كَمَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَصَنْعَاءَ». فَقَالَ لَهُ الْمُسْتَوْرِدُ: أَلَمْ تَسْمَعْهُ قَالَ: الْأَوَانِي؟ قَالَ: لَا. قَالَ الْمُسْتَوْرِدُ: «تَرَىٰ فِيهِ الْآنِيَةَ مِثْلَ الْكَوْكَبِ»(٥).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٣٠١).

(٢) رواه أحمد (٢/ ١٣٢)، (٦١٦٢)، والطبراني كما في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٦٨)، والمنذري (٤/ ٣١٣)، وقال: «إسناده حسن». وقال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني من رواية عمرو بن عمر الأحموشي عن المخارق بن أبي المخارق، واسم أبيه عبد الله بن جابر، وقد ذكرهما ابن حبان في الثقات وشيخ أحمد أبو المغيرة من رجال الصحيح».

(٣) «تيسير الكريم العلي في وصف حوض النبي ﷺ» بتصرف (ص١١ - ١٣).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٩١)، ومسلم (٢٢٩٨).

٣- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ»(١).

٤- عَنْ عَبْدِ اللهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَمَامَكُمْ حَوْضًا كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ، فِيهِ أَبَارِيقُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ وَرَدَهُ فَشَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا»(٢).

٥- عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ؟ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ، آنِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخُبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ»(٣). قَوْلُهُ: «اللَّيْلَةُ الْمُظْلِمَةُ». يَعْنِي: الَّتِي لَا قَمَرَ فِيهَا؛ لِأَنَّ وُجُودَ الْقَمَرِ يَسْتُرُ كَثِيرًا مِنَ النُّجُومِ، وَرَغْمَ ذَلِكَ فَإِنَّ السَّمَاءَ صَافِيَةٌ، وَنُجُومَهَا ظَاهِرَةٌ. «يَشْخُبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ»: يَصُبُّ فِيهِ نَهْرَانِ مِنَ الْجَنَّةِ.

٦- عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَإِنَّ بُعْدَ مَا بَيْنَ طَرَفَيْهِ كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَأَيْلَةَ كَأَنَّ الْأَبَارِيقَ فِيهِ النُّجُومُ»(٤).

٧- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِي حَوْضًا مَا بَيْنَ الْكَعْبَةِ وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ أَبْيَضَ مِثْلَ اللَّبَنِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، وَإِنِّي لَأَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٥). وَمِنْ مَجْمُوعِ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ يَتَبَيَّنُ لَنَا أَنَّ الْحَوْضَ فِيهِ كِيزَانٌ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، وَفِيهِ آنِيَةٌ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، وَفِيهِ أَبَارِيقُ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ،

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٨٠)، ومسلم (٢٣٠٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٧٧)، ومسلم (٢٢٩٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٣٠٠).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٣٠٥).

(٥) صحيح: رواه ابن ماجه (٣٤٨٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه».

وَفِيهِ أَكْوَابٌ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، كُلُّ هَذَا فِي حَوْضِ نَبِيِّنَا ﷺ، أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ فَضْلًا مِنْهُ وَنِعْمَةً وَشَرَفًا لَهُ وَكَرَامَةً(١).

الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: التَّفَاضُلُ فِي وُرُودِ الْحَوْضِ:

قَالَ شَيْخُنَا - حَفِظَهُ اللهُ -: «**وَأَمَّا الْحَوْضُ: فَإِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا كَمَا فِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا، وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً**»(٢).

وَأَحْوَاضُ الْأَنْبِيَاءِ مُتَفَاضِلَةٌ، وَأَفْضَلُهَا حَوْضُ النَّبِيِّ ﷺ فَهُوَ أَكْثَرُهُمْ وَارِدًا، وَقَدْ جَاءَ فِي صِفَتِهِ أَنَّهُ مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَأَنَّ زَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَأَنَّ مَاءَهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحَهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانَهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، وَمَاءُ حَوْضِ نَبِيِّنَا ﷺ «**يَشْخُبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ**» كَمَا قَالَ ﷺ.

وَقَدْ خُصَّ ﷺ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ بِالْكَوْثَرِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: ١]. وَالْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ ﷺ: «**بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذَا بِنَهْرٍ حَافَّتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ الْمُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِيبُهُ - أَوْ طِينُهُ - مِسْكٌ أَذْفَرُ**»(٣). شَكٌّ مِنَ الرَّاوِي.

وَهَذَا مِنْ فَضَائِلِهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنُونَ يَتَفَاضَلُونَ فِي وُرُودِ الْحَوْضِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَرِدُهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُذَادُ عَنْهُ؛ قَالَ ﷺ: «**إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّىٰ أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ**

---

(١) «تيسير الكريم العلي في وصف حوض النبي» (ص١٤ - ١٧).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٤٤٣)، والطبراني (٧/ ٢١٢)، (٦٨٨١) من حديث سمرة رضي الله عنه، قال الترمذي: «غريب، روي مرسلًا وهو أصح». وقال العراقي في «تخريج الإحياء» (٥/ ٢٩٢): «روي عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلًا، ولم يذكر فيه عن سمرة، وهو أصح». وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٦٥٨١)، من حديث أنس رضي الله عنه.

مِنْكُمْ، وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي! فَيُقَالُ: هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ؟ وَاللهِ مَا بَرِحُوا يَرْجِعُونَ عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ»(١).

وَقَالَ ﷺ: «إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّىٰ يَرْفَضَّ عَلَيْهِمْ»(٢). وَهَذِهِ فَضِيلَةٌ لِأَهْلِ الْيَمَنِ، وَكَرَامَةٌ أَنْ يَدْفَعَ النَّبِيُّ ﷺ النَّاسَ عَنْ حَوْضِهِ حَتَّىٰ يَشْرَبُوا هُمْ وَيَتَقَدَّمُوا فِي الشُّرْبِ(٣)(٤).

الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ: فِي مَنْ يُحْرَمُ مِنَ الشُّرْبِ مِنْ حَوْضِ النَّبِيِّ ﷺ:

فَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّ هُنَاكَ أُنَاسًا مِنْ أُمَّتِهِ لَنْ يَشْرَبُوا مِنْ حَوْضِهِ ﷺ؛ لِمَا بَدَّلُوا وَأَحْدَثُوا فِي هَذَا الدِّينِ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُمْ أَهْلُ الْبِدَعِ وَالْأَهْوَاءِ.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَىٰ الْحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ».

قَالَ أَبُو حَازِمٍ: فَسَمِعَنِي النُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عَيَّاشٍ، فَقَالَ: هَكَذَا سَمِعْتَ مِنْ سَهْلٍ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ. فَقَالَ: أَشْهَدُ عَلَىٰ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ لَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَزِيدُ فِيهَا: «فَأَقُولُ: إِنَّهُمْ مِنِّي! فَيُقَالُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي». وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «سُحْقًا بُعْدًا، يُقَالُ: سَحِيقٌ بَعِيدٌ»(٥).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: ﷺ «تَرِدُ عَلَيَّ أُمَّتِي الْحَوْضَ

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٩٣)، ومسلم (٢٢٩٣). من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٢٣٠١). من حديث ثوبان مولىٰ رسول الله ﷺ.

(٣) انظر: «شرح النووي لمسلم» (١٥/ ٦٢).

(٤) «مباحث المفاضلة في العقيدة» (ص٤٠٢).

(٥) متفق عليه: البخاري (٦٥٨٥)، ومسلم (٢٢٩١).

وَأَنَا أَذُودُ النَّاسَ عَنْهُ كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ إِبِلَ الرَّجُلِ عَنْ إِبِلِهِ». قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَتعرِفُنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ: تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ، وَلَيُصَدَّنَّ عَنِّي طَائِفَةٌ مِنْكُمْ فَلَا يَصِلُونَ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، هَؤُلَاءِ مِنْ أَصْحَابِي! فَيُجِيبُنِي مَلَكٌ فَيَقُولُ: وَهَلْ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»(١).

وَعَنْه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَى الْمَقْبُرَةَ فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا». قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ». فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: «أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟». قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَىٰ الْحَوْضِ، أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، أُنَادِيهِمْ: أَلَا هَلُمَّ. فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا»(٢).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ بَيْنَ ظَهْرَانِيْ أَصْحَابِهِ: «إِنِّي عَلَىٰ الْحَوْضِ أَنْتَظِرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، فَوَاللهِ لَيُقْتَطَعَنَّ دُونِي رِجَالٌ فَلَأَقُولَنَّ: أَيْ رَبِّ، مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ: مَا زَالُوا يَرْجِعُونَ عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ»(٣).

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَذْكُرُونَ الْحَوْضَ، وَلَمْ أَسْمَعْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمًا مِنْ ذَلِكَ وَالْجَارِيَةُ

---

(١) صحيح: مسلم (٢٤٧).

(٢) صحيح: مسلم (٢٤٩).

(٣) صحيح: مسلم (٢٢٩٤).

تَمْشُطُنِي، فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «أَيُّهَا النَّاسُ». فَقُلْتُ لِلْجَارِيَةِ: اسْتَأْخِرِي عَنِّي. قَالَتْ: إِنَّمَا دَعَا الرِّجَالَ، وَلَمْ يَدْعُ النِّسَاءَ. فَقُلْتُ: إِنِّي مِنَ النَّاسِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لَكُمْ فَرَطٌ عَلَى الْحَوْضِ، فَإِيَّايَ لا يَأْتِيَنَّ أَحَدُكُمْ فَيُذَبُّ عَنِّي كَمَا يُذَبُّ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، فَأَقُولُ: فِيمَ هَذَا؟ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ: سُحْقًا»(١).

* قَوْلُهُ: «الإِيمَانُ بِالْمِيزَانِ».

فَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ مِنْ أَعْمَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْمِيزَانَ، وَهُوَ مِيزَانٌ حَقِيقِيٌّ لَا يَعْلَمُ صِفَتَهُ وَلَا قَدْرَهُ إِلَّا اللهُ ﷻ، يُوزَنُ بِهِ الْعِبَادُ وَأَعْمَالُهُمْ وَأَقْوَالُهُمْ كَمَا سَيَأْتِي قَرِيبًا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ. عَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «يُوضَعُ الْمِيزَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَوْ وُضِعَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ لَوَسِعَتْهُ، قَالَ: قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: رَبَّنَا مَنْ تَزِنُ بِذَا؟ قَالَ: مَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي. قَالَ: وَيَضَعُ الصِّرَاطَ، وَهُوَ كَحَدِّ الْمُوسَىٰ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: رَبَّنَا مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ»(٢).

وَثَبَتَ أَنَّ الْمِيزَانَ لَهُ كِفَّتَانِ: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: بَلَىٰ، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً؛ فَإِنَّهُ لا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ. فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ. فَيَقُولُ يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟! فَقَالَ:

---

(١) صحيح: مسلم (٢٢٩٥).

(٢) صحيح: الحاكم (٨٧٣٩)، انظر «الصحيحة» (٩٤١)، «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦٢٦).

إِنَّكَ لا تُظْلَمُ. قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ»(١).

وَقَدْ ثَبَتَ الْمِيزَانُ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ:

أَمَّا الْقُرْآنُ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف: ٨، ٩]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون: ١٠١-١٠٣]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ [لقمان: ١٦].

أَيْ: إِنْ تَكُ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ يِأْتِ بِهَا اللهُ.

وَأَمَّا السُّنَّةُ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنِ احْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللهِ؛ إِيمَانًا بِاللهِ، وَتَصْدِيقًا بِوَعْدِهِ فَإِنَّ شِبَعَهُ وَرِيَّهُ وَرَوْثَهُ وَبَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٢).

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ»(٣).

(١) صحيح: الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وأحمد (٦٩٥٥)، وصححه الألباني.

(٢) متفق عليه: البخاري (٢٨٥٣)، ومسلم (٩٨٧).

(٣) صحيح: أبو داود (٤٧٩٩)، والترمذي (٢٠٠٢)، وأحمد (٢٦٩٧١)، وصححه الألباني.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ»(١).

* قَوْلُهُ: «الإِيمَانُ بِالشَّفَاعَةِ».

وَفِيهَا مَسَائِلُ: الْمَسْأَلَةُ الأَولَىٰ: تَعْرِيفُ الشَّفَاعَةِ:

وَالشَّفَاعَةُ فِي اللُّغَةِ: مَأْخُوذَةٌ مِنَ الشَّفْعِ: وَهُوَ ضِدُّ الْوِتْرِ، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِضَمِّ الشَّافِعِ دُعَاءَهُ إِلَىٰ الْمَشْفُوعِ لَهُ؛ فَالْمَشْفُوعُ لَهُ دَعَا لِنَفْسِهِ، ثُمَّ دَعَا لَهُ الشَّافِعُ، فَكَانَ ذَلِكَ شَفْعًا. وَعَلَيْهِ يَكُونُ تَعْرِيفُ الشَّفَاعَةِ: طَلَبَ الْخَيْرِ لِلْغَيْرِ.

الشَّفَاعَةُ فِي اللُّغَةِ: مَصْدَرُ شَفَعَ يَشْفَعُ شَفَاعَةً، وَالشَّفْعُ: مَا كَانَ مِنَ الْعَدَدِ أَزْوَاجًا(٢).

الشَّفَاعَةُ فِي الشَّرْعِ: هِيَ التَّوَسُّطُ لِلْغَيْرِ بِجَلْبِ خَيْرٍ لَهُ أَوْ دَفْعِ شَرٍّ عَنْهُ. يَقُولُ ابْنُ الأَثِيرِ فِي تَعْرِيفِ الشَّفَاعَةِ: «هِيَ السُّؤَالُ فِي التَّجَاوُزِ عَنِ الذُّنُوبِ وَالْجَرَائِمِ بَيْنَهُمْ»(٣). وَعَرَّفَهَا ابْنُ تَيْمِيَّةَ بِقَوْلِهِ: «إِعَانَةٌ عَلَىٰ خَيْرٍ يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، مِنْ نَفْعِ مَنْ يَسْتَحِقُّ النَّفْعَ، وَدَفْعِ الضُّرِّ عَمَّنْ يَسْتَحِقُّ دَفْعَ الضَّرَرِ عَنْهُ»(٤).

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: أَقْسَامُ الشَّفَاعَةِ: تَنْقَسِمُ الشَّفَاعَةُ إِلَىٰ قِسْمَيْنِ:

الأَوَّلُ: الشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّةُ:الشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّةُ: وَهِيَ الشَّفَاعَةُ الَّتِي نَفَاهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَنَفَاهَا رَسُولُهُ ﷺ لأَنَّهَا شَفَاعَةٌ بَاطِلَةٌ، وَهِيَ الشَّفَاعَةُ الشِّرْكِيَّةُ الَّتِي يَفْعَلُهَا النَّاسُ

---

(١) متفق عليه:البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤).

(٢) انظر: «لسان العرب» ابن منظور (٨/ ١٨٤)، ومعجم «مقاييس اللغة» لأبي الحسن بن فارس (٣/ ٢٠).

(٣) «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ٦٥).

(٤) «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ٤٨٥).

مَعَ بَعْضِهِمُ الْبَعْضَ(١).

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ: فَصْلٌ: فِي الشَّفَاعَةِ الْمَنْفِيَّةِ فِي الْقُرْآنِ: كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ٤٨]. **وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ:** ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ١٢٣]. **وَقَوْلِهِ:** ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤]. **وَقَوْلِهِ:** ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الشعراء: ١٠٠-١٠١]. **وَقَوْلِهِ:** ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ [غافر: ١٨]. **وَقَوْلِهِ:** ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ﴾ [الأعراف: ٥٣] وَأَمْثَالِ ذَلِكَ(٢).

وَأَيْضًا فَقَدْ قَالَ: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ﴾ [الزمر: ٤٣-٤٤]. **وَقَدْ قَالَ:** ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس: ١٨].

فَذَمَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ، وَأَخْبَرَ أَنَّ لِلهِ الشَّفَاعَةَ جَمِيعًا، فَعُلِمَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ مُنْتَفِيَةٌ عَنْ غَيْرِهِ؛ إِذْ لَا يَشْفَعُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ.

يَقُولُ الْحَافِظُ ابْنُ قَيِّمِ الْجَوْزِيَّةِ رَحِمَهُ اللهُ: «فَالشَّفَاعَةُ الَّتِي أَبْطَلَهَا اللهُ: شَفَاعَةُ الشَّرِيكِ؛ فَإِنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. **وَالَّتِي أَثْبَتَهَا:** كَشَفَاعَةِ الْعَبْدِ الْمَأْمُورِ الَّذِي لَا يَشْفَعُ وَلَا يَتَقَدَّمُ بَيْنَ يَدَيْ مَالِكِهِ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لَهُ، وَيَقُولَ: اشْفَعْ فِي فُلَانٍ. وَلِهَذَا كَانَ أَسْعَدُ

---

(١) «مجلة البحوث الإسلامية» (عدد ٦٤/ ١٣١).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (ج ٧/ ٦٦).

النَّاسِ بِشَفَاعَةِ سَيِّدِ الشُّفَعَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَهْلَ التَّوْحِيدِ الَّذِينَ جَرَّدُوا التَّوْحِيدَ وَخَلَّصُوهُ مِنْ تَعَلُّقَاتِ الشِّرْكِ وَشَوَائِبِهِ، وَهُمُ الَّذِينَ ارْتَضَىٰ اللهُ سُبْحَانَهُ»(١).

الثَّانِي: الشَّفَاعَةُ الْمُثْبَتَةُ:

قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَنٍ رَحِمَهُ اللهُ: «الشَّفَاعَةُ الَّتِي أَثْبَتَهَا الْقُرْآنُ، وَهِيَ خَالِصَةٌ لِأَهْلِ الْإِخْلَاصِ وَقَيَّدَهَا تَعَالَىٰ بِأَمْرَيْنِ: **الْأَمْرُ الْأَوَّلُ**: إِذْنُهُ لِلشَّافِعِ أَنْ يَشْفَعَ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة آية: ٢٥٥]. وَإِذْنُهُ تَعَالَىٰ لَا يَصْدُرُ إِلَّا إِذَا رَحِمَ عَبْدَهُ الْمُوَحِّدَ الْمُذْنِبَ، فَإِذَا رَحِمَهُ تَعَالَىٰ أَذِنَ لِلشَّافِعِ أَنْ يَشْفَعَ لَهُ. **الْأَمْرُ الثَّانِي**: رِضَاهُ عَمَّنْ أَذِنَ لِلشَّافِعِ أَنْ يَشْفَعَ فِيهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء آية: ٢٨]. فَالْإِذْنُ بِالشَّفَاعَةِ لَهُ بَعْدَ الرِّضَا كَمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ لَا يَرْضَىٰ إِلَّا التَّوْحِيدَ»(٢).

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللهُ:

شَفَاعَةٌ مِن قَبْلِ يَومِ المَوقِفِ	أَوْ دُونَ إِذْنِ اللهِ هَذَا مُنْتَفِي
أَوِ لِلَّذِي لا يَرْتَضِيهِ الْمَوْلَىٰ	قَدْ أَبْطَلَتْهُ وَاضِحَاتٌ تُتْلَىٰ
وَعِنْدَهُ لا تَطْلُبُ الشَّفَاعَهْ	مِنْ غَيْرِ مَوْلَانَا بِشَرْطِ الطَّاعَهْ
لأَنَّهَا مَوْعُودَةٌ فِي الْمَوْقِفِ	لِمُخَلِصٍ لا مُشْرِكٍ مُنْحَرِفِ
قُلْ يَا إِلَهِ الْحَقِّ شَفِّعْ عَبْدَكَا	مُحَمَّدًا فِينَا وَحَقِّقْ وَعْدَكَا
وَعَافِنَا مِنْ فِتْنَةِ الإِشْرَاكِ	لأَنَّها حِبَالَةُ الأَشْرَاكِ(٣)

(١) «إغاثة اللهفان» (ج ١/ ٢٢١).

(٢) «كتاب التوحيد» (١/ ٩٩).

(٣) «مجموعة القصائد الزهديات» (ج٢/ ١٤) للسلمان.

وَهِيَ مَا سَوْفَ نَتَكَلَّمُ عَنْهَا فِي الصَّفَحَاتِ الْقَادِمَةِ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَىٰ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: الْأَدِلَّةُ عَلَىٰ ثُبُوتِ الشَّفَاعَةِ:

الْأَدِلَّةُ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ثَبَتَ لَفْظُ الشَّفَاعَةِ فِي نُصُوصٍ كَثِيرَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ ﷻ وَسُنَّةِ رَسُولِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ. مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء: ٢٨]. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦].

الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ:

عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَىٰ تَلٍّ، فَيَكْسُونِي رَبِّي حُلَّةً خَضْرَاءَ، فَأَقُولُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ أَقُولَ، فَذَلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ**»(١).

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثًا، كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا، يَقُولُونَ: يَا فُلَانُ، اشْفَعْ، حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ»(٢).

مَا جَاءَ فِي الْوَسِيلَةِ:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَلُوا اللهَ لِي الْوَسِيلَةَ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهَا لِي عَبْدٌ فِي الدُّنْيَا إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَهِيدًا - أَوْ شَفِيعًا - يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٣).

---

(١) ابن حبان (٦٤٤٥)، قال الألباني: «صحيح».

(٢) صحيح: البخاري (٤٤٤١).

(٣) «المعجم الأوسط» (٦٣٣)، قال الألباني: «حسن». «صحيح الجامع» (٣٦٣٧)، «الترغيب =

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْوَسِيلَةُ دَرَجَةٌ عِنْدَ اللهِ، لَيْسَ فَوْقَهَا دَرَجَةٌ، فَسَلُوا اللهَ أَنْ يُؤْتِيَنِي الْوَسِيلَةَ**»(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَلُوا اللهَ لِي الْوَسِيلَةَ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوَسِيلَةُ؟ قَالَ: «**أَعْلَىٰ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ، لا يَنَالُهَا إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ**»(٢).

الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: فِي شَفَاعَاتِ النَّبِيِّ ﷺ:

١- (الشَّفَاعَةُ الْعُظْمَىٰ): وَهَذِهِ هِيَ أَعْظَمُ الشَّفَاعَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهِيَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٩].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً، ثُمَّ قَالَ: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ؟! فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ. فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟! أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا قَدْ**

=

والترهيب» (٢٥٧).

(١) صحيح: أحمد (١١٧٢٢)، قال الألباني: «صحيح». «صحيح الجامع» (٧١٥١)، «الصحيحة» (٣٥٧١).

(٢) صحيح:الترمذي (٣٦١٢) قال الألباني: «صحيح».

بَلَغَنَا؟! فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبُ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ نُوحٍ. فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ! إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَىٰ أَهْلِ الأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟! فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي ﷻ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَىٰ قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ. فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ! أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟! فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كِذْبَاتٍ - فَذَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانَ فِي الْحَدِيثِ - نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ مُوسَىٰ. فَيَأْتُونَ مُوسَىٰ فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَىٰ! أَنْتَ رَسُولُ اللهِ فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَىٰ النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟! فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ عِيسَىٰ. فَيَأْتُونَ عِيسَىٰ فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَىٰ! أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟! فَيَقُولُ عِيسَىٰ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ. وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ. فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ! أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟! فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ﷻ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ

يَفْتَحُهُ عَلَىٰ أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ. فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَىٰ ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ». ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَىٰ»(١).

٢- الشَّفَاعَةُ فِي اسْتِفْتَاحِ الْجَنَّةِ وَدُخُولِهَا:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ»(٢).

وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ، لا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»(٣).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَاخْتَلَفُوا، فَهَدَانَا اللهُ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ؛ فَهَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ هَدَانَا اللهُ لَهُ، قَالَ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ فَالْيَوْمَ لَنَا وَغَدًا لِلْيَهُودِ وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَىٰ»(٤).

٣- الشَّفَاعَةُ فِي رَفْعِ دَرَجَاتِ أَقْوَامٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: عَنْ أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

---

(١) متفق عليه: البخاري (٤٤٣٧)، واللفظ له، ومسلم (١٩٤).

(٢) صحيح: مسلم (١٩٦).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٩٧).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٨٥٥).

قَالَ: لَمَّا فَرَغَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ حُنَيْنٍ بَعَثَ أَبَا عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَىٰ جَيْشٍ إِلَىٰ أَوْطَاسٍ فَلَقِيَ دُرَيْدَ بْنَ الصِّمَّةِ، فَقُتِلَ دُرَيْدٌ، وَهَزَمَ اللهُ أَصْحَابَهُ، قَالَ أَبُو مُوسَىٰ: وَبَعَثَنِي مَعَ أَبِي عَامِرٍ فَرُمِيَ أَبُو عَامِرٍ فِي رُكْبَتِهِ رَمَاهُ جُشَمِيٌّ بِسَهْمٍ فَأَثْبَتَهُ فِي رُكْبَتِهِ فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا عَمِّ مَنْ رَمَاكَ؟ فَأَشَارَ إِلَىٰ أَبِي مُوسَىٰ فَقَالَ: ذَاكَ قَاتِلِي الَّذِي رَمَانِي فَقَصَدْتُ لَهُ فَلَحِقْتُهُ، فَلَمَّا رَآنِي وَلَّىٰ فَاتَّبَعْتُهُ وَجَعَلْتُ أَقُولُ لَهُ: أَلَا تَسْتَحْيِي أَلَا تَثْبُتُ؟ فَكَفَّ فَاخْتَلَفْنَا ضَرْبَتَيْنِ بِالسَّيْفِ فَقَتَلْتُهُ، ثُمَّ قُلْتُ لِأَبِي عَامِرٍ: قَتَلَ اللهُ صَاحِبَكَ، قَالَ: فَانْزِعْ هَذَا السَّهْمَ فَنَزَعْتُهُ فَنَزَا مِنْهُ الْمَاءُ، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي أَقْرِئِ النَّبِيَّ ﷺ السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ: اسْتَغْفِرْ لِي، وَاسْتَخْلَفَنِي أَبُو عَامِرٍ عَلَىٰ النَّاسِ فَمَكَثَ يَسِيرًا ثُمَّ مَاتَ، فَرَجَعْتُ فَدَخَلْتُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَيْتِهِ عَلَىٰ سَرِيرٍ مُرْمَلٍ وَعَلَيْهِ فِرَاشٌ قَدْ أَثَّرَ رِمَالُ السَّرِيرِ بِظَهْرِهِ وَجَنْبَيْهِ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِنَا وَخَبَرِ أَبِي عَامِرٍ وَقَالَ: قُلْ لَهُ: اسْتَغْفِرْ لِي، فَدَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أَبِي عَامِرٍ، وَرَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ مِنَ النَّاسِ**»، فَقُلْتُ: وَلِي فَاسْتَغْفِرْ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُدْخَلًا كَرِيمًا**»(١).

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ فَأَغْمَضَهُ ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ**» فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ فَقَالَ: «**لَا تَدْعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَىٰ مَا تَقُولُونَ**» ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ**»(٢).

---

(١) متفق عليه: البخاري (٤٣٢٣)، ومسلم (٢٤٩٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٩٢٠).

٤- الشَّفَاعَةُ لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِهِ:

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**»(١).

وَعَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**رَأَيْتُ مَا تَلْقَىٰ أُمَّتِي بَعْدِي وَسَفْكِ بَعْضِهِم دِمَاءَ بَعْضٍ، وَسَبَقَ ذَلِكَ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ كَمَا سَبَقَ فِي الأُمَمِ قَبلَهُمْ، فَسَأَلْتُه أَنْ يُوَلِّيَنِي شَفَاعَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيهِمْ فَفَعَلَ**»(٢).

٥- الشَّفَاعَةُ لِقَوْمٍ دَخَلُوا النَّارَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا:

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُسَمَّوْنَ الْجَهَنَّمِيِّينَ**»(٣).

٦- الشَّفَاعَةُ فِي قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ:

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ. فَذَكَرْتُهُ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ؛ فَقَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، حَتَّىٰ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ قُلْتُ: مَا هَذَا! أُمَّتِي هَذِهِ؟ قِيلَ: بَلْ هَذَا مُوسَىٰ وَقَوْمُهُ، قِيلَ: انْظُرْ إِلَىٰ الْأُفُقِ، فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلَأُ الأُفُقَ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ، فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلَأَ الأُفُقَ، قِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ**» ثُمَّ دَخَلَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ، فَأَفَاضَ الْقَوْمُ وَقَالُوا: نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللهِ وَاتَّبَعْنَا

---

(١) صحيح: الترمذي (٢٤٣٦)، أبو داود (٤٧٣٩)، ابن ماجه (٤٣١٠)، أحمد (١٢٨١٠)، وصححه الألباني.

(٢) صحيح: أحمد في «المسند» (٢٧٤٥٠)، «مستدرك الحاكم» (٢٢٧) وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٩١٨).

(٣) صحيح: البخاري (٦٥٦٦).

رَسُولَهُ فَنَحْنُ هُمْ أَوْ أَوْلَادُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ؛ فَإِنَّا وُلِدْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَخَرَجَ فَقَالَ: «**هُمُ الَّذِينَ لا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**» فَقَالَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**» فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا؟ قَالَ: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**»(١).

٧- الشَّفَاعَةُ لِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ فِي تَخْفِيفِ الْعَذَابِ:

عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ، قَالَ: «**هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**»(٢).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ فَقَالَ: «**لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ**»(٣).

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظُ آلُ حَكَمِي:

كَذَا لَهُ الشَّفَاعَةُ الْعُظْمَىٰ كَمَا ... قَدْ خَصَّهُ اللهُ بِهَا تَكَرُّمَا
مِنْ بَعْدِ إِذْنِ اللهِ لا كَمَا يَرَىٰ ... كُلُّ قُبُورِيٍّ عَلَىٰ اللهِ افْتَرَىٰ
يَشْفَعُ أَوَّلًا إِلَىٰ الرَّحْمَنِ فِي ... فَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ أَهْلِ الْمَوْقِفِ
مِنْ بَعْدِ أَنْ يَطْلُبَهَا النَّاسُ إِلَىٰ ... كُلِّ أُولِي الْعَزْمِ الْهُدَاةِ الْفُضَلَا
وَثَانِيًا يَشْفَعُ فِي اسْتِفْتَاحِ ... دَارِ النَّعِيمِ لِأُولِي الْفَلَاحِ
هَذَا وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ ... قَدْ خُصَّتَا بِهِ بِلَا نُكْرَانِ

---

(١) متفق عليه: البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).

(٢) متفق عليه: البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩).

(٣) متفق عليه: البخاري (٣٨٨٥)، ومسلم (٢١٠).

وَثَالِثًا يَشْفَعُ فِي أَقْوَامِ مَاتُوا عَلَىٰ دِينِ الْهُدَىٰ الإِسْلَامِ
وَأَوْبَقَتْهُمْ كَثْرَةُ الآثَامِ فَأُدْخِلُوا النَّارَ بِذَا الإِجْرَامِ
أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا إِلَىٰ الْجِنَانِ بِفَضْلِ رَبِّ الْعَرْشِ ذِي الإِحْسَانِ
وَبَعْدَهُ يَشْفَعُ كُلُّ مُرْسَلِ وَكُلُّ عَبْدٍ ذِي صَلَاحٍ وَوَلِي
وَيُخْرِجُ اللهُ مِنَ النِّيرَانِ جَمِيعَ مَنْ مَاتَ عَلَىٰ الإِيمَانِ
فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ يُطْرَحُونَا فَحْمًا فَيَحْيَوْنَ وَيَنْبُتُونَا
كَأَنَّمَا يَنْبُتُ فِي هَيْئَاتِهِ حَبُّ حَمِيلِ السَّيْلِ فِي حَافَاتِهِ(١)

الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ: الأَسْبَابُ الْجَالِبَةُ لِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ:

١- الصَّلَاةُ عَلَيْهِ ﷺ: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ حِينَ يُصْبِحُ عَشْرًا وَحِينَ يُمْسِي عَشْرًا، أَدْرَكَتْهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**(٢).

٢- التَّوْحِيدُ الْخَالِصُ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ ﷺ: **«لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَىٰ الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ»**(٣).

٣- عَدَمُ الإِشْرَاكِ بِاللهِ ﷻ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا»**(٤).

---

(١) «سلم الوصول» (ص٢٢).
(٢) «المعجم الكبير»، تعليق الألباني: حسن، «صحيح الجامع» (٦٣٥٧).
(٣) صحيح: البخاري (٦٢٠١).
(٤) صحيح: رواه مسلم (١٩٩).

٤- الدُّعَاءُ بِمَا وَرَدَ عِنْدَ الْأَذَانِ: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

٥- سُكْنَىٰ الْمَدِينَةِ وَالْمَوْتُ بِهَا: عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيِ الْمَدِينَةِ أَنْ يُقْطَعَ عِضَاهُهَا أَوْ يُقْتَلَ صَيْدُهَا» وَقَالَ: «الْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ لَا يَدَعُهَا أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَبْدَلَ اللهُ فِيهَا مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ وَلَا يَثْبُتُ أَحَدٌ عَلَىٰ لَأْوَائِهَا(٢) وَجَهْدِهَا إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٣).

٦- كَثْرَةُ السُّجُود: عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: «سَلْ» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ قَالَ: «فَأَعِنِّي عَلَىٰ نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»(٤).

الْمَسْأَلَةُ السَّادِسَةُ: فِي شَفَاعَةِ غَيْرِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ:

١- شَفَاعَةُ الْأَنْبِيَاءِ:

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ إِكْرَامَ اللهِ تَعَالَىٰ لِأَنْبِيَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ قَبُولُ شَفَاعَتِهِمْ فِيمَنْ يَشْفَعُونَ لَهُ مِمَّنْ سَبَقَتْ لَهُمُ الرَّحْمَةُ، فَيَتَقَدَّمُونَ بِطَلَبِ شَفَاعَتِهِمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ فِي

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦١٩).

(٢) لأوائها: الشدة والجوع وتعذر الكسب وسوء الحال.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٣٦٣).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٤٨٩).

إِخْرَاجِ أَقْوَامٍ مِنَ النَّارِ دَخَلُوهَا بِذُنُوبِهِمْ لِيَخْرُجُوا مِنْهَا.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «**هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا**»... وفيه: قَالَ أَبُو سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فَإِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي فَاقْرَءُوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ **فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ فَيَقُولُ الْجَبَّارُ: بَقِيَتْ شَفَاعَتِي فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدِ امْتُحِشُوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ...**»(١).

٢- شَفَاعَةُ الْمَلَائِكَةِ: كَذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَلَا خِلَافَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْفِرَقِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فَقَدْ ثَبَتَتْ شَفَاعَتُهُمْ بِالْأَدِلَّةِ الصَّحِيحَةِ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ. **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦]. **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء: ٢٨].

٣- شَفَاعَةُ الشُّهَدَاءِ: عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُشَفَّعُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ**»(٢).

وَعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ سِتُّ خِصَالٍ يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَىٰ مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَىٰ رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي**

---

(١) متفق عليه: البخاري (٧٤٤٠)، ومسلم (١٨٢) في حديث طويل.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٢٥٢٢)، وابن حبان (١٠/ ٥١٧)، والبيهقي (٩/ ١٦٤)، وصححه الألباني.

سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ»(١).

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يُحْمَلُ النَّاسُ عَلَىٰ الصِّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَتَقَادَعُ بِهِمْ جَنبَةُ الصِّرَاطِ تَقَادُعَ الْفَرَاشِ فِي النَّارِ قَالَ: فَيُنْجِي اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ قَالَ: ثُمَّ يُؤْذَنُ لِلْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ أَنْ يَشْفَعُوا فَيَشْفَعُونَ وَيُخْرِجُونَ وَيَشْفَعُونَ وَيُخْرِجُونَ وَيَشْفَعُونَ وَيُخْرِجُونَ**»(٢).

٤- شَفَاعَةُ الْوِلْدَانِ: مِنَ الشَّفَاعَاتِ الثَّابِتَةِ مَا جَاءَ فِي شَفَاعَةِ الْوِلْدَانِ فِي آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ إِذَا احْتَسَبُوهُمْ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ بِنِيَّةٍ صَادِقَةٍ، رَحْمَةً مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ وَكَرَمًا مِنْهُ، لِيَجْبُرَ قُلُوبَ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ بِمَا لَحِقَهُمْ مِنْ فَقْدِ أَوْلَادِهِمْ.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النِّسَاءَ قُلْنَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اجْعَلْ لَنَا يَوْمًا فَوَعَظَهُنَّ وَقَالَ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَ لَهَا ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ كَانُوا حِجَابًا مِنَ النَّارِ**» قَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَانِ؟ قَالَ: «**وَاثْنَانِ**»(٣).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِنِسْوَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ: «**لَا يَمُوتُ لِإِحْدَاكُنَّ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ فَتَحْتَسِبَهُ إِلَّا دَخَلَتِ الْجَنَّةَ**» فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: أَوِ اثْنَيْنِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**أَوِ اثْنَيْنِ**»(٤).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنَ النَّاسِ مُسْلِمٌ**

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (١٦٦٣)، وابن ماجه (٢٢٧٤)، وأحمد (٤/ ١٣١)، (١٧٢٢١)، والبيهقي (شعب الإيمان.٤/ ٢٥)، وصححه الألباني في (صحيح سنن الترمذي).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٥/ ٤٣)، (٢٠٤٥٧)، والطبراني في «المعجم الصغير» (٢/ ١٤٢) (٩٢٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٨٣٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٦٢): رجاله رجال الصحيح، وقال السيوطي في «البدور السافرة» (٢٥١): إسناده صحيح.

(٣) متفق عليه: البخاري (١٢٥٠)، ومسلم (٢٦٣٤).

(٤) متفق عليه: البخاري (١٠٢)، ومسلم (٢٦٣٢).

يَمُوتُ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ»(١).

وَعَنْ أَبِي حَسَّانَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِنَّهُ قَدْ مَاتَ لِيَ ابْنَانِ فَمَا أَنْتَ مُحَدِّثِي عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِحَدِيثٍ تُطَيِّبُ بِهِ أَنْفُسَنَا عَنْ مَوْتَانَا؟ قَالَ: قَالَ: «نَعَمْ صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ يَتَلَقَّىٰ أَحَدُهُمْ أَبَاهُ أَوْ قَالَ: أَبَوَيْهِ فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ أَوْ قَالَ: بِيَدِهِ كَمَا آخُذُ أَنَا بِصَنِفَةِ ثَوْبِكَ هَذَا فَلَا يَتَنَاهَىٰ أَوْ قَالَ: فَلَا يَنْتَهِي حَتَّىٰ يُدْخِلَهُ اللهُ وَأَبَاهُ الْجَنَّةَ»(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَمُوتُ لِمُسْلِمٍ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ فَيَلِجَ النَّارَ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ»(٣).

وَقَوْلُهُ ﷺ: «إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ» هَذِهِ إِشَارَةٌ إِلَىٰ الْقِسْمِ الْمُقَدَّرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم: ٧١]؛ أي: النَّارِ، بِحَيْثُ لَا يَدْخُلُ الْمُسْلِمُ الَّذِي مَاتَ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ النَّارَ إِلَّا تَحِلَّةً لِقَسَمِ اللهِ تَعَالَىٰ بِأَنَّ كُلَّ شَخْصٍ يَرِدُهَا.

وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ أَنَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَ الْآبَاءِ وَأَبْنَائِهِمْ إِذَا اخْتَلَفَتْ دَرَجَاتُهُمْ فِي الْجَنَّةِ إِكْرَامًا لِلْآبَاءِ لِتَقَرَّ أَعْيُنُهُمْ بِذَلِكَ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ۚ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾ [الطور: ٢١].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: «فَإِذَا اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّاتُهُمْ فِي الْإِيمَانِ يُلْحِقُهُمْ بِآبَائِهِمْ فِي

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١٣٨١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٣٥).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٦٣٢).

الْمَنْزِلَةِ، وَإِنْ لَمْ يَبْلُغُوا عَمَلَهُمْ، لِتَقَرَّ أَعْيُنُ الْآبَاءِ بِالْأَبْنَاءِ عِنْدَهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ، فَيَجْمَعَ بَيْنَهُمْ عَلَىٰ أَحْسَنِ الْوُجُوهِ بِأَنْ يَرْفَعَ النَّاقِصَ الْعَمَلَ بِكَامِلِ الْعَمَلِ، وَلَا يُنْقِصُ ذَلِكَ مِنْ عَمَلِهِ وَمَنْزِلَتِهِ لِلتَّسَاوِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَاكَ»(١).

٥- شَفَاعَةُ الْمُؤْمِنِينَ لِبَعْضِهِمُ الْبَعْضَ:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي الْجَدْعَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَكْثَرُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! سِوَاكَ؟ قَالَ: «سِوَايَ». قُلْتُ(٢): أَنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: أَنَا سَمِعْتُهُ(٣).

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ لَيْسَ بِنَبِيٍّ مِثْلَ الْحَيَّيْنِ أَوْ مِثْلَ أَحَدِ الْحَيَّيْنِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ**». فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوَمَا رَبِيعَةُ مِنْ مُضَرَ؟ فَقَالَ: «**إِنَّمَا أَقُولُ مَا أُقَوَّلُ**»(٤).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ يَشْفَعُ لِلرَّجُلَيْنِ وَلِلثَّلَاثَةِ وَالرَّجُلُ لِلرَّجُلِ**»(٥). وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «**هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟**»... وفيه: قَالَ أَبُو سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فَإِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي فَاقْرَءُوا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ «**فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ فَيَقُولُ الْجَبَّارُ: بَقِيَتْ شَفَاعَتِي فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدِ**

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤٣٢).

(٢) القائل: عبد الله بن شقيق الراوي عن عبد الله بن الجدعاء.

(٣) صحيح: ابن ماجه (٤٣١٦) باب ذكر الشفاعة، قال الألباني: «صحيح».

(٤) صحيح: أحمد (٢٢٢٦٩) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٣٦٣).

(٥) «التوحيد وأثبت صفات الرب عَزَّوَجَلَّ» (٤٧٤)، قال الألباني: «صحيح»، «الصحيحة» (٢٥٠٥)، «الترغيب والترهيب» (٣٦٤٨).

امْتُحِشُوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ...»(١).

٦- شَفَاعَةُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ لِأَصْحَابِهَا:

أ- الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ: الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ»(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سُورَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً تَشْفَعُ لِصَاحِبِهَا حَتَّىٰ يُغْفَرَ لَهُ: تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ»(٣).

ب- الصِّيَامُ: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، قَالَ فَيُشَفَّعَانِ»(٤).

يَقُولُ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ:

«الصِّيَامُ يَشْفَعُ مَنَعَهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ الْمُحَرَّمَةَ كُلَّهَا سَوَاءٌ كَانَ تَحْرِيمُهَا

---

(١) متفق عليه: البخاري (٧٤٤٠)، ومسلم (١٨٢) في حديث طويل.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٨٠٤).

(٣) صحيح: أبو داود (١٤٠٠)، الترمذي (٢٨٩١)، ابن ماجه (٣٧٨٦)، وصححه الألباني.

(٤) صحيح: أحمد (٢/ ١٧٤)، والحاكم (١/ ٥٤٤)، وقال: حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

بِالصِّيَامِ كَشَهْوَةِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَالنِّكَاحِ وَمُقَدِّمَاتِهَا، أَوْ لَا يَخْتَصُّ كَشَهْوَةِ فُضُولِ الْكَلَامِ الْمُحَرَّمِ وَالسَّمَاعِ الْمُحَرَّمِ وَالنَّظَرِ الْمُحَرَّمِ وَالْكَسْبِ الْمُحَرَّمِ، فَإِذَا مَنَعَهُ الصِّيَامُ مِنْ هَذِهِ الْمُحَرَّمَاتِ كُلِّهَا، فَإِنَّهُ يَشْفَعُ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَنَعْتُهُ شَهَوَاتِهِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، فَهَذَا لِمَنْ حَفِظَ صِيَامَهُ، وَمَنَعَهُ شَهَوَاتِهِ، فَأَمَّا مَنْ ضَيَّعَ صِيَامَهُ، وَلَمْ يَمْنَعْهُ عَمَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ جَدِيرٌ أَنْ يَضْرِبَ بِهِ وَجْهَ صَاحِبِهِ، وَيَقُولُ لَهُ: ضَيَّعَكَ اللهُ كَمَا ضَيَّعْتَنِي،... وَكَذَلِكَ الْقُرْآنُ إِنَّمَا يَشْفَعُ لِمَنْ مَنَعَهُ مِنَ النَّوْمِ بِاللَّيْلِ، فَإِنَّ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَقَامَ بِهِ فَقَدْ قَامَ بِحَقِّهِ فَيَشْفَعُ لَهُ»(١).

٧- مَا جَاءَ فِي آخِرِ شَفَاعَةٍ وأَعْظَمَ شَفَاعَةٍ وَهِيَ شَفَاعَةُ اللهِ تَبَارَكَ وتَعَالَىٰ:

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ أَعْظَمَ شَفَاعَةٍ هِيَ شَفَاعَةُ اللهِ ﷻ وَهِيَ آخِرُ الشَّفَاعَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهِيَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ الَّتِي ادَّخَرَهَا لِعِبَادَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ حَتَّىٰ تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ**»(٢). فَكَانَتْ أَعْظَمُ شَفَاعَةٍ هِيَ شَفَاعَةُ اللهِ ﷻ رَحْمَةً بِعِبَادِهِ.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا زِلْتُ أَشْفَعُ إِلَىٰ رَبِّي وَيُشَفِّعُنِي، حَتَّىٰ أَقُولَ: رَبِّ شَفِّعْنِي فِيمَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: فَيَقُولُ: لَيْسَتْ هَذِهِ لَكَ يَا مُحَمَّد، إِنَّمَا هِيَ لِي أَمَا وَعِزَّتِي وَحِلْمِي وَرَحْمَتِي لا أَدَعُ فِي النَّارِ أَحَدًا - أَوْ قَالَ: عَبْدًا - قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»(٣).

---

(١) «لطائف المعارف» لابن رجب (ص١٨٢).

(٢) متفق عليه: البخاري (٦٠٠٠)، ومسلم (٢٧٥٢).

(٣) أبو يعلىٰ (٢٧٨٦)، «السنة» لابن أبي عاصم (٦٨٥) قال الألباني: «صحيح»، «ظلال الجنة» (٨٢٨).

وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ قَالَ: «... فَيَقُال لِي: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَع تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لاإِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ لَكَ - أَوْ قَالَ لَيْسَ ذَاكَ إِلَيكَ - وَلَكِنْ وَعِزَّتِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي وَجِبْرِيَائِي لأُخْرِجَنَّ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»(١).

وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ قال: «... فَيَقُال: يَا مُحَمَّد ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَه، وَاشْفَع تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لأُخْرِجَنَّ مِنها مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»(٢).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «... فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ، فَيَقُولُ الْجَبَّارُ: بَقِيَتْ شَفَاعَتِي فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدِ امْتُحِشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَىٰ جَانِبِ الصَّخْرَةِ وَإِلَىٰ جَانِبِ الشَّجَرَةِ، فَمَا كَانَ إِلَىٰ الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَىٰ الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ اللُّؤْلُؤُ، فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمَ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ: هَؤُلاءِ عُتَقَاءُ الرَّحْمَنِ أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ فَيُقَالُ لَهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»(٣).

* قَوْلُهُ: «الْإِيمَانُ بِالصِّرَاطِ».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ مِنِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وُجُوبَ الْإِيمَانِ بِالصِّرَاطِ فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ الْأُمَمَ سَوْفَ يَمُرُّونَ عَلَيْهِ وَهُوَ مَنْصُوبٌ عَلَىٰ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ

---

(١) متفق عليه: البخاري (٧٠٧٢)، ومسلم (١٩٣)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه: البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

(٣) صحيح: مسلم (٢٥٩٨).

نَسْأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ.

وَفِيهِ مَسَائِلُ(١): الْمَسْأَلَةُ الْأُولَىٰ: تَعْرِيفُ الصِّرَاطِ:

الصِّرَاطُ فِي اللُّغَةِ: الطَّرِيقُ. **قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ:** الصِّرَاطُ، وَالسِّرَاطُ، وَالزِّرَاطُ: الطَّرِيقُ(٢). **وَقَالَ الزُّبَيْدِيُّ:** السِّرَاطُ بِالْكَسْرِ: السَّبِيلُ الْوَاضِحُ، وَبِهِ فَسَّرَ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾ [الفاتحة: ٦]؛ أَيْ: ثَبِّتْنَا عَلَىٰ الْمِنْهَاجِ الْوَاضِحِ كَمَا قَالَهُ الْأَزْهَرِيُّ(٣). **وَقَالَ الْفَيْرُوزُ أَبَادِي:** «الصِّرَاطُ بِالْكَسْرِ: الطَّرِيقُ، وَجِسْرٌ مَمْدُودٌ عَلَىٰ مَتْنِ جَهَنَّمَ. وَبِالضَّمِّ السَّيْفُ الطَّوِيلُ»(٤).

الصِّرَاطُ اصْطِلَاحًا: جِسْرٌ مَنْصُوبٌ عَلَىٰ جَهَنَّمَ فَيَقَعُ فِيهَا أَهْلُهَا وَيَنْجُو الْآخَرُونَ(٥).

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: صِفَةُ الصِّرَاطِ: وَرَدَتْ فِي السُّنَّةِ أَحَادِيثُ صَحِيحَةٌ فِي صِفَةِ الصِّرَاطِ، وَوَصَفَتْهُ وَصْفًا جَلِيًّا وَمِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ:

١- مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ ﷺ: **«مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ حَتَّىٰ يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا»**(٦).

---

(١) اختصرتها من «الموسوعة العقدية» (٥/ ٢).

(٢) «اللسان» (٣/ ٤٣٠).

(٣) «تاج العروس» (١٩/ ٣٤٥).

(٤) «ترتيب القاموس المحيط» (٢/ ٨١٤).

(٥) «الموسوعة العقدية» (٥/ ٣).

(٦) متفق عليه: البخاري (٧٤٤٠)، ومسلم (١٨٣).

وَقَالَ الْعَيْنِيُّ: «مَدْحَضَةٌ مِنْ دَحَضَتْ رِجْلُهُ دَحْضًا زَلَقَتْ، وَدَحَضَتِ الشَّمْسُ عِنْدَ كَبِدِ السَّمَاءِ: زَالَتْ، وَدَحَضَتْ حُجَّتُهُ بَطَلَتْ. مَزَلَّةٌ: مِنْ زَلَّتِ الْأَقْدَامُ سَقَطَتْ»(١). قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الْحَرْبِيُّ: «الجِسَرُ وَالْجِسْرُ: مَا عُبِرَ عَلَيْهِ مِنْ قَنْطَرَةٍ وَنَحْوِهَا»(٢).

٢- لَهُ جَنَبَتَانِ أَوْ حَافَّتَانِ: عَنْ أَبِي بَكْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يُحْمَلُ النَّاسُ عَلَىٰ الصِّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَتَقَادَعُ بِهِمْ جَنَبَتَا الصِّرَاطِ تَقَادُعَ الْفَرَاشِ فِي النَّارِ قَالَ: فَيُنْجِي اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ**»(٣). قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: «قَوْلُهُ: «فَتَتَقَادَعُ بِهِمْ جَنَبَتَا الصِّرَاطِ»؛ أَيْ: تُسْقِطُهُمْ فِيهَا بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ. وَتَقَادَعَ الْقَوْمُ: إِذَا مَاتَ بَعْضُهُمْ إِثْرَ بَعْضٍ»(٤).

٣- عَلَىٰ حَافَّتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَفِي حَافَّتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ**» **وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا**(٥).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: «**مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ**

---

(١) «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٢٠/ ٣٢٠).

(٢) غريب الحديث لأبي إسحاق إبراهيم الحربي (١/ ٣) باب جسر.

(٣) رواه أحمد (٥/ ٤٣) (٢٠٤٥٧)، والطبراني في «المعجم الصغير» (٢/ ١٤٢) (٩٢٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٨٣٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٦٢): رجاله رجال الصحيح، وقال السيوطي في «البدور السافرة» (٢٥١): إسناده صحيح.

(٤) «النهاية» (٤/ ٢٤).

(٥) صحيح: رواه مسلم (١٩٥).

حَتَّىٰ يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا»(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «... **وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟**» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخَرْدَلُ ثُمَّ يَنْجُو**»(٢). **قَالَ الْعَيْنِيُّ** رَحِمَهُ اللهُ: كَلَالِيبُ جَمْعُ كَلُّوبٍ بِفَتْحِ الْكَافِ وَهُوَ حَدِيدَةٌ مَعْطُوفَةُ الرَّأْسِ يُعَلَّقُ عَلَيْهَا اللَّحْمُ. وَقِيلَ: الْكَلُّوبُ الَّذِي يَتَنَاوَلُ بِهِ الْحَدَّادُ الْحَدِيدَ مِنَ النَّارِ. كَذَا فِي كِتَابِ ابْنِ بَطَّالٍ(٣).
وَقَالَ أَيْضًا رَحِمَهُ اللهُ: خَطَاطِيفُ: جَمْعُ خُطَّافٍ بِالضَّمِّ وَهُوَ الْحَدِيدَةُ الْمُعْوَجَّةُ كَالْكَلُّوبِ يُخْتَطَفُ بِهَا الشَّيْءُ. **وَقَوْلُهُ**: حَسَكَةَ: بِفَتَحَاتٍ وَهِيَ شَوْكَةٌ صُلْبَةٌ مَعْرُوفَةٌ، وَقَالَ صَاحِبُ «التَّهْذِيبِ». الْحَسَكُ نَبَاتٌ لَهُ ثَمَرٌ خَشِنٌ يَتَعَلَّقُ بِأَصْوَافِ الْغَنَمِ، وَرُبَّمَا اتُّخِذَ مِثْلُهُ مِنْ حَدِيدٍ وَهُوَ مِنْ آلَاتِ الْحَرْبِ.

قَوْلُهُ: مُفَلْطَحَةٌ: أَيْ عَرِيضَةٌ. عُقَيْفَاءُ: مُعْوَجَّةٌ(٤).

قَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللهُ: «قَوْلُهُ: شَوْكُ السَّعْدَانِ: جَمْعُ سَعْدَانَةٍ وَهُوَ نَبَاتٌ ذُو شَوْكٍ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي طِيبِ مَرْعَاهُ قَالُوا: مَرْعًى وَلَا كَالسَّعْدَانِ.

وَقَوْلُهُ: «**أَمَا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟**»: هُوَ اسْتِفْهَامُ تَقْرِيرٍ لِاسْتِحْضَارِ الصُّورَةِ الْمَذْكُورَةِ». **قَالَ الزَّيْنُ بْنُ الْمُنِيرِ**: «تَشْبِيهُ الْكَلَالِيبِ بِشَوْكِ السَّعْدَانِ خَاصٌّ بِسُرْعَةِ اخْتِطَافِهَا وَكَثْرَةِ الِانْتِشَابِ فِيهَا مَعَ التَّحَرُّزِ وَالتَّصَوُّنِ تَمْثِيلًا لَهُمْ بِمَا عَرَفُوهُ فِي

---

(١) متفق عليه: البخاري (٧٤٤٠)، ومسلم (١٨٢).

(٢) متفق عليه: البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢).

(٣) «عمدة القاري» (٢٠/ ٣١٦).

(٤) «عمدة القاري» (٢٠/ ٣٢٠).

الدُّنْيَا وَأَلِفُوهُ بِالْمُبَاشَرَةِ»(١).

٤- الصِّرَاطُ مِثْلُ حَدِّ الْمُوسَىٰ أَوْ حَدِّ السَّيْفِ: عَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: **«وَيُوضَعُ الصِّرَاطُ مِثْلَ حَدِّ الْمُوسَىٰ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: مَنْ يَجِيزُ عَلَىٰ هَذَا؟ فَيَقُولُ: مَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي: فَيَقُولُونَ: مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ»**(٢).

وَحَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِيهِ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: **«وَالصِّرَاطُ كَحَدِّ السَّيْفِ، دَحْضٌ مَزَلَّةٌ»**(٣).

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: مُرُورُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ الصِّرَاطِ وَخَلَاصُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ:

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّهُ عِنْدَمَا يُذْهَبُ بِالْكَفَرَةِ الْمُلْحِدِينَ، وَالْمُشْرِكِينَ الضَّالِّينَ جَهَنَّمَ يَبْقَىٰ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ الْمُوَحِّدُونَ، وَفِيهِمْ أَهْلُ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، وَفِيهِمْ أَهْلُ النِّفَاقِ، وَتُلْقَىٰ عَلَيْهِمُ الظُّلْمَةُ قَبْلَ الْجِسْرِ.

عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَوْلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدَّثَهُ قَالَ: كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَجَاءَ حَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، فَدَفَعْتُهُ دَفْعَةً كَادَ يُصْرَعُ مِنْهَا، فَقَالَ: لِمَ تَدْفَعُنِي؟ فَقُلْتُ: أَلَا تَقُولُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: إِنَّمَا نَدْعُوهُ بِاسْمِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ اسْمِي مُحَمَّدٌ**

---

(١) «فتح الباري» (١١/ ٤٥٣).

(٢) رواه الحاكم (٤/ ٦٢٩)، وقال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وقال ابن رجب في «التخويف من النار» (ص٢٢٤): المعروف أنه موقوف علىٰ سلمان الفارسي من قوله، وأورده الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٩٤١)، وإسناده صحيح موقوفًا وله حكم الرفع.

(٣) رواه الحاكم (٢/ ٤٠٨)، وقال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ، ووافقه الذهبي، وقال السيوطي في «البدور السافرة» (١٥٨): طريقه صحيحة متصلة رجالها ثقات، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦٢٩).

الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي» فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟» قَالَ: أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ، فَنَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِعُودٍ مَعَهُ فَقَالَ: «سَلْ» فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ...**»(١).

يَقُولُ شَارِحُ «الطَّحَاوِيَّةِ»: وَفِي هَذَا الْمَوْضِعِ يَفْتَرِقُ الْمُنَافِقُونَ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَتَخَلَّفُونَ عَنْهُمْ، وَيَسْبِقُهُمُ الْمُؤْمِنُونَ، وَيُحَالُ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهِمْ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَىٰ أَنْ قَالَ: فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَىٰ نُورَهُ مِثْلَ الْجَبَلِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَىٰ نُورَهُ فَوْقَ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَىٰ نُورَهُ مِثْلَ النَّخْلَةِ بِيَمِينِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَىٰ دُونَ ذَلِكَ بِيَمِينِهِ، حَتَّىٰ يَكُونَ آخِرُ مَنْ يُعْطَىٰ نُورَهُ فِي إِبْهَامِ قَدَمِهِ، يُضِيءُ مَرَّةً وَيُطْفِئُ أُخْرَىٰ، إِذَا أَضَاءَ قَدَّمَ قَدَمَهُ، وَإِذَا أَطْفَأَ قَامَ، قَالَ: فَيَمُرُّ وَيَمُرُّونَ عَلَىٰ الصِّرَاطِ، وَالصِّرَاطُ كَحَدِّ السَّيْفِ دَحْضٌ مَزَلَّةٌ، وَيُقَالُ لَهُمْ: امْضُوا عَلَىٰ قَدْرِ نُورِكُمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَانْقِضَاضِ الْكَوْكَبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالطَّرْفِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الرَّجُلِ، يَرْمُلُ رَمْلًا عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، حَتَّىٰ يَمُرَّ الَّذِي نُورُهُ عَلَىٰ إِبْهَامِ قَدَمِهِ، تَخِرُّ يَدٌ وَتَعْلَقُ يَدٌ، وَتَخِرُّ رِجْلٌ وَتَعْلَقُ رِجْلٌ، وَتُصِيبُ جَوَانِبَهُ النَّارُ، فَيَخْلُصُونَ فَإِذَا خَلَصُوا، قَالُوا: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنْكِ، بَعْدَ أَنْ أَرَانَاكِ، لَقَدْ أَعْطَانَا مَا لَمْ يُعْطِ أَحَدًا**»(٢).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٣١٥).

(٢) رواه البيهقي في «البعث والنشور» (٤١٩)، والحديث رواه الطبراني (٩/ ٣٥٧)، والحاكم (٢/ ٤٠٨)، وقال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ. وقال الألباني في «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٤٦٩): صحيح.

وَقَدْ حَدَّثَنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَنْ مَشْهَدِ مُرُورِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ الصِّرَاطِ.

فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الحديد: ١٢-١٥].

الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: التَّفَاضُلُ فِي الْمُرُورِ عَلَىٰ الصِّرَاطِ:

قَالَ الْأَشْقَرُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَيَتَفَاوَتُ النَّاسُ فِي الْمُرُورِ عَلَىٰ الصِّرَاطِ تَفَاوُتًا عَظِيمًا، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُرُورَ عَلَيْهِ إِنَّمَا يَكُونُ بِقَدْرِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي قَدَّمَهَا الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ لِرَبِّهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيُمْكِنُ أَنْ نُلَخِّصَ كَيْفِيَّةَ الْمُرُورِ بِمَا يَلِي:

١- يُعْطِي اللهُ كُلَّ إِنْسَانٍ نُورًا عَلَىٰ قَدْرِ عَمَلِهِ يَتْبَعُهُ عَلَىٰ الصِّرَاطِ:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يُسْأَلُ عَنِ الْوُرُودِ فَقَالَ: «... وَيُعْطَىٰ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مُنَافِقٍ أَوْ مُؤْمِنٍ نُورًا ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ وَعَلَىٰ جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُحَاسَبُونَ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَإِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ ثُمَّ كَذَلِكَ»(١).

وَكَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطَّوِيلِ الَّذِي فِيهِ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ:

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩١).

«فَيُعْطَوْنَ نُورَهُمْ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ» وَقَالَ: «فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَىٰ نُورَهُ مِثْلَ الْجَبَلِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَىٰ نُورَهُ فَوْقَ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَىٰ نُورَهُ مِثْلَ النَّخْلَةِ بِيَمِينِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَىٰ نُورَهُ دُونَ ذَلِكَ بِيَمِينِهِ، حَتَّىٰ يَكُونَ آخِرُ مَنْ يُعْطَىٰ نُورَهُ عَلَىٰ إِبْهَامِ قَدَمِهِ، يُضِيءُ مَرَّةً، وَيُطْفِئُ مَرَّةً إِذَا أَضَاءَ قَدَّمَ قَدَمَهُ، وَإِذَا أَطْفَأَ قَامَ»(١).

٢- انْطِفَاءُ نُورِ الْمُنَافِقِينَ:

فِي هَذَا الْمَوْقِفِ الرَّهِيبِ حَيْثُ تَجِدُ أَنَّ الذُّعْرَ وَالْخَوْفَ قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَىٰ النَّاسِ، كُلُّهُمْ يُرِيدُ النَّجَاةَ بِحَشَاشَةِ نَفْسِهِ مِنَ الْكَلَالِيبِ، وَالْخَطَاطِيفِ، فَإِذَا نُورُ الْمُنَافِقِينَ يُطْفَأُ. عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يُسْأَلُ عَنِ الْوُرُودِ فَقَالَ «... وَيُعْطَىٰ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مُنَافِقٍ أَوْ مُؤْمِنٍ نُورًا ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ وَعَلَىٰ جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُحَاسَبُونَ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَإِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ ثُمَّ كَذَلِكَ»(٢).

اخْتِلَافُ سُرْعَةِ النَّاسِ فِي الْمُرُورِ عَلَىٰ الصِّرَاطِ:

تَخْتَلِفُ سُرْعَةُ النَّاسِ فِي الْمُرُورِ عَلَىٰ الصِّرَاطِ وَذَلِكَ بِاخْتِلَافِ قُوَّةِ النُّورِ الَّذِي يُعْطَىٰ لَهُمْ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ كَمَا بَيَّنَّا فِي الْفَقْرَةِ السَّابِقَةِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِيهِ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ «وَيَمُرُّونَ عَلَىٰ الصِّرَاطِ وَالصِّرَاطُ كَحَدِّ السَّيْفِ، دَحْضٌ مَزَلَّةٌ، فَيُقَالُ لَهُمْ: امْضُوا عَلَىٰ قَدْرِ نُورِكُمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَانْقِضَاضِ الْكَوْكَبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ

(١) رواه الحاكم (٢/ ٤٠٨)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ، ووافقه الذهبي، وقال السيوطي في «البدور السافرة» (١٥٨): طريقه صحيحة متصلة رجالها ثقات، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦٢٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩١).

يَمُرُّ كَالطَّرْفِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الرَّجُلِ، يَرْمُلُ رَمَلًا، فَيَمُرُّونَ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، حَتَّىٰ يَمُرَّ الَّذِي نُورُهُ عَلَىٰ إِبْهَامِ قَدَمِهِ تَخِرُّ يَدٌ، وَتَعْلَقُ يَدٌ، وَتَخِرُّ رِجْلٌ، وَتَعْلَقُ رِجْلٌ، وَتُصِيبُ جَوَانِبَهُ النَّارُ، فَيَخْلُصُونَ، فَإِذَا خَلَصُوا قَالُوا: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنْكِ بَعْدَ أَنْ أَرَانَاكِ لَقَدْ أَعْطَانَا اللهُ مَا لَمْ يُعْطِ أَحَدًا»(١).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَرِدُ النَّاسُ كُلُّهُمُ النَّارَ ثُمَّ يَصْدُرُونَ مِنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ فَأَوَّلُهُمْ كَلَمْعِ الْبَرْقِ، ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَحُضْرِ الْفَرَسِ، ثُمَّ كَالرَّاكِبِ، ثُمَّ كَشَدِّ الرِّجَالِ، ثُمَّ كَمَشْيِهِمْ»(٢).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ ﷺ: «مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ حَتَّىٰ يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا»(٣).

شَرْحُ الْأَلْفَاظِ: قَالَ الْعَيْنِيُّ: (كَالطَّرْفِ): بِكَسْرِ الطَّاءِ وَهُوَ الْكَرِيمُ مِنَ الْخَيْلِ وَبِالْفَتْحِ الْبَصَرُ. قُلْتُ: الْمَعْنَىٰ الثَّانِي هُوَ الْمُرَادُ بِدَلِيلِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذَكَرَ بَعْدَ ذَلِكَ الْبَرْقَ، وَالرِّيحَ، وَمُرُورَ الْخَيْلِ عَلَىٰ التَّرْتِيبِ فِي السُّرْعَةِ. أَجَاوِيدُ الْخَيْلِ: جَمْعُ

---

(١) رواه الحاكم (٢/ ٤٠٨)، وقال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ، ووافقه الذهبي، وقال السيوطي في «البدور السافرة» (١٥٨): طريقه صحيحة متصلة رجالها ثقات، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦٢٩).

(٢) رواه الحاكم (٢/ ٤٠٧)، وقال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وقال الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٣١١): إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٧٤٤٠)، ومسلم (١٨٣).

الْأَجْوَدِ وَهُوَ جَمْعُ الْجَوَادِ وَهُوَ فَرَسٌ بَيِّنُ الْجَوْدَةِ. الرِّكَابِ: الْإِبِلُ وَاحِدَتُهَا الرَّاحِلَةُ مِنْ غَيْرِ لَفْظِهَا(١).

قَالَ الْأَشْقَرُ رَحِمَهُ اللهُ: **قُلْتُ: وَهُنَاكَ مَنْ يَزْحَفُ عَلَىٰ الصِّرَاطِ زَحْفًا.**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «... **فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ**» قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: «**أَلَمْ تَرَوْا إِلَىٰ الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ وَشَدِّ الرِّجَالِ تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَىٰ الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ حَتَّىٰ تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ حَتَّىٰ يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا**»(٢).

أَمَّا آخِرُ النَّاسِ مُرُورًا عَلَىٰ الصِّرَاطِ فَهُوَ الْمَسْحُوبُ كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَفِيهِ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**حَتَّىٰ يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا**»(٣)(٤).

* قَوْلُهُ: «الْإِيمَانُ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ».

وَالنَّارُ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَهُمَا مَوْجُودَتَانِ لَا فَنَاءَ لَهُمَا

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ خَلَقَ الْجَنَّةَ وَجَعَلَهَا دَارًا لِلْمُتَّقِينَ وَالْمُوَحِّدِينَ وَأَهْلِ طَاعَتِهِ وَخَلَقَ النَّارَ وَجَعَلَهَا دَارًا لِلْكَافِرِينَ وَالْمُكَذِّبِينَ بِالرُّسُلِ، وَأَنَّهُمَا دَارُ الْجَزَاءِ وَالْخُلُودِ وَالْإِيمَانُ بِهِمَا يَقْتَضِي الْخَوْفَ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْحِرْصَ عَلَىٰ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ.

---

(١) «عمدة القاري» (٢٠/ ٣٢٠).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٧٤٤٠)، ومسلم (١٨٢).

(٤) «القيامة الكبرىٰ» (٥/ ٩) بتصرف.

وَسَوْفَ نَتَنَاوَلُ فِي هَذَا الْبَحْثِ عِدَّةَ مَسَائِلَ: الْمَسْأَلَةُ الْأُولَىٰ: أَنَّهُمَا حَقٌّ:

فَهَذَا بِإِجْمَاعِ السَّلَفِ أَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهِ وَالْإِيمَانَ بِذَلِكَ وَاجِبٌ وَقَدْ وَرَدَتِ الْأَدِلَّةُ عَلَىٰ ذَلِكَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْهَا:

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٨﴾ [التحريم: ٦-٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ۝٢٤ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٥﴾ [البقرة: ٢٤، ٢٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ۝١٣١ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٣٢ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣﴾ [آل عمران: ١٣١-١٣٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٥٦ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ

أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾ [النساء: ٥٦، ٥٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾﴾ [يونس: ٧-٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء: ١٢٠-١٢٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ لِإِبْلِيسَ: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحجر: ٤٢-٤٦].

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظُ آلُ حَكَمِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كُلَّمَا يَذْكُرُ الْجَنَّةَ عَطَفَ عَلَيْهَا بِذِكْرِ النَّارِ، وَكُلَّمَا يَذْكُرُ أَهْلَ النَّارِ عَطَفَ عَلَيْهِمْ بِذِكْرِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَتَارَةً يَعِدُ وَيَتَوَعَّدُ، وَتَارَةً يُخْبِرُ عَمَّا أَعَدَّ فِي الْجَنَّةِ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ لِأَوْلِيَائِهِ وَيُخْبِرُ عَمَّا أَرْصَدَ فِي النَّارِ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ لِأَعْدَائِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَمَنْ رَامَ اسْتِقْصَاءَهُ فَلْيَقْرَأِ الْقُرْآنَ مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَىٰ خَاتِمَتِهِ بِتَدَبُّرٍ وَقَلْبٍ شَهِيدٍ، وَاللهُ الْمُوَفِّقُ» اهـ(١).

عَنْ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا

---

(١) «معارج القبول بشرح سلم الوصول إلىٰ علم الأصول» (٢/ ٨٥٧).

إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٍ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ» زَادَ فِي رِوَايَةٍ «مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ أَيُّهَا شَاءَ»(١).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْت وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَوْ لا إِلَهَ غَيْرُكَ» زَادَ فِي رِوَايَةٍ: «وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»(٢).

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: أَنَّهُمَا مَوْجُودَتَانِ الْآنَ:

وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ ﷻ قَدْ خَلَقَهُمَا وَفَرَغَ مِنْ خَلْقِهِمَا فَهُمَا مَوْجُودَتَانِ دَلَّتْ عَلَىٰ ذَلِكَ الْأَخْبَارُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

أَمَّا الْكِتَابُ: فقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي الْجَنَّةِ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عمران: ١٣٣]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾ [الحديد: ٢١]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

(٢) متفق عليه: البخاري (١١٢٠)، ومسلم (٧٦٩).

بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٧]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [النجم: ١٤، ١٥]. وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي النَّارِ: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٤]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾﴾ [الفرقان: ١١]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾﴾ [النبأ: ٢١، ٢٢]. وَغَيْرُهَا مِنَ الْآيَاتِ يُخْبِرُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَنَّهَا مُعَدَّةٌ قَدْ أُوجِدَتْ، وَأَنَّهَا مَخْفِيَّةٌ لِأَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ مُدَّخَرَةٌ لَهُمْ، فَهِيَ أَيْضًا مُعَدَّةٌ لِأَعْدَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ، مُرْصَدَةٌ لَهُمْ.

وَأَمَّا السُّنَّةُ:

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ، ثُمَّ ذَكَرَ فِيهِ حَدِيثَ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ فَإِنَّهُ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ»(١).

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ»(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَىٰ جَانِبِ قَصْرٍ فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا». فَبَكَىٰ عُمَرُ وَقَالَ: عَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللهِ(٣).

---

(١) متفق عليه: البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦).
(٢) متفق عليه: البخاري (٣٢٤١)، ومسلم (٢٧٣٧).
(٣) متفق عليه: البخاري (٣٢٤٢)، ومسلم (٢٣٩٥).

وَعَنْهُ ﷺ أَيْضًا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾»(١).

عَنْ أَبِي ذَرٍّ وَأَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنهما قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «أَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ»(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَىٰ رَبِّهَا، فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ نَفَسٌ فِي الشِّتَاءِ، وَنَفَسٌ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ فِي الْحَرِّ وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ»(٣).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَرَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ وَعَائِشَةَ وَابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهم قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «الْحُمَّىٰ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ، فَأَبْرِدُوهَا بِالْمَاءِ»(٤).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً قَالَ: «فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا»(٥).

وَعَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ وَفِيهِ: «ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَيَّ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَىٰ فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيلَةِ، قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَىٰ، وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

(٢) متفق عليه: البخاري (٥٣٤)، ومسلم (٦١٥).

(٣) متفق عليه: البخاري (٣٢٦٠)، ومسلم (٦١٧).

(٤) متفق عليه: البخاري (٣٢٦٤)، ومسلم (٢٢٠٩).

(٥) متفق عليه: البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣).

فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ»(١).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: انْخَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وفيه... قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ ثُمَّ رَأَيْنَاكَ كَعْكَعْتَ. قَالَ ﷺ: «إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ فَتَنَاوَلْتُ عُنْقُودًا وَلَوْ أَصَبْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا، وَأُرِيتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ» قَالُوا: بِمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «بِكُفْرِهِنَّ» قِيلَ: يَكْفُرْنَ بِاللهِ؟ قَالَ: «يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَىٰ إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ»(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرَائِيلَ إِلَىٰ الْجَنَّةِ، فَقَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَىٰ مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَىٰ مَا أَعَدَّ اللهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَرَجَعَ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، فَأَمَرَ بِالْجَنَّةِ فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَىٰ مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ قَالَ: ثُمَّ أَرْسَلَهُ إِلَىٰ النَّارِ، قَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَىٰ مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ وَعِزَّتِكَ لا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ سَمِعَ بِهَا فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَىٰ مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَرَجَعَ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا»(٣).

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٤).

(٢) متفق عليه: البخاري (١٠٥٢)، ومسلم (٩٠٧).

(٣) صحيح: أبو داود (٤٧٤٤)، الترمذي (٢٥٦٠)، النسائي (٣٧٦٣)، أحمد (٨٦٤٤)، وصححه الألباني.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: فِي دَوَامِهِمَا:

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ الْأَدِلَّةَ قَدْ تَوَاتَرَتْ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ عَلَىٰ أَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ لَا تَفْنَيَانِ وَأَنَّهُمَا بَاقِيَتَانِ مَا بَقِيَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي الْجَنَّةِ: ﴿وَالسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ۝٤٨﴾ [الحجر: ٤٨]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ۝١٠٨﴾ [هود: ١٠٨]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝٥٤﴾ [ص: ٥٤]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ۝٥١﴾ إلي قوله تعالىٰ ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٥٦ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٥٧﴾ [الدخان: ٥١-٥٧]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝٣٣﴾ [الواقعة: ٣٣]. وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظُ آلُ حَكَمِي رَحِمَهُ اللهُ: فَأَخْبَرَ تَعَالَىٰ بِأَبَدِيَّتِهَا بِقَوْلِهِ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝٥٤﴾. وَأَبَدِيَّةِ حَيَاةِ أَهْلِهَا بِقَوْلِهِ: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾. وَعَدَمِ انْقِطَاعِهَا عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝٣٣﴾، ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ۝١٠٨﴾، وَبِعَدَمِ خُرُوجِهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ۝٤٨﴾(١). وَكَذَلِكَ النَّارُ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۝١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝١٦٩﴾ [النساء: ١٦٨، ١٦٩]. وَقَالَ

---

(١) «معارج القبول» (٢/ ٨٦٤).

تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٦٥)﴾ [الأحزاب: ٦٤، ٦٥]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا (٢٣)﴾ [الجن: ٢٣]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦)﴾ [الفرقان: ٦٥، ٦٦]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٣٧)﴾ [المائدة: ٣٧]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ (٧٤) لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٥)﴾ [الزخرف: ٧٤، ٧٥]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (٣٧)﴾ [فاطر: ٣٦، ٣٧]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ (١٠٦) رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ (١٠٧) قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١٠٨)﴾ [المؤمنون: ١٠٦-١٠٨]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ (٤٥)﴾ [الشورى: ٤٥]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ (٧٤)﴾ [طه: ٧٤].

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظُ آلُ حَكَمِي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَغَيْرُ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ، فَأَخْبَرَنَا تَعَالَىٰ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ وَأَمْثَالِهَا أَنَّ أَهْلَ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا خُلِقَتْ لَهُمْ وَخُلِقُوا لَهَا، وَأَنَّهُمْ خَالِدُونَ فِيهَا أَبَدَ الْآبِدِينَ وَدَهْرَ الدَّاهِرِينَ، لَا فِكَاكَ لَهُمْ مِنْهَا وَلَا خَلَاصَ، وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ فَأَخْبَرَ تَعَالَىٰ عَنْ أَبَدِيَّتِهِمْ فِيهَا بِقَوْلِهِ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ﴾، وَنَفَىٰ تَعَالَىٰ

خُرُوجَهُمْ مِنْهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾، وَنَفَىٰ تَعَالَىٰ انْقِطَاعَهَا عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ ﷻ ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾، ونفىٰ فناءهم فيما بعد بِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾(١). اهـ.

وَأَمَّا السُّنَّةُ: فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُؤْتَىٰ بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ:** ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ [مريم: ٣٩] **وَهَؤُلَاءِ فِي غَفْلَةِ أَهْلِ الدُّنْيَا وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**»(٢).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَىٰ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ إِلَىٰ النَّارِ، جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّىٰ يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَىٰ فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَىٰ حُزْنِهِمْ**»(٣).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ هُوَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يُدْخِلُ اللهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُومُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ فَيَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، كُلٌّ خَالِدٌ فِيمَا هُوَ فِيهِ**»(٤).

---

(١) «معارج القبول» (٢/ ٨٦٤).

(٢) متفق عليه: البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).

(٣) متفق عليه: البخاري (٦٥٤٨)، ومسلم (٢٨٥٠).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٨٥٠).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ - فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّىٰ إِذَا كَانُوا فَحْمًا أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ فَبُثُّوا عَلَىٰ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحَبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: كَأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ(١).

الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: وَصْفُ الْجَنَّةِ: لَقَدْ وَصَفَ اللهُ ﷻ الْجَنَّةَ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ وَوَصَفَهَا النَّبِيُّ ﷺ فِي السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ.

وَقَدْ جَمَعَ شَيْخُنَا - حَفِظَهُ اللهُ - رِسَالَةً فِي وَصْفِ الْجَنَّةِ «وَصْفُ الْجَنَّةِ مِنْ صَحِيحِ السُّنَّةِ»، وَرِسَالَةً فِي وَصْفِ النَّارِ «وَصْفُ النَّارِ مِنْ صَحِيحِ الْأَخْبَارِ»، فَهُمَا نَافِعَتَانِ فِي هَذَا الْبَابِ، وَقَدِ اخْتَصَرْتُ مِنْهُمَا بَعْضَ أَوْصَافِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَذَكَرْتُ عَشَرَةَ أَوْصَافٍ لِكُلٍّ مِنْهُمَا اخْتِصَارًا، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُرَاجِعْ هَاتَيْنِ الرِّسَالَتَيْنِ، فَهُمَا نَافِعَتَانِ فِي هَذَا الْبَابِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ.

أَوَّلًا: وَصْفُ الْجَنَّةِ:

١- رِيحُهَا: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»(٢). لَمْ يَرِحْ: لَمْ يَشُمَّ.

٢- أَبْوَابُ الْجَنَّةِ: لِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ بَيْنَ مِصْرَعِي الْبَابِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَيَأْتِي عَلَيْهِ يَوْمٌ وَهُوَ مُكْتَظٌّ بِالنَّاسِ كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤]. وَقَالَ تَعَالَىٰ:

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٥).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣١٦٦).

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر: ٧٣].

وَعَنْ عُبَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ**» قَالَ الْوَلِيدُ: حَدَّثَنِي ابْنُ جَابِرٍ عَنْ عُمَيْرٍ عَنْ جُنَادَةَ، وَزَادَ: «**مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ أَيَّهَا شَاءَ**»(١).

وَعَنْ خَالِدِ بْنِ عُمَيْرٍ الْعَدَوِيِّ قَالَ: خَطَبَنَا عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بِصَرْمٍ وَوَلَّتْ حَذَّاءَ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ يَتَصَابُّهَا صَاحِبُهَا، وَإِنَّكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَىٰ دَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا فَانْتَقِلُوا بِخَيْرِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الْحَجَرَ يُلْقَىٰ مِنْ شَفَةِ جَهَنَّمَ فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا لَا يُدْرِكُ لَهَا قَعْرًا، وَوَاللهِ لَتُمْلَأَنَّ أَفَعَجِبْتُمْ، وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الزِّحَامِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ حَتَّىٰ قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا(٢).

وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ أَوْ فَيُسْبِغُ الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ**»(٣).

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٦٧).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٣٤).

٣- صِفَةُ دُخُولِ الْجَنَّةِ: فَأَوَّلُ مَنْ تُفْتَحُ لَهُ الْجَنَّةُ هُوَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُهَا، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ ثُمَّ يُسَاقُ الْمُؤْمِنُونَ زُمَرًا، فَأَوَّلُ طَائِفَةٍ السَّبْعُونَ أَلْفَ الَّذِينَ سَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ عَلَىٰ صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ أَبْنَاءُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ عَلَىٰ هَيْئَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْأَدِلَّةُ عَلَىٰ ذَلِكَ هِيَ:

أ- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ**»(١).

ب- عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَوْلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَجَاءَ حَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ فَدَفَعْتُهُ دَفْعَةً كَادَ يُصْرَعُ مِنْهَا، فَقَالَ: لِمَ تَدْفَعُنِي؟ فَقُلْتُ: أَلَا تَقُولُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: إِنَّمَا نَدْعُوهُ بِاسْمِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اسْمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي**» فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ فَقَالَ - بِعُودٍ مَعَهُ - فَقَالَ: «**سَلْ**» فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ**» قَالَ: فَمَنْ أَوَّلُ النَّاسِ إِجَازَةً؟ قَالَ: «**فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ**» قَالَ الْيَهُودِيُّ: فَمَا تُحْفَتُهُمْ حِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «**زِيَادَةُ كَبِدِ النُّونِ**» قَالَ: فَمَا غِذَاؤُهُمْ عَلَىٰ إِثْرِهَا؟ قَالَ: «**يُنْحَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا**». قَالَ: فَمَا شَرَابُهُمْ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «**مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا**» قَالَ: صَدَقْتَ(٢).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٣١٥).

ج- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيَدْخُلَنَّ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا أَوْ سَبْعُ مِائَةِ أَلْفٍ لا يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّىٰ يَدْخُلَ آخِرُهُمْ وُجُوهُهُمْ عَلَىٰ صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»(١).

د- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الْجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَىٰ صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لا يَبْصُقُونَ فِيهَا، وَلا يَمْتَخِطُونَ، وَلا يَتَغَوَّطُونَ، آنِيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ، أَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يُرَىٰ مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ لا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا»(٢).

هـ- عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا مُكَحَّلِينَ أَبْنَاءَ ثَلاثِينَ أَوْ ثَلاثٍ وَثَلاثِينَ سَنَةً»(٣).

٤- أَعْلَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً وَأَدْنَاهَا: أَمَّا أَعْلَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فَهُوَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلاةً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِي الْوَسِيلَةَ؛ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»(٤).

وَأَمَّا أَدْنَاهَا فَهُوَ رَجُلٌ مِنْ أُمَّةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٣٨٤).

(٢) متفق عليه: البخاري (٣٢٤٧)، ومسلم (٢١٩).

(٣) متفق عليه: البخاري (٣٢٤٥)، ومسلم (٢٨٣٤).

(٤) صحيح: الترمذي (٢٥٤٥)، وصححه الألباني.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «... ثُمَّ يَفْرُغُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَيَبْقَىٰ رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَىٰ النَّارِ وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا، فَيَدْعُو اللهَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدْعُوَهُ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، وَيُعْطِي رَبَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ مَا شَاءَ اللهُ فَيَصْرِفُ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَىٰ الْجَنَّةِ وَرَآهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ قَدِّمْنِي إِلَىٰ بَابِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ لَا تَسْأَلُنِي غَيْرَ الَّذِي أَعْطَيْتُكَ، وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ! فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ وَيَدْعُو اللهَ حَتَّىٰ يَقُولَ لَهُ: فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ فَيُعْطِي رَبَّهُ مَا شَاءَ اللهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ، فَيُقَدِّمُهُ إِلَىٰ بَابِ الْجَنَّةِ فَإِذَا قَامَ عَلَىٰ بَابِ الْجَنَّةِ انْفَهَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ فَرَأَىٰ مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالسُّرُورِ فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ؟ وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ! فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ لَا أَكُونُ أَشْقَىٰ خَلْقِكَ فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللهَ حَتَّىٰ يَضْحَكَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْهُ فَإِذَا ضَحِكَ اللهُ مِنْهُ قَالَ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللهُ لَهُ: تَمَنَّهْ، فَيَسْأَلُ رَبَّهُ وَيَتَمَنَّىٰ حَتَّىٰ إِنَّ اللهَ لَيُذَكِّرُهُ مِنْ كَذَا وَكَذَا حَتَّىٰ إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: «وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ مَعَهُ»(١).

٥- طَعَامُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَشَرَابُهُمْ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الواقعة: ٢٠، ٢١]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ

---

(١) متفق عليه: البخاري (٦٠٨)، ومسلم (١٨٢).

مُفَتَّحَةً لَهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾﴾ [ص: ٤٩-٥١]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الإنسان: ٥، ٦]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الزخرف: ٧١].

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتْفُلُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ**»(١).

٦- أَنْهَارُ وَعُيُونُ الْجَنَّةِ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ [محمد: ١٥]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ [الرحمن: ٦٦].

عَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ أَبِي بَهْزٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**فِي الْجَنَّةِ بَحْرُ اللَّبَنِ، وَبَحْرُ الْمَاءِ، وَبَحْرُ الْعَسَلِ، وَبَحْرُ الْخَمْرِ، ثُمَّ تَشَقَّقُ الْأَنْهَارُ مِنْهَا بَعْدَهُ**»(٢).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ حَافَّتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَجْرَاهُ عَلَى الدُّرِّ، وَالْيَاقُوت تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ وَمَاؤُهُ**

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٥).

(٢) صحيح: الترمذي (٢٥٧١)، أحمد (١٩٥٤٨)، وصححه الألباني.

أَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ»(١).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ الْمُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ فَإِذَا طِينُهُ - أَوْ طِيبُهُ - مِسْكٌ أَذْفَرُ» شَكَّ هُدْبَةُ(٢).

٧- قُصُورُ وَغُرَفُ الْجَنَّةِ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾﴾ [الفرقان: ٧٥]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾﴾ [الزمر: ٢٠].

وَعَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ خَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ عَرْضُهَا سِتُّونَ مِيلًا فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ مَا يَرَوْنَ الْآخَرِينَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ كَذَا آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِ عَلَىٰ وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ»(٣).

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا تُرَىٰ ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا» فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّىٰ للهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»(٤).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَىٰ جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ هَذِهِ

---

(١) صحيح: الترمذي (٣٣٦١)، ابن ماجه (٤٣٣٤)، وأحمد (٥٣٣٢)، وصححه الألباني.

(٢) متفق عليه: البخاري (٦٥٨١)، ومسلم (١٦٢).

(٣) متفق عليه: البخاري (٤٨٨٠)، ومسلم (٢٨٣٨).

(٤) حسن: رواه الترمذي (١٩٨٤)، وحسنه الألباني.

خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ»(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنَا عَنِ الْجَنَّةِ مَا بِنَاؤُهَا؟ قَالَ ﷺ: «لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ، مِلَاطُهَا الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ حَصْبَاؤُهَا الْيَاقُوتُ وَاللُّؤْلُؤُ، وَتُرْبَتُهَا الْوَرْسُ وَالزَّعْفَرَانُ مَنْ يَدْخُلُهَا يَخْلُدُ لَا يَمُوتُ وَيَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ لَا يَبْلَىٰ شَبَابُهُمْ، وَلَا تُخَرَّقُ ثِيَابُهُمْ»(٢).

وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ بَنَىٰ مَسْجِدًا للهِ تَعَالَىٰ - قَالَ بُكَيْرٌ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ - يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ بَنَىٰ اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ» ابْنُ عِيسَىٰ فِي رِوَايَتِهِ: «مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ»(٣).

وَعَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي للهِ كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا غَيْرَ فَرِيضَةٍ إِلَّا بَنَىٰ اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ أَوْ إِلَّا بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ» قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ: فَمَا بَرِحْتُ أُصَلِّيهِنَّ بَعْدُ. وَقَالَ عَمْرٌو: مَا بَرِحْتُ أُصَلِّيهِنَّ بَعْدُ. وَقَالَ النُّعْمَانُ مِثْلَ ذَلِكَ(٤).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَىٰ جَانِبِ قَصْرٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا» فَبَكَىٰ عُمَرُ وَقَالَ: أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللهِ(٥).

---

(١) متفق عليه: البخاري (٤٨٨٠)، ومسلم (٢٨٣٨).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٩٤٥١)، وصححه الألباني.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٥٣٣).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٧٢٨).

(٥) متفق عليه: البخاري (٣٢٤٢)، ومسلم (٢٣٩٥).

٨- دَرَجَاتُ الْجَنَّةِ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء: ٩٥، ٩٦]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة: ١١].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ: «**بَلَىٰ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ**»(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَىٰ الْجَنَّةِ أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ**»(٢).

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أُصِيبَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْرٍ وَهُوَ غُلَامٌ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ عَرَفْتَ مَنْزِلَةَ حَارِثَةَ مِنِّي فَإِنْ يَكُنْ فِي الْجَنَّةِ أَصْبِرْ وَأَحْتَسِبْ، وَإِنْ تَكُ الْأُخْرَىٰ تَرَىٰ مَا أَصْنَعُ، فَقَالَ: «**وَيْحَكِ أَوَ هَبِلْتِ أَوَ جَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ وَإِنَّهُ فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ**»(٣).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ:**

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٧٤٢٣).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣٩٨٢).

اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا»(١).

٩- نِسَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾ [الواقعة: ٢٢، ٢٣]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾﴾ [النبأ: ٣١-٣٣]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾ [الواقعة: ٣٥-٣٧].

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَرَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ غَدْوَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ مَوْضِعُ قِيدٍ - يَعْنِي سَوْطَهُ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا وَلَمَلَأَتْهُ رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا عَلَىٰ رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»(٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الْجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَىٰ صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لا يَبْصُقُونَ فِيهَا، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، وَلا يَتَغَوَّطُونَ، آنِيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ أَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلُوَّةُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يُرَىٰ مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ لا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ، وَلا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا»(٣).

١٠- النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُمَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا

---

(١) صحيح: أبو داود (١٤٦٤)، الترمذي (٢٩١٤)، أحمد (٦٧٦٠)، وصححه الألباني.

(٢) متفق عليه: البخاري (٢٧٩٦)، ومسلم (١٨٨٠).

(٣) متفق عليه: البخاري (٣٢٤٥)، ومسلم (٢٨٣٤).

رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ»(١).

وَعَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ»(٢).

الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ: وَصْفُ النَّارِ:

١- الِاسْتِعَاذَةُ وَالتَّرْهِيبُ مِنَ النَّارِ: أَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُؤْمِنِينَ بِالِاسْتِعَاذَةِ بِهِ مِنَ النَّارِ وَمِنْ عَذَابِهَا وَحَرِّهَا وَمَا فِيهَا: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦]. قَالَ تَعَالَىٰ فِي صِفَاتِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾﴾ [الفرقان: ٦٥، ٦٦]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر: ١٥، ١٦].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»(٣).

---

(١)متفق عليه: البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢).

(٢)صحيح: رواه مسلم (١٨١).

(٣)صحيح: رواه مسلم (٥٨٨).

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**»(١).

وَكَانَ ﷺ يَرْهَبُ مِنَ النَّارِ: فَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ النَّارَ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا وَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ، ثُمَّ ذَكَرَ النَّارَ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا وَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ. قَالَ شُعْبَةُ: أَمَّا مَرَّتَيْنِ فَلَا أَشُكُّ، ثُمَّ قَالَ: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**»(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قُرَيْشًا فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ فَقَالَ: «**يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بنِ كَعْبٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ؛ فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا**»(٣).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا**»(٤).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا**

---

(١) متفق عليه: البخاري (٦٣٨٩)، ومسلم (٢٦٨٨).

(٢) متفق عليه: البخاري (٦٠٢٣)، ومسلم (١٠١٦).

(٣) متفق عليه: البخاري (٤٧٧١)، ومسلم (٢٠٤).

(٤) متفق عليه: البخاري (٦٤٨٣)، ومسلم (٢٢٨٤).

سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا»(١).

٢- أَبْوَابُ جَهَنَّمَ وَشِدَّةُ حَرِّهَا: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر: ٤٤]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٤]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾﴾ [المرسلات: ٣٢]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾﴾ [الغاشية: ٢-٤].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً، قَالَ: «فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا»(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَىٰ الْجَنَّةِ فَقَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَىٰ مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَجَاءَهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَىٰ مَا أَعَدَّ اللهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهِ، قَالَ: فَوَعِزَّتِكَ لا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانْظُرْ إِلَىٰ مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ، قَالَ: اذْهَبْ إِلَىٰ النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَىٰ مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا فَرَجَعَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا»(٣).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٤٢).

(٢) متفق عليه: البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣).

(٣) صحيح: الترمذي (٢٥٦٠) وقال: حسن صحيح، والنسائي (٣٧٦٣)، وأحمد (٢٧٥١٢)، وصححه الألباني.

٣- طَعَامُ وَشَرَابُ أَهْلِ النَّارِ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ﴿١٧﴾﴾ [إبراهيم: ١٦، ١٧]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِي ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف: ٢٩]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٖ ﴿٢١﴾﴾ [الحج: ١٩-٢١]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ﴾ [الدخان: ٤٣-٤٥].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْحَمِيمَ لَيُصَبُّ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ فَيَنْفُذُ الْحَمِيمُ حَتَّىٰ يَخْلُصَ إِلَىٰ جَوْفِهِ فَيَسْلِتُ مَا فِي جَوْفِهِ حَتَّىٰ يَمْرُقَ مِنْ قَدَمَيْهِ وَهُوَ الصَّهْرُ ثُمَّ يُعَادُ كَمَا كَانَ»(١).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّومِ قُطِرَتْ فِي دَارِ الدُّنْيَا لَأَفْسَدَتْ عَلَىٰ أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَايِشَهُمْ فَكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ طَعَامَهُ»(٢).

٤- غِلَظُ أَجْسَامِ أَهْلِ النَّارِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ضِرْسُ الْكَافِرِ أَوْ نَابُ الْكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ وَغِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ»(٣).

---

(١) صحيح: الترمذي (٢٥٨٢)، وأحمد (٨٦٤٧)، وصححه الألباني.

(٢) صحيح: الترمذي (٢٥٨٥)، ابن ماجه (٤٣٢٥)، وأحمد (٢٧٣٠)، وصححه الألباني.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٥١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ غِلَظَ جِلْدِ الْكَافِرِ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا وَإِنَّ ضِرْسَهُ مِثْلُ أُحُدٍ، وَإِنَّ مَجْلِسَهُ مِنْ جَهَنَّمَ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ»(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا بَيْنَ مَنْكِبَيِ الْكَافِرِ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ»(٢).

٥- أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: عَنِ النُّعْمَانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَرَجُلٌ تُوضَعُ فِي أَخْمصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَةٌ يَغْلِي مِنْهَا دِمَاغُهُ»(٣).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَنْتَعِلُ بِنَعْلَيْنِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي دِمَاغُهُ مِنْ حَرَارَةِ نَعْلَيْهِ»(٤).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ»(٥).

٦- بُكَاءُ أَهْلِ النَّارِ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٦، ٣٧]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا

---

(١) صحيح: الترمذي (٢٥٧٧)، وأحمد (٨٢٠٥)، وصححه الألباني.

(٢) متفق عليه: البخاري (٦٥٥٣)، ومسلم (٢٨٥٢).

(٣) متفق عليه: البخاري (٦٥٦١)، ومسلم (٢١٣).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢١١).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢١٢).

﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾ [الفرقان: ١١-١٤].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: إِنَّ أَهْلَ النَّارِ يَدْعُونَ مَالِكًا: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧] فَلَا يُجِيبُهُمْ أَرْبَعِينَ عَامًا، ثُمَّ يقول: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾، ثُمَّ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ فَيَقُولُونَ: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٧] قَالَ: فلَا يُجِيبُهُمْ مِثْلَ الدُّنْيَا، ثُمَّ أَجَابَهُمْ فَقَالَ: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٨] قَالَ: فَيَيْأَسُ الْقَوْمُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَمَا هُوَ إِلَّا الزَّفِيرُ وَالشَّهِيقُ، تُشْبِهُ أَصْوَاتُهُمْ أَصْوَاتَ الْحَمِيرِ، أَوَّلُهَا شَهِيقٌ وَآخِرُهَا زَفِيرٌ(١).

وَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أَهْلَ النَّارِ لَيَبْكُونَ، حَتَّىٰ لَوْ أُجْرِيَتِ السُّفُنُ فِي دُمُوعِهِمْ لَجَرَتْ، وَإِنَّهُمْ لَيَبْكُونَ الدَّمَ**»(٢).

٧- خُرُوجُ أُنَاسٍ مِنَ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ: وَقَدْ مَرَّ قَبْلَ ذَلِكَ بَعْضُ الْأَحَادِيثِ فِي الشَّفَاعَةِ وَخُرُوجِ النَّاسِ مِنَ النَّارِ وَقَدْ صَارُوا حِمَمًا فَيُلْقَوْا فِي نَهْرِ الْحَيَا فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ثُمَّ يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدِ اسْوَدُّوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَا - أَوِ الْحَيَاةِ، شَكَّ مَالِكٌ - فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً**»(٣).

---

(١) «صحيح الحاكم» (٣٤٩٢، ٨٧٧٠)، «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦٩١).

(٢) حسن. أخرجه الحاكم (٤/ ٦٤٨ رقم ٨٧٩١)، وقال: صحيح الإسناد. وأخرجه أيضًا: ابن أبي شيبة (٧/ ٥٠)، رقم ٣٤١٣١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٦١)، والخطيب (٥/ ٤٤٧)، الصحيحة (١٦٧٩).

(٣) متفق عليه: البخاري (٢٢)، ومسلم (١٨٤).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ أَوْ قَالَ: بِخَطَايَاهُمْ فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّىٰ إِذَا كَانُوا فَحْمًا أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ فَبُثُّوا عَلَىٰ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ»(١).

٨- بَعْثُ النَّارِ: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَىٰ النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَأَيُّنَا ذَلِكَ الْوَاحِدُ؟ قَالَ: «أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا»، ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا فَقَالَ: «أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا فَقَالَ: «مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعَرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ أَوْ كَشَعَرَةٍ بَيْضَاءَ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ»(٢).

٩- صِفَةُ الْحِسَابِ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾﴾ [الانشقاق: ٧-٩]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٥).

(٢) متفق عليه: البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢).

﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ [الحاقة: ١٨-٢٩].

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ» قَالَتْ: قُلْتُ: أَلَيْسَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ قَالَ: «ذَلِكِ الْعَرْضُ»(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَىٰ أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، قَالَ: فَيَلْقَىٰ الْعَبْدَ فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالإِبِلَ وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَىٰ قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَىٰ الثَّانِيَ فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَىٰ أَيْ رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَىٰ الثَّالِثَ فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ، وَصُمْتُ، وَتَصَدَّقْتُ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَاهُنَا إِذًا، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ فَيُخْتَمُ عَلَىٰ فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي فَتَنْطِقُ

(١) متفق عليه: البخاري (٦٥٣٦)، ومسلم (٢٨٧٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٢).

فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللهُ عَلَيْهِ»(١).

١٠- أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ فَقَالَ: «تَقْوَى اللهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ»، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ فَقَالَ: «الْفَمُ وَالْفَرْجُ»(٢).

الضَّابِطُ الرَّابِعُ: الَّذِي يُوزَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ:
١- الْأَعْمَالُ. ٢- الصُّحُفُ. ٣- الْعَبْدُ نَفْسُهُ.

* قَوْلُهُ: «الَّذِي يُوزَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ». كَمَا سَبَقَ وَتَكَلَّمْنَا عَنِ الْمِيزَانِ وَأَنَّ لَهُ كِفَّتَانِ، وَأَنَّ الَّذِي سَوْفَ يُوزَنُ هِيَ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ هِيَ:

* قَوْلُهُ: «الْأَعْمَالُ». فَكُلُّ مَا يَفْعَلُهُ الْمُسْلِمُ مِنْ أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ فَهِيَ فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُوزَنُ لَهُ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ»(٣).

وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلَآنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٦٨).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٠٠٤)، ابن ماجه (٤٢٤٦)، أحمد (٧٨٤٧)، وصححه الألباني.

(٣) متفق عليه: البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤).

حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا»(١).

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ»(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنِ احْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللهِ إِيمَانًا بِاللهِ وَتَصْدِيقًا بِوَعْدِهِ فَإِنَّ شِبَعَهُ وَرِيَّهُ وَرَوْثَهُ وَبَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٣).

* قَوْلُهُ: «الصُّحُفُ». أَيِ: الصُّحُفُ الَّتِي بِأَيْدِي الْحَفَظَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَإِنَّهُ يُؤْتَىٰ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَتُوزَنُ عَلَىٰ الْعَبْدِ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا دَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ حَدِيثُ الْبِطَاقَةِ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَىٰ إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ»(٤).

---

(١) صحيح:رواه مسلم (٢٢٣).

(٢) صحيح:أبو داود (٤٧٩٩)، الترمذي (٢٠٠٣)، وصححه الألباني.

(٣) صحيح:رواه البخاري (٢٨٥٣).

(٤) صحيح:الترمذي (٢٦٣٩)، ابن ماجه (٤٣٠٠)، أحمد (٦٩٥٥)، وصححه الألباني. «الصحيحة» (١٣٥).

* قَوْلُهُ: «العَبْدُ نَفْسُهُ». عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَءُوا** ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾»(١).

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الأَرَاكِ وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**مِمَّ تَضْحَكُونَ؟**» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ**»(٢).

الضَّابِطُ الخَامِسُ: لَا تَصِحُّ الشَّفَاعَةُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا بِشَرْطَيْنِ:
١- إِذْنُ اللهِ لِلشَّافِعِ أَنْ يَشْفَعَ.
٢- رِضَا اللهِ لِلْمَشْفُوعِ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ فِيهِ.

* قَوْلُهُ: «لا تَصِحُّ الشَّفَاعَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا بِشَرْطَيْنِ». سَبَقَ أَنْ فَصَّلْنَا الْكَلَامَ فِي الشَّفَاعَةِ وَبَيَّنَّاهَا، لَكِنْ لِكَيْ تَتَحَقَّقَ الشَّفَاعَةُ وَتَنْفَعَ فَإِنَّهُ يُشْتَرَطُ لِصِحَّتِهَا شَرْطَانِ هُمَا.

* قَوْلُهُ: «إِذْنُ اللهِ لِلشَّافِعِ أَنْ يَشْفَعَ». **قَالَ تَعَالَى:** ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦]. **وَقَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

* قَوْلُهُ: «رِضَا اللهِ لِلْمَشْفُوعِ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ فِيهِ». **وَقَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء: ٢٨]. **وَقَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ

---

(١) متفق عليه: البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

(٢) صحيح: أحمد (٣٩٨١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١/ ٢١٢).

قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: ١٠٩]. فَلِكَيْ تَتِمَّ الشَّفَاعَةُ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ ﷻ لِلشَّافِعِ أَنْ يَشْفَعَ كَمَا يَأْذَنُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالشُّهَدَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْقُرْآنِ وَالصِّيَامِ وَغَيْرِهَا كَمَا سَبَقَ فِي بَابِهِ.

الضَّابِطُ السَّادِسُ: الَّذِي يَمُوتُ مُصِرًّا عَلَى مَعْصِيَةٍ أَمْرُهُ إِلَى اللهِ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ عَدْلًا وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ فَضْلًا وَكَرَمًا.

* قَوْلُهُ: «الَّذِي يَمُوتُ مُصِرًّا عَلَى مَعْصِيَةٍ أَمْرُهُ إِلَى اللهِ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ عَدْلًا وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ فَضْلًا وَكَرَمًا».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ وَهِيَ مُرْتَكِبُ الْكَبِيرَةِ إِذَا مَاتَ مُصِرًّا عَلَى كَبِيرَتِهِ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ:

الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: الْمُرْجِئَةُ: قَالُوا: أَنَّهُ مُؤْمِنٌ كَامِلُ الْإِيمَانِ، وَلَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ ذَنْبٌ، فَمَهْمَا ارْتَكَبَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَضُرُّهُ عِنْدَهُمْ، وَهُوَ فِي الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بَلْ جَعَلُوهُ فِي مَنْزِلَةِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَقَالُوا: إِنَّ الْإِيمَانَ هُوَ التَّصْدِيقُ بِالْقَلْبِ فَقَطْ.

وَيَسْتَدِلُّونَ بِأَحَادِيثِ الْإِرْجَاءِ:

وَمِنْهَا: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ،**

فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ فَلا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ»(١).

الْقَوْلُ الثَّانِي: الْخَوَارِجُ وَالْمُعْتَزِلَةُ: قَالُوا: خَالِدٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ. فَإِنَّ الْخَوَارِجَ وَالْمُعْتَزِلَةَ يَنْفُونَ الشَّفَاعَةَ لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ؛ وَذَلِكَ لَأَنَّ مُرْتَكِبَ الْكَبِيرَةِ عِنْدَ الْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ، وَقَدِ اسْتَدَلُّوا عَلَىٰ نَفْيِ الشَّفَاعَةِ فِي حَقِّ أَهْلِ الْكَبَائِرِ بِالْآيَاتِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْقُرْآنِ فِي حَقِّ الْكُفَّارِ، كَقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ۝٤٨﴾ [المدثر: ٤٨].

فَحَمَلُوا هَذِهِ الْآيَةَ عَلَىٰ أَهْلِ الْكَبَائِرِ. وَهَذَا لَيْسَ فِي مَحِلِّهِ؛ لَأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ فِي قَوْمٍ كُفَّارٍ، وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ هُمْ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَمِمَّنْ ثَبَتَ إِسْلَامُهُمْ وَدِينُهُمْ كَصَرِيحِ دِينِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِلَّا لَلَزِمَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ جَمَاهِيرَ الْمُسْلِمِينَ لَيْسُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ الْمُسْتَقِيمِينَ عَلَىٰ أَمْرِ اللهِ الَّذِينَ لَمْ يَقْتَرِفُوا كَبِيرَةً وَلَمْ يَأْتُوهَا هُمُ الْقِلَّةُ الْقَلِيلَةُ مِنَ النَّاسِ.

فَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا: أَنَّ الْخَوَارِجَ وَالْمُعْتَزِلَةَ وَمَنْ يُوَافِقُهُمْ يَنْفُونَ الشَّفَاعَةَ لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ، وَيَرَوْنَ أَنَّهُمْ مُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ.

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظُ آلُ حَكَمِي رَحِمَهُ اللهُ: «قَالَتِ الْخَوَارِجُ: الْمُصِرُّ عَلَىٰ كَبِيرَةٍ مِنْ زِنًا أَوْ شُرْبِ خَمْرٍ أَوْ رِبًا كَافِرٌ مُرْتَدٌّ خَارِجٌ مِنَ الدِّينِ بِالْكُلِّيَّةِ لا يُصَلَّىٰ عَلَيْهِ، وَلَا يُدْفَنُ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ وَلَوْ أَقَرَّ للهِ تَعَالَىٰ بِالتَّوْحِيدِ وَلِلرَّسُولِ ﷺ بِالْبَلَاغِ، وَصَلَّىٰ وَصَامَ وَزَكَّىٰ وَحَجَّ وَجَاهَدَ، وَهُوَ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ أَبَدًا مَعَ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ وَمَعَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ.

---

(١) صحيح: الترمذي (٢٦٣٩)، ابن ماجه (٤٣٠٠)، أحمد (٦٩٥٥)، وصححه الألباني. «الصحيحة» (١٣٥).

وَقَالَتِ الْمُعْتَزِلَةُ: الْعُصَاةُ لَيْسُوا مُؤْمِنِينَ وَلَا كَافِرِينَ وَلَكِنْ نُسَمِّيهِمْ فَاسِقِينَ، فَجَعَلُوا الْفِسْقَ مَنْزِلَةً بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَحْكُمُوا لَهُ بِمَنْزِلَةٍ فِي الْآخِرَةِ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، بَلْ قَضَوْا بِتَخْلِيدِهِ فِي النَّارِ أَبَدًا كَالَّذِينِ قَبْلَهُمْ، فَوَافَقُوا الْخَوَارِجَ مَآلًا وَخَالَفُوهُمْ مَقَالًا، وَكَانَ الْكُلُّ مُخْطِئِينَ ضُلَّالًا»(١).

الْقَوْلُ الثَّالِثُ: أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

الَّذِي يَمُوتُ مُصِرًّا عَلَىٰ مَعْصِيَةٍ أَمْرُهُ إِلَىٰ اللهِ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ عَدْلًا وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ فَضْلًا وَكَرَمًا.

وَهُوَ الْقَوْلُ الرَّاجِحُ وَالصَّحِيحُ وَعَلَيْهِ إِجْمَاعُ السَّلَفِ: أَنَّ مُرْتَكِبَ الْكَبِيرَةِ فِي مَشِيئَةِ اللهِ ﷻ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ بِفَضْلِهِ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ بِعَدْلِهِ ثُمَّ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ بَعْدَ ذَلِكَ بِرَحْمَتِهِ وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ.

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظُ آلُ حَكَمِي رَحِمَهُ اللهُ:

وَالْفَاسِقُ الْمِلِّيُّ ذُو الْعِصْيَانِ ... لَمْ يُنْفَ عَنْهُ مُطْلَقُ الْإِيمَانِ
لَكِنْ بِقَدْرِ الْفِسْقِ وَالْمَعَاصِي ... إِيمَانُهُ مَا زَالَ فِي انْتِقَاصِ
وَلَا نَقُولُ إِنَّهُ فِي النَّارِ ... مُخَلَّدٌ بَلْ أَمْرُهُ لِلْبَارِي
تَحْتَ مَشِيئَةِ الْإِلَهِ النَّافِذَهْ ... إِنْ شَا عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَا آخَذَهْ
بِقَدْرِ ذَنْبِهِ إِلَىٰ الْجِنَانِ ... يَخْرُجُ إِنْ مَاتَ عَلَىٰ الْإِيمَانِ

«**وَلَا نَقُولُ إِنَّهُ**»؛ أَيِ: الْفَاسِقِ بِالْمَعَاصِي الَّتِي لَا تُوجِبُ كُفْرًا «**فِي النَّارِ مُخَلَّدٌ**» هَذِهِ هِيَ الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ مِنْ مَسَائِلِ الْفَصْلِ «**بَلْ نَقُولُ أَمْرُهُ**» مَرْدُودٌ حُكْمُهُ «**لِلْبَارِي**» فِي الْجَزَاءِ وَالْعَفْوِ «**تَحْتَ مَشِيئَةِ الْإِلَهِ النَّافِذَهْ**» فِي خَلْقِهِ «**إِنْ شَاءَ**» اللهُ ﷻ «**عَفَا عَنْهُ**»

---

(١) «معارج القبول» (٣/ ١٠٢٠).

وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ «وَإِنْ شَاءَ آخَذَهُ»؛ أَيْ: جَازَاهُ وَعَاقَبَهُ «بِقَدْرِ ذَنْبِهِ» الَّذِي مَاتَ مُصِرًّا عَلَيْهِ، كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: «بَايِعُونِي عَلَىٰ أَنْ لا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلا تَسْرِقُوا، وَلا تَزْنُوا، وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ، وَلا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ. فَمَنْ وَفَّىٰ مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَىٰ اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ فَهُوَ إِلَىٰ اللهِ: إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ» فَبَايَعْنَاهُ عَلَىٰ ذَلِكَ(١)، «وَإِلَىٰ الْجِنَانِ يَخْرُجُ» مِنَ النَّارِ «إِنْ» كَانَ «مَاتَ عَلَىٰ الإِيمَانِ» كَمَا تَقَدَّمَ فِي أَحَادِيثِ الشَّفَاعَةِ وَإِنَّهُ لا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ أَحَدٌ مَاتَ عَلَىٰ التَّوْحِيدِ بَلْ يَخْرُجُ مِنْهَا بِرَحْمَةِ أَرْحَمِ الرَّحِمِينَ ثُمَّ بِشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ(٢).

قَالَ الإِمَامُ الطَّحَاوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي النَّارِ لَا يُخَلَّدُونَ إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحِّدُونَ وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا تَائِبِينَ بَعْدَ أَنْ لَقُوا اللهَ عَارِفِينَ مُؤْمِنِينَ، وَهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ وَحُكْمِهِ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ وَعَفَا عَنْهُمْ بِفَضْلِهِ كَمَا ذَكَرَ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ فِي النَّارِ بِعَدْلِهِ ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إِلَىٰ جَنَّتِهِ، وَذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ تَوَلَّىٰ أَهْلَ مَعْرِفَتِهِ وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ فِي الدَّارَيْنِ كَأَهْلِ نَكِرَتِهِ الَّذِينَ خَابُوا مِنْ هِدَايَتِهِ وَلَمْ يَنَالُوا مِنْ وِلَايَتِهِ، اللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ الإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ثَبِّتْنَا عَلَىٰ الإِسْلَامِ حَتَّىٰ نَلْقَاكَ بِهِ(٣). اهـ.

تَمَّ بِحَمْدِ اللهِ الْبَابُ الْخَامِسُ

(١) متفق عليه: البخاري (١٨)، ومسلم (١٧٠٩).

(٢) «معارج القبول» (٣/ ١٠٢١).

(٣) «العقيدة الطحاوية» بتخريج الألباني (١/ ٦٥).

الْبَابُ السَّادِسُ: الْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَ الْقَدَرِ

وَفِيهِ ضَابِطَانِ:

الضَّابِطُ الْأَوَّلُ: مَرَاتِبُ الْقَدَرِ أَرْبَعَةٌ:

١- الْعِلْمُ.
٢- الْكِتَابَةُ.
٣- الْمَشِيئَةُ.
٤- الْخَلْقُ.

الضَّابِطُ الثَّانِي: الْمَقَادِيرُ خَمْسَةٌ:

١- التَّقْدِيرُ الْأَزَلِيُّ.
٢- تَقْدِيرُ الْمِيثَاقِ.
٣- التَّقْدِيرُ الْعُمْرِيُّ.
٤- التَّقْدِيرُ الْحَوْلِيُّ.
٥- التَّقْدِيرُ الْيَوْمِيُّ.

تَمَّ الْكِتَابُ وَالْحَمْدُ لِلهِ الْحَنَّانِ الْمَنَّانِ الْوَهَّابِ

الْبَابُ السَّادِسُ: الْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ الْإِيمَانَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ الرُّكْنُ السَّادِسُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ الَّتِي يَنْبَنِي عَلَيْهَا عَقِيدَةُ الْمُسْلِمِ، وَحَدِيثُنَا فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ سَيَكُونُ فِي ضَوْءِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَفَهْمِ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قَالَ **شَيْخُ الْإِسْلَامِ** رَحِمَهُ اللهُ: «وَتُؤْمِنُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(١).

هَذَا الْبَابِ يَتَكَوَّنُ مَنْ عِدَّةِ مَسَائِلَ: **الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ لُغَةً وَشَرْعًا: أَوَّلًا: مَعْنَى الْقَضَاءِ لُغَةً:** إِحْكَامُ أَمْرٍ وَإِتْقَانُهُ وَإِنْفَاذُهُ لِجِهَتِهِ(٢).

وَقَدْ وَرَدَ لَفْظُ الْقَضَاءِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَى عِدَّةِ مَعَانٍ مِنْهَا:

١- **بِمَعْنَى الْأَمْرِ:** قَالَ تَعَالَى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]؛ أَيْ: أَمَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

٢- **وَمَعْنَى الْإِنْهَاءِ:** وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ [الحجر: ٦٦]؛ أَيْ: تَقَدَّمْنَا إِلَيْهِ وَأَنْهَيْنَا.

٣- **وَمَعْنَى الْحُكْمِ:** قَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ [طه: ٧٢]؛ أَيِ: اصْنَعْ وَاحْكُمْ وَافْعَلْ مَا شِئْتَ وَمَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ يَدُكَ.

٤- **وَمَعْنَى الْفَرَاغِ:** وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢]؛ أَيْ: فَرَغَ مِنْ تَسْوِيَتِهِنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾ [القصص: ٢٩]؛ أَيْ: فَرَغَ مِنَ الْأَجَلِ الْأَوْفَى وَالْأَتَمِّ.

---

(١) «العقيدة الواسطية» (ص١٥٧) هراس.

(٢) «معجم مقاييس اللغة» لابن فارس (٥/ ٩٩).

٥- وَمَعْنَىٰ الْأَدَاءِ: وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٠٠]؛ أَيْ: أَدَّيْتُمُوهَا وَفَرَغْتُمْ مِنْهَا.

٦- وَمَعْنَىٰ الْإِعْلَامِ: وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الإسراء: ٤]؛ أَيْ: تَقَدَّمْنَا وَأَخْبَرْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ أَنَّهُمْ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ.

٧- وَمَعْنَىٰ الْمَوْتِ: يُقَالُ: ضَرَبَهُ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ؛ أَيْ: قَتَلَهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥]؛ أَيْ: مَاتَ.

ثَانِيًا: الْقَدَرُ لُغَةً: يُطْلَقُ الْقَدْرُ عَلَىٰ الْحُكْمِ وَالْقَضَاءِ.

وَالْقَدَرُ بِتَحْرِيكِ الدَّالِ أَوْ تَسْكِينِهَا مَعْنَاهُ الطَّاقَةُ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٦]: طَاقَتُهُ.

وَيَأْتِي أَيْضًا الْقَدَرُ بِمَعْنَىٰ التَّضْيِيقِ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ﴾ [الفجر: ١٦]. يَعْنِي: فَضَيَّقَ عَلَيْهِ.

وَمِنْهُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ فِي حَقِّ نَبِيِّهِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧]. أَيْ: لَنْ نُضَيِّقَ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ كَمَا ظَنَّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَكَّ فِي قُدْرَةِ اللهِ كَلَّا. ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾؛ أَيْ: لَنْ نُضَيِّقَ عَلَيْهِ(١).

الْمَعْنَىٰ الشَّرْعِيُّ لِلْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ: هُوَ تَقْدِيرُ اللهِ تَعَالَىٰ الْأَشْيَاءَ فِي الْقِدَمِ، وَعِلْمُهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهَا سَتَقَعُ فِي أَوْقَاتٍ مَعْلُومَةٍ عِنْدَهُ، وَعَلَىٰ صِفَاتٍ مَخْصُوصَةٍ وَكِتَابَتُهُ سُبْحَانَهُ لِذَلِكَ وَمَشِيئَتُهُ لَهَا وَوُقُوعُهَا عَلَىٰ حَسَبِ مَا قَدَّرَهَا جَلَّ وَعَلَا وَخَلَقَهُ لَهَا(٢).

---

(١) «القضاء والقدر» للصلابي (ص٣٩٠).

(٢) «شفاء العليل» لابن القيم (ص٢٩)، «القضاء والقدر» للمحمود (ص٤٠)، «موسوعة أركان =

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: الْأَدِلَّةُ عَلَىٰ وُجُوبِ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ: أَوَّلًا: الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ:

١- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩] قَدَّرَ اللهُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْأَزَلِ وَكَتَبَهُ سُبْحَانَهُ.

٢- وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ [الأحزاب: ٣٨]؛ أَيْ: قَضَاءً مَقْضِيًّا.

٣- وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [طه: ٤٠]؛ أَيْ: أَنَّهُ جَاءَ مُوَافِقًا لِقَدَرِ اللهِ تَعَالَىٰ وَإِرَادَتِهِ عَلَىٰ غَيْرِ مِيعَادٍ.

٤- وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المرسلات: ٢١-٢٣]؛ أَيْ: جَعَلْنَا الْمَاءَ فِي مَقَرٍّ يَتَمَكَّنُ فِيهِ وَهُوَ الرَّحِمُ، مُؤَجَّلًا إِلَىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ قَدْ عَلِمَهُ اللهُ ﷻ وَحَكَمَ بِهِ، فَقَدَرْنَا عَلَىٰ ذَٰلِكَ تَقْدِيرًا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ نَحْنُ، أَوْ: فَقَدَّرْنَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرًا فَنِعْمَ الْمُقَدِّرُونَ لَهُ نَحْنُ عَلَىٰ قِرَاءَتَيْنِ[1]. وَالْقِرَاءَةُ الثَّانِيَةُ «قدّرنا» بِالتَّشْدِيدِ تُوَافِقُ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [عبس: ١٩].

٥- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان: ٢]؛ أَيْ: كُلُّ شَيْءٍ مِمَّا سِوَاهُ مَخْلُوقٌ مَرْبُوبٌ، وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَبُّهُ وَمَلِيكُهُ وَإِلَٰهُهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ تَحْتَ قَهْرِهِ وَتَدْبِيرِهِ وَتَسْخِيرِهِ وَتَقْدِيرِهِ[2].

٦- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾﴾ [الرعد: ٨]؛ أَيْ:

=

الإيمان» للصلابي (٢/ ٣٩٢).

(١) «القضاء والقدر» د. عبد الرحمن المحمود (ص٥١).

(٢) «صحيح تفسير ابن كثير» (٣/ ٣١٤).

بِأَجَلٍ، كَحِفْظِ أَرْزَاقِ خَلْقِهِ وَآجَالِهِمْ، وَجَعَلَ لِذَلِكَ أَجَلًا مَعْلُومًا(١).

٧- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر: ٢١]. يُخْبِرُ تَعَالَىٰ أَنَّهُ مَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ سَهْلٌ عَلَيْهِ يَسِيرٌ لَدَيْهِ، وَأَنَّ عِنْدَهُ خَزَائِنَ الْأَشْيَاءِ مِنْ جَمِيعِ الصُّنُوفِ، ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ كَمَا يَشَاءُ وَكَمَا يُرِيدُ، وَلِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ وَالرَّحْمَةِ بِعِبَادِهِ، لَا عَلَىٰ جِهَةِ الْوُجُوبِ، بَلْ هُوَ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ(٢).

٨- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الواقعة: ٦٠]؛ أَيْ: صَرَّفْنَاهُ بَيْنَكُمْ ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾﴾؛ أَيْ: وَمَا نَحْنُ بِعَاجِزِينَ(٣).

٩- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [فصلت: ١٠].

١٠- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [عبس: ١٩]؛ أَيْ: قَدَّرَ أَجَلَهُ وَرِزْقَهُ وَعَمَلَهُ، شَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ.

ثَانِيًا: الْأَدِلَّةُ مِنَ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ وُجُوبِ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ: دَلَّتْ نُصُوصُ السُّنَّةِ عَلَىٰ وُجُوبِ الْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَالْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ جِدًّا.

١- حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ وَفِيهِ: قال ﷺ: «الإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ...»(٤).

٢- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا يُؤْمِنُ

---

(١) «صحيح تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٩٢).

(٢) «صحيح تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٦٢).

(٣) «صحيح تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٦٢).

(٤) مسلم (٨).

عَبْدٌ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ حَتَّىٰ يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ»(١).

٣- عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ: يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، وَيُؤْمِنُ بِالْمَوْتِ، وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَيُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ»(٢).

٤- عَنْ طَاوُسٍ أَنَّهُ قَالَ: أَدْرَكْتُ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُونَ: كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ قَالَ: وَسَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّىٰ الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ أَوِ الْكَيْسِ والعَجْزِ».

٥- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ يُخَاصِمُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْقَدَرِ فَنَزَلَتْ: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٨، ٤٩](٣).

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ الْإِيمَانَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ تَنَازَعَ النَّاسُ فِيهِ قَدِيمًا وَضَلَّتْ فِيهِ بَعْضُ الْفِرَقِ الْمُبْتَدِعَةِ كَالْجَبْرِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَسَطٌ بَيْنَهُمْ، وَسَوْفَ نُبَيِّنُ شَيْئًا مِنْ أُصُولِ هَذِهِ الْفِرَقِ فِي نِهَايَةِ الْبَابِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ.

وَقَدْ قَسَّمَ أَهْلُ الْعِلْمِ مَرَاتِبَ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ إِلَىٰ أَرْبَعَةِ مَرَاتِبَ هِيَ:

الْأُولَىٰ: عِلْمُ اللهِ الْأَزَلِيُّ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَمِنْ ذَلِكَ: عِلْمُهُ بِأَعْمَالِ الْعِبَادِ قَبْلَ أَنْ يَعْمَلُوهَا. **الثَّانِيَةُ:** كِتَابَةُ ذَلِكَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ. **الثَّالِثَةُ:** مَشِيئَتُهُ الشَّامِلَةُ وَقُدْرَتُهُ التَّامَّةُ لِكُلِّ حَادِثٍ. **الرَّابِعَةُ:** إِيجَادُ اللهِ لِكُلِّ الْمَخْلُوقَاتِ وَأَنَّهُ الْخَالِقُ وَمَا سِوَاهُ مَخْلُوقٌ.

---

(١) صحيح: الترمذي (٢١٤٥)، ابن ماجه (٨١)، وصححه الألباني.

(٢) مسلم (٢٦٥٥).

(٣) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» رقم (٦٧٥).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ: «وَالإِيمَانُ بِالْقَدَرِ عَلَىٰ دَرَجَتَيْنِ؛ كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ. فَالدَّرَجَةُ الأُولَىٰ: الإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ عَلِيمٌ بِالْخَلْقِ، وَهُمْ عَامِلُونَ بِعِلْمِهِ الْقَدِيمِ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلًا وَأَبَدًا، وَعَلِمَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِم مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي وَالأَرْزَاقِ وَالآجَالِ، ثُمَّ كَتَبَ اللهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ.

فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَمَا أَصَابَ الإِنْسَانَ لَمْ يَكُن لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، جَفَّتِ الأَقْلَامُ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾، وَقَالَ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد: ٢٢]، وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا: فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَا شَاءَ. وَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الْجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ؛ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ... وَنَحْوَ ذَلِكَ. فَهَذَا التَّقْدِيرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غُلَاةُ الْقَدَرِيَّةِ قَدِيمًا، وَمُنْكِرُهُ الْيَوْمَ قَلِيلٌ.

وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: فَهِيَ مَشِيئَةُ اللهِ النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ، وَهُوَ: الإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلَا سُكُونٍ؛ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ، لَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ، فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا اللهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ، لَا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ. وَمَعَ ذَلِكَ؛ فَقَدْ أَمَرَ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ، وَيَرْضَىٰ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ، وَلَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ،

وَلَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ، وَلَا يُحِبُّ الْفَسَادَ»(١).

الضَّابِطُ الْأَوَّلُ: مَرَاتِبُ الْقَدَرِ أَرْبَعَةٌ:

١- الْعِلْمُ. ٢- الْكِتَابَةُ.

٣- الْمَشِيئَةُ. ٤- الْخَلْقُ.

* قَوْلُهُ: «الْعِلْمُ».

الْمَرْتَبَةُ الْأُولَىٰ: مَرْتَبَةُ الْعِلْمِ وَهِيَ تَسْتَلْزِمُ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ هِيَ:

١- عِلْمُ اللهِ بِمَا كَانَ فِي الْمَاضِي مِنْ أَخْبَارِ الْخَلْقِ، وَأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَمْ تَخْفَ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ فِيمَا مَضَىٰ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ عَلَىٰ لِسَانِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ [طه: ٥١-٥٢].

٢- عَلِمَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بِكُلِّ مَا هُوَ وَاقِعٌ وَحَادِثٌ الْآنَ، وَهَذَا الْأَمْرُ يَجِبُ أَنْ نُؤْمِنَ بِهِ، فَلَا تَخْفَىٰ عَلَىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خَافِيَةٌ مِمَّا يَحْدُثُ فِي الْكَوْنِ.

٣- عَلِمَ اللهُ بِمَا سَيَكُونُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَا تَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، يَعْلَمُ بِكُلِّ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَقَدْ بَيَّنَ: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

قَالَ ابْنُ أَبِي الْعِزِّ رَحِمَهُ اللهُ: فَأَمَّا مَرْتَبَةُ الْعِلْمِ، فَإِنَّ الشَّهَادَةَ تَضَمَّنَهَا ضَرُورَةً، وَإِلَّا كَانَ الشَّاهِدُ شَاهِدًا بِمَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٨٦﴾(٢).

---

(١) «العقيدة الواسطية» (١/ ٤٨).

(٢) «شرح الطحاوية» (١١/ ٢٤).

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظُ آلُ حَكَمِي رَحِمَهُ اللهُ: «الْإِيمَانُ بِعِلْمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الْمُحِيطِ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ وَالْمُمْكِنَاتِ وَالْمُسْتَحِيلَاتِ، فَعَلِمَ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ، وَأَنَّهُ عَلِمَ مَا الْخَلْقُ عَامِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ وَعَلِمَ أَرْزَاقَهُمْ وَآجَالَهُمْ وَأَحْوَالَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ فِي جَمِيعِ حَرَكَاتِهِمْ وَسَكَنَاتِهِمْ وَشَقَاوَتِهِمْ وَسَعَادَتِهِمْ وَمَنْ هُوَ مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَنْ هُوَ مِنْهُمْ مَنْ أَهْلِ النَّارِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَهُمْ وَمِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ عَلِمَ دِقَّ ذَلِكَ وَجَلِيلَهُ وَكَثِيرَهُ وَقَلِيلَهُ وَظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ وَسِرَّهُ وَعَلَانِيَتَهُ وَمَبْدَأَهُ وَمُنْتَهَاهُ، كُلُّ ذَلِكَ بِعِلْمِهِ الَّذِي هُوَ صِفَتُهُ وَمُقْتَضَى اسْمِهِ الْعَلِيمِ الْخَبِيرِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ»(١).

الْأَدِلَّةُ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

١- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر: ٢٢].

٢- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾ [المائدة: ٩٧].

٣- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

٤- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾﴾ [سبأ: ٣].

٥- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾ [النجم: ٣٢].

٦- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً

---

(١) «معارج القبول» (ج٣/ ٩٢٠).

قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠)﴾ [البقرة: ٣٠].

٧- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦)﴾ [البقرة: ٢١٦].

٨- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ (٥٩)﴾ [الأنعام: ٥٩].

٩- وَمَفَاتِحُ الْغَيْبِ فَسَّرَهَا النَّبِيُّ ﷺ بِأَنَّهَا خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ ﷻ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ (٣٤)﴾ [لقمان: ٣٤].

١٠- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا (٩٨)﴾ [طه: ٩٨].

الأَدِلَّةُ مِنَ السُّنَّةِ:

١- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»(١).

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ ذَرَارِيِّ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»(٢).

---

(١) متفق عليه: البخاري (١٣٨٣)، ومسلم (٢٦٦٠).

(٢) متفق عليه: البخاري (١٣٨٤)، ومسلم (٢٦٥٨).

٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ**». ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾(١).

٤- عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُعْرَفُ أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**». قَالَ: فَلِمَ يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ؟ قَالَ: «**كُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا خُلِقَ لَهُ**» أَوْ «**لِمَا يُسِّرَ لَهُ**»(٢).

٥- عَنْ سَهْلٍ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَعْظَمِ الْمُسْلِمِينَ غَنَاءً عَنِ الْمُسْلِمِينَ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَظَرَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَىٰ هَذَا**». فَاتَّبَعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ وَهُوَ عَلَىٰ تِلْكَ الْحَالِ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ جُرِحَ فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَجَعَلَ ذُبَابَةَ سَيْفِهِ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ حَتَّىٰ خَرَجَ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ مُسْرِعًا فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ فَقَالَ: «**وَمَا ذَاكَ؟**» قَالَ: قُلْتَ لِفُلَانٍ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَيْهِ وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِنَا غَنَاءً عَنِ الْمُسْلِمِينَ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لَا يَمُوتُ عَلَىٰ ذَلِكَ. فَلَمَّا جُرِحَ اسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَقَتَلَ نَفْسَهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ**»(٣).

٦- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ**

---

(١) متفق عليه: البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨).

(٢) متفق عليه: البخاري (٦٥٩٦)، ومسلم (٢٦٤٩).

(٣) متفق عليه: البخاري (٦٤٩٣)، ومسلم (١١٢).

الْغُلَامَ الَّذِي قَتَلَهُ الْخَضِرُ طُبِعَ كَافِرًا، وَلَوْ عَاشَ لَأَرْهَقَ أَبَوَيْهِ طُغْيَانًا وَكُفْرًا»(١).

٧- عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: تُوُفِّيَ صَبِيٌّ فَقُلْتُ: طُوبَىٰ لَهُ عُصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوَ لَا تَدْرِينَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ خَلَقَ الْجَنَّةَ وَخَلَقَ النَّارَ فَخَلَقَ لِهَذِهِ أَهْلًا وَلِهَذِهِ أَهْلًا»(٢).

٨- عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: دُعِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ جِنَازَةِ صَبِيٍّ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ طُوبَىٰ لَهُ عُصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ لَمْ يَعْمَلِ السُّوءَ وَلَمْ يُدْرِكْهُ قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ؛ إِنَّ اللهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ»(٣).

٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»(٤).

١٠- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنِ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»(٥). فَهَذِهِ جُمْلَةٌ مِنَ الْأَدِلَّةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَىٰ إِثْبَاتِ صِفَةِ الْعِلْمِ للهِ ﷻ وَالْأَدِلَّةُ غَيْرُهَا كَثِيرَةٌ جِدًّا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ وَمَا يُنْكِرُهَا إِلَّا قَدَرِيٌّ مَارِقٌ مِنَ الدِّينِ.

---

(١) مسلم (٢٣٨٠).

(٢) مسلم (٢٦٦٢).

(٣) مسلم (٢٦٦٢).

(٤) مسلم (٢٦٥١).

(٥) متفق عليه: البخاري (٤٢٠٧)، ومسلم (١١٢).

* قَوْلُهُ: «الْكِتَابَةُ».

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثُمَّ كَتَبَ اللهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ. فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَمَا أَصَابَ الإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، جَفَّتِ الأَقْلَامُ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ» اهـ(١). فَإِنَّ اللهَ عَجَّلَ قَدْ كَتَبَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَالْمَقْصُودُ بِالْكِتَابَةِ الْكِتَابَةُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

وَالْأَدِلَّةُ عَلَىٰ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ:

١- قَالَ اللهُ عَجَّلَ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].

٢- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

٣- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣].

٤- وَقَالَ تَعَالَىٰ: عَنْ مُوسَىٰ حِينَ قَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥١، ٥٢].

٥- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧٠﴾ [الحج: ٧٠].

٦- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا

---

(١) «الواسطية» (١/ ٥٠).

يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

٧- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس: ٦١].

٨- وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [فاطر: ١١].

وَغَيْرُهَا مِنَ الْآيَاتِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي تُثْبِتُ الْعِلْمَ وَالْكِتَابَةَ لِمَقَادِيرِ الْخَلَائِقِ.

٩- عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ فَأَتَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ ثُمَّ قَالَ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً**» فَقَالَ: رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَىٰ كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَىٰ عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَىٰ عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ قَالَ: «**أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ ثُمَّ قَرَأَ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ**»(١).

١٠- عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ بَيِّنْ لَنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا الْآنَ. فِيمَا الْعَمَلُ الْيَوْمَ؟ أَفِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ أَمْ فِيمَا نَسْتَقْبِلُ؟ قَالَ: «**لَا، بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ**» قَالَ: فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ قَالَ زُهَيْرٌ: ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو الزُّبَيْرِ بِشَيْءٍ لَمْ أَفْهَمْهُ.

---

(١) متفق عليه: البخاري (١٣٦٢)، ومسلم (٢٦٤٧).

فَسَأَلْتُ مَا قَالَ؟ فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ» وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ عَامِلٍ مُيَسَّرٌ لِعَمَلِهِ»(١).

١١- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَشْبَهَ بِاللَّمَمِ مِمَّا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَىٰ ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ الْمَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّىٰ وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ»(٢).

١٢- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ رَكِبَ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا غُلَامُ إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهِنَّ؛ احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»(٣). وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْكَثِيرَةِ فِي هَذَا الْبَابِ.

* قَوْلُهُ: «الْمَشِيئَةُ». قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ: «وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ؛ فَهِيَ مَشِيئَةُ اللهِ النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ، وَهُوَ: الإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلَا سُكُونٍ؛ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ، لَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ، فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا اللهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ، لَا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ. وَمَعَ ذَلِكَ؛ فَقَدْ أَمَرَ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ. وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ

(١) مسلم (٢٦٤٨).
(٢) متفق عليه: البخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧).
(٣) صحيح: الترمذي (٢٥١٦)، أحمد (٢٦٦٤)، وقال الألباني: صحيح.

وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ، وَيَرْضَىٰ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ، وَلَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، وَلَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ، وَلَا يُحِبُّ الْفَسَادَ»(١).

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظُ آلُ حَكَمِي رَحِمَهُ اللَّهُ: الْإِيمَانُ بِمَشِيئَةِ اللهِ النَّافِذَةِ وَقُدْرَتِهِ الشَّامِلَةِ وَهُمَا يَجْتَمِعَانِ فِيمَا كَانَ وَمَا سَيَكُونُ، وَيَفْتَرِقَانِ فِي مَا لَمْ يَكُنْ وَلَا هُوَ كَائِنٌ. فَمَا شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ كَوْنَهُ فَهُوَ كَائِنٌ بِقُدْرَتِهِ لَا مَحَالَةَ(٢). فَمَا شَاءَ اللهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَالْمَشِيئَةُ وَالْإِرَادَةُ مُتَرَادِفَتَانِ فَلَا يَخْرُجُ عَنْ إِرَادَتِهِ الْكَوْنِيَّةِ شَيْءٌ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

وَمِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَىٰ ذَلِكَ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

١- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]. فَهُوَ سُبْحَانَهُ الَّذِي يُعْطِي وَهُوَ سُبْحَانَهُ الَّذِي يَمْنَعُ فَمَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

٢- وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام: ١٢٥].

٣- وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة: ١٣].

٤- وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يونس: ٩٩].

---

(١) «العقيدة الواسطية» (١/ ٥١).

(٢) «معارج القبول» (ج ٣/ ٩٢٠).

٥- وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [هود: ١١٨].

٦- وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: ٣٥].

٧- عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَىٰ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ أَوْ طُلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ قَالَ: «**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا وَيَقْضِي اللهُ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا شَاءَ**»(١).

٨- عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ خَطِيبًا يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَىٰ أَمْرِ اللهِ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ**»(٢).

٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لا يَقُلْ أَحَدُكُمُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، ارْزُقْنِي إِنْ شِئْتَ وَلْيَعْزِمْ مَسْأَلَتَهُ إِنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ لا مُكْرِهُ لَهُ**»(٣).

١٠- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَالَ: «**رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ، اللَّهُمَّ لا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ وَلا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**»(٤).

١١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ**

---

(١) متفق عليه: البخاري (١٤٣٢)، ومسلم (٢٦٢٧).

(٢) متفق عليه: البخاري (٧٤٧٧)، ومسلم (٢٦٧٩).

(٣) مسلم (٤٧٧).

(٤) مسلم (٢٦٦٤).

بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»(١).

وَالْأَحَادِيثُ الدَّالَّةُ عَلَىٰ الْمَشِيئَةِ وَالْإِرَادَةِ كَثِيرَةٌ جِدًّا تُثْبِتُ الْمَشِيئَةَ وَالْإِرَادَةَ الْمُطْلَقَةَ للهِ ﷻ، وَأَنَّ الْعَبْدَ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا إِلَّا بِإِرَادَةِ اللهِ ﷻ، وَسَوْفَ نَتَكَلَّمُ عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فِي آخِرِ الْبَابِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ.

* قَوْلُهُ: «الْخَلْقُ».

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ: فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا اللهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ، لَا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ. وَمَعَ ذَلِكَ؛ فَقَدْ أَمَرَ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ. وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ، وَيَرْضَىٰ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ، وَلَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، وَلَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ، وَلَا يُحِبُّ الْفَسَادَ»(٢).

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظُ آلُ حَكَمِي رَحِمَهُ اللهُ: مَرْتَبَةُ الْخَلْقِ وَهُوَ الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَهُوَ خَالِقُ كُلِّ عَامِلٍ وَعَمَلِهِ، وَكُلِّ مُتَحَرِّكٍ وَحَرَكَتِهِ، وَكُلِّ سَاكِنٍ وَسُكُونِهِ، وَمَا مِنْ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خَالِقُهَا وَخَالِقُ حَرَكَتِهَا وَسُكُونِهَا، سُبْحَانَهُ لَا خَالِقَ غَيْرُهُ وَلَا رَبَّ سِوَاهُ(٣).

الْأَدِلَّةُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ:

١- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصافات: ٩٥، ٩٦].

---

(١) مسلم (٤٧١).

(٢) «العقيدة الواسطية» (١/ ٥١).

(٣) «معارج القبول» (ج٣/ ٩٤٠).

٢- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦].

٣- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [غافر: ٦٢].

٤- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢].

٥- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾﴾ [الحجرات: ٧]. وَالشَّاهِدُ قَوْلُهُ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ...﴾ فَهُوَ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي حَسَّنَهُ بِتَوْفِيقِهِ وَقَرَّبَهُ مِنْكُمْ، وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ مَا يُضَادُّ الإِيمَانَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ مَكْرُوهًا عِنْدَكُمْ وَذَلِكَ بِمَا أَوْدَعَ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ كَرَاهَةِ الشَّرِّ وَعَدَمِ إِرَادَةِ فِعْلِهِ، فَالْفَاعِلُ فِي كُلِّ ذَلِكَ هُوَ اللهُ تَعَالَىٰ(١).

٦- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر: ٣].

٧- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان: ١١].

٨- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الروم: ٤٠].

٩- عَنْ أَبِي زُرْعَةَ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ

---

(١) «فتح البيان في مقاصد القرآن» صديق خان (٩/ ٧٤).

ﷻ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ شَعِيرَةً»(١).

١٠- عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ، كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لا يُسْتَجَابُ لَهَا»(٢).

١١- عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الْخَنْدَقِ يَنْقُلُ مَعَنَا التُّرَابَ وَهُوَ يَقُولُ: «وَاللهِ لَوْلَا اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلا صُمْنَا وَلا صَلَّيْنَا، فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا، وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لاقَيْنَا، وَالْمُشْرِكُونَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا»(٣).

١٢- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ»(٤).

١٣- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾، «وَيُقَالُ لِلْمُصَوِّرِينَ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ» ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾. قَالَ: ابْنُ عُيَيْنَةَ بَيَّنَ اللهُ الْخَلْقَ مِنَ الْأَمْرِ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾، وَسَمَّىٰ النَّبِيُّ ﷺ الْإِيمَانَ عَمَلًا قَالَ أَبُو ذَرٍّ وَأَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللهِ، وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ» وَقَالَ:

(١) متفق عليه: البخاري (٧٥٥٩)، ومسلم (٢١١١).

(٢) متفق عليه: البخاري (٥٩٥٠)، ومسلم (٢١٠٩).

(٣) مسلم (٢٧٢٢).

(٤) صحيح: البخاري (٦٦٢٠).

﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾(١).

الضَّابِطُ الثَّانِي: الْمَقَادِيرُ خَمْسَةٌ:

١- التَّقْدِيرُ الْأَزَلِيُّ. ٢- تَقْدِيرُ الْمِيثَاقِ. ٣- التَّقْدِيرُ الْعُمْرِيُّ.

٤- التَّقْدِيرُ الْحَوْلِيُّ. ٥- التَّقْدِيرُ الْيَوْمِيُّ.

تَمَّ الْكِتَابُ وَالْحَمْدُ لِلهِ الْحَنَّانِ الْمَنَّانِ الْوَهَّابِ

* قَوْلُهُ: «الْمَقَادِيرُ خَمْسَةٌ».

جُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ اللهَ ﷻ قَدَّرَ خَمْسَةَ مَقَادِيرَ عَلَىٰ الْعِبَادِ تَجْعَلُ الْإِنْسَانَ يَرْضَىٰ بِمَا قَدَّرَ اللهُ عَلَيْهِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَأَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ اللهَ قَدَّرَ شُئُونَ الْخَلْقِ وَفَرَغَ مِنْهَا فَمَا شَاءَ اللهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

* قَوْلُهُ: «١- التَّقْدِيرُ الْأَزَلِيُّ». «**الْأَوَّلُ**» التَّقْدِيرُ الْأَزَلِيُّ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدَّرَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ.

١- **كَمَا قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:** ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾ [التوبة: ٥١].

٢- **وَقَالَ ﷻ:** ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٢٢﴾ [الحديد: ٢٢].

٣- **قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:** ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٧٥﴾ [النمل: ٧٥].

٤- عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﵄ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَعَقَلْتُ نَاقَتِي

---

(١) «فتح الباري» (١٣/ ٥٢٣).

بِالْبَابِ فَأَتَاهُ نَاسٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ: «اقْبَلُوا الْبُشْرَىٰ يَا بَنِي تَمِيمٍ» قَالُوا: قَدْ بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ: «اقْبَلُوا الْبُشْرَىٰ يَا أَهْلَ الْيَمَنِ إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ» قَالُوا: قَدْ قَبِلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالُوا: جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ قَالَ: «كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ الْمَاءِ وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ» فَنَادَىٰ مُنَادٍ ذَهَبَتْ نَاقَتُكَ يَا ابْنَ الْحُصَيْنِ فَانْطَلَقْتُ فَإِذَا هِيَ يَقْطَعُ دُونَهَا السَّرَابُ فَوَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ تَرَكْتُهَا(١).

٥- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَىٰ الْمَاءِ»(٢).

٦- عَنْ عَطَاءٍ قَالَ: لَقِيتُ الْوَلِيدَ بْنَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَأَلْتُهُ مَا كَانَ وَصِيَّةُ أَبِيكَ عِنْدَ الْمَوْتِ قَالَ: دَعَانِي أَبِي فَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ اتَّقِ اللهَ وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَنْ تَتَّقِيَ اللهَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ فَإِنْ مُتَّ عَلَىٰ غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ فَقَالَ: اكْتُبْ، فَقَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبِ الْقَدَرَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ الْأَبَدِ»(٣).

٧- عَنْ أَبِي حَفْصَةَ قَالَ: قَالَ عِبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّىٰ تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ».

---

(١) صحيح: البخاري (٣١٩٢).

(٢) صحيح: مسلم (٢٦٥٣).

(٣) صحيح: الترمذي (٢١٥٥)، وقال الألباني: صحيح.

يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَىٰ غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي»(١).

* قَوْلُهُ: «تَقْدِيرُ الْمِيثَاقِ». أَيْ: أَنَّ اللهَ ﷻ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ أَخْرَجَ ذُرِّيَّتَهُ مِنْ ظَهْرِهِ مُنْذُ خَلْقِهِ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ فَاسْتَنْطَقَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ.

وَقَدْ قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللهُ:

أَخْرَجَ فِيمَا قَدْ مَضَىٰ مِنْ ظَهْرِ ... آدَمَ ذُرِّيَّتَهُ كَالذَّرِّ

وَأَخَذَ الْعَهْدَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ ... لا رَبَّ مَعْبُودٌ بِحَقٍّ غَيْرَهُ

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظُ آلُ حَكَمِي رَحِمَهُ اللهُ: «أَخْرَجَ»؛ أَي: اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ «فِيمَا»؛ أَي: الزَّمَنِ الَّذِي «قَدْ مَضَىٰ» وَذَلِكَ بَعْدَ خَلْقِهِ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «مِنْ ظَهْرِ آدَمَ» أَبِي الْبَشَرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ «ذُرِّيَّتَهُ» كُلُّ مَنْ يُوجَدُ مِنْهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ «كَالذَّرِّ»؛ أَيْ: كَهَيْئَتِهِ «وَأَخَذَ» ﷻ «الْعَهْدَ عَلَيْهِمْ» وَتَفْسِيرُ الْعَهْدِ «أَنَّهُ» الضَّمِيرُ لِلشَّأْنِ أَوِ الْحَالِ هُوَ رَبُّهُمْ «لا رَبَّ مَعْبُودٌ» مُسْتَحِقٌّ لِلْعِبَادَةِ وَلِذَا قَيَّدَ «بِحَقٍّ غَيْرُهُ»(٢).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُقَالُ لِلرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهِ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ ذَلِكَ قَدْ أَخَذْتُ عَلَيْكَ فِي ظَهْرِ آدَمَ أَنْ لا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي»(٣).

١- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا

(١) صحيح: أبو داود (٤٧٠٠)، وقال الألباني: صحيح.

(٢) معارج القبول (١/ ٨٤)

(٣) متفق عليه: البخاري (٣٣٣٤)، مسلم (٢٨٠٥).

غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٣].

٢- وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأعراف: ١٠٢]؛ أَيْ: بَعْدَ أَخْذِ الْمِيثَاقِ عَلَيْهِمْ وَاسْتِشْهَادِهِمْ.

٣- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَخَذَ اللهُ الْمِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بِنَعْمَانَ يَعْنِي عَرَفَةَ فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَأَهَا فَنَثَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالذَّرِّ ثُمَّ كَلَّمَهُمْ قِبَلًا قَالَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢، ١٧٣]».

٤- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَفِي يَدِهِ كِتَابَانِ فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا هَذَانِ الْكِتَابَانِ؟» فَقُلْنَا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ إِلَّا أَنْ تُخْبِرَنَا، فَقَالَ لِلَّذِي فِي يَدِهِ الْيُمْنَىٰ: «هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَىٰ آخِرِهِمْ فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا» ثُمَّ قَالَ لِلَّذِي فِي شِمَالِهِ: «هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ النَّارِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ أُجْمِلَ عَلَىٰ آخِرِهِمْ فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا» فَقَالَ أَصْحَابُهُ: فَفِيمَ الْعَمَلُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كَانَ أَمْرٌ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ؟ فَقَالَ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا فَإِنَّ صَاحِبَ الْجَنَّةِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ، وَإِنَّ صَاحِبَ النَّارِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدَيْهِ فَنَبَذَهُمَا ثُمَّ قَالَ: «فَرَغَ رَبُّكُمْ مِنَ الْعِبَادِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ»(١).

(١) صحيح: الترمذي (٢١٤١)، وأحمد (٦٥٢٧)، وقال الألباني: صحيح.

٥- عَنْ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ (١٧٢)﴾ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُسْأَلُ عَنْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ فَأَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ يَمُوتَ عَلَىٰ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُدْخِلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ وَإِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّىٰ يَمُوتَ عَلَىٰ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ فَيُدْخِلَهُ اللهُ النَّارَ»(١).

* قَوْلُهُ: «التَّقْدِيرُ الْعُمْرِيُّ».

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا قَدَّرَ خَلْقَ النُّطْفَةِ أَرْسَلَ إِلَيْهَا الْمَلَكَ إِذَا مَرَّتْ عَلَيْهِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً فَيُؤْمَرُ بِكِتَابَةِ كُلِّ مَا يَجْرِي عَلَىٰ الْعَبْدِ فِي حَيَاتِهِ إِلَىٰ الْمَوْتِ فَيَكْتُبُ إِذْ ذَاكَ ذُكُورَتَهَا وَأُنُوثَتَهَا وَالْأَجَلَ وَالْعَمَلَ وَالشَّقَاوَةَ وَالسَّعَادَةَ وَالرِّزْقَ وَجَمِيعَ مَا هُوَ لَاقٍ فَلَا يُزَادُ فِيهِ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُ.

١- قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ (٣٢)﴾ [النجم: ٣٢].

٢- قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا

---

(١) صحيح: الترمذي (٣٠٧٥)، أبو داود (٤٧٠٣)، مالك (١٦٦١)، وأحمد (٣١٣)، وقال الألباني: صحيح.

فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ [فاطر: ١١].

٣- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»(١).

* قَوْلُهُ: «التَّقْدِيرُ الْحَوْلِيُّ». وَالرَّابِعُ التَّقْدِيرُ الْحَوْلِيُّ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، يُقَدَّرُ فِيهَا كُلُّ مَا يَكُونُ فِي السَّنَةِ إِلَىٰ مِثْلِهِ.

١- قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [الدخان: ٣، ٤]. قَالَ مُجَاهِدٌ رَحِمَهُ اللهُ: لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْحُكْمِ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ رَحِمَهُ اللهُ: يُؤَذَّنُ لِلْحُجَّاجِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ فَيُكْتَبُونَ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ فَلَا يُغَادِرُ مِنْهُمْ أَحَدٌ وَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ. وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّهَا لَفِي رَمَضَانَ وَإِنَّهَا لَلَيْلَةُ الْقَدْرِ، يُفْرَقُ فِيهَا كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ، فِيهَا يَقْضِي اللهُ تَعَالَىٰ كُلَّ أَجَلٍ وَعَمَلٍ وَرِزْقٍ إِلَىٰ مِثْلِهَا. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: يُكْتَبُ مِنْ أُمِّ الْكِتَابِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مَا يَكُونُ فِي السَّنَةِ مِنْ مَوْتٍ وَحَيَاةٍ وَرِزْقٍ وَمَطَرٍ حَتَّىٰ الْحُجَّاجِ يُقَالُ: يَحُجُّ فُلَانٌ وَيَحُجُّ فُلَانٌ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: يُقَدِّرُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ أَمْرَ السَّنَةِ فِي بِلَادِهِ وَعِبَادِهِ إِلَىٰ السَّنَةِ الْقَابِلَةِ. وَقَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلَمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: يُقَدَّرُ أَمْرُ السَّنَةِ كُلِّهَا فِي لَيْلَةِ

(١) متفق عليه: البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

الْقَدْرِ، وَذُكِرَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: إِنَّكَ لَتَرَىٰ الرَّجُلَ غَشِي فِي الْأَسْوَاقِ وَقَدْ وَقَعَ اسْمُهُ فِي الْمَوْتَىٰ. وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ وَمُجَاهِدٍ وَأَبِي مَالِكٍ وَالضَّحَّاكِ: فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ يُفَصَّلُ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَىٰ الْكَتَبَةِ أَمْرُ السَّنَةِ وَمَا يَكُونُ فِيهَا مِنَ الْآجَالِ وَالْأَرْزَاقِ وَمَا يَكُونُ فِيهَا إِلَىٰ آخِرِهَا، وَالْآثَارُ فِي ذَلِكَ عَنِ الصَّحَابَةِ وَأَئِمَّةِ التَّفْسِيرِ مِنْ تَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ كَثِيرَةٌ شَهِيرَةٌ(١).

* قَوْلُهُ: «التَّقْدِيرُ الْيَوْمِيُّ».

وَهُوَ سَوْقُ الْمَقَادِيرِ إِلَىٰ الْمَوَاقِيتِ الَّتِي قُدِّرَتْ لَهَا فِيمَا سَبَقَ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن: ٢٩].

قَالَ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: فَهُوَ كُلَّ يَوْمٍ يُغْنِي فَقِيرًا، وَيُفْقِرُ غَنِيًّا، وَيُوجِدُ مَعْدُومًا، وَيُعْدِمُ مَوْجُودًا، وَيَبْسُطُ الرِّزْقَ وَيُقَدِّرُهُ، وَيُنْشِئُ السَّحَابَ وَالْمَطَرَ، وَغَيْرُ ذَلِكَ(٢).

فَصْلٌ: فِي الْإِرَادَةِ وَالْمَشِيئَةِ:

وَجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّهُ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلَا سُكُونٍ؛ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ، لَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ، فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا اللهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ، لَا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ. وَمَعَ ذَلِكَ؛ فَقَدْ أَمَرَ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ. وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ، وَيَرْضَىٰ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ، وَلَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، وَلَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ،

---

(١) «معارج القبول» (ج٣/ ٩٣٧).

(٢) «القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد» (ج٢/ ٤٠٥).

وَلَا يُحِبُّ الْفَسَادَ»(١).

وَقَدْ جَعَلَ اللهُ ﷻ لِلْعِبَادِ قُدْرَةً عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ وَلَهُمْ مَشِيئَة، وَاللهُ تَعَالَىٰ خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ قُدْرَتِهِمْ وَمَشِيئَتِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ، وَهُوَ تَعَالَىٰ الَّذِي مَنَحَهُمْ إِيَّاهَا وَأَقْدَرَهُمْ عَلَيْهَا وَجَعَلَهَا قَائِمَةً بِهِمْ مُضَافَةً إِلَيْهِمْ حَقِيقَةً، وَبِحَسَبِهَا كُلِّفُوا، عَلَيْهَا يُثَابُونَ وَيُعَاقَبُونَ، وَلَمْ يُكَلِّفْهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَّا وُسْعَهُمْ وَلَمْ يُحَمِّلْهُمْ إِلَّا طَاقَتَهُمْ. وَقَدْ أَثْبَتَ اللهُ تَعَالَىٰ ذَلِكَ لَهُمْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَوَصَفَهُمْ بِهِ، ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَىٰ أَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ إِلَّا عَلَىٰ مَا أَقْدَرَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَلَا يَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ ﷻ، وَلَا يَفْعَلُونَ إِلَّا بِجَعْلِهِ إِيَّاهُمْ فَاعِلِينَ. كَمَا جَمَعَ تَعَالَىٰ بَيْنَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَا مَوْضِعٍ مِنْ كتابه. كقوله ﷻ: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ هَـٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ [المزمل: ١٩]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٧-٢٩]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ﴾ [البقرة: ٢٨٦] الْآيَةَ. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ﴾ [الطلاق: ٧]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزخرف: ٧٢]؛ أَيْ: بِسَبَبِهِ. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [السجدة: ١٤].

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الْحَمْدُ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ**»(٢).

---

(١) «العقيدة الواسطية» (١/ ٥٣).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (ح٢١١٨)، والترمذي (ح١١٠٥)، والنسائي (٣/ ١٠٥) من حديث ابن مسعود

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: بَابَ ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].
وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الزمر: ٥٧].

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الْخَنْدَقِ يَنْقُلُ مَعَنَا التُّرَابَ وَهُوَ يَقُولُ: «وَاللهِ لَوْلَا اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلَا صُمْنَا وَلَا صَلَّيْنَا، فَأَنْزِلَنَّ سَكِينَةً عَلَيْنَا، وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا، وَالْمُشْرِكُونَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا، إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا»(١).

وَقَالَ ﷺ فِي الْحُمُرِ: «مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيَّ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا هَذِهِ الآيَةِ الْجَامِعَةِ الْفَاذَّةِ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧-٨]»(٢).

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظُ آلُ حَكَمِي رَحِمَهُ اللَّهُ: فَكَمَا لَمْ يُوجِدِ الْعِبَادُ أَنْفُسَهُمْ لَمْ يُوجِدُوا أَفْعَالَهُمْ، فَقُدْرَتُهُمْ وَإِرَادَتُهُمْ وَمَشِيئَتُهُمْ وَأَفْعَالُهُمْ تَبَعٌ لِقُدْرَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَإِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ وَأَفْعَالِهِ، إِذْ هُوَ تَعَالَىٰ خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ قُدْرَتِهِمْ وَمَشِيئَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، وَلَيْسَ مَشِيئَتُهُمْ وَإِرَادَتُهُمْ وَقُدْرَتُهُمْ وَأَفْعَالُهُمْ هِيَ عَيْنُ مَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَىٰ وَإِرَادَتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَفِعْلِهِ، كَمَا لَيْسُوا هُمْ إِيَّاهُ تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ بَلْ أَفْعَالُهُمُ الْمَخْلُوقَةُ للهِ قَائِمَةٌ بِهِمْ لَائِقَةٌ بِهِمْ مُضَافَةٌ إِلَيْهِمْ حَقِيقَةً، وَهِيَ مِنْ آثَارِ أَفْعَالِ اللهِ تَعَالَىٰ الْقَائِمَةِ بِهِ اللَّائِقَةِ بِهِ الْمُضَافَةِ إِلَيْهِ حَقِيقَةً، فَاللهُ فَاعِلٌ حَقِيقَةً وَالْعَبْدُ مُنْفَعِلٌ حَقِيقَةً، وَاللهُ تَعَالَىٰ هَادٍ حَقِيقَةً، وَالْعَبْدُ مُهْتَدٍ حَقِيقَةً، وَلِهَذَا أَضَافَ تَعَالَىٰ كُلًّا مِنَ الْفِعْلَيْنِ إِلَىٰ مَنْ قَامَ بِهِ فَقَالَ ﷻ: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ [الإسراء: ٩٧].

=

وأصله في مسلم من حديث ابن عباس.

(١) صحيح: البخاري (١١/ ٥١٥-٥١٦)، باب في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾.

(٢) صحيح: البخاري (٢٣٧١) ومسلم (٩٨٧).

فَإِضَافَةُ الْهِدَايَةِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ حَقِيقَةً، وَإِضَافَةُ الِاهْتِدَاءِ إِلَىٰ الْعَبْدِ حَقِيقَةً، وَكَمَا أَنَّ الْهَادِيَ تَعَالَىٰ لَيْسَ هُوَ عَيْنُ الْمُهْتَدِي، فَكَذَلِكَ لَيْسَتِ الْهِدَايَةُ هِيَ عَيْنُ الِاهْتِدَاءِ، وَكَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ تَعَالَىٰ مَنْ يَشَاءُ حَقِيقَةً وَذَلِكَ الْعَبْدُ يَكُونُ ضَالًّا حَقِيقَةً، وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خَالِقُ الْمُؤْمِنِ وَإِيمَانِهِ وَالْكَافِرِ وَكُفْرِهِ كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾﴾ [التغابن: ٢]؛ أَيْ: هُوَ الْخَالِقُ لَكُمْ عَلَىٰ هَذِهِ الصِّفَةِ وَأَرَادَ مِنْكُمْ ذَلِكَ كَوْنًا لَا شَرْعًا، فَلَا بُدَّ مِنْ وُجُودِ مُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ، وَهُوَ الْبَصِيرُ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْهِدَايَةَ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ الضَّلَالَ، وَهُوَ شَهِيدٌ عَلَىٰ أَعْمَالِ عِبَادِهِ وَسَيَجْزِيهِمْ بِهَا أَتَمَّ الْجَزَاءِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾ فَأَضَافَ اللهُ تَعَالَىٰ الْخَلْقَ الَّذِي هُوَ فِعْلُهُ الْقَائِمُ بِهِ إِلَيْهِ حَقِيقَةً، وَأَضَافَ الْإِيمَانَ وَالْكُفْرَ الَّذِي هُوَ عَمَلُهُمُ الْقَائِمُ بِهِمْ إِلَيْهِمْ حَقِيقَةً، وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هُوَ الَّذِي جَعَلَهُمْ كَذَلِكَ، وَهُمْ فَعَلُوهُ بِاخْتِيَارِهِمْ وَقُدْرَتِهِمْ وَمَشِيئَتِهِمُ الَّتِي مَنَحَهُمُ اللهُ إِيَّاهَا، وَخَلَقَهَا فِيهِمْ وَأَمَرَهُمْ وَنَهَاهُمْ بِحَسَبِهَا(١).

تَمَّ بِحَمْدِ اللهِ الْبَابُ السَّادِسُ

وَبِهِ تَمَّ الْكِتَابُ وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الْخَوَالِدُ الْبَلَدُ

فِي عَصْرِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ ١٤٣٥هـ

---

(١) «معارج القبول» (ج ٣-٩٤٠-٩٤٢).

الْمَصَادِرُ وَالْمَرَاجِعُ

م	الْكِتَابُ	الْمُؤَلِّفُ
١	الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ	
٢	إِتْحَافُ الْجَمَاعَةِ بِمَا جَاءَ فِي الْفِتَنِ وَالْمَلَاحِمِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ	حَمُّودُ بْنُ عَبْدِ اللهِ
٣	إِتْمَامُ الدِّرَايَةِ لِقُرَّاءِ النُّقَايَةِ	عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ
٤	أَثَرُ الْإِيمَانِ فِي تَحْصِينِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ضِدَّ الْأَفْكَارِ الْهَدَّامَةِ	عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
٥	أَرْكَانُ الْإِيمَانِ	عَلِيُّ بْنُ نَايِفِ الشَّحُّوذُ
٦	إِرْوَاءُ الْغَلِيلِ	نَاصِرُ الدِّينِ الْأَلْبَانِيُّ
٧	أَشْرَاطُ السَّاعَةِ	عَبْدُ اللهِ بْنُ سُلَيْمَانَ الْغُفَيْلِيُّ
٨	أُصُولُ الْإِيمَانِ	مَجْمُوعَةُ عُلَمَاءِ
٩	أُصُولُ مَسَائِلِ الْعَقِيدَةِ عِنْدَ السَّلَفِ وَعِنْدَ الْمُبْتَدِعَةِ	سُعُودُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْخَلَفِ
١٠	أَضْوَاءُ الْبَيَانِ فِي إِيضَاحِ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ	مُحَمَّدُ الْأَمِينِ الشِّنْقِيطِيُّ
١١	إِعَانَةُ الْمُسْتَفِيدِ بِشَرْحِ كِتَابِ التَّوْحِيدِ	صَالِحُ بْنُ فَوْزَانِ الْفَوْزَانِ

١٢	أَعْلَامُ السُّنَّةِ الْمَنْشُورَةُ لِاعْتِقَادِ الطَّائِفَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ	حَافِظُ بْنُ أَحْمَدَ آلُ حَكَمِي
١٣	أَعْلَامُ النُّبُوَّةِ	أَبُو الْحَسَنِ عَلِيٌّ الْمَاوَرْدِيُّ
١٤	إِغَاثَةُ اللَّهْفَانِ	ابْنُ قَيِّمِ الْجَوْزِيَّةِ
١٥	أَيْسَرُ التَّفَاسِيرِ	أَبُو بَكْرٍ جَابِرٌ الْجَزَائِرِيُّ
١٦	الْإِبَانَةُ الْكَبِيرُ	عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ ابْنِ بَطَّةَ
١٧	الْإِخْلَاصُ وَالشِّرْكُ الْأَصْغَرُ	عَبْدُ الْعَزِيزِ الْعَبْدِ اللَّطِيفِ
١٨	الْإِرْشَادُ إِلَىٰ صَحِيحِ الِاعْتِقَادِ	صَالِحُ بْنُ فَوْزَانَ الْفَوْزَانِ
١٩	الْأَسْئِلَةُ وَالْأَجْوِبَةُ فِي الْعَقِيدَةِ	صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
٢٠	الْإِصَابَةُ فِي مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ	ابْنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ
٢١	الِانْتِصَارُ فِي الرَّدِّ عَلَىٰ الْمُعْتَزِلَةِ الْقَدَرِيَّةِ الْأَشْرَارِ	يَحْيَىٰ بْنُ أَبِي الْخَيْرِ الْعِمْرَانِيُّ
٢٢	الْبَحْرُ الْمُحِيطُ	أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ
٢٣	الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ	أَبُو الْفِدَاءِ ابْنُ كَثِيرٍ
٢٤	التَّذْكِرَةُ	الْقُرْطُبِيُّ
٢٥	التَّرْغِيبُ وَالتَّرْهِيبُ	أَبُو مُحَمَّدٍ، الْمُنْذِرِيُّ

٢٦	التَّعْرِيفَاتُ	عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجُرْجَانِيُّ
٢٧	التَّنْجِيمُ وَالْمُنَجِّمُونَ وَحُكْمُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ	عَبْدُ الْمَجِيدِ الْمَشْعَبِيُّ
٢٨	التَّمْهِيدُ	ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ
٢٩	الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ	الْقُرْطُبِيُّ
٣٠	الْجَوَابُ الْكَافِي لِمَنْ سَأَلَ عَنِ الدَّوَاءِ الشَّافِي	شَمْسُ الدِّينِ ابْنُ الْقَيِّمِ
٣١	الْجُمُوعُ الْبَهِيَّةُ لِلْعَقِيدَةِ السَّلَفِيَّةِ	مَحْمُودُ بْنُ مُحَمَّدٍ
٣٢	الدُّرُّ الْمَنْثُورُ فِي التَّفْسِيرِ الْمَأْثُورِ	أَبُو بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ
٣٣	الدُّرَّةُ الْفَرِيدَةُ شَرْحُ الْبِدَايَةِ فِي الْعَقِيدَةِ	مُحَمَّدُ طَهَ
٣٤	الدِّينُ الْخَالِصُ	صِدِّيقُ حَسَنٌ خَانُ
٣٥	الرِّسَالَةُ التَّدْمُرِيَّةُ	شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ
٣٦	الرُّسُلُ وَالرِّسَالَاتُ	عُمَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَشْقَرُ
٣٧	السِّلْسِلَةُ الصَّحِيحَةُ	نَاصِرُ الدِّينِ الْأَلْبَانِيُّ
٣٨	السُّنَّةُ	ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ
٣٩	الشَّرِيعَةُ	مُحَمَّدٌ بْنُ الْحُسَيْنِ الْآجُرِّيُّ

٤٠	الصَّارِمُ الْبَتَّارُ فِي التَّصَدِّي لِلسَّحَرَةِ الْأَشْرَارِ	وَحِيدُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ بَالِي
٤١	الصَّوَاعِقُ الْمُرْسَلَةُ	شَمْسُ الدِّينِ ابْنُ قَيِّمِ الْجَوْزِيَّةِ
٤٢	الْعُبُودِيَّةُ	شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ
٤٣	الْعَقِيدَةُ فِي اللهِ	عُمَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَشْقَرُ
٤٤	الْعَيْنُ	الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِيُّ
٤٥	الْفُرْقَانُ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ.	يَاسِرُ بْنُ حُسَيْنٍ بُرْهَامِيُّ
٤٦	الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ	مَجْدُ الدِّينِ مُحَمَّدُ الْفَيْرُوزُآبَادِي
٤٧	الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ	مَحْمُودُ مُحَمَّدٍ غَرِيبٍ
٤٨	الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ	عُمَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ الْأَشْقَرُ
٤٩	الْقَوَاعِدُ الْمُثْلَىٰ فِي صِفَاتِ اللهِ وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ	مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الْعُثَيْمِينُ
٥٠	الْقَوْلُ السَّدِيدُ شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ	عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيُّ
٥١	الْقَوْلُ الْمُفِيدُ عَلَىٰ كِتَابِ التَّوْحِيدِ	مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الْعُثَيْمِينُ
٥٢	الْقِيَامَةُ الصُّغْرَىٰ	عُمَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ الْأَشْقَرِ
٥٣	الْكَافِيَةُ الشَّافِيَةُ فِي الِانْتِصَارِ لِلْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ	شَمْسُ الدِّينِ ابْنُ قَيِّمِ الْجَوْزِيَّةِ

٥٤	الْكَلِمَاتُ السَّدِيدَةُ شَرْحُ الْبِدَايَةِ فِي الْعَقِيدَةِ	خَالِدُ بْنُ مَحْمُودٍ الْجُهَنِيُّ
٥٥	الْمَادَّةُ الْحَاضِرَةُ فِي الْخُطَبِ وَالْمُحَاضَرَةِ	وَحِيدُ بْنُ عبد السَّلَامِ بَالِي
٥٦	الْمَجْمُوعُ الثَّمِينُ	مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينُ
٥٧	الْمُخَصَّصُ	عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ سِيدَه الْمُرْسِيُّ
٥٨	الْمَدْخَلُ لِدِرَاسَةِ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ	إِبْرَاهِيمُ الْبُرَيْكَانُ
٥٩	الْمِصْبَاحُ الْمُنِيرُ	أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْفَيُّومِيُّ
٦٠	الْمُعْجَمُ الْأَوْسَطُ	سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الشَّامِيُّ
٦١	الْمُغْنِي مَعَ الشَّرْحِ الْكَبِيرِ	ابْنُ قُدَامَةَ الْمَقْدِسِيُّ
٦٢	الْمُفْرَدَاتُ	الرَّاغِبُ الْأَصْفَهَانِيُّ
٦٣	الْمُفِيدُ فِي مُهِمَّاتِ التَّوْحِيدِ	عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ مُحَمَّدٍ عَطَا صُوفِي
٦٤	الْمَوْسُوعَةُ الْعَقَدِيَّةُ	مَجْمُوعَةُ بَاحِثِينَ (الشَّامِلَةِ)
٦٥	الْمَوْسُوعَةُ الْفِقْهِيَّةُ	وَزَارَةُ الْأَوْقَافِ الْكُوَيْتِيَّةُ
٦٦	الْمُوَطَّأُ	الْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ
٦٧	النُّبُوَّاتُ	شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ
٦٨	النِّهَايَةُ	ابْنُ الْأَثِيرِ

٦٩	النِّهَايَةُ فِي الْفِتَنِ وَالْمَلَاحِمِ	أَبُو الْفِدَاءِ بْنُ كَثِيرٍ
٧٠	الْوَجِيزُ فِي عَقِيدَةِ السَّلَفِ الصَّالِحِ	عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الأَثَرِيُّ
٧١	الْوَسِيطُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ	عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْوَاحِدِيُّ
٧٢	بَدَائِعُ الْفَوَائِدِ	شَمْسُ الدِّينِ ابْنُ قَيِّمِ الْجَوْزِيَّةِ
٧٣	تَارِيخُ بَغْدَادَ	الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ
٧٤	تَجْرِيدُ التَّوْحِيدِ الْمُفِيدِ	أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْمَقْرِيزِيُّ
٧٥	تَطْهِيرُ الِاعْتِقَادِ عَنْ أَدْرَانِ الْإِلْحَادِ	مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الصَّنْعَانِيُّ
٧٦	تَعْظِيمُ قَدْرِ الصَّلَاةِ	مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ بْنِ الْحَجَّاجِ
٧٧	تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ	أَبُو الْفِدَاءِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ كَثِيرٍ
٧٨	تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ	ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ
٧٩	تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ	شَمْسُ الدِّينِ الْقُرْطُبِيُّ
٨٠	تَوْضِيحُ الْأَحْكَامِ	عَبْدُ اللهِ الْبَسَّامُ
٨١	تَهْذِيبُ اللُّغَةِ	الْأَزْهَرِيُّ
٨٢	تَيْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ فِي تَفْسِيرِ كَلَامِ الْمَنَّانِ	السَّعْدِيُّ
٨٣	تَيْسِيرُ الْكَرِيمِ الْعَلِيِّ فِي وَصْفِ حَوْضِ النَّبِيِّ ﷺ	وَحِيدُ بن عَبْدِ السَّلَامِ بَالِي

٨٤	تَيْسِيرُ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ	سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللهِ
٨٥	تَيْسِيرُ الْعَلِيِّ الْقَدِيرِ لِاخْتِصَارِ تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرِ	نَسِيبُ الرِّفَاعِيُّ
٨٦	تَيْسِيرُ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ	لِلْقَحْطَانِيِّ
٨٧	جَامِعُ الْبَيَانِ	لِلطَّبَرِيِّ
٨٨	جَمْعُ الْجَوَامِعِ	لِلسُّيُوطِيِّ
٨٩	حَاشِيَةُ ابْنِ عَابِدِينَ	مُحَمَّدُ أَمِينُ بْنُ عَابِدِينَ
٩٠	حُقُوقُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ أُمَّتِهِ فِي ضَوْءِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ	مُحَمَّدُ بْنُ خَلِيفَةَ التَّمِيمِيُّ
٩١	حَيَاةُ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ بَعْدَ وَفَاتِهِمْ	أَبُو بَكْرِ الْبَيْهَقِيُّ
٩٢	دَرْءُ تَعَارُضِ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ	شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ
٩٣	دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ	أَبُو بَكْرِ الْبَيْهَقِيُّ
٩٤	رِسَالَةٌ فِي حُكْمِ السِّحْرِ وَالْكَهَانَةِ	عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ بَازٍ
٩٥	رَسَائِلُ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْحَمدِ فِي الْعَقِيدَةِ	مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَمدُ
٩٦	رَوَائِعُ الْبَيَانِ	مُحَمَّدُ عَلِيٍّ الصَّابُونِيُّ

٩٧	سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ	سُلَيْمَانُ بْنُ الْأَشْعَثِ
٩٨	سُنَنُ ابْنِ مَاجَهْ	مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْقَزْوِينِيُّ
٩٩	سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ	مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَىٰ بْنِ سَوْرَهْ
١٠٠	سُنَنُ النَّسَائِيِّ	أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْبٍ
١٠١	سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ	شَمْسُ الدِّينِ الذَّهَبِيُّ
١٠٢	شَرْحِ أُصُولِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ	مَجْمُوعَةُ عُلَمَاءِ
١٠٣	شَرْحُ ثَلَاثَةِ الْأُصُولِ	مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الْعُثَيْمِينُ
١٠٤	شَرْحُ كِتَابِ الْإِيمَانِ الْأَوْسَطِ	شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ
١٠٥	شَرْحُ مُسْلِمِ	النَّوَوِيُّ
١٠٦	شَرْحُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ	صَالِحُ الْفَوْزَانُ
١٠٧	شَرْحُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ	أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ الْحَازِمِيُّ
١٠٨	شَرْحُ السُّنَّةِ	الْبَغَوِيُّ
١٠٩	شَرْحُ الطَّحَاوِيَّةِ	صَالِحُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْفَوْزَانُ
١١٠	شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ	ابْنُ أَبِي الْعِزِّ
١١١	شَرْحُ الْوَاسِطِيَّةِ	مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الْعُثَيْمِينُ

١١٢	شَرْحُ الْوَاسِطِيَّةِ	مُحَمَّدُ خَلِيلِ هَرَّاسُ
١١٣	شِفَاءُ الْعَلِيلِ	ابْنُ قَيِّمِ الْجَوْزِيَّةَ
١١٤	صَحِيحُ ابْنِ حِبَّانَ	مُحَمَّدُ بْنُ حِبَّانَ الدَّارِمِيُّ
١١٥	صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ	مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ
١١٦	صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ	نَاصِرُ الدِّينِ الْأَلْبَانِيُّ
١١٧	صَحِيحُ الْجَامِعِ وَضَعِيفُهُ	نَاصِرُ الدِّينِ الْأَلْبَانِيُّ
١١٨	صَحِيحُ تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ	مُصْطَفَىٰ الْعَدَوِيُّ
١١٩	صَحِيحُ سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ	نَاصِرُ الدِّينِ الْأَلْبَانِيُّ
١٢٠	صَحِيحُ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ	نَاصِرُ الدِّينِ الْأَلْبَانِيُّ
١٢١	صَحِيحُ مُسْلِمٍ	مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ
١٢٢	عَارِضَةُ الْأَحْوَذِيِّ	الْمُبَارَكْفُورِيُّ
١٢٣	عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ	مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الْعُثَيْمِينُ
١٢٤	عُمْدَةُ الْقَارِي شَرْحُ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ	بَدْرُ الدِّينِ الْعَيْنِيُّ
١٢٥	غَرِيبُ الْحَدِيثِ	أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ الْحَرْبِيُّ
١٢٦	فَتَاوَىٰ اللَّجْنَةِ الدَّائِمَةِ	مَجْمُوعَةُ عُلَمَاءِ

١٢٧	فَتْحُ رَبِّ الْبَرِيَّةِ بِتَلْخِيصِ الْحَمَوِيَّةِ	مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الْعُثَيْمِينُ
١٢٨	فَتْحُ الْبَارِي شَرْحُ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ	ابْنُ حَجَرِ الْعَسْقَلَانِيُّ
١٢٩	فَتْحُ الْبَيَانِ فِي مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ	صِدِّيقُ حَسَنُ خَانُ
١٣٠	فَتْحُ الْقَدِيرِ	مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ
١٣١	فَتْحُ الْمَجِيدِ	لِلشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَنٍ
١٣٢	قَاعِدَةٌ جَلِيلَةٌ فِي التَّوَسُّلِ وَالْوَسِيلَةِ	نَاصِرُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْعَقْلُ
١٣٣	كِتَابُ أُصُولِ الْإِيمَانِ فِي ضَوْءِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ	مَجْمُوعَةُ عُلَمَاءِ
١٣٤	كِتَابُ التَّوْحِيدِ	مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ
١٣٥	كِتَابُ التَّوْحِيدِ وَقُرَّةُ عُيُونِ الْمُوَحِّدِينَ	عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَنٍ
١٣٦	كَشَّافُ الْقِنَاعِ	مَنْصُورُ الْبُهُوتِيُّ
١٣٧	لِسَانُ الْعَرَبِ	ابْنُ مَنْظُورِ
١٣٨	لَطَائِفُ الْمَعَارِفِ	ابْنُ رَجَبِ الْحَنْبَلِيُّ
١٣٩	مَبَاحِثُ الْعَقِيدَةِ فِي سُورَةِ الزُّمَرِ	نَاصِرُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّيْخُ
١٤٠	مَبَاحِثُ الْمُفَاضَلَةِ فِي الْعَقِيدَةِ	مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
١٤١	مَجَلَّةُ الْبُحُوثِ الْإِسْلَامِيَّةِ	---------

١٤٢	مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ	أَبُو الْحَسَنِ الْهَيْثَمِيُّ
١٤٣	مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى	شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ
١٤٤	مَجْمُوعَةُ الْقَصَائِدِ الزُّهْدِيَّاتِ	عَبْدُ الْعَزِيزِ السَّلْمَانُ
١٤٥	مُخْتَارُ الصِّحَاحِ	مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الرَّازِيُّ
١٤٦	مَدَارِجُ السَّالِكِينَ	ابْنُ قَيِّمِ الْجَوْزِيَّةِ
١٤٧	مَدَارِكُ التَّنْزِيلِ وَحَقَائِقُ التَّأْوِيلِ	عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ النَّسَفِيُّ
١٤٨	مُسْتَدْرَكُ الْحَاكِمِ	مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ النَّيْسَابُورِيُّ
١٤٩	مُسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ	أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ
١٥٠	مُسْنَدُ الشَّافِعِيِّ	مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ
١٥١	مِشْكَاةُ الْمَصَابِيحِ	حَمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْخَطِيبُ
١٥٢	مُصَنَّفُ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ	أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ
١٥٣	مُصَنَّفُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ	عَبْدُ الرَّزَّاقِ الصَّنْعَانِيُّ
١٥٤	مَعَالِمُ التَّنْزِيلِ	الْبَغَوِيُّ
١٥٥	مَعَارِجُ الْقَبُولِ	حَافِظُ بْنُ أَحْمَدَ آلُ حَكَمِي
١٥٦	مُعْتَقَدُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي تَوْحِيدِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ	مُحَمَّدُ بْنُ خَلِيفَةَ التَّمِيمِيُّ

١٥٧	مُعْجَمُ مَقَايِيسِ اللُّغَةِ.	أَحْمَدُ بْنُ فَارِسٍ الْقَزْوِينِيُّ
١٥٨	مَوْسُوعَةُ أَرْكَانِ الْعَقِيدَةِ	مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الصَّلَّابِيُّ
١٥٩	مَوْسُوعَةُ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ	مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الصَّلَّابِيُّ
١٦٠	مَنْهَجُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي دَعْوَةِ الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ	حَمُّودُ بْنُ أَحْمَدَ الرُّحَيْلِيُّ
١٦١	نَوَاقِضُ الْإِيمَانِ الْقَوْلِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ	عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْأَثَرِيُّ
١٦٢	نَسِيمُ الرِّيَاضِ فِي شَرْحِ الشِّفَا	الْقَاضِي عِيَاضٌ
١٦٣	نَيْلُ الْمَآرِبِ بِشَرْحِ دَلِيلِ الطَّالِبِ	عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ عُمَرَ الشَّيْبَانِيُّ
١٦٤	٢٠٠ سُؤَالٍ وَجَوَابٍ	حَافِظُ بْنُ أَحْمَدَ آلُ حَكَمِي

الْفَهْرِسُ

شَرْحُ مُقَدِّمَةِ الْبِدَايَةِ فِي عِلْمِ الْعَقِيدَةِ

الْبَابُ الثَّانِي: الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ

الْبَابُ الثَّالِثُ: الْإِيمَانُ بِالْكُتُبِ

الْبَابُ الرَّابِعُ: الْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ